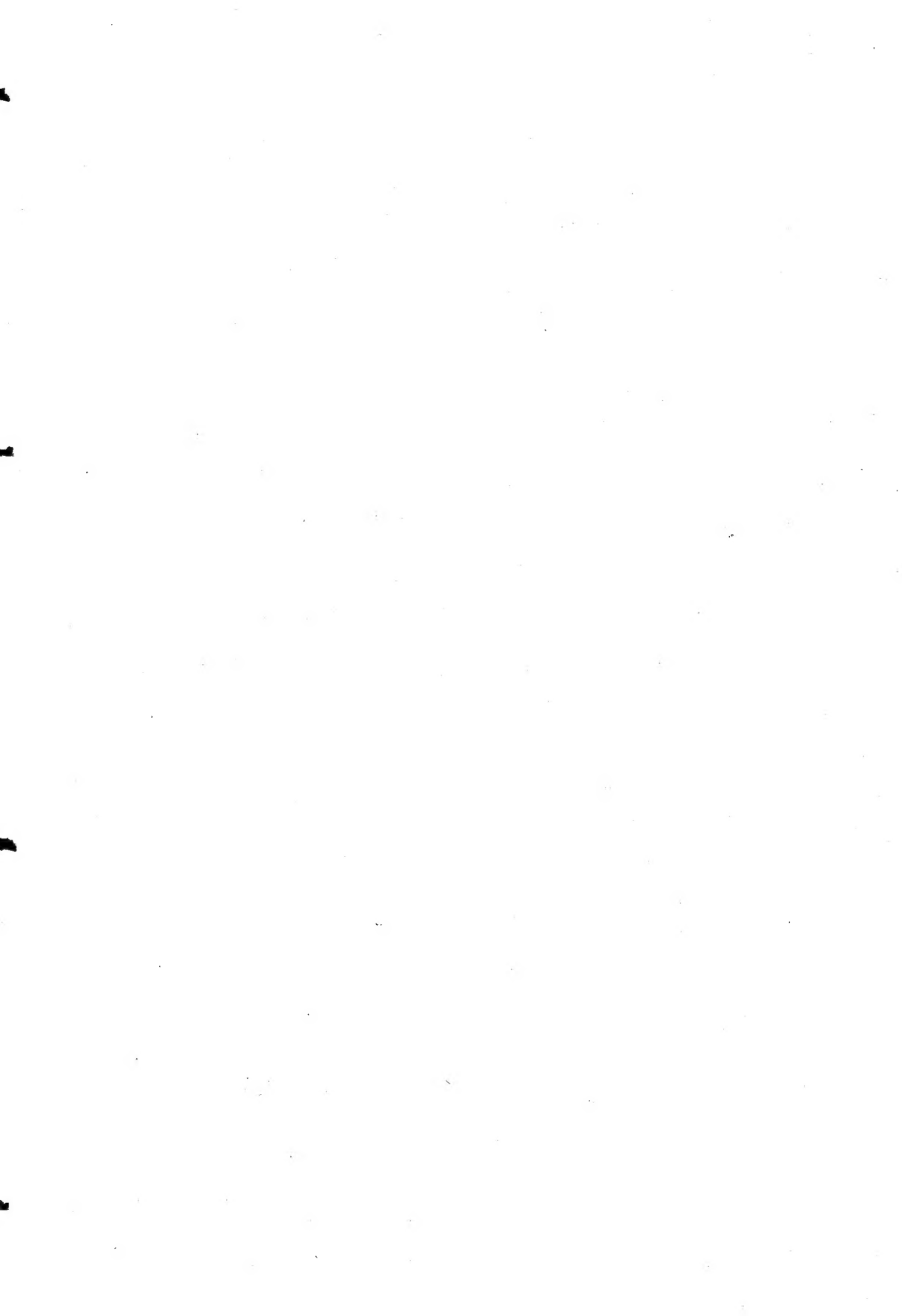


حُيُوتَان

ضياء الدين رجب

زحمة العمر
سبحات
رثاء



بيان : للأستاذ هاشم دفتدار المديني

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله سيدنا محمد المريد بمعجزات وحي
الله ، المتحديات كل معارف الحضارات . .
وحي الله المحفوظ بحفظ الله إلى نهاية الأبد . .
وهذا الحفظ عين الإعجاز :

١ - تلمسه بكل حواسك - ناطقاً صارخاً - في أحلك الظروف ، وأسوأ
الأحوال .

٢ - وتلمسه إذا تفاقمت شراسة معاول الظالمين الطغاة ، واستهدفت يقين
العلم والحق ، ونور الوحي المعجز المتحدي ، وقسط قسطاسه وعدل موازينه .
بسفه غرائزهم ورعونة عنصرياتهم الممقوتة ، وحقدهم الموروث وانحراف تثقيفهم
وترصدتهم الأعمى الأصم .

وهم أبدأ على غير اكتراث بمودة السلام ، وهدى الوحي في أحفل حقائقه ،
وفي أكرم مواكبه ، وفي أسطع كواكبه . . !!

٣ - أبصرنا كل ذلك بعد رحيل الأسلاف الصالحين في القرون الأولى الثلاثة . .
ولولا أن الله كان يتعهد هذا البيان العربي الأصل العالي بأمراء نبلاء ، وبحكام
عظماء . يمدون أدبائه وعلمائه ، بدفق الحياة العتيقة القوية ، ويصنعون بهم إلى
مواصلة الإثمار العبقري الناضج . . لتعسر رأب الصدع وما أهولته . .

ولولا أنها كلمة إيجاز عن مكان أدبنا العربي وأقداره واطراده لأدلت بآسناها
عن كل ما كان ، وما يمكن أن يكون قديماً وحديثاً على أجنحة التاريخ .

أما ما كان قديماً ، فكم من أمراء وحكام شيد الله على سواعدهم - منائر - البيان
العربي الصحيح ، وأمنجاده في عهودهم ، وما وراء عهودهم على مدى التاريخ . .
توهج مطالعها بيمن أسمائهم إشراقاً واعتزازاً وخلوداً .

وكانت لهم رداة فساح يجتشد فيها اللسان ، وأغنية الحرف المهذب ، وإبداع
الكلمة المؤمنة ، بكل منافمها المايكة في الأرض . .

أنظر . . هذه ردة الأمير أحمد بن المعتصم ، مزدهية بعبارة الكلمة العالية ،
ونوايع الفكر النثير . . وها هو أمير شعراء عصره حبيب بن أوس الطائي . . يلقي

قصيدته السَّيْنِيَّةُ العَصماءُ أمامَ الأميرِ أحمدٍ ومنصَّةُ البيانِ زاهيةٌ به ، وآذانُ الحضورِ
متشبيةٌ وقلوبُهم تفيضُ بشراً . . ولما وصل إلى قوله :

إقدامُ عمرو في سماحةٍ حاتمٍ في حِلْمٍ أحنَفَ في ذكاءِ إياسٍ
حاولَ الفيلسوفُ الكندي أن يخفف ، من سطوة البيان وسحره في نفس الأمير ،
وهو مأخوذ به . . فصرخ مُنْكَراً . . الأمير فوق مَنْ وصفت . . فلم يكثر أبو تمام لقوله
بل رد عليه إنكاره خاطفاً . .

لا تنكروا ضربي له مَنْ دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فألهُ قد ضرب الأقلَ لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس
وكان وقعُ رَدِّ أبي تمام عاصفاً ، لأنَّ الحق لا يحجبُه حجاب ، مهما كان لونُ
ذلك الحجاب . .

وكان من أثر ذلك الانتصار إسنادُ رئاسةٍ يريد الموصول إلى أبي تمام ، لينهض
برسالةِ الأدب ، وقد نهض . .

٢ - وكم من ذكريات عطرة الأنفاس تخف بك إلى رَدِّه سيف الدولة . الحمداني
في حلب الشهباء لكي تستمتع بنَصْرَةِ خمائلها ، وأغاريدِ أطيارها . .

وتلقى هنالك شاعرَ العربِ الأكبر ، وحكيمها المفكر الصادح ، أحمد المتنبي
وقد وَطَّدَ في أعلى ذراها وأنصرَ أفنانها كرسى إمارَةِ الشعر . وهو ينشد غملاً فخوراً :
وما الدهرُ إلا من رِوَاةِ قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهرُ منشداً
وقوله :

ما نال أهلُ الجاهلين كلهم شعري ولا سمعت بسحري بابل

. . .

وفي فجر هذه النهضة السعودية المجيدة التي تحققت فيها وَحْدَةٌ كلمة العرب
في وطنهم المقدس الأم . .

كان الاهتمامُ بِلغةِ القرآنِ المجيد وآدابِها ومعارفِها كبيراً جداً .

شَبَّدتْ لها الجامعاتُ والمعاهدُ والنوادي الأدبية .

وكان من أثر ذلك أن أُقيمت رَدْهة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل ،
من أجل الحفاظ على الإسلام ومعاليه ، واللغة وآدابها ومعارفها .

رَدْهة لها طابعها العالي الممتاز ومن مفاخرها الخالدة إخراج المؤلفات العبقريّة
النافعة .

وكنْتُ لا أريد التنويه بمزايا صاحب الردهة الفيصلية . لأن مزاياه في غنية عن ذلك .

ولكن الذي اضطرني إلى الإلماع المقتضب هي كلمة أسرة الشاعر الآتية :

كلمة أسرة الشاعر

هذه المجموعة الكاملة من شعر والدنا المرحوم الشيخ ضياء الدين
رجب مدينة لظهورها في هذا الثوب المتكامل الذي يراه القارئ لصاحب
السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل ، فلقد علم سموه أن نادى جدة الأدبي
سيتولى إصدار مختارات منها فتفضل مشكورا بإبداء رغبته في إصدارها
كاملة على نفقة سموه الكريم، وليست هي أولى أيادي سموه الكريم
ولا آخرها على الأدب والادباء وهو الأمير الشاعر والكاتب الناثق فلسموه
الكريم أجزل الشكر وأوفى التقدير أدامه الله تعالى نخرًا للأدب والفضل
وجزاء عنا وعن والدنا الفقيد أفضل الجزاء .

أسرة الشيخ ضياء الدين رجب

وإني أردف بشكر أسرة الشاعر الكبير الشيخ ضياء الدين رجب شكري على
اختياري للقيام بهذه المهمة على جهد الشبخوخة .

وكان الأديبان الكبيران الأستاذ عبد المجيد شبكشي والأستاذ محمد علي المغربي
هما اللذان انتدباني لأنأولى القيام بهذه المهمة المجهدة . لأن الديوان المرسل من وزارة
الإعلام هو في مطبعة الأصفهاني ولولا أن الأستاذ الكبير محمد علي المغربي كفاني بمقدمته
النفسية مؤونة دراسة شعره ، وتحليله ، والتنويه بمكان الشاعر المرموق بين شعرائنا المواطنين
النوايع ، وعرض مزاياه ، وقوة عارضته وسحر بيانه في شواهد ... لكان الجهد أضنانني .

ويعلم الله أني قضيت الأشهر الثلاثة شعبان ورمضان وشوال وهأنذا في شهر ذي الحجة .
وأنا أراجع أصول الكلمات المستعملة في المعاجم لضبطها بالمقدار الذي يملكه ضعف
الإنسان ووعيه المحدود . .

ولما كنت أفقد معرفة أوزان الشعر المعرفة الصحيحة استعنت بالشاعر الكبير
السيد محمد حسن فقي لقرني منه في مكتب المجلة العربية .. وبالرحمين الباحثين الأديبين
الشيخ عبد القدوس الأنصاري ، والسيد علي حافظ ..

استعنت بهم في وزن بعض الأبيات التي اقتضى الأمر في العودة إلى صحة وزنها ..
ولا غرابة أن يكون ذلك .. فإن النسخ مسخ نجد ذلك في المؤلفات المخطوطة والمطبوعة
على الآلة الكاتبة .

ومع كل ذلك اعتقد أنه أفلت بعض ما لم نفطن إليه ، وشمول العلم لله وحده
وله كل الأمر . من قبل ومن بعد .

هاشم دفتردار المدني

غرة ذي الحجة عام ١٤٠٠ هـ

الموافق ١٠ أكتوبر عام ١٩٨٠ م

زحمة العمر: للمرحوم الشاعر ضياء الدين رجب

كنت أود أن أخلص من نفسي في يوم ما ولكن ما انطوت عليه
تلك النفس من آمال وآلام جعلتني أوتر الانطواء عليها فلا ألقى بها
على الناس حتى لا أشركهم في متاعب حياتي وزحماتها لأنني أعتبر
ذلك خلاصاً من النفس وتخلصاً منها ونفضاً لأوشابها وبلاويها .

من أجل هذا لم أفكر جاداً في طبع ديواني في حياتي بل كنت
أوتر أن يظل تحت ركام هذه الحياة ثم ينشر على الناس فيتحدثون
عنه كما يشاؤون بلا مجاملة ولا محاباة فيقرأون أثراً محضاً لذهاب
لا يخافونه ولا يرجونه . . ولكن إلحاح الكثير من لدات العمر
ورفاق الحياة على أن أطلع الناس على آثاري هو الذي شجعني على
هذه الانتفاضة وتقديم هذه الزحمة بكل ما فيها . . والواقع أنها
ليست مني ولكنها من الحياة وإليها ولم أرد وأنا أضع هذه الكلمة
أن أقدم لأثر لست أنا راضياً عنه كل الرضا - ولهذا أحجمت حتى
عن تقديم رأيي في الشعر والأدب بوجه عام حتى لا أعبر عن نفسي
ولا أدافع عنها في قليل أو كثير .

...

« ضياء الدين رجب »

مقدمة : للأستاذ الشيخ محمد علي مغربي

هذا الكتاب بما حواه من قصائد ومقطوعات كثيرة هي حصيلة شعر الشاعر الشيخ ضياء الدين رجب خلال رحلته في هذه الحياة ، ولو قلت إنه حصيلة خمسين عاماً من ممارسة الشعر لما كنت مبالغاً في التقدير ، ولو قلت إنه حصيلة عمر الشاعر كله لما تغاليت في التعبير ، ذلك أن هذا الشعر لم ينشر قبل اليوم كاملاً في كتاب وإنما نشرت منه قصائد قليلة في أوقات متفرقة في بعض صحف المملكة مثل صوت الحجاز ، والبلاد ، والمدينة المنورة ، ، ومجلة المنهل ، وقافلة الزيت ، وكان هذا القليل الذي نشر قد وضع الشاعر موضعه الصحيح بين أبرز شعراء المملكة في هذا العصر ولعل هذه المجموعة الضخمة حينما تطالع القاريء متكاملة تضع الشاعر بين أبرز الشعراء في بلاد العرب قاطبة وليس في وطنه فحسب .

إن صاحب هذه المجموعة قد تكاملت لديه الخصائص التي يجب توفرها في شاعر كبير فهو مرفه الحس ، متوهج العاطفة ، وقد امتلك ناصية البيان كما وهب القلم على الصياغة الشعرية في أداء يجمع بين نضاعة الألفاظ ، وجمال المعاني ، وتوفر الصور الشعرية وكل هذا في عاطفة متدفقة وإحساس متوثب تحس فيه بهذا الوهج الذي به يكون الشعر شعراً .

إن الشيخ ضياء الدين رجب هو من هذه الفئة القليلة من شعراء هذه البلاد التي انقادت لها مقاليد اللغة فهو من الشعراء الذين جمعوا في تحصيلهم بين المدرسة والحرب ولقد تلقى دراسته هذه على أيدي كبار علماء المدينة المنورة في عصره فهو من هؤلاء الطلبة الذين أخذوا العلم حبساً على الركب وهم يجلسون في حلقات الدرس في رحاب المسجد النبوي الشريف بين أيدي أشياخ أجلاء تمكنوا من علوم الدين فقهاً ، وحديثاً ، وتفسيراً ومن المعلوم أن دراسة هذه العلوم مرتبطة باللغة بياناً وبديعاً ونحواً وصرفاً ، وكان هؤلاء الأشياخ ولا يزالون يعقنون حلقاتهم في أعقاب الصلوات وبين العشائين فيتنقل الطلاب بين تلك الحلقات حاملين كتبهم ودفاترهم فيجمعون بين شرف العلم ونور العبادة ، في رحاب أكرم المدارس وأعظم المحاريب ، ويكفي أن نعلم أن شاعرنا بنتائج هذا التحصيل قد رُشح ليكون قاضياً في العشرين من عمره وتولى قضاء مدينة العلا وهو

في هذه السن الباكورة بعد أن اعترف له أشياخه بالتفوق والنبوغ . ولقد أضاف الشاعر إلى هذا التحصيل الديني واللغوي اطلاعاً كبيراً على الشعر العربي في مختلف العصور فزاد هذا الاطلاع بيانه صقلاً وتعبيراته ثراءً ، وانك لتلمس أثر هذا الاطلاع فيما تقرأ من شعره الذي يذكرك بهذا النسق العالي من الشعر العربي في أزهى عصوره وأجمل صوره وأن هذا الذي تحسه وأنت تقرأ هذا الشعر لا يذكرك بأن هذا الشعر هو تقليد لتقديم الشعر العربي وإنما يذكرك بأن الشاعر إنما يستمد جذوره من هذا النبع الأصيل الجميل ، ذلك أن الشاعر قد استطاع الاحتفاظ بشخصيته المستقلة وهي شخصية تتجلى خصائصها للدارس لهذه المجموعة الكبيرة من الشعر في جلاء ووضوح . وسنعود إلى إيضاح ذلك حينما نتحدث عن شخصية الشاعر التي تتجلى في مختلف قصائده هذه المجموعة والتي تؤكد أن الشاعر إنما يصدر عن عواطف معينة وأحاسيس واضحة تأبى إلا أن تعبر عن نفسها حتى حين لا يتوقع المرء هذا التعبير .

الشعر : -

لقد تحدثنا عن الشاعر بقدر ما تسمح به هذه العجالة وسنتحدث الآن عن ديوانه أو دواوينه التي تجتمع بين دفتي هذا الكتاب الضخم والذي يذكرك بالدواوين الضخمة للشعراء العرب من قدامى ومحدثين قبل ظهور الدواوين الجديدة للشعراء المعاصرين والتي تضم عشر قصائد أو أقل أو أكثر يطلق عليها الشاعر اسماً معيناً فتستوي له دواوين كثيرة بدلاً من ديوان واحد يتكون من عدة أجزاء .

إن ظهور هذه المجموعة الضخمة من شعر الشاعر في كتاب واحد هو ضرورة أملاها تأخر نشر هذا الشعر إلى ما بعد وفاته ليصير في مجموعة واحدة كبيرة .

ولقد ترك الشاعر هذه المجموعة مرتبة منسوخة على الآلة الطابعة وقسمها إلى المجموعات الآتية : -

- ١ - الشعر الروحي
- ٢ - الشعر الوطني
- ٣ - الشعر الاجتماعي
- ٤ - الشعر العاطفي .

وأطلق الشاعر على هذه المجموعة الضخمة وهي تمثل الجزء الأكبر من شعره اسم - زحمة العمر - ويضمها مجلد واحد كبير حوى معظم شعره ويبدو أنه ألحق هذه المجموعة الضخمة بعد ذلك بما استجد لديه من الشعر في مجلد صغير آخر أطلق على هذه البقية اسم - سباحات - وهذه البقية في مجموعها يمكن أن تدخل في باب الشعر العاطفي فيبقى التقسيم الذي وضعه الشاعر كما هو دون تغيير ونعود الآن إلى هذا الشعر بأنواعه المختلفة لتحدث عنه بقدر ما يسمح المقام .

هذا وكانت للشاعر مجموعة من القصائد والمقطوعات في رثاء ابنه حمزه في مجلد خاص وقد ألحقها بهذه المجموعة في باب خاص هو شعر الرثاء وسنتحدث عنه فيما بعد .

الصياغة الشعرية

لقد قلنا إن القراءة لهذه المجموعة تذكر القاري بهذا النسق العالي من الشعر العربي في أزهى عصوره ويتجلى ذلك في أسلوب الشاعر الذي يتمثل في تلك الصياغة الرائعة في اختياره للألفاظ ، وفي تناسق المعاني وتجانس الكلمات فلا يصدم السمع منه كلمة نائية أو جملة دخيلة ، أو معنى فج ، وإنما هناك موسيقى متناسقة الجرس ، عذبة النغمات ويتجلى هذا في كافة شعر المجموعة ليخرج منه القاري بأن الشاعر صاحب أسلوب متميز فريد ، وللقاري أن يتذوق هذا كله فيما نورده من نماذج هذا الشعر على اختلاف أغراضه ودون تمييز .

يقول الشاعر في قصيدة من الشعر الروحي بعنوان (دار الهدى) : -

جارك الغيث أماناً وسلاماً	ورضاً سمحاً ويُمناً وابتماماً
يا دياراً حلم الغيث بها	يتجراًها سحاباً وغماماً
فإذا ما انطلقت أضواءه	ذاب حُباً في مغانيها وهاماً
شامها بارقة معطورة	شمها جبريل من قبل وشاماً
دونها الخلد بما ألبسها	صانع الخلد جمالاً ومقاماً
الشذى بالقي من لألها	والسنا ينضح عطراً وخزاماً
والدنا تسبح في أفلاكها	تعبر النور الذي ينسى الظلاماً
إنها الأضواء في دار الهدى	بهرته فرأى البرق جهاماً

وأنت حين تقرأ هذا الشعر تشعر بهذه الموسيقى تنساب إلى النفس في هدوء وعذب فكانك في روضة معطورة تشابكت أغصانها وفتحت أزهارها ، وتغنى الطير على أمتانها بعد أن جادها الغيث بنفح السماء ، ثم يخلص الشاعر ليقول لك أن هذه الروضة الباسمة الحالية .

إنها الأضواء في دار الهدى بهرته فرأى البرق جهاماً
وهذا النسق العالي من الصياغة الرائعة يتجلى في كل قصائد هذه المجموعة الضخمة
فإذا انتقلنا إلى قصيدة أخرى طالعنا هذه الأبيات : -

يا قباب الفيحاء يا بسمه الروح	ويا بهجة الفؤاد الشجي
لَمْ الحب ذاته وتغنى الشوق	في صمته الجلي الخفي
وتهادت على مشارف سلع	نفحات من الشذى النبوي

وتبددت قباء والألق الضاحي وشاخ من عسجد عبقرى
النبي المبعوث في خير أرض صانها من منافق ودعى
ونمر عبر الديوان بقصيدة أخرى بعنوان عرفات : -

الأغاريد في السماء نداء والرحاب الخضراء والأضواء
والخشود التي أظلت مع الفجر على الموقف العظيم دعاء
والخيارى والراقصون على السحب أظلت أفيأؤهم أفياء
والثراء العريض والجاه والملك حطام على الثرى مشاء
والمغاني الفيحاء وارفة الظل وآساد غابها والطباء
والمقاصير والخيام وقطعان حماها مع الرعاية سواء
وليس أجمل من هذا الوصف للمساواة بين الناس في عرفات ولا أجمل من هذا
الأسلوب الرائع المبدع في إشراف بيانه وشرف معانيه .

فإذا انتقلنا من هذا الشعر الروحي إلى الشعر الوطني تطالعنا إحدى قصائد الديوان
- وحدة القلوب - : -

أرأيت كيف طوالت الآمال موصولة الإقبال بالإقبال
تترنج البسمات فوق ثغورها مكسرى وأنت حيالها وحيالي
ومنها يقول : -

وترفقت نسمات مصر فوفرت في الشام بين مرابع وظلال
فحملن عن بردى أرق نسيمه ينسبن بين سباسب وتلال
ومها تحوم على الموارد في الحمى وموائس في الغوطتين حوائي
حتى أغرن البان لسن حواذرا وزحمنه في موكب المختال
وهناك قصيدة أخرى بعنوان يا مصر مطلعها : -

يا مصر يا مصر ما أحلاك صاحبة وصحوك العذب وسان الرؤى غرد
ومنها يقول :

يا مصر أنت هوى قد صيغ من ضرب الشمس تنهل منه والضحى برد
والظل يسحب فوق الظل أجنحة كالروح يرح في أنفاسها الحسد

ومنها : -

يا رعدة حلوة في خافق رجفت أضواؤه في هوى يدنو ويتعد
ويا حنيئاً تلاقي في مساربـه تجري به الريح رهواً والضحى رآد
ذاب الدجى في تلافيف السرى فهفت أشعة فجرها الوسنان متشد

ولو ذهبنا في الاختيار لأطلنا على القاري والمجموعة كلها من هذا النسق العالي من اللفظ الرائق والمعنى الرائع تنظمها هذه الموسيقى العذبة والأخيلة الشعرية الأصيلة .

شخصية الشاعر : -

إن القاري لهذه المجموعة الكبيرة من الشعر يستطيع الخروج منها بصورة واضحة المعالم والملاح ، تحمل أفكاراً معينة تدل على البيئة التي ولد فيها الشاعر ونشأ والأرض التي درج عليها والمغاني التي تعلقت بخياله بل والآداب التي أشربها وربي عليها فهو من مواليد دار الهجرة ، ولد في رحاب طيبة الطيبة وأشرب الحب خالصاً لصاحب الرسالة الأعظم ، كما انطبع مغاني هذه الرحاب الطاهرة في نفسه وخياله فهو لا يمل الحديث عن قباء وسلع ، وأحد وأريس ، والروضة والمحراب والقبّة الخضراء والمآذن الفيحاء والنخيل والزهر والعقيق ومغانيه وكما تتجلى هذه الصور في شعر الشاعر تتجلى كذلك أبعاد هذه البلاد المقدسة وتاريخها العريق الذي هو تاريخ ظهور الإسلام وفتوحاته وأبعاده وامتداده في الأرض فهذا التاريخ حي أبداً في خياله وهو مقرون أبداً بالأسى على حاضر الأمة الإسلامية التي ينتمي إليها فهو لا يفتأ يذكر به كلما أدلهم الخطب واشتد الكرب ، والثقافة الدينية التي تشر بها الشاعر صغيراً تبقى هي النبراس الذي يهتدي به ويهدي إليه فهو لا يفتأ يدعو إليها ويذكر بها فهو ابن بيئته وريب ثقافته تلمح هذا في مختلف قصائده هذه المجموعة الضخمة على اختلاف أنواع القصائد وتنوع أغراضها : -

يقول الشاعر في أفراح الجزائر : -

انظر لأفراح الجزائر في الثغور وفي التخيوم
في الكون في عليا المنازل في القباب وفي السديم
في العالم العلوي ناه اليوم في المأ العظيم
في المسلمين وإنه المجد المرفل في الصميم
منحوه أرواح الشهادة في الصراط المستقيم
هذا هو المجد الزعيم يضج في روح الزعيم

وهناك قصيدة - أغنية زمزم وأريس (وأريس هذه بئر مشهورة في المدينة) .

هل رشفت المزن رشفا ثم حليت بزمزم
صفقة سواها بأريس وسرى البدر الملم
بشعاع يتلم
من رضاك

وقصيدته في ربوع المدينة : -

بين سلع وقبا من مجالي يثرب
قد مشينا الهيلين سبباً في سبب
صفقت أيامنا
شعشت أحلامنا
بين أحضان العقيق من شروق لغروب
كم رونا من رجيق بين كأس وجيب
والتي في ظلنا
نهلها من نهلا
والغوالي في العوالي يتفح العطر شذاها
وظباها في المعالي هدهدت سحر ظاها
فسل الخزع ورامه والمصلى والغمامه
والشذى في أحد من عبر الشهداء
عبرة للأبد في مجالات الفداء

ومن قصيدة قيمة الشعب التي نظمها الشاعر في شبابه : -

ولعمري هذا الحجاز حفي ولديه كرامة في خصاله
وبنيه ان ساءلوا العنصر الحي وكثر الخلود في أعماله
جاوبتهم أصداء مجد عميق يستفز الحنين في تجواله
يتغنى بمجده السالف العهد ويدي تلحنماً في مقالاه

وفي قصيدة خلود البطل التي يهديها الشاعر إلى روح الأمير عبد الكريم الخطاطي بطل
الريف يقول : -

المجد أشرق في لقايف مهده فمشى غدين وفاته في لحده
وتلفت التاريخ بعد فلم يجد إلاه في تبريمه أو سهده

ومنها : -

تهل في الدنيا سواكب قبضه وتهل بالرحمى سحائب رفته
وخلائق المجد الأصيل شمائل تصل الحياة بحظه وسعده
وتشع اشعاع الهدى في موطن غذاه من دمه الزكي بشهده

وفي قصيدة تلك الخيام : -

ولقد ذكرت النابغي ولبه وعكاظ حول قبابه البيضاء
ولمحت عن كشب خيال سكية وسكية من قبلها الخنساء
ولقد نظرت البحر بين مداره ومساره وكأنه الصحراء
خطر حواريه الحسان حملتها عيس تماوج تحتها اليباء
فكان اشعاع الموادج هالة ضفرت ذواب حسنها القمراء
وانك لتجد أمثال هذه المعاني حتى في شعره العاطفي حيث لا يتوقع وجودها فيه .

أنظر قصيدته يا ضاحك العين حيث يقول : -

من سر عينيك ومن سحرها تصوغ للبسة بسامها
براءة في ظل أنفاسها أطايا تغسل آثامها
ناسكة تمبق أردانها ما فارقت في الحل أحرامها

ومنها : -

وآمنت بالله في جهها وأسرعت تعلن إسلامها

وفي قصيدة لماذا أحبه : -

أحبه في نخائه وحنانه وراعته في إيمانه وأمانه

وفي قصيدة حب وأشواق : -

أنا من طيبة وحسبك مني لذة نزعة الهوى لدمشق
ضمخت أرضها طيوب النوات فإني حلفت أشداء عبق
وفي قصيدته صورة : -

حجازية الطبع والمحتد عراقية النبت والمولد
كأن زروداً بغزلانه جرى في الرصافة كالعسجد
ومازج بين عيون المها وكحلها بعد بالأتمد
وغار العقيق من الدجلتين وصفق للنبع والمورد
وفي قصيدة من هي : -

نخيرها قلبي فلا الحب حاكم ولا وصفكم وصفي ولا جهدكم جهدي
غرام سماوي والمعاني مجنح وألطافه شيء خصصت به وصدي
وفي قصيدة رشح العناقيد : -

يا سقا الله في رحاب القداسات طيفواً من الهوى المستكن
يا رعا الله في الربوع الكريمات مصاييح من جمال وفن
واديّاً أشرق عليه النوات فكانت أبهى ملائك حسن
فلإذا لاح في الرؤى غير ذي زرع فقد عاش في ظلال وأمن
وطني إنها القلوب حوالبك فدعني أقبل الأرض دعني

وهكذا تظهر شخصية الشاعر معبرة عن نفسها في أجمل صورة وأحل بيان :

أغراض الشعر : -

لقد ذكرنا في صدر هذه المقدمة التقسيم الذي وضعه صاحب هذه المجموعة لشعره وهي تتألف من الشعر الروحي والوطني والاجتماعي والعاطفي ، وأن القاريء لهذه المجموعة الضخمة من الشعر ليجد فيها تنوعاً في الموضوعات وخاصة فيما يتعلق بتلك القصائد التي أدرجها تحت عنوان الشعر الاجتماعي فهي إلى جانب ما تضمنه من قصائد المناسبات الوطنية والرياء تضم قصائد كثيرة يضمنها الشاعر آراءه في أمور كثيرة من واقع الحياة مثل (قصة الحرم العقيم - وحكاية البلبل المنتحر والنادمة والبحر وضاربة الودع ودودة القز

وأغادير وغيرها وغيرها من القصائد الكثيرة التي تأتي تحت عنوان الشعر الاجتماعي والقاري لهذه القصائد يلمس فيها نواة للشعر القصصي ان صح هذا التعبير لو تعهدنا الشاعر وتفرغ لها لكان له منها الروائع والبدايع فهي تجمع وحدة الموضوع من جمال الصياغة وموسيقى التعبير واختيار الوزن المناسب للموضوع وهو أمر يدل على أن الشاعر قد دانت له كل الأسباب التي تهيب للشاعر حسن الصياغة وجمال التعبير إلى جانب وضوح الفكرة وشمول النظرة ولو ذهبنا نستشهد بشيء من هذه المجموعة لطلال بنا نفس القول وإني لأكتفي باقتباس بعض الأبيات من قصيدة ضاربة الودع ومطلعها : -

جاءت ملثمة وتتزعج اللثام السممة العجب
والنظرة النجلاء قائلة شيئاً يخالها فينسرب
والصوت لمح فيه أدمعها في نبرة من عمقها تثب
ومنها : -

جاءت ملثمة وفي يدها ودع توشوشه فينجذب
نثرته فوق الرمل قائلة زينا أبين بعض ما يجب
سر الصبايا لا أبوح به إلا لمن فدونه الحجب
وسرائر الفتيان ألمعها والعلم عند الله محتجب
فقطار الحضار واستبقوا ويباضهم يجري وينسرب
أسماعهم لمفى وأعينهم عطشى تحاورها وترتقب
ومنها : -

قالت هند وهي واجمة لك غائب أحواله عجب
مرت به في عمره عن وله عدو ربيعة ذرب
ورواه أنثى ما ولد إن تنأ عنه فمك يقرب
وشموع فرح وسط منزلهم ستضاء دون سناها الذهب
هي نقطة أو قطنان إذا ذهبت سيذهب عنكم التعب

ولن أطيل الاقتباس من هذه القصيدة الطويلة التي تبلغ نحواً من خمسين بيتاً فليقرأها القاري كاملاً في الديوان كما يقرأ أخواتها الكثيرات ليدرك مدى القدرة الفنية التي وهبها الشاعر في الوصف والتعبير . وهذا الموضوع يحرنا إلى القول بأن شاعرنا وهو من أبرز الشعراء العموديين استطاع أن يثبت أن هذا الشعر يتسع لمختلف الموضوعات كما يتضمن

أدق الأحاسيس وأروع الفكر ولقد كان حرباً على هذا الغناء الذي ينضح به العجزة والمقلدون باسم الشعر الحر أو الشعر الجديد والشعر منه براء . ولقد وصفهم شاعرنا في قصيدته واشتاق حيث يقول : -

وقالوا قريض يقرض القيد ملؤه فراغ عميق يحذق النشر واللقا
وما فرغت إلا عقول عوائم على السطح تهوى أن تخف كما خفا
وكان الذي شاعت ففاضت قرائح وفاض هراء زاده جهلهم سخفا

الشعر العاطفي : -

ولنا كلمة أخيرة عن الشعر العاطفي في الديوان وهو يمثل مجموعة ضخمة من القصائد والمقطوعات ولقد حفل هذا الشعر بألوان من الصور والأحاسيس أبدع الشاعر في وصفها وتجلت قدرته في التعبير عنها بهذا الشعر الإنساني الذي تشعر معه برجفات القلب ، وتموجات الحس الذي يصور هذه العواطف التي تغمر القلوب فتظهر أدق خفاياها ، وتجلي سرائرها استمع إليه في هذه القصيدة المطربة بعنوان أتحلاك : -

أتحلاك في الأهلة تنسب ضياءاً بنور عينيك يرنو
أتحلاك في الخميل وفي الروض على نفسه يرق ويخنو
أتحلاك في الأصيل الذي ودع شمس الضحى حزناً يئن
أتحلاك في المآقي التي يزحم إشراقها حياء وفن
أتحلاك في النسائم أنداء ألطافها رفيقه منك لحن

وهي قصيدة طويلة يقول فيها : -

كنت في أربع الحجاز غريباً فاهوى موطن وعش وكن
واهوى معزف يغرد للكون فيزهو بالحب عيش وكون
فاشهدني يا سماء أن حياتي في يد كلها سلام وأمن

ولا أريد أن أثقل على القارئ بكثرة الاقتباس والاستشهاد ولكن الذي يلفت النظر في هذا الشعر العاطفي أنه إنما يعبر عن عاطفة بريئة وأخلاق عفة كريمة والشاعر هنا إنما يعبر عن نفسه وأخلاقه فهو كما يقول الراقعي أنه يحب ولكننا معه أخلاقه ودينه والحب هو أرق العواطف الإنسانية وأقواها والشعر هو المجال الرحب للتعبير عن هذه العواطف الكريمة الجياشة بلا مراعاة .

شعر الرثاء :

افتقد الشاعر ابنه الوحيد الشاب حمزه ضياء الدين رجب الذي توفي في حادث سيارة وترك بعده زوجة وطفلتين هما حنين وأهداب وقد كان لهذا الحادث صدهاء العميق في نفس الشاعر خاصة وأنه لم يكن له من الذكور غيره ، وإن كان له أربع كريمات وقد ترك هذا الحادث الأليم في نفس الشاعر جراحاً عميقة من الأحزان إلا أنه قابل الحادث بصبر المؤمن بقضاء الله وقدره فله ما أعطى والله ما وهب ، ولكن النفس البشرية هي النفس البشرية فلقد كانت ذكرى العزيز الراحل لا تفارق خيال الأب التاكل ، وإن كان يتجمل بالصبر ويكتم الأحزان ، ولقد احتفى الشاعر بمخيدتيه اللتين خلفهما ابنه حمزه أجمل احتفاء وفيهما يقول : -

لا تسلي عن الحنين ففسي الأهذاب أضحي كما تراه واسمي
فهما الحب نشوة وهما الصفر حياة والروح قلبا وفما
وفيها أيضاً يقول : -

هما عزائي في أعقاب داهية لم تبق غير انكساري بين أحنائي
ويهيح الحنين بالشاعر فيذكر ابنه ويقول : -

كان ملّ العيون ثم نوارى وطوته فيمن طوتهم لديها
ويقول أيضاً : -

أبن تلك الخطرات أبن تلك الخطوات
أبن تلك البسمات والعيون الضاحكات
يا حبيب القلب يا حمزة واخلد حياة
أنت في العين وفي القلب دعاء وصلاة
ويجيّ شهر رمضان فيقول : -

وأهل شهر كنت أول فرحة فيه تطالني فغبت على المدى
ويعر عام فيقول : -

قد أهل العام الجديد علينا يا حبيبي وأنت تسكن لحديك
ويجيّ العيد فيقول : -

يا حمزه هذا العيد أول مرة أحياه بؤسا

ويحل يوم عرفه فيتذكر الشاعر فقيده الراحل وينشد : -
ضرعت لله والدنيا تعج به يوما أغر رعته فيك أحداقي
ويعر عامان فيقول : -

يا قرة العين هذا حننا الثاني وأنت ناء وفي أحشائنا داني
أنها ذكرى العزيز الغائب تجدها المواسم والمناسبات ونحيبها الأعياد فهي كالنار
المخبوءة في القلب تتجدد ولا تنطفئ ، وتتقد بالذكريات والأحداث .
إن رثاء شاعرنا لابنه الفقيده هو ذوب القلب الجريح والروح الآسي الحزين فلا عجب
أن يستثير عبرات القاري وأشجانه رحم الله الشاعر وابنه الفقيده وأسبغ عليهما من رحماته
في دار الخلود .

كلمة الختام : -

وبعد فقد طال بنا مجال القول في هذه المقدمة التي لم أكن أتصور أنها ستطول إلى
هذا الحد وكلما أريد أن أختتم بها أن هذا الذي سطرته ليس دراسة لشعر هذه المجموعة
ولأنما هو خواطر خطرت لي أثناء قراءتي لها وأعترف أنني قد استمتعت بهذه القراءة كثيراً
ولاني لعل ثقة أن كثيراً من القراء سيستمعون بها ويقدرونها قلدها كما أنني أأمل أن نجد هذه
المجموعة الشعرية الفصحمة من اهتمام الدارسين والأدباء ما تستحقه من عناية ودراسة .
وبالله التوفيق ،،،

محمد علي مغربي

جدة في السادس من ربيع الثاني ١٤٠٠هـ

زحمة العمر

تحية العاهلين

صاحِبَ القِئْمَةِ فِي أَرْضِ الحَرَمِ	صَافِحَ القِمَّةِ فِي أَرْضِ الهَرَمِ
وَالسِّيَوفُ البَيْضُ مِنْ تَحْتِ الثَّرَى	لَمَعَتْ تَذَكُّرُ قُرْبَى وَرَجَمِ
وَالْأَبَاةُ الصَّيْدُ مِنْ أَجْدَائِهَا	زَأَرَتْ زَأَرَ أُسُودِ فِي الْأَجَمِ
وَاسْتَحَى الْبَيْنَ قَوْلِي مِثْلَمَا	زَحَمَ الصَّبْحُ ظَلَامًا فَانْزَحَمِ
مَا التَّقَى طَوْدٌ وَطَوْدٌ ، إِنَّمَا	أُمَمٌ لَأَقَتْ عَلَى الْحُبِّ أُمَمِ
إِنَّهَا الْفَرَحَةُ فِي إِبَائِهَا	أَخْصَبَتْ مِنْهَا هِضَابٌ وَأَكَمِ
ذَا أَوَانَ الْخَيْرِ فَانْهَلَيْ دِيمُ	لَنْ نَقُولَ الْيَوْمَ شُدِّي يَا زِيمِ
وَأَفِيقِي يَا مَنَى وَابْتَسِمِي	إِنَّهُ فَجَرٌ جَدِيدٌ قَدْ بَسَمِ
الْكَبِيرَانَ إِخَاءَ وَهَوَى	وَالْهَوَى عَهْدٌ بِهِ يَحْلُو الْقَسَمِ
فَاكْشِفَا الْكَرْبَ الَّذِي غَشَّى الْوَرَى	وَاقْشَعَا عَنَّا دِيَا جِيرِ الظُّلَمِ
الْعَظِيمَانَ ، وَأَمْجَادَ الْعُلَى	مَنْ بِهَا أَحْرَى سِوَى الطَّودِ الْأَشَمِ
الْعَمَالِيقَ الْأَلَى شَدُّوا عَلَى	قَبْضَةِ الدُّنْيَا إِبَاءَ وَشَمِ
وَالْمَغَاوِيرَ الْأَلَى قَدْ بَدَّلُوا	صَفْحَةَ الْكَوْنِ بِهَا لَيْلُ قَحَمِ
مَنْ هُمُو غَيْرُ بَطُولَاتٍ إِذَا	ذُكِرَتْ يَغْرُبُ جَالَتْ فِي الْقِمَمِ

مجدهم من مجدها تضحية
 قادة الأخلاق هم قادتوها
 أمة العرب همو راياتها
 أمة قد وصلت أبعادها
 أنتمو العهد وميثاق المنى
 أيها القلبان في جسم العلى
 إننا بين عراك صاخب
 نقم جارت وطالت ، مآلها
 نازعونا حقنا في أرضنا
 حاربوا الإيمان في أعماقنا
 أنتم اليوم شعوب كلها
 لستموا فيها سوي رؤاها
 إنه الحاكم في وجدانه
 من فلسطين نداء صارخ
 والشمال الحر من إفريقيا
 هذه الوحدة هذا مجدها
 وحياة واعتداد بالقيم
 الرعاية الحق والموفى الذمم
 لم ترع طول مداها لم تضم
 لغة أم وتاريخ ودم
 فاسألوا الدنيا تجيبكم بنعم
 من عداة العرب جرح ما التأم
 إننا بين حياة أو عدم
 غير من يجتاح بالعزم النقم
 واستهانوا بالمعاني والحرم
 فإذا هم لعنة في كل فم
 ثورة تزحف زحف المنتقم
 وهمو ليسوا بعباد الصنم
 إنه فيمن تولى وحكم
 فأجبناه جواب المعتصم
 أقصموا الظالم فيه ينقصم
 فارو يا سيف وحدت يا قلم

...

بغداد

نَهَرُ الحَوَادِثِ مَطْلَبٌ وَمُرَادُ هَذِي الْمَآسِي الدَامِيَاتُ وَشَائِجُ
يَتَلَمَّسُونَكَ فِي الْقُلُوبِ سَرِيرَةٌ وَهَوًى يُزْمَجِرُ بِالْفَحِيحِ سُعَارُهُ
مُهَجُّ تَلُوكَ بِشَرِّهَا فَلَذَاتِهَا حَارَ النَّهْيِ وَهُدَاتِهِ فِي أُمَّةٍ
الْثَّائِرُونَ لَهَا وَبِاسْمِ كَيْبَانِهَا قَدْ سَالَمُوا أَعْدَاءَهَا وَتَنَكَّرُوا
وَمَشَى الْفَسَادُ إِلَى الْفَسَادِ كَأَنَّهُ وَتَأَنَّقُوا فِي كَيْدِهِمْ وَتَفَنَّنُوا
وَمَشُوا بِأَحْرَارِ الْبِلَادِ إِلَى الرَّدَى إِنْ سَاعَنَا عَسْفُ الطَّغَاةِ وَجَوْرُهُمْ
فَلَقَدْ فَرِحْنَا بِالْعَتَادِ عَقِيدَةً فَتَجَمَّلِي وَتَحَمَّلِي بَغْدَادُ
زَحَفَتْ إِلَيْكَ بِسَرِّهِنَّ الضَّادُ وَكَرَى عَنِ الْجِفَنِ الْقَرِيحُ يُذَادُ
فَتَذُوبٌ مِنْ لَمَسَاتِهِ الْأَكْبَادُ وَمِنْ الْعُدَاةِ الْأَهْلُ وَالْأَوْلَادُ
مَاذَا يُرَامُ بِأَهْلِهَا وَيُرَادُ أَكَلَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ وَالْأَخْفَادُ
لِرِجَالِهَا فَاذْكُتِ الْأَطْوَادُ رُكْنٌ يُقِيمُ بِنَاءَهُ وَعِمَادُ
فَتَنَدُّرُوا وَتَبَجَّحُوا وَأَجَادُوا زُمُرًا كَمَا تَتَرَنَّجُ الْآسَادُ
وَمَا تَمَّ فِيهَا لَهُمْ أَعْيَادُ إِنْ الْعَقِيدَةُ لِلشُّعُوبِ عَتَادُ

كَمْ مِنْ يَدٍ لِلظُّلْمِ فِي أَطْوَانِهَا نِعَمْ فَأَيْنَ الظُّلْمِ وَالْجَلَادِ
إِنْ الْمَصَابِ لَامَةٌ مَفْزُودَةٌ فَالْحِسْ أَعْمَى وَالْفَوَادُ جَمَادِ
لَا وَغَى يَصْرُخُ فِي الدَّمَاءِ وَلَا مَنَى تَهْفُو . . وَلَا شَعْبٌ وَلَا رُودِ
حَتَّى الْفُتُوَّةُ فِي شِبَابِ بِلَادِهِ ذَهَبَتْ وَحَتَّى جَيْشُهُ مُنْقَادِ
طَعِمُوا الْفُتَاتَ مِنَ الْمَوَائِدِ فَارْتَضَوْا وَالْمُتَخَمُونَ هُمُو هُمُو الْأَوْعَادِ
بَغْدَادُ مَا كَتَبَ الْخُلُودَ عَلَى الْمَدَى إِلَّا دَمٌ وَعَقِيدَةٌ وَجِهَادِ
الصَّدْعُ تُرَابٌ بِالصَّدُوعِ صُدُوعُهُ وَمَنْ الْجِرَاحِ لِبَعْضِهِنَّ ضِمَادِ
بَغْدَادُ أَيْنَ الْعَرَبُ فِي الْأَمِهِم وَعَلَى الرُّؤُوسِ تُعَشَّشُ الْأَحْقَادِ
سَيِّقَادُ كُلِّ الظَّالِمِينَ لِحَنَفِهِم وَمَنْ الدَّمِ الْمَطْلُولِ سَوْفَ يُقَادِ
الْعَرَبُ قَدْ شُغِلُوا بِبَعْضٍ وَيَنْحَهُم وَعَدُوَّهُمْ لِيَشَتَّانَهُم رِصَادِ
أَيْنَ الزَّعَامَةُ وَالزَّعَامَةُ أَصْبَحَتْ شَهَوَاتُ حُكْمٍ مَا لَهُنَّ نَفَادِ
إِنَّ الزَّعَامَةَ مَوْثِقٌ وَأَمَانَةٌ لَا نَزْعَةٌ مَمْقُونَةٌ وَعِنَادِ
عِزُّ الْعَرُوبَةِ أَنْ يَسُودَ وَاحِدٌ وَتَغِيبَ عَنْ آفَاقِنَا الْآحَادِ
دُسْتُورُهُ الْقُرْآنُ فَهُوَ سَبِيلُهُ لِسِوَاهُ لَيْسَ يَلِينُ أَوْ يَنْقَادِ
يَا فُجْرُ طَالَ دُجَاكَ فَاْمَحْ ظِلَامُهُ فَإِذَا الظَّلَامُ وَسَاكِنُوه رَمَادِ

والرُكْب مُنْطَلِقُ الْعَيْنِ لَغَايَةَ	كُبْرِي تَوْلَفَ عِقْدَهَا الْأَمْجَاد
لِيُخَوِّضَ مَعْرَكَةَ الْمَعَارِكِ حُرَّةً	لِلَّهِ لَا ذُلٌّ وَلَا اسْتِعْبَاد
حَرْبَ يَبَارِكُهَا الْمَسِيحُ وَأُحْمَدُ	وَمِنَ الْمَلَائِكِ فِي الْوَعْيِ أَجْنَادُ
وَإِذَا الدَّمَارُ عَلَى الدَّمَارِ مُسَلِّطٌ	لَمْ يُجَدِ صَارُوخٌ وَلَا مِنْطَادُ
وَيَعُودُ « سَارِيَّة » الْجَدِيدُ مَلْبِيًّا	ذَاكَ النَّدَاءَ وَتَنْصِتُ الْأَطْوَادُ
وَإِذَا الْعَوَالِمُ بِالْعَوَالِمِ تَلْتَفِي	تُطْوِي لَهَا الْآمَادُ وَالْأَبْعَادُ
أَلَنْ تُشْعِشِعُهُ الْهِدَايَةُ سَاطِعًا	لَا يُتَّقَى كُفْرٌ وَلَا إِلْحَادُ
أَمِنْ يَمْدُ اللَّهِ وَارْفَ ظِلُّهُ	يَنْمُو عَلَى أَعْطَافِهِ الْإِسْعَادُ
لَا غَرْبَ لَا اسْتِعْمَارَ لَا أَشْيَاعَهُ	ذَهَبُوا كَمَا ذَهَبَتْ ثُمُودُ وَعَادُ
وَالْأَرْضَ بَاكَرَهَا الْقَمَامُ وَأَشْرَقَتْ	وَتَغَيَّرَتْ فِيهَا رُبَى وَوَهَادُ
« صَنْعَاءُ » إِنْ هَتَفَتْ بِهَا وَرَقَاؤُهَا	رَدَّتْ صَدْيَ أَلْحَانِهَا بِغَدَادُ

وحدة القلوب

أَرَأَيْتِ كَيْفَ طَوَّالِعَ الآمَالِ مَوْصُولَةَ الْإِقْبَالِ بِالْإِقْبَالِ
تَتَرَنَّحُ الْبَسَمَاتُ فَوْقَ ثُغُورِهَا سَكْرَى وَأَنْتِ خِيَالُهَا وَحِيَالِي
أَلَمْحِنِي ؟ بَيْنَ الْمَوَاقِبِ مِثْلَمَا أَنَا قَدْ لَمَحْتُكَ تَخْطِرِينَ قُبَالِي
لِي نَشْوَتَانِ فَنَشْوَةٌ قَدْ أَشْرَقَتْ فِي الرُّوحِ وَالْأُخْرَى عَلَى أَوْصَالِي
فِي وَحْدَةِ الْآلَامِ ذُبْنَا فِتْرَةً أَفْلا نَذُوبُ بِوَحْدَةِ الْآمَالِ
اللَّهُ قَدْ جَمَعَ الْقُلُوبَ شِمَالَهَا لِيَجْنُوبَهَا وَجَنْوَبَهَا لِيَشْمَالَ
وَتَرَفَّقَتْ نَسَمَاتُ مَصْرَ فَرَفَّرَفَتْ فِي الشَّامِ بَيْنَ مَرَايِعِ وَظَلَالِ
تَحْمِلُنَ عَنْ (بَرْدَى) أَرْقَ نَسِيمِهِ يَنْسَبُنَ بَيْنَ سَبَاسِبِ وَتِلَالِ
و (مَهَا) تَحُومُ عَلَى الْمَوَارِدِ فِي الْحِمَى (وَمَوَائِسِ) فِي (الْغُوطَتَيْنِ) حَوَالِي
حَتَّى أَغْرَنَ الْبَيَانَ لَسَنَ حَوَازِرَا وَزَحْمْنِهِ فِي مَوَكِبِ الْمُخْتَالِ
يَا نَيْلُ «يَا بَرْدَى» رُوَيْدَا بِالْمَنَى بِطُيُوفِ أَحْلَامِ هُنَاكَ غَوَالِي
يَا فَرَحَةَ الْأَلْقِ الْمُشْعَشَعِ فِي الضُّحَى تَحْكِي الثَّنَايَا نُضِدَتْ بِلَالِي

سُقْيَا لِعَهْدِكُمَا الْخَصِيبُ وَازْهَرَتْ
يَا نَيْلُ هَذَا الْحُبُّ ظِلٌّ وَارِفٌ
إِنْ صَانَ فِي بَرْدِي الْوِدَادَ وَحَازَهُ
فَلَسَوْفَ يَنْتَظِمُ الْعُرُوبَةُ كُلُّهَا
وَلَسَوْفَ تَلْتَمِعُ النَّصَالُ وَتَلْتَقَى
يَا نَيْلُ فِي بَرْدِي وَفِي أَعْرَاقِهِ
مَا زَالَ أَمْسَ جِهَادِهِ وَجَلَادِهِ
وَلَيْنَ أَعَزَّ طَرِيفَهُ بَتَلِيدِهِ
فَلْتَنَحَى يَعْزُبُ بَعْدَ طَوْلِ سُبَاتِنِهَا
وَيَفُوحَ مِنْ أَرْجِ الْعَقِيقِ (وَرَامَةِ)
أَرْجُ النَّبِيِّ « مُحَمَّدٍ » وَرِحَابِهِ
جَمْعُ الْأَحِبَّةِ لَمْ يَكُنْ بِمُحَرَّمٍ

فَلْتَضَرَعِي لِلَّهِ مِثْلَ ضَرَاعَتِي
أَنْ لَا يُطَوِّلَ بِنَا النَّوَى فَقُلُوبُنَا
رُحْمَاكَ يَا مَنْ لَا يُخَيِّبُ رَاجِيًا
عِنْدَ الْبُكُورِ وَرَوْعَةِ الْآصَالِ
لَمْ تَحْتَمِلْ فِي الْحُبِّ أَيَّ مَطَالٍ
يَا عَالِمَ الْأَسْرَارِ وَالْأَحْوَالِ

يامص

يا مصرُ يا مصرُ ما أحلاكِ صاحِبَةً
 يا مصر تلمحُ فيكِ النفسُ حاجَتَهَا
 وصَحْوُكَ العذبُ وسَنانُ الرُّوى غَرَدَ
 من كلِّ ما تَتَشَهَّى والمُنَى جَدَدَ
 كأنَّ روحًا من الفِرْدَوْسِ حائِمَةً
 للماءِ فيكِ تَرَانِيمُ مُسَهَّدَةٌ
 تلوب واجدةٌ مثل الذي نَجِدَ
 تَدْرِي النجومُ بها والموجُ والزَّبَدُ
 معزوفةٌ لَمَسَتْهَا بالحنانِ يَدُ
 الشمسِ تَنْهَلُ فيه والضُّحَى يَرِدُ
 كالرُّوحِ يَمْرُحُ في أنفاسِها الجَسَدُ
 والظِّلُ يسحبُ فوق الظلِّ أَجْنَحَةً
 حَتَّى النِّخِيلُ تَلَاقَتْ وَهِيَ ذَائِبَةٌ
 يا رَعِشَةً حُلْوَةً فِي خَافِقِي رَجَفَتْ
 وَيَا حَنِينًا تَلَاقَى فِي مَسَارِبِهِ
 أَخْناؤُهُ فِي هَوَى يَدْنُو وَيَبْتَعدُ
 ذَابَ الدُّجَى فِي تَلَافِيْفِ السُّرَى
 تَجْرِي بِهِ الرِّيحُ رَهْواً والضُّحَى رَأَدُ
 أَمَّا الْأَصِيلُ فَدَعَهُ أَنَّهُ مُهَجُ
 فَهَفَّتْ أَشِعَّةُ فَجْرِهَا الوَسْنانِ مُتَبِّدُ
 مِنْ أَجْلِهَا راحَ يَطْوِي نَفْسَهُ الْأَمَدُ

الْمُتَعَبُونَ اسْتَرَأَحُوا فِي مَشَارِفِهِ
وَالهَارِبُونَ مِنَ الصَّمْتِ الْعَمِيقِ إِلَى
وَرُبَّ نَشْوَةٍ حَبَّ لَا يُطَارِحُهَا
نَهْوَى الْهَدِيلِ عَلَى الْأَمْوَاجِ مُصْطَفَقَا
يَا مِصْرَ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْكَ زَاوِيَةٌ
فَمَا يَمَلُّ غَرِيبٌ فِيكَ غُرْبَتَهُ
الْحُبُّ سَاقِيَتُهُ حَتَّى ارْتَوَى فَبَدَتْ
إِنْ حَارِبَتْنَا صُرُوفٌ فِيكَ ظَالِمَةٌ
وَأَنْتِ يَا نَيْلُ صَافِحٌ زَمَزَمًا أَبَدًا
وَالسَاهِرُونَ عَلَى شُطْطَانِهِ رَقَدُوا
بُوحَ الْهَوَى لِلضُّفَافِ الْخُضِرِ قَدْ خَلَدُوا
عَرَفُ عَلَى الْعَتَبَاتِ الْخُضِرِ مُنْفَرِدٍ
لَا الْهَمْسُ يَظْمَأُ فِي أَحْشَائِهِ الْبَرَدُ
لِنَازِحٍ أَنْتِ فِيهَا الْأَهْلُ وَالْبَلَدُ
حَتَّى الثَّرَى وَالنَّسِيمُ الْحُرُّ وَالْوَلَدُ
نَوَازِعُ الْوَدِّ فِي الْأَعْمَاقِ تَتَّحِدُ
فَلَنْ يَصِيخُ إِلَى غِرْبَانِهَا أَحَدُ
إِنَّ الْهَوَى لِلْهَوَى دِينٌ وَمُعْتَقَدُ

ليس يجدي

ليس يُجدي احتياؤنا في السنين من قضاء يَشُدُّنا للمنون
فالسنين التي نصون بها العمر هي العمر في القضاء المصون
حسبنا أنه المحجب في الغيب وحسب الأحياء دنيا الفتون
حجبته الأقدار تمتحن الأقدار لا أن تعيشه في سكون
والقضاء المجهول انهض للغزم التماساً للجوهر المكنون
كالقضاء المتمد عبر المتاهات أمان تلوح عبر الظنون
حجبت نبعه السري لنحيا ظمأ لا هثا وراء المعين
حجبت كنزه الثمين فلا نخدع في غيره بكنز ثمين
لو بدى سره ولو حُدد الميقات عشنا في قمقم مشحون
يتحرى انبثاقه طافح الغم اندلاعاً مثل انفجار الأتون
ولعشنا الموت البطيء معانيه مجاديفهم بغير سفين . . .
إنما روعة الخفاء جلالة كجلى يلوح غير مبين
نسقت في الخضم أثباجه الحلوة هدارة الصدى والرنين

فتلاى العَرْفَ المُغَرَّد كالنَجْوَى يَلْحَنُ الأَسَى وَرَجَعَ الأَنِينَ
واستمد النظام من زَحْمَةِ القَوَاضِي أصولَ البَقَاءِ والتَّكْوِينِ
وتلوى الدجى وقد سَرَقَ الشَّمْسُ فَضَلَّتْ فى مَعْمَعَانِ الدَّجُونِ
ثم ثارتْ على الظلامِ بِزَحْفٍ سَنَهَرِي اللَّطَى عَمِيقَ الطُّعُونِ
حَالَةٌ بعدَ حَالَةٍ ونَهَارٌ بعدَ لَيْلٍ مُوَهَّجِ التَّلْوِينِ
بينَ معنى وَضِدِهِ فى اِثْتِلَافٍ واختِلَافٍ وَضَجَّةٍ وَسُكُونِ
ووَكَونِ تَوُودُهَا فُرْقَةُ الطَّيْرِ وتَفْنَى الطُّيُورِ دُونَ الوُكُونِ
وَجَدِيبٍ معَ القَطِينِ خَصِيبٍ وَخَصِيبٍ يَذْوِي بِغَيْرِ قَطِيبِنِ
كُلُّ مَا فى الوجودِ صَفَقَةُ المَجْهُولِ خَمْرًا تَشْعُشَعَتْ فى العُيُونِ
ليس فى طِيِّهِ ادُّكَارُ فَنَاءٍ بل صَدَى للخلُودِ والتَّمَكِينِ
أَهْبَةٌ بعدَ أَهْبَةٍ فى امْتِدَادٍ لِحَيَاةٍ على لِقَاءِ حُنُونِ
راق معنى وخَفٌّ حِمْلًا فلا زادَ ولا ماءَ فوقَ رَحْلِ الطَّعِينِ
عِندَ من يَمْنَحُ القِرَى مَنْ نَدَاهُ . . . غيرَ ذِي غُصَّةٍ ولا مَمْنُونِ
قد حِينَا « اِثْنَتَيْنِ » أَعْمَارَ آبَائِنَا وَأَعْمَارَنَا وراءَ السَّنِينِ

والحياة الحياة تَنْبُضُ فِينَا ثُمَّ تَجْرِي مِنْ بَعْدِنَا فِي الْبَنِينَ
ورثوها مواهباً نَامِيَّاتٍ وَاِمِضَاتٍ وَمَضُ السَّنَا فِي الْعُيُونِ

* * *

قَالَ لِي صَاحِبِي وَقَدْ فَاجَأْتَهُ مِنْ حَدِيثِي خُرَافَةٌ « الْحَيَزْبُونُ »
قَدْ رَفَعَتْ الْحَيَاةُ مِنْ حَيْثُ شَوَّهَتْ رُؤَاهَا بِكُلِّ خَفَضٍ مَهِينٍ
وَسَكَبَتْ الْجُنُونُ أَشْهَى مِنَ الرَّاحِ عَلَيْهَا فِي عَبْقَرِي الْفُنُونِ
قُلْتُ يَا صَاحٍ لَا تُرْعِ كَمْ مِنْ عَظِيمٍ قَدْ تَسَامَى بِحِكْمَةِ الْمَجْنُونِ
وَحَصِيفٍ جَثًّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ فِذَمٍ مَخْبِطٍ مَأْفُونِ
وَكِعَابٍ كَأَنَّهَا خَوْطُ بَانَ زَاخَمَتْهَا شَمَطَاءُ فِي التَّسْعِينَ
سَلَبَتْهَا قُتُونُهَا وَصَبَاها وَرَمَتْهَا بِعَاهَةِ التَّغْضِينِ
ذَلِكَ الْوِزْنُ لِلْحَيَاةِ عَلَى الْفِتْنَةِ أَدْرَى بِهِ غَلَاةُ الْمُجُونِ
لَيْسَ مِنْ شَأْنِهَا الْكِمَالُ كَمَا نَهَوَى وَلَا طَبْعُهَا التِّتَامُ الشُّثُونِ
فَجَدِيدٍ يُلُوحُ بَعْدَ خَصِيبٍ وَسُهُولٍ مَوْصُولَةٍ بِحَزُونِ
وَيَمِينٍ قَدْ نَازَعَتْهَا شِمَالٌ وَشِمَالٌ تَرِيغٍ سَلْبٍ يَمِينِ
وَضَنِينٍ مِنْ صَلْبٍ سَمَحٍ سَخِيٍّ وَسَخِيٍّ مِنْ عِرْقٍ كَزٍّ ضَنِينِ
وَأَمِينٍ يَجْنِي عَلَيْهِ خُؤُونٌ ثُمَّ يَحْيَا عَلَى حَطَامِ الْأَمِينِ

وطويل النِّجاد تُعْجِزُهُ اللَّقْمَةُ مَبْذُولَةٌ بِخَفَضِ الْجَبِينِ
وَضَنِينِ بِسُوءِهِ وَضَنَاهُ عَنْ خَلِي يَنَامُ مَلُ الْجُفُونِ
لَوْ خَلَا الْعُمُرَ وَالْحَيَاةَ مِنَ الْأَضْدَادِ بَاهَى طَلِيقُهَا بِالسَّجِينِ
فَلْتَكُنْ مِثْلَ مَا تَكُونُ فَلَيْسَتْ غَيْرَ ظَهَرٍ مُحْمَلٍ بِالْدُّيُونِ
إِنهَا ذَلِكَ الْمَحْطُ لِعُمُرٍ نَتَرَجَّاهُ بَعْدَهَا فِي حِينِ
قَدْ نَحَرْنَا شَيْطَانَهَا وَاسْتَرَحْنَا مِنْ عِلْوٍ شَاكِي السِّلَاحِ لَعِينِ
فَلْتَهْنِ عِنْدَكَ الْحَيَاةُ بِلَا مَسْعَى جَمِيلٍ كَالْمَرْمَرِ الْمَسْنُونِ
إِنهَا صَعْبَةُ الْمِرَاسِ حُرُونِ ذَاتِ حَدَّيْنِ مِنْ جَهَامٍ وَلَيْسِنِ
تَتَحَدَّى الْأَبْيَّ لَا يَقْبَلُ الضَّيْمُ وَتُلْقَى سِلَاحُهَا لِلدُّونِ
أَمَّا تَصْنَعُ الْكَرَامَةَ نَفْسُ حُرَّةٍ قَدْ أَبَتْ حَيَاةَ الْهُونِ
فَلْتَقُلْ لِلْحَيَاةِ ثَانِيَةَ الْعَطْفِ خُذِينِي بِمَبْدِي أَوْ دَعِينِي

ليل وهول

وليل كجوف الضغن دُكن سُجُوفه
رمّنتني به طخياء غور قرارها
مورقة فيه الصقور كأنها
حمام أليك شط عنها مزارها
معرقة أشطانه وهي أنجم
يدور عليها حيث دارت مدارها
تعاودها في صخوة بعد صخوة
طيوف من الذكري يطول أذكارها
ترامق هجّاع الحمى لا يروغهم
سوي لفئات الغيد ومض نفاؤها
ولا ثنيات العقيق تراوحت
عليها هتون لا يكف قطارها
سريت به لا أتقى في فجاجه
كواسر هداني إليها زوارها
ولا دمدمات الهوج حمقاء أعولت
يُصارح أطواء القفار سرازها
ولا من زفيف الجن أصداء رُكبت
عليها رؤوس مُستطير شرارها
ولا عربدات الساخرين تراقصوا
على ابنة حان : بربري عقارها
ولا شمخات الطائلين على النهى
بتلك المدي لا تستريح شفارها
ولا بحقود الحاقدين غوائرأ
لها نتن أغفى عليه سعارها
أتاح لهم غفو الزمان ومهلّه
مواطي شر لا يهون اغتفارها
فصالوا وجالوا مشرعات نصالهم
يروح ويغلو في الرقاب دمارها

تَحْرُكُهَا مِنْهُمْ نُفُوسٌ فَقِيرَةٌ يطول على مرَّ الزمانِ افتقارُها
فَلَا السُّخْتُ مَلَأَتْهُ النُّفُوسُ لُجَيْنَهُ وَلَا جَوَلَاتِ الزُّورُ مَغْنُ نُضَارُهَا
وَلَكِنَّهَا الرِّبَالَاتِ عَقَمَ عَطَاؤُهَا يَزُولُ وَيَبْقَى عَارُهَا وَشَنَارُهَا
أَجَلْ إِنِّي يَا لَيْلَ مِثْلِكَ رَابِعَ عَلَى النَّفْسِ حَتَّى يَلْحَقَ الثَّارُ ثَارُهَا
فَمَا رَوَّعَنِي فِيكَ إِلَّا غَوَافِلُ يَجُوزُ عَلَيْهَا تَحْتَ سِتْرِكَ جَارُهَا
وِلَا آيَاتِي مَسَّهْنِ بِكَرْبِهِ دُعَاةُ بَلَاءٍ نَمَّ عَنْهَا بُخَارُهَا
أَقَامُوا عَلَى تِلْكَ الْمَاتَمِ بَيْنَنَا مَخَابِي أَعْرَاسٍ : ظَلَامَ نَهَارُهَا
وَشَادُوا عَلَى أَنْقَاضِ مُجْدٍ مُرْقَلٍ مِنْ الْوَهْمِ أَمْجَاداً يَرُوعُ انْهِيَارُهَا
فَنَاءٌ وَشِيكَ كَالْفَوَاقِ وَلَيْتَهُ عَلَى غَيْرِ أَيْدٍ لَطَخَ الْكُونَ عَارُهَا
وَيَالَيْتَهَا أَيْدِي الْمَظَالِمِ أَدْرَكَتْ مَارَبَ أَعْيَا : الْجَابِرِينَ انْكِسَارُهَا
سَمِعْتِكَ : فَارْبِعَ وَالصَّدَى مِنْكَ هَمْسُهُ صُرَاخٍ وَأَسْرَارِ الثُّكَالِي جِهَارُهَا
سَمِعْتِكَ : مِنْ لَحْنِ الْأَسَى مِنْ زَفِيفِهِ مِنَ الْهَدَاةِ الْبِكْمَاءِ رَطْنِ حِوَارُهَا
لَقَدْ ضِيقْتُ بِالنَّجْوَى وَضِيقْتُ مِنَ السَّرَى كَمَا عَافَ رَكُضَ الْبَيْدِ فِيهَا حَرَارُهَا
فَدَيْتُكَ لَوْ نَامَ الدَّجَى نَوْمَةَ الْكَرَى لِأَصْحَرَتْ الدُّنْيَا وَجَفَّتْ بِحَارُهَا
فَدَعَهَا تَمَّ هَذِي الْعَالَمِ كُلُّهَا وَيَتَبَعُ حُطَامَ الْأَرْضِ فِيهَا عَمَارُهَا
وَتَخِيَا هُنَاكَ الرُّوحَ بَيْنَ عَوَالِمِ مِنَ الْحُسْنِ مَحْيَاها مِنَ النُّورِ نَارُهَا

يُورِجُهَا طِيبُ الْقُلُوبِ كَأَنَّهُ
تَطُوفُ عَلَيْنَا بِالْكُؤُوسِ مَرَاشِفُ
كَوَاعِبِ أَتْرَابٍ عَلَيْهَا غَلَائِلُ
فَلَا لَغْوٌ لَا تَأْتِيهِمْ لَا عَنُجْهِيةِ
أَلَا إِنَّهُ الْخُلْدُ الْمَقِيمُ وَحَسْبُنَا
مُنَاهَا وَبَيْنَ الْجَنَّتَيْنِ سِفَارُهَا
مَعْتَقَةٌ أَمَّا الْجَنَّا فَنِمْارُهَا
مِنَ النُّورِ فَضْفَاضَا عَلَيْهَا دِثَارُهَا
وَلَا جَفْوَةٌ يُظْمِي النُّفُوسَ أَوَارُهَا
رِيَاضُ مِنَ الرُّضْوَانِ يَشْدُو هَزَارُهَا

نهجنا

جبلٌ شامخٌ له ذُرُوتانِ نهجنا هلْ تصدُّنا الذُّرُوتانِ
أنا لا أَسْتَرِيحُ للقَصْفِ والحِطَمِ فَخَيْرٌ أَنْ تَثْبُتَ الذُّرُوتانِ
ثم نمشي إليهما في دَبِيبٍ كَدَبِيبِ التَّمَالِ بَيْنَ الرُّعَانِ
وإذا طال في الزمان سُرَانَا وانتهينَا إلى بُلُوغِ الْأَمَانِ
وافترشنا الذُّرَى وما آدنا المسعى ولاحتْ فوق الذُّرَى « المَرُوتانِ »
وصنَعْنَا فوق الذُّرَى قِمَّتِي مَجْدٍ طَرِيفٍ : من فوقها قِمَّتَانِ
فلنَقُلْ يا زمان حَدِّثْ وِياتَارِيخِ فَاكْتُبِ والخُلْدُ لِلْأُوطَانِ

أفراح الجزائر

لا تَأْسُ فالأحداثِ إِرْهَاصُ بِمَا خَلَفَ الْغُيُومُ
وتَلُفُ من قُدَامِهِ وَوَرَائِهِ فِتْنُ تَحُومُ
ومَهَازِلُ تَخُلُ في الأفلاكِ مَنَزَلَةُ النُّجُومِ
وعِظَائِمُ تَغْفُو على الْجُلَى كما غَفَتِ الحُلُومُ
لا تَأْسُ فالخيرِ الْعَمِيمِ بَشِيرُهُ الكَرْبِ الْعَمِيمِ
هَذي الرِّزَايا السُّودِ تَعْبَثُ بالقلوبِ وبالجُسُومِ
وتُغَيِّرُ آوَنَةً على الأرواحِ تَفْتِكُ بالسُّومِ
وعَلَى المعاني الضاحياتِ تَشَعُّ في أَلْقِ الْفُهُومِ
فَتُغْلَفُ الآمالَ والأفراحِ غَاشِيَةً الْهُمُومِ
والباطلِ الْمَشْهُومِ يَمْرَحُ بَيْنَ أعْطَافِ الظُّلُومِ

يَلْقَى الرِّعَايَةَ في حِمَاهِ وَظِلِّهِ الحَانِي الرُّؤُومِ
يا قلبُ قُلْ لَّيْلَ مَا عَفْنَا دُجَاكَ الْمُسْتَدِيمِ

أبدًا ولا صمتُ الحياةِ كَصُنْتُ سَكَّانَ الرَّجِيمِ

فَاللَّيْلِ تُطْرِبُ فِيهِ آهَاتُ الْكَلِيمَةِ وَالْكَلِيمِ
وَتَطْيِبُ بَيْنَ سَكُونِهِ نَجْوَى النَّدِيمِ إِلَى النَّدِيمِ
أَمَّا الصَّبَاحُ فَإِنَّهُ أُسْطُورَةُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ

أَيَّامُ كَانَ الْفَجْرُ يَقْطُرُ بِالشَّدَى لَا يَسْتَهِيمِ
كَانَتْ تَهِيمُ بِهِ السَّعَادَةُ حَيْثُ كَانَ بِهَا يَهِيمِ
وَالْحُبُّ يَنْضَحُ فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْحَمِيمِ إِلَى الْحَمِيمِ
كَانَتْ مَعَانِيهِ الْحَسَانَ كَخُودِهِ مَا إِنْ تَرِيمِ
الْمَجْدُ يَعْتُو فِي الرَّحَابِ الْبَيْضِ عَدْوًا كَالظَّلِيمِ
يَرْوِي السَّحَابُ إِلَى السَّحَابِ صَدَى الْمَكَارِمِ فِي الْكَرِيمِ
يَخْنُو الْكَرِيمُ عَلَى الْكَرِيمِ خَنَوَ اللَّئِيمِ عَلَى اللَّئِيمِ

الْحِسُّ يَنْطِقُ فِي الصَّبَاحَةِ كَالدَّمَامَةِ فِي الدَّمِيمِ
يَا قَلْبُ فِيكَ الصُّوْلُجَانُ بِرَغَمِ شَنْشَنَةِ الرِّغَمِ

أُنْظِرْ لِأَفْرَاحِ الْجَزَائِرِ فِي الثُّغُورِ وَفِي التُّخُومِ
فِي الْكَوْنِ فِي عُلى الْمَنَازِلِ فِي الْقِبَابِ وَفِي السَّدِيمِ
فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ تَاهَ الْيَوْمِ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ
فِي الْمُسْلِمِينَ وَأَنَّهُ الْمَجْدُ الْمَرْقُلُ فِي الصَّمِيمِ

* * *

مَنْحُوهُ أَرْوَاحِ الشَّهَادَةِ فِي الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
هَذَا هُوَ الْمَجْدُ الزَّعِيمِ يَصْجُ فِي رُوحِ الزَّعِيمِ
عَاشَ الدَّمُ الصَّافِي وَلَا عَاشَ الْمُخْدَرُ وَالنُّوْمُ

* * *

أَلْقِ الْجَحِيمَ عَلَى الْمَعَارِكِ قَدْ تَلَأَ فِي النَّعِيمِ
وَالْقُنْعُ الْأَحْيَاءُ كَالْمَوْتَى لَهُمْ خُلْدُ الْجَحِيمِ

عيد الثورة

وَفِتْيَةٌ خَضَّخُوا الْأَمْجَاد ثَائِرَةً لِلَّهِ مَا أَضْرَمُوا لِلَّهِ مَا وَقَدُوا
 جَارَتْ عَلَيْهِمْ عَوَادِي الْجَوْرِ فَانْتَفَضُوا وَلَنْ يُطَاطَىءَ فِي آجَامِهِ الْأَسَدُ
 مَوَاطِنُ الْعِزِّ إِلَّا مِنْهُمْ جَدَبٌ وَأَصِرَاتُ الْعُلَا فِي غَيْرِهِمْ بَدَدُ
 ثَارُوا وَمَا كَانَ إِلَّا الْحِسُّ رَائِدُهُمْ وَأُمَّةٌ نَفْسُهَا فِي نَفْسِهِمْ وَجَدُوا
 وَمَا يُجْمَعُ بِالْآلَامِ فَارِسُهَا إِلَّا وَتَلَقَّفَهُ آمَالُهَا الْجُدَدُ
 حَيًّا دَمًا زَمَجَرَتْ فِيْنَا نَوَاضُهُ دَمٌ يَقَهْقَهُ فِي شِرْيَانِهِمْ غُرْدُ
 وَالْعُسْرُ كَالْيُسْرِ لِلْأَوْطَانِ جَامِعَةٌ اللَّهُ يَشْهَدُ وَالتَّارِيخُ وَالْأَمَدُ
 وَلِلزَّعَامَةِ فِي آفَاقِ عَالَمِهَا دُنْيَا بِمَا وَلَدَتْ دُنْيَا بِمَا تَلَدُ
 وَالْبَارِقُ السَّمْحُ تَتْلُوهُ بَوَارِقُهُ وَمَنْ دَنَوْا شَرْعُ فِيهِ وَمَنْ بَعَدُوا
 لَا تَحْسَبُوهُ بَعِيدًا إِنَّهُ أَمَمٌ فَقَدْ تَلَمَّمُ شَمْلُ الْعُرْبِ وَاتَّحَدُوا
 هَذِي الرُّؤُوسُ اشْرَأَبَتْ فِي أَمَاكِنِهَا وَلَنْ يَعْوَقَهَا عَنْ نَهْجِهَا أَحَدُ
 التَّابِعُ الْفِكْرَةِ الشَّمَاءُ يُلْهِبُهُمْ شَاعَهَا مِثْلُ مَنْ شَدُّوا وَمَنْ عَقَدُوا
 قَدْ اسْتَوَى فِي مَجَالِ الْمَوْتِ مُقْتَحِمٌ وَثَائِرٌ فِي مَجَالِ الْفِكْرِ مَضْطَّهِدُ

عليهما قامت الأمجاد واعتزكت
ما عذت أخشى على الأكباد نافذة
ولست أرهب من أعمى بصائرهم
ضراوة الحكم هأموا في مبادلها
ولم يطيقوا الشدي والكون منطلق
زادت جراح العلا فيهم ومن أسف
ولن يلووم لهم جو ولا أفق
يا ليتهم أخذوا للأمر عذته
هما السبيل لمن يمضي ومن يفد
من السموم ولا الحقد الذي حقدوا
عن الشعوب هوى قد عافه الرشد
وللمطامع في أربابها عبثوا
حرية قد فداها الروح والجسد
ما كل جرح على الأيام ينضمد
يبقى الصراح ويفنى الغث والزبد
أو للكواكب في أفلا كهارصدوا

جَنَاحَانِ

جَنَاحَانِ يَا لَيْلَى مَهِيضٌ وَعَاشِرٌ وَجَفْنَانِ يَا لَيْلَى أَسِيرٌ وَآسِرٌ
 هُمَا الْحُسْبَيْنِ الْقَلْبُ يَخْفِقُ وَالنُّهَى يَلُوبُ وَبَيْنَ الظِّلِّ وَالظِّلِّ سَاتِرٌ
 تَأَلَّقَ فِي أَصْفَادِهِ ثُمَّ رَقَرَتْ قَوَادِمُهُ وَالطَّرْفُ غَيْمَانِ حَائِرٌ
 وَلَكِنَّهُ الْقَيْدُ الْحَبِيبُ تَخَالَهُ مَعَاصِمُ حُسْنِ طَوَّقَتِهَا الْأَسَاوِرُ
 دَعِيهِ وَلَا تَخْشَى عَلَيْهِ انْطِلَاقَهُ فَإِنْ انْطَلَقَ الرُّوحُ فِي الْحَبِّ قَاهِرٌ
 دَعِيهِ يَحْلُقُ كَالْفَرَّاشَةِ هَائِمًا فَسُكُلُ شَدَى فِي عَيْنِهِ مِنْكَ زَاهِرٌ
 دَعِيهِ يَطُفُّ بَيْنَ الزَّنَائِقِ فِي الرَّبَى فَطَيْفُكَ يَا لَيْلَى مَزُورٌ وَزَائِرٌ
 وَلَا تَحْرِمِيهِ مِنْكَ فِي كُلِّ نَفْحَةٍ تَطُلُّ بِهَا مِنْ نَاطِرَيْكَ الْبَشَائِرُ
 فَأَنْتِ لَهُ الْكُونُ الْمَجْنَحُ وَالرُّوَى مُعْبَرَةٌ وَالْقَلْبُ كَالْحَبِّ طَائِرٌ
 يَرَاكِ مَعَ الْفَجْرِ الْمَغْرُدُ لِحْنَهُ وَتَحْضُنُهُ أَنْفَاسُهُ وَالْأَزَاهِرُ
 وَتَسْبِجُ فِي أَعْمَاقِهِ مِنْكَ نَشْوَةٌ وَتَصْدَحُ بِالْهَمْسِ النَّدَى الْخَوَاطِرُ
 وَيَهْتَفُ بِالنَّجْوَى حَنِينٌ مُخَامِرٌ وَيَسْرَحُ بِالشُّكْوَى وَجِيبٌ مُسَاوِرٌ
 لَكَ الْعَتَبُ فَالْقَلْبُ الشَّجِي أَمَانُهُ عَذَابٌ وَيَحْمِيهِ الْأَمَانُ الْمُحَازِرُ

دَعِيهِ فَمَا بَيْنَ الدَّجَى وَعُيُونِهِ
سَوِي غَائِبٍ لَكِنَّهُ فِيكَ حَاضِرٌ
وَفِي الشَّهْبِ لَوْتَدْرِينَ يَالِيلِي رَوَّاصِدٍ
يُرَاحُهَا مِنْكَ الشَّدَى وَيَبَاكِرُ
تَمَاجٍ فِيهَا عَسَجِدٌ مُتَهَدِّلٌ
وَبَيْنَ حَوَاشِيهِ تَرَفُ الْغَدَائِرُ
يَقُولُونَ يَالِيلِي هُوِيَ الْغَيْدِ نَظْرَةٌ
تَنْوُبُ الْمَاقَى عِنْدَهَا وَالْمَخَاجِرُ
وَأَوْهَامٌ «غَيْرِي» تَذَرَعُ الْخَطَوَائِرُ
دِرَاكًا فَلَا تَسْطُو عَلَيْهِ الْجَازِرُ
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا عِصْمَةٌ مَدَّ ظِلُّهَا
صِرَاعٌ عَنِيفٌ أَلْهَبَتْهُ الْمَشَاعِرُ
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا نَفْحَةٌ قُدْسِيَّةٌ
رَعَتْهَا عُيُونٌ حُرَّةٌ وَضَمَائِرُ
رَوَّافِدُهَا فَوْقَ السَّحَابِ وَنَبْعُهَا
مَصَابِيحُ ضَاءَتْ فِي حَشَاهَا السَّرَائِرُ
وَأَصْدَاءُ حِسِّ عَبْقَرِي تَنْفَسَتْ
مَعَانِيهِ فِي لَحْنِ حِكْمَتِهِ الزَّوَاوِرُ
وَأَطْيَافُ أَحْلَامِ حِسَانٍ كَانَتْهَا
سَحَابٌ مُزْنٌ وَاكْفَاتُ مَوَاطِرُ
وَدُنْيَا مَعَانِيهَا حَيَاةٌ تَرَاقَصَتْ
أَوَائِلُهَا مَسْحُورَةٌ وَالْأَوَاخِرُ
وَتَعَرَّشَ فِي أَكْنَافِهَا أَوْ ظِلَالِهَا
وَشَائِجُ رَجْمِي أَخْصَبَتْ وَأَوَاصِرُ
وَقَالُوا جَعِمْ قَلْتُ مَرَحِي عَرَفْتُهُ
فَرُبُّ نَعِيمٍ فِي اللَّظَى يَتَقَاطِرُ
وَقَالُوا ضَلَالٌ قَلْتُ وَالْقَوْلُ آفَةٌ
إِذَا زَاغَتْ الْأَبْصَارُ تُجَلَّى الْبَصَائِرُ
فَكَمْ مِنْ هُدًى قَدْ غَلَفَتْهُ مَسَاوِيءُ
وَكَمٍ مِنْ ضَلَالٍ حَجَبَتْهُ مَظَاهِرُ

وَمَهْمَا يَطُلُّ عَهْدَ بِحَالٍ وَضِدَّهُ
فَلِلَّهِ يَا لَيْلَى تَصِيرَ الْمَصَائِرِ
إِذَا أَنْتِ أَطْلَقْتَ الْمَشَاعَرَ حُرَّةً
صَفَا لَكَ مُرْتَابٌ وَصَفَّقَ غَادِرُ
وَأَنْتِ أَعْطَيْتِ الْوِدَادَ سَجِيَّةً
تَحَاشَاكَ مَفْؤُودٌ وَحِيَاكَ نَائِرُ
فَلَا تَحْمِلِي الصَّبَّ الَّذِي تَعْرِفِينَهُ
عَلَى غَيْرِ مَا تَهْوَى اللَّيُوثُ الْكَوَاسِرِ
وَلَا تَجْعَلِيهِ ظَاهِرًا غَيْرَ بَاطِنٍ
فَكَمْ بَاطِنٍ صَغْبٍ يُغْطِيهِ ظَاهِرُ
وَرُبَّ يِرَاعٍ أَرْسَلَ الشَّدُوْا إِنَّمَا
تَضِجُ بِمَكْتُومِ الْيِرَاعِ الْمَحَابِرِ
فَهَا أَنْتِ يَا لَيْلَى دَعِيهِ مُحَلَّقًا
يَوُبُّ وَجَنَاحَاهُ هُدًى وَشَعَائِرِ
وَقَوْلِي لَهُ آمَنْتُ أَنَّكَ شَاعِرُ
وَأَمَنْتُ أَنْ لَا يَأْلُفُ الْقَيْدَ شَاعِرُ

أغنية زمزم و«أليس»

هل رَشَفْتَ المَزْنَ رَشْفًا ثم حَلَّيْتَ بِزَمْـزَمِ
صَفَقُـوْهَا بِأَرِيسٍ وَسَوَّرَى البَدْرَ المُلْتَمِ
بِشُعَاعٍ يَتَلَعَثُ مِنْ رِضَائِكَ

* * *

أَنْتِ يَا مُزْنَةَ طَيْفٍ لَوْلُؤِيَّ يَتَثَنَّى
أَنْتِ يَا مَزْنَةَ لَحْنٍ عَسَجَـدِيَّ يَتَغَنَّى
وَالسَّنَا يُومِضُ وَهَنَا فِي شَبَابِكَ

* * *

رَقَصَ الحُبُّ وَلَكِنْ رَقَصَةَ الصَّبِّ الجَرِيحِ
زَحَفَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فِي غُبُوقٍ وَصَبُوحِ
فَتَلَوَّى كَالطَّلِيحِ فِي عُبَابِكَ

* * *

المَغَانِي فِي ظِلَالِكَ كَالْمَعَانِي فِي خَيَالِكَ
أَنَا لَا أَرْجُو وَصَالًا فَالْمَنَى دُونَ وَصَالِكَ
خَطَرَةٌ تَكْفِي بِبِئْسَالِكَ
مِنْ سَرَائِكَ

يَا مَهَاءَ خَطَرْتُ فِي رَبِّكَ ذَوْبِي مَا شِئْتُ قَلْبِي ذَوْبِي
أَنَا أَهْوَى لَفْتَةِ الْحَرِّ الْأَبْي بِأَبِي أَفْئِدِي مَهَاتِي بِأَبِي
لَا تُرَاعِي . . لَا تَخَافِي فَالْمَنَى
بِرِحَابِكَ

• • •

أَنْنَى أَعْشِقُ وَهَمَّ الْوَاهِمِينَ فَشُكُوكَ الْغَيْدِ مِفْتَاحَ الْيَقِينِ
وَالْهَوَى الْعَذْبُ شَقَاءُ وَأَنْنَى وَمَنَى تَرْكُضِ أَثَرِ النَّافِرِينَ
رُبَّ شَدْوٍ مِنْ أَنْنَى الْوَالِهِينَ
فِي رِكَابِكَ

• • •

أَنَا أَهْوَى الظِّيَّ مُخْتَلًا شُرُودًا مَثَلَمَا يُعْجِبُنِي الْمَعْنَى الشُّرُودِ
فَالْقَلَا أَوْسَعُ مِنْ قَلْبِ الْعَمِيدِ وَالْهَوَى فَوْقَ قَيْسُودِ وَحُدُودِ

مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ

فِي سَحَابِكَ

* * *

وَالْهَوَى أَحْلَاهُ حَدْسُ الْخَاطِرِ حِينَمَا يَبْدُو كَوَّهَمُ الشَّاعِرِ

فِي الرَّبِّىِّ مِثْلُ جَنَاحِي

فِي طِلَافِكَ

* * *

في ربوع المدينة

بين سَلْع وقبا من مجالٍ يثرب
قد مشينا الهيدبي سببًا في سبب
صفقت أيامنا
شعشت أحلامنا

• • •

بين أحضان العقيق من شروق لغروب
كم رويننا من رحيق بين كأس وجيب
والمنى في ظللنا
نهلها من نهلنا

• • •

والغوالى في العوالى ينفح العطر شذاها
وظباها في المعالى هدهدت سحر ظباها
فسل الجذع ورامة
والمصلى والغمامة

والشذى في أحدٍ من عَبيِر الشَّهداءِ
عِظَّةٌ للأَبَدِ في مَجالاتِ الفِداءِ
فلنُعْظِّمَ قَدرها
ولنُمجِّدَ ذِكرها
وصَلَّتْ مجدَّ حراءِ في رُبَى البيتِ العتيقِ
وجلَّتْ نورَ السماءِ في مَحياءِ الطَّلِيقِ
أحمدُ خيرِ البريةِ
بالمعاني العبقريَّةِ

* * *

الهوى السَّمحُ هواها من صَبَا نجدِ الشَّذي
والحميما شَفَتَها في بُكورِ وعِشَى
إنها نَخْبُ اليمامةِ
في عَسِيرِ وتِهامةِ

* * *

رَبِّةَ الْقِدْحِ الْمَعْلَى فَسَلُّوا قَيْسًا وَلِيْلَى
وَاخْضِرَّارِ النَّفْسِ أَعْلَى مِنْ خَصِيبِ عَادَ مَحْلَا
فَلْتَقُولِي يَا بِلَادِي لِلْعُلَا أَهْلًا وَسَهْلَا
إِنَّهُ مَجْدُ بِلَادِي
فَوْقَ أَوْهَامِ الْأَعَادِي

* * *

قيمة الشعب

من قصيدة كنت نظمها بمناسبة خاصة جميلة . فأحببت أن
أقدمها لقراء المدينة بدلا من حديثي الأسبوعي الذي حالت دون
نشره ظروف الجريدة عام ١٣٥٣ هـ .

قِيَمَةُ الشعب في ارتقاءِ رجالِهِ ذِرْوَةُ الفضلِ عن طَرِيقِ فَعَالِهِ
وابتهاجُ الحَيَاةِ فيه دَلِيلُ إِنَّ للشَّعبِ (قَادَةً) من رِجَالِهِ
عَلَّمْتُنَا حَوَادِثَ الدَّهْرِ قَدَمَا أَنَّ سِرَّ الحَيَاةِ في أَجْيَالِهِ
وغدًا يَكْشِفُ الزَّمَانُ سِتَارَا عن بَنِي العَصْرِ في عَظِيمِ مَجَالِهِ
وجُهودِ المَغْدُ في السَّيْرِ تُدْنِي من بَعِيدِ المُنَى عَزِيزَ مَنَالِهِ
والمَغَاوِيرُ في البِلَادِ إِذَا مَا حَاوَلُوا النِّفْعَ وَفَقُّوا لِنَوَالِهِ
وَذَوُو الرُّأْيِ والحَصَافَةِ إِن هُمُ حَصَّنُوا الرُّأْيَ وَفَقُّوا لِكِتْمَالِهِ
والحِجَازُ الحِجَازُ جِدُّ خَلِيقِ بِرِجَالِ تَفْكِيرُهُمْ في مَالِهِ
والحِجَازُ الحِجَازُ غَايَتُهُ القُصْوَى رِجَالُ تَضَافَرُوا في مَجَالِهِ

لم يُريدوا إغفَاءة تَدَعِ الشَّعْبَ خِدَاجًا وَالْأَمْرَ فِي جُهَاِلِهِ
 فَلَقَدْ شَاهَدُوا التَّوَاءَ أَمَانِيَهُ وَسُوءَ الْكَثِيرِ مِنْ أَحْوَالِهِ
 حِينَمَا أَظْلَمَتْ فِجَاجٌ وَسُدَّتْ سُبُلُ الْخَيْرِ فِي وَجْهِ رِجَالِهِ
 وَتَبَارَتْ مَعَاوِلُ الْهَدْمِ تَسْمَى لِاجْتِنَاثِ النِّعَمِ وَاسْتِثْصَالِهِ
 فَغَدَا الْبَعْضُ فِي رِيَاضِ الْأَمَانِي وَغَدَا الْبَعْضُ سَابِحًا فِي خِيَالِهِ
 وَفَرِيقٌ شَاءَ الْخُمُولَ وَضَحَّى بِالْجَسِيمِ الْعَظِيمِ مِنْ مَالِهِ
 وَلَعَمْرِي هَذَا الْحِجَازُ حَفِيٌّ وَلَدَيْهِ كَرَامَةٌ فِي خِصَالِهِ
 وَبَنُوهُ إِنْ سَاءَلُوا الْعُنْصَرَ الْحَيَّ وَكَتَنَزَ الْخُلُودَ فِي أَعْمَالِهِ
 جَاوَبَتْهُمْ أَصْدَاءُ مَجْدٍ عَمِيقٍ يَسْتَفِزُّ الْحَنِينَ فِي تَجَوَّالِهِ
 وَتَرَايَ لَهُمْ مَلَائِكُ بَهَاءٍ عِبْقَرِي فِي حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ
 مَلُؤُهُ الْفَضْلَ وَالسَّمَاحَةَ وَالنُّبْلَ مُقِيمًا وَالسَّعْدَ فِي تَرِحَالِهِ
 وَحِفَافَهُ شُعْلَةً مِنْ رَجَاءٍ تُبْصِرُ النُّورَ سَاطِعًا مِنْ حِيَالِهِ
 يَتَغَنَّى بِمَجْدِهِ السَّالِفِ الْعَهْدِ وَيُبْدِي تَلْعُثًا فِي مَقَالِهِ
 يَنْشُدُ الْمَجْدَ فِي خِصَالِ زَعِيمِ الْعَرَبِ فَخْرِ الزَّمَانِ دُرَّةَ آلِهِ

فاكرم به عبدالعزيز موفقا

القصيدة القيمة التي ألقاها الأستاذ ضياء الدين رجب في حفلة

تكریم (الدكتور الخاشقجي) التي أقامتها جريدة المدينة المنورة :

ذَرِينِي أَغَامِرَ فِي مَجَالِ الْعَزَائِمِ وَلَوْ كُنْتُ فِيهَا عُرْضَةً لِلصَّوَارِمِ

فَمَا الْمَرْءُ إِلَّا غَمْرَةٌ بَعْدَ غَمْرَةٍ يَصَافِحُ فِيهَا عِبْقَرِيَّ الْمَكَارِمِ

دَعْنِي الْمَعَالِي فَاسْتَجَبْتُ نِدَاءَهَا بِمَوْقِفٍ عَزُ حَافِلٍ بِالْمَغَانِمِ

فَأَقْلَمْتُ يَحْدُونِي رَجَاءٌ مُجْنَحٌ وَخَلَّفْتُ دُونِي رَاغِمًا بَعْدَ رَاغِمِ

وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ تَرْتَقِبُ الْمَنَى وَمَا الْقَلْبُ إِلَّا حَيْثُ رُكْضُ الْعَزَائِمِ

تُجَاوِبُ أَصْدَاءَ وَتَرْدِيدَ هَاتِفٍ يُوُوبُ بِرِاضٍ ثُمَّ يَغْلُو بِنَاقِمِ

وإِنَّ حَيَاةَ الْعِزِّ صَعْبٌ مِرَاسُهَا إِذَا لَمْ تُزَوِّدْ فِي الْحَيَاةِ بِقَائِمِ

وإن حياة العز صعب منالها إذا رام فيها نائمٌ نصَرَ نائمِ

وإن حياة العز جدٌ بعيـدة إذا عاش فيها أهلها كالسوائِمِ

ولكن قوما جاش بالنفس منهمو
صليلُ سُيوف في الوغى والملاحِم

وماج بهم عزم تُؤورُ إلى العلا
وهانت عليهم عاصيات الجَماجم

أولئك يلقون الحياة رضية
وتشرق فيهم طامسات المعالم

فمرحى بآمال البلاد وشعبها
ومرحى بأبناء البلاد الضراغم

أفأء عليهم ملكه من ظلاله
مفاخر تزهو في أجل العواصم

به قدروا العلم الصحيح وبرهنوا
على سعيهم للمكرّمات الجسام

فأكرم به عبد العزيز موفّقاً
جليل المساعي في طلاب العظام

ألا تزدهي فيها بعصر مُنور
يفيض على أبنائه بالنعائم

تلوح عليه ساطعات كأنما
تقلّد حقاً بالثغور البواسم

تبليج نور العلم وضاء بينهم
على لا حب سهل وضيء المعالم

على حافيته للنبوغ مظاهر
وفي راحيته صورة للكرائم

يذار الهدى من شرفت برسولها
إمام الهدى رمز التقى في العوالم

تكرم روحا شاقها الفضل فاغتذت
بألبانه حتى سمت للعظام

ترامت مع الأيام حتى تقاصرت
يعزم شباب فائز العزم فاحم

أراد فلم يهزل وجد فلم يهن
وجاهد لما ينتظر عطف زاحم

تَغْرَبَ عَنْ أَهْلٍ وَفَارَقَ مَوْطِنًا فَآثَنِي عَلَيْهِ الْمَجْدُ وَالْفَضْلُ جُهِدَهُ
وَإِنَّ بِلَادًا أَكْرَمَتْهُ لِسَانَهُ وَقَدْ لَمَسَتْ مِنْهُ الْحَيَاةُ وَرُوحَهَا
فَلَمْ تَأْتِ إِلَّا وَاجِبًا كَانَ دُونَهُ رَأَيْتُكَ الْأَمَانِيَّ الْعِذَابَ مُحَمَّدًا
كَأَنَّكَ فِيهَا بَاقَةٌ قَدْ تَفْتَحَتْ نُزَيْدُكَ تِمَثَالَ الْفَخَارِ وَرَمْزِهِ
لِتَكْشِفَ عَنْهَا بِالْأَشْعَةِ دَاءَهَا فَلَيْسَ لِشَعْبٍ فِي الْبِلَادِ تَفَاخُرُ
فَأَعْظَمَ بِهِ حِفْلًا تَسَامَى بِهَاوِهِ دُؤُوبٌ عَلَى خَيْرِ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا
يُرِينَا مَحْيَاهُ السَّمَاحَ كَأَنَّمَا صَلَاةٌ مِنَ الْمَوْلَى لِأَكْرَمِ خَلْقِهِ
فَآثَبَ وَقُورًا غَانِمًا أَيَّ غَانِمٍ وَشَادَ صَرُوحًا عَلِيَّاتِ الدَّعَائِمِ
وَعَادَتْ بِهِ تَشَدُّوا كَشَدُّوا الْحَمَائِمِ بِفَنٍّ عَزِيزٍ نَالَهُ خَيْرُ حَازِمٍ
فَذَلِكِ رَمَزٌ لِلسُّرَاةِ الْأَعْظَمِ فَوَافَتْ تَحِيَّيَ قَادِمًا تَلُو قَادِمٍ
عَنِ الْأَقْحُوَانِ الْغَضُّ أَجْمَلُ بِاسِمِ وَنَرْجُوكَ عُثْوَانَ الطَّبِيبِ الْمُسَالِمِ
وَتَذْهَبَ عَنْهَا مُغْرِيَاتِ الطَّلَاسِمِ إِذَا لَمْ يُفَاخِرْ فِي طَبِيبٍ وَعَالِمِ
بِسَعْدِ أَمِيرٍ قَامِعٍ لِلْمَظَالِمِ كَرِيمٌ نَبِيلٌ جَامِعٌ لِلْمَكَارِمِ
يُرِينَا الْغَوَادِي هَاطِلَاتِ الْغَمَائِمِ تَلُوحُ كَمَا لَاحَتْ بُدُورُ التَّمَائِمِ

• • •

نشرت هذه القصيدة بالعدد (٦٩) تاريخ ٨ رمضان سنة ١٣٥٧ هـ

خلود البطل

مهداة : إلى روح سمو الأمير الصديق عبد الكريم الخطابي :
رحمه الله

قد سَابَقَتْهُ إِلَى الرَّدَى أَمْجَادُهُ	فَتَأَلَّقَتْ آمَالُهُ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَبَى عَلَيْهِ إِبَاؤُهُ أَنْ يَفْتَدِي	وَهُوَ الْفِدَاءُ بِعُمَرِهِ وَبِمَجْدِهِ
شَأْنُ الْعَظِيمِ يَعِيشُ مِلَّ حَيَاتِهِ	وَإِذَا قَضَى طَابَ الْخُلُودُ بِخُلْدِهِ
مَا عَاشَ زَهْوًا بِالْبَقَاءِ وَإِنَّمَا	زَهْوُ الْحُسَامِ بِحَدِّهِ وَفِرْنَدِهِ
لَمْ يَسْتَبِحْ لَمَّا أَضَافَ طَرِيفَهُ	لِتَلِيدِهِ حَتَّى ذُبَالَةَ جُهْدِهِ
وَاسْتَلْهَمَ التَّارِيخَ سِرَّ بَقَائِهِ	مُتَأَهِّبًا كَالْمَشْرِفِيِّ بِغَمْدِهِ
مَا نَابَهُ أَسْفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ	بَلْ أَوْدَعَ الْأَيَّامَ حَسْرَةً فَقَدَهُ
مَا حَاسَبَ الْأَيَّامَ فِي خَطَوَاتِهَا	لِيَظَلَّ فِي أَسْرِ الْكِفَاحِ وَقَيْدِهِ
ضَنَّ الْكَرِيمُ وَمَا يَضِنُّ وَإِنَّمَا	أَلْوَى بِهِ شُحُّ الزَّمَانِ بَيْنَهُ
الْمَجْدُ أَشْرَقَ فِي لَفَائِفِ مَهْدِهِ	فَمَشَى خَدِيدَ وَفَاتِهِ فِي لَحْدِهِ
وَتَلَفَّتْ التَّارِيخُ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْ	إِلَّاهُ فِي تَبْرِيجِهِ أَوْ سُهْدِهِ

فِي مَوَكِبِ الْأَحْدَاثِ كَيْفَ تَصَارَعْتَ	فِي فَقْدِهِ كَصِرَاعِهَا فِي وَجْدِهِ
وَهَفًا لِأَصْدَاءِ الْحَيَاةِ مُطْلَّةً	مِنْ رُوحِهِ عَزَمَاتُهُ فِي جُنْدِهِ
تَنْهَلُ فِي الدُّنْيَا سِوَا كِبُ فَيَضِهِ	وَتَهْلُ بِالرُّحْمَى سَحَابِ رِفْدِهِ
وَحَلَّاقِ الْمَجْدِ الْأَصِيلِ شَمَائِلُ	تَصِلُ الْحَيَاةَ بِحِظِّهِ وَيُسَعِدُهُ
وَتَشِعُّ إِشْعَاعُ الْهَدْيِ فِي مَوْطِنِ	غَذَاهُ مِنْ دَمِهِ الزَّكِيُّ وَشُهِدُهُ
وَنَمَاهُ يَشْرُفُ أَصْلَهُ مِنْ قَرَعِهِ	شَرَفَ الْفَخُورِ بِأَصْلِهِ وَبِجْدِهِ
وَعَلَى الْعِظَائِمِ فِي الْعَظِيمِ دَلَائِلُ	سَطَعَتْ لِتُشْرِقَ بَعْدَهُ فِي ضِدِّهِ
أَغْنَتْ عَنِ التَّمَثَالِ يَنْصَبُ بَعْدَهُ	مُثْلُ تَشِيدِ بِشُكْرِهِ وَبِحَمْدِهِ
وَمِنْ الرِّجَالِ صُورِيٍّ عَلَى طَوْلِ الْمَدَى	تَهْدِي لِأَقْوَمِ مَنْهَجِ وَاسِدِّهِ
تَسْمُو عَلَى أَدْنَى الْهَنَاتِ سَجِيَّةً	قَدْ صَوَّرَتْ خَطَأَ الْعَظِيمِ كَعَمْدِهِ

• • •

فجميعته المحب الحالم

فى يقينى عاشت نعيمًا وما زالت
 حببت لي الحياة من بعد أن كانت
 بسمه في السماء صورها الله
 ورجاء في زحمة اليأس وأفانى
 وأنا الصابر الذي اعتصر العمر
 كم رجوت الأمان في كنف الصخب
 وأنا الواهب الحنان سخيًا من
 قلت مرخي توأم الروح والنفس
 مرحبا بالحياة أرسلها الله
 وتفيأت ظلها أنشد الرحمة
 هو حبي وعطفها أمل العمر
 قربت بيننا المعاني على البعد
 حلم عشته وفجر جديد
 صافحتها نفسي ففرت من العين
 وتمرغت في ثراها ومحضت هواها
 وفي القمة من مهجتي ومن إيماني
 جحيمًا وأشرق في كيانى
 ملاكا وشعلة من أمانى
 وفي غمرة الكروب أتانى
 شقاء يكأسه قد سقانى
 فما فزت عندهم بالأمان
 لسانى ومهجتي وحنانى
 وأهلاً في السر والإعلان
 شعاعاً يجلو به أحزاني
 لا ابتغي سوي الإحسان
 وفي مشرق المنى نشوتان
 ويا طالما تجود المعاني
 شعثته من روحها بسمتاني
 ابتهاجاً لِقربها دمتان
 عزى مزجته بهوانى

وارتَضَيْتِ الهوى كما تَرْتَضِيهِ وسواء أَطَاعَنِي أو نَهَانِي
 مِى مِى وشُغِلَ نَفْسِي وَقَلْبِي وصلَاتِي فِي كُلِّ حِينٍ وَأَن
 ثُمَّ مَاذَا لَقَدْ فُجِئْتَ بِأَحْلَامِي على غِرَّةٍ بِمَا قَدْ دَهَانِي
 إِذْ تَبَيَّنْتَ أَنَّي عِشْتُ عَلَى سُوءٍ ظَنُّهَا حَيَاةَ الْهُوانِ
 وَأَنَا الْغَافِلُ الَّذِي عَافَ حَتَّى الْعَقْلِ فِي حُبِّهَا عَلَى اطمِئْنَانِ
 أَنْتِ مَعْدُورَةٌ فَمَا : لِمَلَاكِ يَتَدَنَّى لِقَادِرٍ مَنْانِ

* * *

غَيْرَ أَنَّي يَانُورُ عَيْنِي عَلَى الْعَهْدِ سَأَحْيَا - وَلَوْ حَيَاةَ الْجَبَانِ
 وَالَّذِي وَزَّعَ السَّرَائِرَ فِي النَّاسِ عَلِيمٍ بِالسُّرِّ فِي الْإِنْسَانِ
 رَبُّ سِرِّ يَطِيبُ إِعْلَانُ خَافِيهِ وَسِرُّ يَخْلُو مَعَ الْكِثْمَانِ
 فَسَلِيَ النَّجْمُ وَالذُّجَى وَالْأَغَارِيدُ وَهَمْسُ الْوَرَقَاءِ فِي الْأَغْصَانِ
 كَيْفَ أَغْفُو وَأَنْتِ إِغْفَاءُ الْعَيْنِ وَأَصْحُو وَأَنْتِ رَجْعُ الْأَغَانِي
 وَاسْبَحِي كَيْفَ شِئْتَ فِي عَالَمِ الشُّكِّ فَإِنِّي رَاضٍ بِحُكْمِ الزَّمَانِ

* * *

الجرم العقيم

(١)

بعدَ عشرينَ خَلَّتْ من عُمْرِي حينَ أَبْصَرْتُ بِعَيْنِي . . . أَثْرِي
وتَلَمَّظْتُ رَحِيقَ القَدَرِ مثلَ من يَرشِفُ ضَوْءَ القَمَرِ
وتعلَّقْتُ على الهُدْبِ الذي طالَما أَرَقَّ جَفَنَ السَّحَرِ
وبَكَى قَلْبِي دَعَاءَ صَامِتَا للحنَّانِ الغامِرِ المُنْهَمِرِ
لِلَّذِي هَدَّلَ لِي أَغْصَانَهُ ورَعَى مَهْدِي ودارِي حَذْرِي
صُنْتُ من فَرَحَةِ نَفْسِي أَمَلًا أن يَرى قَبْلَ سِوَاهِ ثَمَرِي
فَهُوَ مِنِّي الأَبَ والأُمَ مَعًا يا لَأُمٍّ شَقِيتَ بِالوَطَرِ
لَمْ أَكُنْ فَرَحَتَهَا فِي صِغَرِي لَمْ أَقْبَلْ يَدَهَا فِي كِبَرِي
وتَحَامَلْتُ أَوَارِي ذِكْرَهَا بالذي شَعَّعَ كَأْسَ العُمَرِ
بِالَّذِي قَلْبِي اغْتَذَى مِنْ عَطْفِهِ وَفِي اتْرَعِهِ بِالْذُرِّ
بِالَّذِي سَاءَلْتُهُ عَنْ إِسْمِهَا فَأَضَاءَتْ دَمْعَةً فِي المَحْجَرِ
ثُمَّ فَرَّتْ تَتَوَارَى فِي دُجَى ضَارِبٍ فِي لُجَّةِ الْمُتَعَكِّرِ

تَهْدَى وَمُضَّةً شَارِدَةً تَنَحْدَى غَمْغَمَاتِ الْقَدَرِ

مِثْلُ مَنْ أَشْرَقَ فِي مَعْلُومِهِ وَضَحَ الْمَجْهُولِ رِثٌ أَغْبَرُ

غَائِمٌ يَلْهَثُ كَالْمُسْتَغْفِرِ وَاجِمٌ فِي حِيَرَةِ الْمُتَكَسِّرِ

كَالَّذِي يَرْتَبِي لِحَالِي جَاحِدًا أَنْ لِي أُمًّا فَيَا لِلنُّكْرِ

قُلْتُ : يَا لِلنُّكْرِ حَقًّا إِنَّهَا رَغِمَ مَا تُخْفِيهِ إِخْدَى الْكُبَرِ

جَحَدُهَا جَحْدَ أَبِي يَا لَيْتَنِي قَدْ طَوَيْتَ الْعَمْرَ تَحْتَ الْخُفَرِ

وَعَلَى رَأْسِي كَأَنِّي غَارِقٌ فِي دَمٍ أَوْ قَادِمٍ مِنْ سَفَرِ

وَبَدَا ظِلُّ حَيَاتِي كَالِحًا رَاقِصًا فِي هَيْكَلِ الْمُخْتَصِرِ

وَتَصَوَّرْتُ أَبِي أَيْنَ أَبِي حِينَمَا يَثْنَى عِنَانُ الْخَطَرِ

فِي حَنَانٍ غَاضِبٍ فِي ثَوْرَةٍ مِثْلُ زَحْمِ الرَّعْدِ قَبْلَ الْمَطَرِ

وَتَبَيَّنْتُ الَّذِي قَدْ كَمَمْتُ تِلْكَمُوا الدَّعْمَةَ لَمْ تَنْحَدِرِ

إِنِّي مِنْهُ غَرِيبٌ طَارِيءٌ فَاقِدُ الرَّحْمَةِ هَشُّ الْمَكْسَرِ

قَدْ تَبَنَّنِي لِسِتْرِ جَابِرِ آهِ لِلْكَسْرِ الَّذِي لَمْ يُجْبِرِ

إِنَّهُ الْجُرْحُ الَّذِي أَلْعَقُهُ كُلَّمَا امْتَدَّ لِحْيٌ بِصَرِي

وَاسْتَحَالَ الْعُطْفُ ذَنْبًا كَاوِيَا لَوْ دَنَا مِنْ أَخْدَعِيهِ تَخَنَّجَرِي

لَيْتَهُ خَلَّى حَيَاتِي هَمَلًا أَوْ (لَقَا) يَعْرِفُ سِرَّ الْخَبِيرِ
 وَاضِعًا نَفْسِي فِي مَوْضِعِهَا غَيْرِ ذِي إِرْبٍ وَلَا مُنْتَظَرِ
 هِيَ فِي حُلٍّ فَلَا تَرَدُّعُهَا نِسْبَةُ تَزْهَوُ بِمَعْنَى نَيْرِ
 إِنْ لِلشَّيْطَانِ نَبْتًا صَاحِبًا طَلَعَهُ مِثْلَ رُؤُوسِ الْغَجْرِ
 فَإِذَا الْأَشْجَارُ لَمْ تَرْضَ بِهِ فَهُوَ لَا يَغْدُمُ سَمْتَ الشَّجَرِ
 إِنَّهُ الْوَاقِعُ أَقْوَى حُجَّةً مِنْ خَفِيٍّ بَارِزٍ فِي الصُّورِ
 إِنْ ذَاكَ النَّبْتُ خَيْرٌ مَظْهَرًا مِنْ ظِلَالٍ كَاذِبَاتِ الْمَخْبَرِ

...

(٢)

إِنِّي الْيَوْمَ وَقَدْ طَالَ الْخَنَا صُورَةٌ فِي غَرَضٍ مُحَقَّرِ
 صَنَعْتُهُ غَفْوَةً آثِمَةً إِنَّهَا الْجُرْمُ الْعَقِيمُ الْمُضْدِرُ
 دَنَسَ الْمِثْزَرُ فِي الْجَانِي الَّذِي وَلَدَ الْغَافِلَ عَفَّ الْمِثْزَرِ
 أَلْبَسَ الْعَارَ بَرِيئًا وَمَضَى يَذْرَعُ اللَّيْلَ بِوَجْهِهِ أَصْفَرِ
 أَيْنَ سِرِّ الدَّمِ فِي الْقَلْبِ الَّذِي لَطَّخَ الْأَعْرَاقَ فِي الْمُسْتَهْتَرِ
 الْجَبَانَ الْقَدَمَ مَوْبُوءَ الْحَشَا إِنَّهُ مِثْلِي هَجِينُ الْمَحْدَرِ

مِثْلَمَا قَدْ عَافَنِي فِي خِصَّةٍ سَوْفَ لَا أَرْضَى بِهِ فِي الْمَحْشَرِ
إِنِّي أَعْدَى عِدَاهِ جَهْرَةً لَسْتُ عَمَّا قُلْتُ بِالْمَعْتَدِرِ

* * *

(٣)

فَلْنَدَعُهُ . . . أَيْنَ أُمِّي يَا تَرَى كَيْفَ تَحْيَا فِي اللَّظَى الْمُسْتَعِرِ
أَيْنَ قَلْبٌ لَمَحْتَنِي عَيْنُهُ كَيْفَ لَمْ يَنْشَقْ أَوْ يَنْفَطِرِ
أَنْتَ يَا أُمِّي أَصْلَ النَّسَبِ أَنَا مِنْهُ مِثْلُ نَفْحِ الزَّهْرِ
إِنْ يَكُنْ قَلْبُ أَبِي مِنْ حَجَرٍ لَنْ تَكُونِي أَبَدًا مِنْ حَجَرِ
أَنْتَ ضَعْفٌ لَيْسَتْهُ قُوَّةُ لَيْسَ عُهُرًا غَيْرَ عَهْرِ الْمَبْصَرِ
الْقَوِي الْأَيْدِ خَطَافِ النَّهْيِ صَانِعِ الْفُحْشِ صَنِيعِ الْعَبْقَرِيِّ
يُرْسِلُ النَّظْرَةَ قَدْ وَثَّقَى بِهَا حُلْمًا قَدْ صَاغَهُ مِنْ غَرَرِ
رُبَّ زُورٍ نَسَجْتَهُ حُلَّةُ قَدْ طَوَتْ أَقْبَحَ مَعْنَى قَدْرِ
لَسْتُ يَا أُمَاهُ شَرًّا فَا بَرُزِي رَصْدًا لِلْهَارِبِ الْمُسْتَتِرِ
أَنْتَ فِي هَمٍّ لَذُلٍّ وَاحِدٍ وَهُمُومِي فِيكَ فَوْقَ الْكُثْرِ
وَحَيَالِي عَاقِرٌ مُنْسَرِحٍ رَسْمُهُ أَنْتَ بَدِيعِ الْمَنْظَرِ

واثقُ أنكَ مثلي حيرة وهوى حرّ الأسَى لم يُكدر
 أينما أقسى عذابا فاشك لي إن بثَّ الشكوى غيرَ الحَصِرِ
 ربُّما تدرين حالي ربما تعرِّفيني بالسَّماتِ الآخرِ
 وأنا وخدي الذي لا اجتلي غير مَعْنَاكَ يَلْحَظُ الْفِكْرَ
 وعزائي أنا في النِّسْبَةِ الكبرى عِيَالُ اللَّهِ بَيْنَ الْبَشَرِ
 ما خلا مِنَّا زمان الوبر ما خلا مِنَّا زمان المَدَرِ
 قد حملنا الوزرَ لَا فَاَضَ على غيرنا مِنْهُ نثارُ الشَّرَرِ
 فاسمعي يا أمُّ أنى كنتِ من قلبي الصَّاحي؟ حليثَ العِبَرِ
 ليس للأخلاق وزنٌ في الدُّنَا إنه المعروفُ مثْلُ المنكَرِ
 فانظريني لو رَمَى المَجْدُ على كفي الواهي شَفِيفَ الحَبَرِ
 لرأيتِ الناسَ أفواجا على عَتَبَاتِي زُمَرًا فِي زُمَرِ
 وأشاعوا أننى نسلُ العُلا لَوَذَعِي مُخَوِّلٌ مِنْ مُضَرِ
 وأذاعوا أن لى بالمصطفى نَسَبًا فِي أُمّهَاتِ السَّيَرِ
 وسقوني ثم غنُّوا طربًا ثمَّ خُصُونِي بِوَرْدِ الْكَوْثَرِ
 وراؤني طائرا فوق السَّما وتَنَاسُوا سَقَطَةَ الْمُنَحْدَرِ

قد تذكّرتُ زيادًا في الوغَى وهو مَنْ قد جحدوا في الصَّغَرِ
 حين أدنته إليهم كُربة فَمَحَتْ عنه ظلام الأعصرِ
 بعد أن كان عليهم سبة قد غدي مفخرة المُفتَخِرِ
 إن حُبِّي لك لم تذهب به رجفة الإعصار لم ينحسرِ
 صان عَقلي من شُرور فانا لك أحيّا لست بالمنتَحِرِ
 قد تحدّيت قُوى الظلم فلم أنهزم يا أمُّ لم اندحرِ
 ورضيت الله حَسبي أننى عبده بين عِدَاد البشرِ
 فإذا ما قيل من أنت أقل أنا عبد الله هل من مُنكرِ
 فابسمي لي شجّعيني واهتفي إنه ابني بعيد النظرِ
 بالأغاريد الوضيئات الصّدا أتحرّاك وقلبي وتَري
 واقبلي مني ضراعات الهوى واظْهري يا أمي هيا فاطْهري

مهداة إلى الفيلسوف المهادر "البحر"

أَلْقَاكَ فِي الشُّطِّ أَمْ أَلْقَاكَ فِي الْمَاءِ عَلَى جَنَاحِ خِيَالٍ مَائِلٍ نَائِي
وَاسْتَحِمُّ مِنْ الْأَضْوَاءِ سَابِحَةً فِي الْعِطْرِ تَمَزِجُ أَشْدَاءَ بِأَنْدَاءِ
وَاسْتَرِيحِ كَأَنِّي فِي جَوَانِحِهَا أُعَانِقُ الْبَدْرَ بَيْنَ الْعُشْبِ وَالْمَاءِ
فَهَلْ تَعُودُ حَيَاتِي بَعْدَ مَا اخْتَلَجْتَ تَرِفُ كَالطَّيْرِ فِي صُبْحٍ وَإِمْسَاءِ
وَاسْتَضْحَكَ الْبَحْرُ فِي أَعْمَاقِهِ عَجَبًا مِنْ شَاعِرٍ ظَامِيٍّ فِي الْيَمِّ مَشَاءِ
إِذَا تَرَاقَصَتِ الْأَمْوَاجُ ظَنُّ بِهَا سُوءًا وَمَا رَقَصَتْ فِيهِ لِإِغْرَاءِ
وَخَالَهَا ثَوْرَةَ الْعَذَالِ مَائِجَةً تَرْنُوا إِلَيْهِ فَتَرْمِي الدَّاءَ بِالدَّاءِ
وَمَا دَرَى أَنَّهَا الْأَشْوَاقُ هَائِجَةً تَرَاكَضَتْ عَاصِفَاتٍ بِالسُّوَيْدَاءِ
فَضَّاحَةً لِقُلُوبٍ طَالَمَا اعْتَصَرَتْ آلَامَهَا فَاطْمَأْنَنْتْ بَعْدَ إِعْيَاءِ
كَأَنَّمَا الْأَمَلُ النُّشْوَانُ فِي يَدِهَا يَصِيحُ . كَأَسَى وَاللَّحَانِي وَصَهْبَائِي
وَأَنْتَ يَا بَحْرُ كَمْ تَغْفُو عَلَى سِنَةٍ مَكَارَةً تَقْذِفُ الْمَرْتِيَّ بِالرَّائِي
وَمَا سَمِعْتَ الْمَدَى الْمُطَوِيَّ تَلْمَحُهُ لَمَحَ الطُّيُوفِ عَلَى وَهْنٍ وَإِبْطَاءِ

تَلَمَّسُوكَ هَوًى رَقَّتْ مَسَاجِدُهُ
فَوْقَ الرُّمَالِ عَلَى صَحْوٍ وَإِغْفَاءِ
وَأَوْدَعُوكَ خَفِيًّا مِنْ سَرَائِرِهِمْ
فَخَادَعُوا عَيْنَ نَمَامٍ وَوَشَاءِ
وَلِلْأَحِبَّةِ فِي شَطْبِكَ زَمَزَمَةٌ
تَنَاقَضَتْ عِبْرَ إِذْنَاءٍ وَإِقْصَاءِ
وَلِلْأَغَارِيدِ فِي الْأَسْحَارِ هَيْئَةٌ
عَلَى تُغُورِ النَّدَامَى وَالْأَحْبَاءِ
وَفِي شُعُورِ الْغَوَانِي لِلصَّبَا عَبَثٌ
مُرْفَرَّقٌ مِنْ شُعُورِ الْحَاءِ وَالْبَاءِ
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ مَا دَرَيْنَ بِهِ
وَكُلَّ ذِي عَبَثٍ عَادٍ وَهَزَاءِ ..
وَكُلَّ صَدَاحَةٍ فِي الْإِيكَ رَوْعَهَا
غَدَرُ اللَّدَاتِ وَتَنكِيلُ الْأَلْدَاءِ
وَذَاتُ دُلٍّ مَلُولٍ حَطَّمَتْ أَمَلًا
فِي مُدْنِفٍ دُونَهُ أَعْلَى الْأَشْقَاءِ
وَعَادَةٌ فِي رُبِيعِ الْعُمُرِ بِاسِمَةٍ
فَرَّتْ إِلَيْكَ بِآثَامٍ وَأَقْدَاءِ
أَلْقَتْ إِلَيْكَ وَلَمَّا تَجَنَّ غَيْرَ هَوًى
بِنَفْسِهَا فِي لَطَى كَالْحُسْنِ دَعَاءِ
وَبَائِسَ عَضَّهُ بَعْدَ الثَّرَاءِ أَذَى
مِنْ شَامِتٍ وَعَقُوقٌ مِنْ أَخِلَاءِ
وَأَفَاكَ يَلْفِظُ مِنْ أَنْفَاسِهِ رَمَقًا
يُصَافِحُ الْمَوْتَ فِي ذُلِّ الْأَعْزَاءِ
وَسَائِرِينَ عَلَى الْأَثْبَاجِ مَآخِرَةً
فِيكَ الْعُبَابُ بِأَمْوَاتٍ وَأَحْيَاءِ
قَدْ خَضَّبُوا بِالْدَّمِ الْقَانِي وَرَجَفَتِهِ
صَفَاءُكَ الْحُلُو فِي هَوْلٍ وَاضْمَاءِ
وَخَضَخَصُوا فِي مَجَالِ الرُّغْبِ مَا صَنَعَتْ
فِيكَ الْعِلْمُ فِي عُنْفِ الْأَلْبَسَاءِ

ورَوَّعُوا فِي طِبَاقِ الْبَحْرِ آمِنَةً
وَأَنْتَ أَنْتَ لَعَمْرِي كَيْفَ مَا اخْتَلَفْتُ
تُفَلِّسُ الرِّجْفَةَ الْكَبْرِيَّ بِقَهْقَهةِ
وَتَغْبِرُ الزَّمَنَ الْغَافِي إِلَى زَمَنٍ
وَمَنْ يَتَرُ لِلْمَعَانِي دُونَ هَيْكَلِهَا
يَا بَحْرُ يَشَقْ بِضَلَالٍ وَهَدَاءٍ

* * *

وَضَاقَ آذِيكَ الْعَاتِي فَأَرْسَلَهَا
تَقُولُ قَوْلَتِكَ الشَّعْوَاءَ بِاسْمَةِ
الْعَائِثُونَ عَلَى فَيْضِي وَمُنْتَجَعِي
فَمَا أَسِفْتُ لِرَوَّاحٍ عَلَى ثِقَةٍ
الْهَابِطُونَ عَلَى مَائِي وَأَجْنَحَتِي
إِنْ يَضْخَبُوا بَيْنَ آفَاقِ السَّمَاءِ ضَحَى
وَلَسْتُ أَحْمِلُ عَنْهُمْ عِبْئَهُمْ أَبَدًا
تَذُوبُ فِي اللَّجِّ أَطْوَادُ وَالْوَيْةِ
عَلَى الْحُرُوبِ وَفَوْقَ الدَّهْرِ إِفْنَائِي

* * *

غَالَطْتَ يَا بَحْرَ هَذَا الْكَوْنِ فَاسْتَبَقُوا إِلَى صِفَاتِكَ مِنْ دَانٍ وَمِنْ نَائِي
قَالُوا عَظِيمَ كَعُمُقِ الْبَحْرِ مُنْبَسِط كَوَجْهِهِ بَيْنَ إِشْعَاعٍ وَلَأْلَاءِ
فَتَاهَ كُلُّ عَظِيمٍ فِي مَطَارِفِهِ وَالتَّفَّ فِي ثَوْبِ ذَكَارٍ وَنَسَاءِ
وَكَلَّ مَا انْفَرَجَتْ دُنْيَاهُ وَاتَّسَعَتْ قَالَ الدُّنَا طَوْعَ آرَابِي وَأَهْوَائِي
وَإِنْ تَشَاجَرَتِ الْآرَاءُ وَارْتَطَمَتْ لَدَيْهِ حَطْمُ آرَاءٍ بَآرَاءِ
مَا دُمْتُ قَدْ جُزْتُ أَفَاقَ الْمَدَى قُدُمًا لَا فَرْقَ بَيْنَ أَحِبَّائِي وَأَعْدَائِي

* * *

الفرحة الكبرى

هي الفرحة الكبرى وَفَتْنَا وَوَعُدُّهَا
 وَأَجْمِلْ بِهَا أُمْنِيَّةَ عِبْقَرِيَّةِ
 تَعَالَى هُتَافُ الْعُرْبِ بِالْدِينِ دَاوِيَا
 تُمَثِّلُهُمْ فِيهَا الْمَعَانِي كَرِيمَةً
 وَمَا هِيَ إِلَّا أُمَّةٌ وَحَدَّ الْهَوِي
 وَلَقَدْ عُرُوقُ الْمَجْدِ عِرْقًا لِصِنْوِهِ
 فَإِنْ أَبْرَقَتْ بِالْيُمْنِ وَطَفَاءُ نَشْرَةٍ
 وَإِنْ سَرُّهَا عِيدُ الْجُلُوسِ لِضَيْغَمِ
 أَجَلُ بَانَ ذَاكَ الْفَحْلُ أَصْلًا وَمَخْنِدًا
 فَخَذُّهَا فَمَا كَانَ الْعَظِيمُ لِغَيْرِهَا
 بَلَوْنَا مِنَ الْعُرْبِ الْكِرَامِ شَمَائِلًا
 تُخَضِّضُهَا الْجُلَى فَيَعْلُو صِرَاحُهَا
 تَطَلَّعَتْ الدُّنْيَا إِلَيْكَ مُطَلَّةً
 تُحْيِيكَ بِاسْمِ الدِّينِ أَعْلَيْتَ شَأْنَهُ
 فَأَجْمِلْ بِهَا أَنْ يَبْدُوَ الْيَوْمَ عِيدُهَا
 تَدَانِي عَلَى رَغَمِ الزَّمَانِ بَعِيدُهَا
 وَرَجَعَ الصَّدْيُ أَعْمَاقُهَا وَكَبُودُهَا
 وَتَخَفِّقُ بِالْبُشْرَى عَلَيْهِمْ بِنُودُهَا
 هَوَاهَا وَصَاحَتْ فِي ثَرَاهَا جُدُودُهَا
 فَعَزَّتْ وَلَمْ يُعْجِمْ لَحَاهَا وَوَعُدُهَا
 وَإِنْ نَوَّرَتْ بِطَحَاءِهَا وَنُجُودُهَا
 فَبِالْوَحْدَةِ الْكُبْرَى يَتِمُّ سُعُودُهَا
 إِلَيْكَ الْأَمَانِي مُثْقَلَاتٍ نَقُودُهَا
 وَقُلُّهَا تَشْرُ تَحْتَ الْعُجَاجِ أَسُودُهَا
 إِذَا انْطَلَقَتْ أَوْفَى عَلَى الْجُودِ جُودُهَا
 وَبَغْضَاؤُهَا تَبْلَى وَتَفْنَى حَقُودُهَا
 قُلُوبًا وَمَنْ خَلْفَ الْقُلُوبِ جُنُودُهَا
 وَيَاسُمُ الْغَوَادِي مِثْلَهَا بَلْ تَزِيدُهَا

أَعْدَادِير

بَلَغَتْ مَدَاهَا الْحَادِثَاتُ حِيَالَهَا
 الْحَاطَّةُ دَارَتْ عَلَى لَحْظَاتِهِ
 وَتَصَامَمَتْ عَنْ رَيْثِهِ وَأَنَاتِهِ
 صَالَتْ مَصَالًا دُونَ شَمَخَتِهِ الذُّرَى
 جَالَتْ مَجَالِ اللَّمَحِ فِي خَطَرَاتِهِ
 حَتَّى ذُكَاؤُهَا مَحَا الْبَلَاءُ شُعَاعَهَا
 لَمْ تَبْقَ آمَالٌ تُهْدِدُ حَالَهَا
 لُطْفُ أَغَارٍ عَلَى الْمُغِيرِ فَلَمْ يَدَعِ
 غَالِ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فَلَا تَرَى
 كَلَاءً وَلَا أُمَّ تَقْطَعُ قَلْبُهَا
 الذَّاهِبُونَ مَضَوْا ضَحِيَّةَ نَقْمَةٍ
 وَالسَّالِمُونَ مِنَ الْخَلَائِقِ إِنَّهُمْ
 كَمْ تَخْبَى الْأَقْدَارُ مِنْ أَهْوَالِهَا
 أَمْدٌ يَطُولُ فَيَسْتَرِيحُ لِطُولِهِ
 وَجَلَّالَهَا الرِّزُّ الْمُرِيغُ جَلَّالَهَا
 عَجَلَى تُذِيبُ بِطَاءَهَا وَعِجَالَهَا
 كَيْ لَا تُزْعِزَ بِالْمُحَالِ مُحَالَهَا
 فَاسْتَنْزَلَتْ عُصَمَ الْفَلَاحِ وَجِبَالَهَا
 فَاسْتَعَجَلَتْ أَعْمَارُهَا آجَالَهَا
 وَمَحَتْ بُكُورُ حَيَاتِهَا آصَالَهَا
 لَمْ تَبْقَ أَفْكَارٌ تَجُولُ مَجَالَهَا
 نَعْمَى تَجُرُّ وَرَاءَهُ أَذْيَالَهَا
 ثَكَلَى تُشِيعُ بِالْبَكَاءِ رِجَالَهَا
 حُزْنًا يُلَاحِقُ دَمْعُهَا أَطْفَالَهَا
 قَدْ حَمَلُوا مِنْ دُونِهِمْ أَحْمَالَهَا
 «أَطْلَالُهَا»^(١) فَلْيَنْدُبُوا أَطْلَالَهَا
 حَتَّى تَلْمَمَ جُهِدُهَا أَهْوَالَهَا
 شَرُّهُ النِّفُوسُ فَلَا يَحُلُّ عِقَالَهَا

(١) أى بقاياها .

ويزيدها الأمل الطويل ضراوةً
 حتى استرابت في السماء وأيقنت
 الشر للأشرار مدّ جباله
 والطيبون المبتلون حصّادهم
 يمضي الكرام لها خفافاً مثلماً
 وتسوخ أقدامُ الشقاء بخیلها
 تهوي لتقتلع الجذور رواسخاً
 ذهبت «أغادير» الجميلة ضحوةً
 والسابحات الفاتنات تجاذبت
 تطفو وترسب تستمد فتونها
 عشن الحياة غضارة ونضارة
 ويلاه تلك فجیعة موصولة
 ولداتها عبر الشواطئ في الدنا
 والثائرون على الخلیقة كلّها
 والقاطعون رحامه والاکلون
 هل یأمنون الشرّ في أوطانهم
 هل یأمنون زوالهم وزوالها
 فاقهر عداك فلا تنال منالها
 وقساوة قد أحکمت إقفالها
 عجز السماء فمن یغیر حالها
 كالفاجعات لهم تمّد حبالها
 فتن تزلزل فوقهم زلزالها
 یبقى الردي أثقالها وعقالها
 وبرجلها في زحمة تسعى لها
 عبراً تناشد بعدها أجيالها
 غال الردي شطّانها ورمالها
 أحلامها واستنفرت آمالها
 عزماً يناهض سحرها ودلالها
 ينسجن من ظلّ الجفون ظلالها
 تبکی صواحِبها وتحرق آلهـا
 يرقبن في خطو الزمان مآلهـا
 والغاصبون عراضها وطوالها
 حرامها والعائفون حلالها
 هل یأمنون الشرّ في أوطانهم
 هل یأمنون زوالهم وزوالها
 فاقهر عداك فلا تنال منالها
 وقساوة قد أحکمت إقفالها

خاطرة الولاء

فى عرض مساجلة شعرية مع أديب مصري من وفود بيت الله
الحرام الملوئين ولاءً صادقاً لإصلاحات الدولة فى الحجاز عام ٥٦ .

خُذْ تَحَايَا الْحِجَازِ يَا صِنُو مِصْرَ مِنْ مُعْنَى بَادِي الضَّنَا وَالسَّقَامِ

خُذْ حَنِيناً قَدْ فَاضَ شِعْراً وَحُبّاً هَاجَ فِي النَفْسِ ذِكْرِيَاتِ الْغَرَامِ

أَنَا كَالطَّيْرِ لَا يُرْفَرُ إِلَّا عَنْ حَنِينٍ لِسَالِفِ الْأَيَّامِ

أَنَا كَالطَّيْرِ لَا يُرِيدُ سِوَى الرُّوِّ ضٍ بِهِيجاً وَمَرْتَعِ الْأَرَامِ

أَنَا كَالطَّيْرِ يَرْتَجِي الْمَرْتَعِ الْخَ ضُبَ لِتَرْدِيدِ طَيْبِ الْأَنْعَامِ

أَنَا كَالطَّيْرِ مِلْؤُهُ ذِكْرِيَاتِ بَيْنَ يَقْظَاتِهِ وَبَيْنِ الْمَنَامِ

حِينَ يَبْدُو السَّرْبُ الْمُجِدُّ طَلِيقاً وَاسِعَ الْخَطْوِ نَافِذاً كَالسَّهَامِ

لَا قِيُودَ لَا أَسْرَ ثَمَّةَ تَصْفُو لِي حَيَاتِي وَتَمَحِّيَ الْآمِي

أَنَا كَالطَّيْرِ فِي انْطِلَاقِ لِسَانِي عَنْ شُعُورِ مُثَلِّ لِمَرَامِي

ما ابتِسَامُ الحِياةِ غَيْرَ سُرورٍ مِثْلَ فَجْرِ يَغْزُو جُيُوشَ ظَلامٍ
 وهَنائِي كُلَّ الهَناءِ بِلادِي إِذْ أَرَاهَا جَدِيرَةً بِاخْتِرامٍ
 فِلادِي رُوحِي وروحي بِلادِي لَيْسَ بِدَعَا إِذَا انْتَضَيْتِ حُسامِي
 فِي هَوَاها عِشْتُ عِشْتُ سَعِيداً أَوْ تَفَانَيْتِ فَالحِياةُ أَمَامِي
 هِيَ لِي بَسْمَةٌ عَلَى الثَّغْرِ تَبْدُو أَيُّ ثَغْرٍ يَحْلُو بِغَيْرِ ابْتِسَامٍ
 لَهَبُ الشَّوْقِ أَذْهَبَتْهُ سُويَعاً تَ حَسَانُ مَرُورُهَا كَالسَّهَامِ
 قَدْ تَرَاءَتْ لَهَا الْأَمَانِي سِرَاعاً بِاسِمَاتِ فَصَدَّقَتْ أَخْلَامِي
 فَتَقَبَّلْ أَنْفَاسَ قُطْرٍ مُجِيدٍ هِيَ رَمَزُ الْمُنَى وَرَمَزُ السَّلَامِ
 وَتَذَكَّرْ بِدَارِ « طه » صَدِيقاً وَافِرِ الشَّوْقِ عَنِ شَبَابِ ظَامِي

• • •

طرفة

فى مجلس الشورى . بالمجلس على ظهر جدول الأعمال - بين
شاعرين . شاعرنا والشيخ إبراهيم الغزاوي .

قال الشاعر ضياء الدين :

الطيب الساسى يُناغى الرئيس ونحن فى الجلسة رُحنا فطيش
لم يشعروا بوقوف الهوى من دون تكييف ودون الفلوس

• • •

ورد الشاعر الغزاوي :

رؤيتك لا بدع أن يذملا وقرع الأدلة حامى الوطيش
فأما الهواء وأما اللهى فمؤعد ذلك يوم الخميس

• • •

يوم الإحتفال

تكریم مؤسسی جريدة المدينة المنورة
الأديبين السيد علي والسيد عثمان حافظ عام ١٣٥٦هـ

ياصفوة الشعب بل ياصفوة الأمم	في بقعة هي مئوى الجود والكرم
ويا أميراً غداً إكليل نهضتها	يحكى نصارتها فى الأعصر القدم
واسيتها وعطفت اليوم فابتهجت	وهللت بيننا خفاقة العلم
عاش المليك فمن أنهى صنائعه	هذا الأمير مثال الفضل والنعم
عاش المليك الذي عزت به مضر	من بعد رقدتها فى «هوة» العدم
رأته قائدها فى كل مكرمة	فتابعته وجازت نهضة الأمم
وبعد : فهذا فتى يزجى عواطفه	قرايد انتظمت عقداً من الكلم
قال الصحاب تقدم خير آونة	وافتك فاضرب على نهج من النعم
وشنف السمع وأرسلها موججة	إن الشباب إلى هذا المقام ظمى
فقلت مرحى بأبناء غطارفة	وقلت مرحى بأسد الغاب والأجم

وكيف أعصى لكم أمراً وفي خلدي
ونحن إن لم نكن أبطالاً معركة
فكيف يجمعنا شمل وينظّمنا
وما التواني سيوي جُبن ومنقصة
وصاحب المجد دأب لمطلبه
هذي حياة نُحييها على أمل
وذا مجالٌ رجبٌ قام ينشدنا
فإن تضافر فتیان البلاد على
وباركوا نهضات العلم واقتبسوا
وحبّثوا ساعياً من أجل نصرتيه
وكرموا نابهاً من أجل ما صنعت
وفي غدٍ أثر يَبْدُو لِصاحبه
وفي غدٍ «صفحة» يزهو بِطلعتها
نُريدها أدباً نضراً بِعِزِّ به
ونرتجيبها رسولا للثقافة في
نُريدها منبراً يعلّوه كلُّ فتى
نُريدها صورةً للشعب صادقة
ولا نُريد غُثاء القول تقذِفه

عواصِفُ بين مُهتاجٍ ومضطرم
وأسدّ غابٍ إذا وقد الوطيس حَيى
عقد ونفخر بالقُرْبى وبالرحم
وما ذُووه سيوي ضرب من البهم
وأمة المجد لم تهدأ ولم تنم
في أن نودّع عهدَ النوم والسّام
تضامناً لنفي بالعهد والذّم
ما يرتجون بحد الصّارم الخليم
من نهضة الشعب في الديجور والظلم
وآزروا مُخلصاً للدين والحرم
يَمينه فهموا العُنوان لِلشّيم
يرنُّ منه الصّدى في الهُضْب والأكم
سُكّان «وادي النقا» والضّال والسّلم
أبناء (يَعْرَب) والفَيْحاء والحرم
بَنى العروبة من بغداد للهّرم
يَقْطُ المَدَارِكُ شَهْمٌ غَيْرُ مُنْهَزِم
تُقاسِمُ الشعب في نُعمى وفي آلم
على البلاد ولا لَحْماً على وَصَم

ونحن لا شك في أولى مراحلنا
 إن لم تؤسس على أسس المبادئ في
 وتستمد من الدين الحنيف سناً
 وتستقي من معين الفضل في (ملك)
 وتستفيد من الأخلاق « احسنها »
 وإننا في بلاد لا يؤائمهـا
 ونحن في بلد فيه الرسول ثوى
 لا تُشِير اليومَ فينا نهضة القلم
 هذي البلاد أتت بالويل والنقم
 يُضِيء نهج الهدى للخلق والأمم
 فاق الممالك في حلم وفي كرم
 وتستنير بخير الآي والنظم
 هتك الفضيلة والأخلاق والحرم
 أكرم به من رسول صفوة الأمم

يا فيصلاً

يا « فيصلاً » للحق يَجْلُو غَيْبَهَا
 هتفت بذكراك الشعوب وكلها
 أما الحجاز فقد كسوت ربوعه
 وأثرت للنشء الحديث طريقة
 وغدوت رائدهم فشعشع بينهم
 مثلت في البلد الأمين شمائلاً
 برهنت أن لذي الجزيرة مرتعاً
 هذا لسان « صحيفة » عربية
 « بالرأي » آونة « وبالقرضاب »
 أمل يغيبض بفائق الإعجاب
 بفضيلة تزهو مدى الأحقاب
 بموارد تحكي الزلال عذاب
 قبس الرجاء يضيء للأعقاب
 فواحة بالفضل والآداب
 خضبا يجود بصالح الأنجاب
 برزت بفضل العاهل الغلاب

فلسطين

عام ١٣٥٧ هجرية

فِلَسْطِينُ إِنِ الْخُطْبَ يَبْدُو مُجَسِّمًا ولكنه بالصبر والعزم يَصْغُرُ
فِلَسْطِينُ إِنِ الدِّينَ خَضِبَ وَإِنَّمَا بَنُوهُ يَسْقَى الْغُرْسِ أُولَى وَأَجْدَرُ
وَأَنْ مَادَاهَانَا الْيَوْمَ رُزْءٌ مُرْوَعٌ أَصَابَ الْأَمَانِي وَهِيَ بِيضَاءُ تَزْخَرُ
وَجَرَّدَ فِينَا السَّيْفَ صَلْتًا مُخَضَّبًا عِصَابَةٌ بَغْيٍ بِالْحَقِيقَةِ تَكْفُرُ
وَرَامُوا بِنَاكِدًا لِتَوْهِينِ أُمَّةٍ تَقْدَسُ فِيهَا اللَّهُ يُدْعَى وَيُذَكَّرُ
فَإِنَّا لِنَضُرُّ اللَّهَ رَاجُونَ خُشْعًا وَمَنْ رَامَ نَضُرَّ اللَّهَ لَا شَكَّ يُنْضَرُ
وَإِنْ دِمَاءٌ أَهْرَقَتْ فِي سَبِيلِهِ دِمَاءٌ بِهَا الْإِسْلَامُ يَزْهَوُ وَيَفْخَرُ
فِلَسْطِينُ إِنِ الدِّينَ جِسْمٌ إِذَا اشْتَكَى لَهُ عَطَوُ يَشْكُو الْجَمِيعُ وَيَضْجَرُ
وَذِي لُغَةٍ الْقَلْبَ الْحَزِينَ تَصَعَّدَتْ تُتْرَجَّمُ عَمَّا بِالْحَشَا وَتُعْبَرُ
فِلَسْطِينُ إِنِ الشَّرْقَ رِبْعَتِ حُلُودِهِ وَجَلْجَلَ صَوْتُ الْجِهَادِ يُزْمَجِرُ
لِيُسْمِعَ أَنَّ الدِّينَ حَيٌّ وَلَمْ تَزَلْ دِمَاءٌ بَنِيهِ إِثْرُهُ تَتَحَدَّرُ

وَأَنَّ تَمَائِيلَ السِّيَاسَةِ خُلِبَ لَعَمْرِي أَوْهَى مَا يُرَادُ وَأَحْقَرُ
وَلَيْسَ لَنَا مِنْ بَعْدِ حَيْفٍ وَذِلَّةٍ وَتَجَزُّؤَةٍ فِيهَا الْعُقُولُ تُحَيَّرُ
سِوَى مَوْقِفٍ صَعْبٍ جَسُورٍ مُشْرِفٍ فَإِنْ مُصَابَ الشَّرِّ بِالشَّرِّ يُبْتَرُ
وَمَا ذَلٌّ مِنْ يَرْجُو المَمَاتَ لِعِزَّةٍ تُظَلِّلُهُ فِيهَا عَجَاجٌ وَعِشِيرُ
وَهَذَا نَشِيدُ بَيْنِ « قَبْرِ وَرَوْضَةٍ » نَشِيدُ يُزَجِّيه خَطِيبٌ وَمِنْبَرُ
فَلَسْطِينَ لَسْتَ الْيَوْمَ مَرْمَى وَغَايَةَ تُهَدِّدُكَ الْأَحْدَاثُ وَالْوَيْلُ يُنْذِرُ
وَدُونَ حِمَى « عَبْدِ الْعَزِيزِ » قَسَاوِرُ إِذَا الْحَرْبُ عَنْ أَنْبِيَائِهَا الْيَوْمَ تَكْثُرُ
وَنَحْنُ لَعَمْرِي قِبْلَةُ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَى شَعِينَا الْأَقْطَارُ تَرْنُو وَتَنْظُرُ
لَقَدْ جَاهَدَ الْأَسْلَافُ قَدَمًا بِدِينِهِمْ وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ بِهِ الْحَقُّ يَظْهَرُ
فَلَا بُدَّ مِنْ سَخَقِ الْيَهُودِ وَوَعْدِهِمْ « لِبَلْفُورِ » وَالْأَيَّامُ تَسْطُو وَتَقْهَرُ

ذكريات

يا صديقي لك الثناء الجميل من صديق عن عهده لا يحول
 قد تقبلت باقة الزهر جبا في قصيد كأنه السلسيل
 ودعاء من قلبك الحر حر وعلى الله يا صديقي القبول
 جمع الله شملنا « بدمشق » والمنى ظلها علينا ظليل
 والمعاني في « دمر » ورباها حاليات يحلو لديها المقيـل
 حانيات لحسنها عاطفات والصبا كالصبا رقيق عليل
 والسنا يغمر الوجود حياة هام في حُسنها وذاب الأصيل
 وهوى يملأ الجوارح عطرا وحينئذ كأنه التقييل
 والعزیز العزیز نورٌ ونور وشذى عابقٌ وغيثٌ هطول
 إنها مُهجتى ونفسي وحبي مآلها في الوجود عندي مثيل
 جمع الله شملنا « بدمشق » والهناات حولنا لا تحول
 فنعب السُرور علاً ونهلاً لا فراق لا كربة لا فُصول

حاربتني من الزمان صرُوفُ أنت أدري بها وعبيءُ ثَقِيلُ
كَمْ قَرِيبٍ مِنِّي وَلَيْسَ حَبِيبًا وَحَبِيبٌ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

(٢)

وَاللِّدَاءُ إِذْ يَسْرِي عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ الْفَتَكِ وَيَلَاتُ أَمْسٌ وَأَخْطَرُ
وَمَا نَحْنُ بَيْنَ «الْأَمْرِ» إِلَّا مُرَوِّعٌ تَقَادَفُهُ غِيلٌ بِهِ الْأَسَدُ تَزَارُ
فَإِنْ رَامَهَا عَطْفًا رَمَتْهُ بِكَارِثٍ وَإِنْ رَامَ عَهْدًا فَهِيَ أَنْكَى وَأَغْدِرُ
وَلَيْسَ بِنَاجٍ دُونَ خَوْضِ غِمَارِهَا فَإِنَّ نَجَاةَ النَّفْسِ إِذْ هِيَ تَشَارُ
فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ وَالِدَاءُ مُحْدِقٌ لَقَدْ آتَى أَنْ يَبْدُو لَنَا الدِّينَ مَظْهَرُ
هُوَ «الْقُدْسُ» أَوَّلَى الْقِبْلَتَيْنِ وَثَالِثُ الْمَسَاجِدِ يَغْزُوهُ الْعَدُوُّ الْمُدْمَرُ
فَكَيْفَ نُقِرُّ الضَّيْمَ فِي حَقِّ وَكَيْفَ نَقِرُّ الْخَسْفَ وَالْحَقُّ أَظْهَرُ
وَإِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ يَسْطُو عَلَيْهِمْ غَشُومٌ مَرَامِيهِ تُذِيبُ وَتُضْهِرُ
وَإِنَّا عَلَى الْأَحْدَاثِ صَغْبٌ مِرَاسُنَا فَحَتَّامٌ هَذَا الذُّلُّ وَالْعِزُّ أَجْدَرُ
أَتَضْحَى دِيَارَ الدِّينِ مَثْوًى «أَذَلَّةٍ» مَعَالِمِ دِينِ اللَّهِ فِيهَا تُغَيَّرُ
وَمِنْ بَعْدِ أَنْ كَانَتْ مَنَارَ هَدَايَةِ تَدُقُّ نَوَاقِيسُ وَيَعْرِفُ مِزْهَرُ
وَفِينَا دِمَاءٌ تَسْتَجِيبُ لِرَبِّهَا وَتَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ وَالْمَوْتَ أَغْدِرُ
فَيَا مَلِكَ الْإِسْلَامِ يَا خَيْرَ عَاهِلٍ تُلَبِّيهِ أَصْوَاتُ وَتَحْمِيهِ أَظْهَرُ

لَأَنْتَ بِدِينِ اللَّهِ أَوَّلُ نَاهِيضٍ وَأَنْتَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ أَرْعَى وَأَغْيَرَ
وَأَنْتَ لَدَى الْهَيْجَاءِ مُوقِدُ نَارِهَا وَأَنْتَ عَلَى دَفْعِ الْمُلِمَّاتِ أَقْدَرُ
وَمِنْ حَوْلِ هَذَا «العرش» شعب وأُمَّةٌ تَعُجُّ بِتَهْلِيلٍ وَأُخْرَى تُكَبِّرُ
تُلبِّي نِدَاءَ اللَّهِ والموت غَايَةٌ إِذَا صَالَ فِي الْهَيْجَا حُسَامٌ وَأَسْمَرُ
فَلِخُذْهَا تُؤَدِّ الْحَقَّ لِلْحَقِّ نَفْسَهُ فَأَنْتَ بِهَذَا الْيَوْمِ أَذْرِي وَأَخْبِرُ

(٣)

غُرْبَةً . لَوْعَةٌ : وَحِيرَةٌ قَلْبٍ واضطرابٌ وَحُرْقَةٌ وَذَهْوَلُ
آهِ لَوْ أَبْصَرَ الصَّدِيقُ حَيَاتِي رَأَاهُ الصَّمْتُ وَالْأَسَى وَالنُّحُولُ
هِيَ مَهْمُومَةٌ بِهَمِّي عَلَى الْبُعْدِ وَقَلْبِي بِهَمِّهَا مَشْغُولُ
وَكَلَانَا يَرَاكَ بِالْعَيْنِ وَالْقَلْبِ وَبُشْرَاكَ فَالْنَوَى لَا يَطُولُ
نَلْتَقَى ، نَلْتَقَى وَيَغْمُرُنَا الصَّفْوُ وَيَذْنُو الرِّجَاءُ وَالْمَأْمُولُ
وَلَا وَطَانِنَا نَعِيشُ وَنَحْيَا فَهِيَ حُبٌّ بِحُبِّنَا مَوْضُولُ

* * *

«أمشاج» من جعبة المستعمرين

شَغَلُونَا بِالرُّضَا والغَضَبِ فَشَغَلْنَا : بِلَيْمٍ : وَغَيْبِي
 دَبَذِبْتُ أَخْلَاقَهُمْ : أَخْلَقْنَا فَشَقِينَا : بِالنَّهْيِ الْمُضْطَرِبِ
 وَنَسِينَا : أَنْ فِي إِرْضَائِهِمْ غَضَبُ اللَّهِ : وَسُوءُ الْأَدَبِ
 وَنَسِينَا : أَنْ فِي إِغْضَابِهِمْ فَرَحَةُ اللَّهِ : وَإِرْضَاءُ النَّبِيِّ

قالت الذكري

قالت الذكري : تَصَوَّرَ أَنَّنِي ذَاتُهَا « تِلْكَ » الَّتِي تَذْكُرُهَا
 أَنَّنِي السَّرُّ الَّذِي أَطْوِي بِهِ صُورَ الْحُبِّ : كَمَا أَنْشُرُهَا
 أَنَّنِي رُوحُ الْهَوَى مُنْسَابَةٌ فِي طُيُوفٍ حُلُوةٍ . . تَغْمِرُهَا
 وَذُكَاةُ الْحُبِّ قَدْ (١) يَلْمَحُهَا وَ « ذُكَاةُ » الْحُبِّ قَدْ تَغْبِرُهَا
 رَبُّ وَهُمْ بَارِقٌ يَكْسِرُهَا وَابْتِسَامٌ عَارِضٌ يَجْبُرُهَا

* * *

إِنْ تَمَثَّلْتَ الَّتِي ضَاكِكَةِ فِي لِحَاطٍ فَتَكُهَا : أَيْسَرُهَا
 أَوْ تَرَشَّقْتَ رُضَابًا مِنْ فَمٍ يَنْظُمُ الدُّنْيَا : كَمَا يَنْثُرُهَا

(١) الشمس .

أَوْ تَحَسَّسْتُ الشَّدَى فِي زَهْرَةٍ تَكْبِيرُ : الْبُرْعَمَ : أَوْ يُكَبِّرُهَا
لَا تَقُلْ ذِكْرِي : وَلَكِنْ رُوحَهَا ذَاتُهَا تِلْكَ الَّتِي تَذْكُرُهَا

* * *

قُلْتُ يَا نَفْسِي أَفَبَقِيَ أَنَّهَا خُدْعُ الْوَهْمِ : وَنَسْجُ الْغَنَعَنَاتِ
لَا تَغْضَبُ

قَالَ : لَا تَغْضَبُ فَكُمُ مِنْ جَفْوَةٍ هِيَ لِلْمَجْفُوءِ وَالْجَافِي دَوَاءُ
يَنْفُضُ الْوَهْمَ الَّذِي أَشْعَلَهُ « نَاقِلُ » يَضْرِبُ فِي طِينٍ وَمَاءِ
قُلْتُ لَا يَجْهَلُ حُبِّي لَيْتَنِي جَهْلُ الْحُبِّ . فَإِنَّ الْحُبَّ دَاءُ
عِزَّةُ الْمَحْبُوبِ مِنْظَارُ يَرِي فِي مَعَانِي الْحُبِّ عَجَزَ الضُّعْفَاءِ
فَإِذَا اسْطَغَتْ سَبِيلَ الْأَقْوِيَاءِ كُنْتُ وَالْمَحْبُوبَ فِي الْأَمْرِ سَوَاءُ

* * *

قُلْتُ حَسْبِي قُوَّةُ الضَّعْفِ عَلَى « حُبِّهِ » أَحْيَا حَيَاةَ الشُّعْرَاءِ

* * *

تحية مصنع الجبس في الرياض

تفضّل الدكتور محمد خاشقجي صيف العام الماضي عندما كنتُ بالرياض ودعاني إلى زيارة مصنع الجبس الذي بذل فيه من جهده وتفنته ما جعله خليقاً بأن يسهم في مشروع النهضة السعودية الكبرى في عاصمة المملكة وعروسها الفاتنة التي جاوزت سمّت الطليعة من العواصم العالمية بأروع بهاء وأحسن تصميم ولقد كان المصنع بحق فتحاً قوياً في حركة التصنيع وأمجاداً للدعم الاقتصادي الرائع ولقد برز بأضخم معداته وأحدث آلاته التي يزمرج دويها كما يزمرج المجد الزاحف فينتزع الإعجاب ويملأ الأسماع والشعاب وكأنما أراد الدكتور خاشقجي أن يترك الدوي الذي تمناه المتنبى حين قال :

وتركك في الدنيا دويّاً كأنما تداول سمع المرء أنمّله العشر

وما انتهينا من الزيارة والتطواف في كل فرع من فروع المصنع ورحابه في جولة ممتعة تبعث في النفس النشوة والحياة والاعتزاز بكل جهد وطني لحما ودما حتى قلت للدكتور أتمنى لو تسعف القريحة بوصف هذا المشهد الرائع وإذا به يقول هيا لأعيد معك أنت ذكرى

خالك المرحوم الشيخ عمر كردي شاعر المدينة الأول وقاضيها ومفتيها
يوم أن فاجأنا مفاجأة سارة وليدة الساعة واللحظة فارتجل لي رحمه
الله مقطوعة شعرية وأنشدني الدكتور أبياتها فإذا بها من غرر الشعر
وعيونته وتركت تلك الذكرى الحلوة بين خالي والدكتور أثرها
الطيب في نفسي وضاق الوقت آنذاك فسافرت إلى مصر وما أن عدت إلى
المسلكة هذا الأسبوع وسمعت بأثر هذا المصنع ونتاجه الذي غمر
الأسواق حتى بدأت بهذه الكلمة وثنيت بهذه المقطوعة تحية وذكري
لمجهود دكتورنا الخاشقجي الذي جمع الله له بين موهبة الطبيب
الناجح وحيوية الناهض الكادح .

بِالْعَجَسِ كُنْتَ تُدَاوِي الْكَسْرَ فَانْطَلَقْتَ
يَدَاكَ تَصْنَعُ مِنْهُ الْيَوْمَ عُمرَانَا
تُقِيمُ بَيْنَ الْمُرُوجِ الْخَضِرِ شَاهِقَةً
مِنَ الصُّرُوحِ تَعَالَى شَأْنُهَا شَانَا
تَعْدُو الرِّيَاضَ إِلَى جَارَاتِهَا قُدَمَا
وَتَرْفَعُ الْمَجْدَ بُنْيَانًا فَبُنْيَانَا
حَارِبًا بِمَجْدِ الْغَنَى إِرْجَافَ طَاغِيَةٍ
بِاسْمِ الْفَقِيرِ تَحْدِيْ اللَّهُ بُهْتَانَا

خَلَّ القُصور رُمُوزاً حَيَّةً وَأَشِيعَ

إِسْكَانَ مَنْ لَمْ يَجِدْ فِي النَّاسِ إِسْكَانَا

مِنْ عِزَّةِ الدِّينِ عِزُّ الْمَالِ تَبْسُطُهُ

بَسْطَ الْجَنَاحِينَ إِسْرَارَا وَإِعْلَانَا

فَالْحَرْبَ لِلْمَبْدِ الْهَدَامَ لَوْ نَفَذْتُ

حَقِيقَةَ الدِّينِ فِي أَعْمَاقِ دُنْيَانَا

حَتَّى نَسُدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ نَافِذَةٍ

مِنْ السُّمُومِ تَبُثُّ الدَّاءُ أَلْوَانَا

لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ تُزْجِيهِ وَتُرْسِلُهُ

أَسِنَّةٌ لُطِّخَتْ عَاراً وَكُفِّرَانَا

هِيَ الْمَصَانِعُ فَلْتَصْنَعْ بِهَا أَمْلاً

ضَخْمَا فَكَمْ صَانَتِ الْإِيمَانُ إِيمَانَا

إِنْ فَاتَنَا الْأَمْسَ لَا يَلْوِي عَلَى ثِقَةٍ

فَلْنَنْسَ إِهْمَالَنَا وَلْنَعْمَلِ الْآنَا

نَمْضَى عَلَى شُعْلَةِ الْأَهْدَافِ صَادِقَةٍ

فَالْخَيْرَ يُنْبِتُ أَنْصَاراً وَأَغْوَانَا

أصح الرجال

قالوا دَعَا النَّاسَ إِلَى أَدْبِهِ فَقُلْتُ هَذَا الْفَضْلُ مِنْ دَأْبِهِ
قالوا أَشَاعَ الْأَنْسَ مَجْلُوءَةً سَمَاوُهُ الْحُلُوءُ فِي شَهْبِهِ
وَرَعَرَ الْأَمَالُ فِي ظِلِّهِ فَاَنْتَعَشَتْ تَمْرَحُ فِي حَنْبِهِ
فَقُلْتُ لَوَزَارَ الْحَيَاحِيَّةُ غِبًّا لَعَافَ الْقَطَرُ فِي غِيهِ
قَدْ شَعَشَعَ الْفَرَحَةُ لَا تَنْتَهِي مِنْ عَيْنِهِ حِينًا وَمِنْ قَلْبِهِ
يَفْرُطُ فِي الْبَهْجَةِ مَوْصُولَةً وَيَفْرُطُ اللَّوْلُؤُ مِنْ سَيْبِهِ
وَالْمَزْنُ هَذَا الْمَزْنُ مَا شَأْنُهُ يَدْنُو فَيَبْدُو الْبُعْدُ فِي قُرْبِهِ
يَسْأَلُ لَا يَدْرِي أَمِنْ صَبِيهِ رَدَّأَذُهُ الْمُنْهَلُ أَمْ سُخْبِهِ
وَقُلْتُ أَسْخَى النَّاسَ أَعْلَاهُمُ قَدَرًا وَأَدْنَاهُمْ إِلَى رَبِّهِ
قالوا أَفَاضَ الْخَيْرُ فِي أَهْلِهِ وَأَعْدَقَ الرَّحْمَةُ فِي شَعْبِهِ
مَكْرَمٌ فِي ذَاتِهِ صَحْبُهُ وَأَنَّهُ الْمَكْرَمُ فِي صَحْبِهِ
فَقُلْتُ مَنْ رَشَّ دُرُوبَ الْوَرَى بِالْعِطْرِ غَابَ الشَّرُّ عَنْ دَرَبِهِ

رَعَتْهُ عَيْنُ اللَّهِ فِي عَقْبِهِ	مَنْ صَانَ سِرَّ اللَّهِ فِي سِرِّهِ
تَزَخَّرُ بِالْأَمْجَادِ فِي صُلْبِهِ	وَانْحَدَرَتْ أَمْجَادُهُ رَحْمَةً
مُسْلَسَلًا يَقْطُرُ مِنْ عَذْبِهِ	قَالُوا سَقَى النَّاسَ وَأَرْوَاهُمُو
مِنْ يَنْعِهِ الْغَضُّ وَمِنْ رَطْبِهِ	فَسَامِرٌ يَخْنِي الْجَنَى صَاحِبًا
وَكُلُّهُمْ يَرْضُبُ مِنْ رَضْبِهِ	وَالْكُلُّ قَدْ عَبَّ عَيْبَ الْمُنَى
يَأْلِقُ بِالتَّيْجَانِ فِي رَكْبِهِ	الْعِلْمُ فِي الْإِشْرَاقِ مِثْلَ الضُّحَى
تَحْكِي اهْتِزَازَ الْقَلْبِ فِي وَثْبِهِ	وَالشَّعْرُ إِذْ تَهْتَزُّ أَطْيَافُهُ
تَنْسَابُ فِي الرَّبْرِ مِنْ سِرْبِهِ	مِثْلُنْ مَا مِثْلُنْ إِلَّا أَلْمَهَا
يَنْشُدُنْ دَاءَ الْقَلْبِ فِي طِبِّهِ	رُؤَى وَأَحْلَامٌ عَلَى يَقْظَةٍ
يَا شَرْقَهُ السَّاطِعُ فِي غَرْبِهِ	فَيَا جُبُورَ الْكَوْنِ يَا رُوحَهُ
وَلَعْلَعِ وَالْجِزَعِ مِنْ صَوْبِهِ	حَيْثُ فَاقْبَلْهَا تَحَايَا النِّقَا
وَهَاشِمٌ يَخْطُرُ فِي شِعْبِهِ	« وَرَامَةٍ » وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا
وَتَحْمِلُ الْمِشْعَلِ فِي رَكْبِهِ	تَوَاكِبَ الْفَرْحَةِ فِي مَهْدِهَا
يَعْنُو لَهَا الْكَوْنُ عَلَى رَحْبِهِ	وَتَبْلُغُ الْآفَاقَ أَصْدَاءَهَا
مَا يَزْحَمُ الْمَكْرُوبَ فِي كَرْبِهِ	مَرْهُوبَةً يَزْحَمُ أَعْدَاءَهَا

والرأية البيضاء في أهلها تخفق خفق القلب في حبه
فاشدد عليها شد حامى الحمى قد نال فوق الأرب في إربه
الله صان العضب في غمسه للقدّر المخبوء في حبه
لا ثورة تجدي ولا ثائر فالبئت لا أرحم من ربه
كم نفحة في طيها لفحة أنكى على المخروب من حربه
ومن تحدى الله في مكره يذوب مطوياً على خبه

* * *

صحة المجد

أَيُّهَذَا الْمَرْجَى الْمُحِبِّ فِي النَّفْسِ مَثَلًا مُحِبًّا فِي الْقُلُوبِ
وَالسَّنَا صَاغَهُ السَّنَا فَتَجَلَّى عَبْقَرِيًّا فِي سِمَاطِهِ الْمَرْهُوبِ
وَالْهُتَافِ الْحَبِيبِ يَهْتَفُ بِالنَّفْسِ فَتَهَفُّوْا إِلَى اللَّقَاءِ الْحَبِيبِ
وَالْمُنَى وَالْهَنَاءِ وَالطَّلَاعِ الْمَشْرِقِ مَا إِنَّ لِنُورِهِ مِنْ مَغِيبِ
إِنْ نُكْرِمَكَ وَالْأَمَانِي سِرَاعٌ دَانِيَاتٍ مَا بَيْنَ صُبْحِ قَرِيبِ
أَوْ نُحْيِيْ فَيْكَ الْبُطُولَةَ رَمَزَا صَقَلَتْهُ مَوَاهِبُ الْمَوْهُوبِ
أَوْ نُبَاهِيْ وَفِي الرِّغَابِ رَغَابِ مَسَّهَا الْوَقْدُ فَازْدَهَتْ بِاللَّهِيبِ
إِنَّمَا نُكَبِّرُ الشُّعُورَ وَنُعْلِيهِ فَصَوْتُ الشُّعُورِ صَوْتُ الشُّعُوبِ
وَاحْتِفَاءِ الْقُلُوبِ بِالْمَأْمَلِ الْحُلُوِّ احْتِفَاءِ بِعِزَّةِ الْمَرْغُوبِ
وَبِعِزْمِ الدَّهْوَوبِ يُثَارُ لِلْمَجْدِ وَمَا إِنَّ يَخِيبَ عِزْمُ الدَّهْوَوبِ
وَالْحَيَاةِ الْحَيَاةُ مَجَلَى غِلَابِ وَعِرَاكِ . وَالْوَيْلُ لِلْمَغْلُوبِ
إِنَّهُ السَّعْدُ فِي الْحَيَاةِ شُكُوبِ بَيْنَ مَجَلَى شُرُوقِهَا وَالْغُرُوبِ

وَطُيُوفٌ تَحْجَبَتْ مِنْ بَعِيدٍ قَدْ يُعِدُّنَ الذِّكْرِي لِعَهْدٍ خَصِيبٍ
وَأَجَلٌ الْإِسْعَادُ مَا سَايَرَ الْمُبْدَأُ حُرًّا لِلْمَأْمَلِ الْمَرْقُوبِ
وَانْتَحَى مَذْهَبَ الْمَجَادَةِ طَلْقًا فِي مَجَالِ سَامٍ وَأُفْقِي رَجِيبٍ
لِلْبِلَادِ الْبِلَادِ لِلوَطَنِ الْغَالِي طَلَابٌ لِحِفْظِهَا لِلْوُثُوبِ
تَحْتَ ظِلٍّ مِنَ الْحَصَافَةِ وَالنُّبْلِ ظَلِيلٌ مِنْ فَيْضِهَا الْمَسْكُوبِ
إِنَّمَا تُلْنِسُ الْعَظِيمَ سَجَايَاهُ رِدَاءٌ فَوْقَ الرِّدَاءِ الْقَشِيبِ
وَيُظَلُّ السَّلِيبُ مِنْ خُلُقِ الْمَجْدِ سَلِيبًا يَأْوِيحُهُ مِنْ سَلِيبِ
فَالْعَظِيمُ الْعَظِيمُ مِنْ أَثَلِ الْمَجْدِ يَعْزَمُ مُضْمَرٌ مَشْبُوبِ
تَتَسَامَى فِي رُوحِهِ صَرْخَةُ الْمَجْدِ وَلِلْمَجْدِ صَرْخَةٌ فِي الْقُلُوبِ
ثُمَّ يَبْدُو بِنُورِهِ السَّاطِعِ الْمُشْرِقِ فِي صَوْلَةِ الْحُسَامِ الرَّهِيبِ
وَالدُّنَا وَالْحِظُوظُ تَسْتَبِقُ الْخَطُوءُ إِلَيْهِ فِي سِلْمِهَا وَالْحُرُوبِ
يَا صَدِيقِي وَلِلصَّدَاقَةِ مَعْنَى يَتَجَلَّى فِي سِرِّهَا الْمَخْجُوبِ
لَمْ أَرِدْ مَوْقِفًا يُتَرَجِّمُ عَنْهُ رَبٌّ سِرٌّ يُجَلِّي وَرَاءَ الْغُيُوبِ
إِنْ حَفَلَا يُقِيمُهُ أَمَلُ الصَّحْبِ بِهِجَاً فِي شَكْلِهِ الْمَخْبُوبِ

سَبَقَتْهُمْ إِلَيْهِ مَفْخَرَةُ الْحُبِّ يَلْحَنُ مِنَ الْوَلَاءِ طُرُوبُ
لِعَرُوسٍ مِنَ الْأَمَانِيِّ زُفَّتْ فَتَهَادَتْ نَجِيبَةً لِلنَّجِيبِ
نَازَعْتَنِي لِلْمَوْقِفِ الْيَوْمَ نَفْسُ تُكْبِرُ الْفَضْلَ فِي الْأَدِيبِ الْأَرِيبِ
قَدْ هَجَرَتِ الْقَرِيبُ مَذْ نَازَعْتَنِيهِ صُرُوفٌ مِنَ الْقَضَاءِ الْعَجِيبِ
وَاسْتَحَالَ الشَّبَابُ يَبْسَا فَأَنْتَى لِي أَرْجِيهِ بَيْنَ يَبْسٍ جَدِيبِ
فَتَقْبَلُ مَا يَشْفَعُ الْحُبُّ فِيهِ إِنَّهُ الْحُبُّ سَاتِرٌ لِلْعُيُوبِ

* * *

تحية

لشاعر آل البيت الأستاذ محمود جبر بمناسبة صدور ديوانه

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الَّذِي سَكَبَ الرُّوحَ	حَيْنَا وَلَوْعَةً لَا تَكِفُّ
فَتَلَقَّتْهُ بِالنِّسَائِمِ اسْحَارُ	وَوُرُقُ سَوَاكِبُ اللَّحْنِ هُتَفُ
شَاقَهَا الْبَارِقُ الْمُشْعَشِعُ بِالْمُ	زَنْ عَلَيْهِ سَحَائِبُ الْيُمْنِ وَطُفُ
فَتَغَنَّى بِهِ الْعَقِيقُ « وَسَلْعُ »	وَالْمَعَانِي الْحِسَانُ صُورُ تُزَفُّ
وَالْمُنَى الْحَالِمُ الْمَصْفُوقُ سِرُّ	وَالْحَبِيبُ الْحَبِيبُ مَعْنَى وَوَضْفُ
وَالْهَوَى الْكَأْسُ وَالْقُلُوبُ نَدَامَاهُ	وَقِرْعُ الشِّفَاهِ نَهْلُ وَرَشْفُ
وَقُبَاءُ وَمَنْ لَنَا بِقُبَاءِ	أَلْهَبَتَهُ حَنَاجِرُ وَأَكْفُ
وَبَنَاتِ النَّجَّارِ إِذْ طَلَعَ الْبَدْرُ	هُتَافُ يَحْلُو وَنَائِي وَدَفُ
صُورٌ قَدْ بَسَمَنَ فِي شِعْرِكَ الْحُلُوفِ	عَلَيْهَا مِنْ الْبَشَاشَةِ لُطْفُ
نَضَّرَتْهَا أَمْجَادُنَا فَتَهَادَتِ	وَالْمَعَانِي مِنْ قَبْلُ كَادَتِ تَخِفُ
أَيُّ حُبٍ لَا يَنْتَشِي بِحِمِيَاهِ	وَقَلْبٍ بِذِكْرِهِ لَا يَرْفُ
أَنْتَ غُضْنُ مِنْ دَوْحَةِ الْحُبِّ « يَا جَبْر »	وَفِرْعُ الْحَبِيبِ لَيْسَ يَجِفُ

* * *

عظم

تَلُوبُ فِي ذَاتِهِ الْأَصْدَاءُ سَارِيَةً
 وَتَسْتَبِيدُ بِهِ الْأَمَالُ قَاهِرَةً
 يَعِيشُهَا هَدَفًا يَحْيِي لَهُ فَإِذَا
 الرُّوحُ مِنْ رَوْحِهَا تَجَلَوُ عَرَائِيسُهَا
 فَلَاغِرَاسَ الْمَنَى تَذَوِي مَغَارِسُهَا
 حَشْدُ تَوَاكِبِهِ الدُّنْيَا بِمَا وَسِعَتْ
 عَظَائِمُ تَتَلَقَى فِي عَزَائِمِهِ
 شَمَائِلُ رَاضِهَا لِلْمَجْدِ فَاتْتَلَفَتْ
 وَنَبْضَةُ يَتَحَرَّى فِي مَسَارِبِهَا
 يَطْشُوِي الْمَعَانِي آمَالًا مُجَنِّحَةً
 وَيَضْطَفِيهَا فَيَغْلِيهَا الْمُهُورُ وَلَا
 وَلَنْ يُكْفِكَفَ دَمْعًا عَزَّ رَاحِمُهُ
 آلَى أَلَيْتَهُ الْكُبْرَى فَلَا سِنَةَ
 لَمْ تَبْقَ فِي ذَاتِهِ ذَاتٌ تُنَازِعُهَا
 مَسْرِي الْحَيَاةِ عَلَى الْأَنْفَاسِ تَنْطَلِقُ
 إِنْ خَانَهُ جَلْدٌ نَمَّ يُعْجِيهِ رَمَقُ
 تَسَامَقَتْ صَانَهَا الْإِشْعَاعُ وَالْأَلَقُ
 وَالرَّيُّ مِنْ رِيَّهَا نَشْوَانُ يَضْطَفِقُ
 وَلَا مَرَامِيهِ يَدْرِي سِرَّهَا أَفْشَقُ
 يَشْكُولُهَا الْأَيْنَ وَخُدُّ الْعَزْمِ وَالْعُنُقُ
 وَزَحْمَةُ لِلْعِرَاكِ الْحَيِّ تَسْتَبِقُ
 كَأَنَّهَا الْفَجْرُ فِي دُنْيَاهُ يَنْبَثِقُ
 حِسٌّ خَفِيٌّ تُدَارِي سِرَّهُ الْحَدَقُ
 يَخْنُو عَلَيْهَا كَمَا تَخْنُو وَتَرْتَفِقُ
 يُهْدِمُ الشَّوْقَ إِلَّا الْجُهْدَ وَالْأَرْقُ
 حَتَّى يَسِيلَ الدَّمُ الْمَخْضُوبُ لَا الْعَرَقُ
 تُدَاعِبُ الْجَفْنَ أَوْ يَسْتَاذِنُ الْقَلَقُ
 فَذَاتُهُ الْحَقُّ وَالْإِيمَانُ وَالْخُلُقُ

ثلاثية من قصيدة مفقودة

دُنْيَا خَبِرْتُكَ فِي نَفْسِي وَإِنْ خُدِعْتُ بِكَ النُّفُوسَ وَحَيَّتِكَ الْأَغَارِيدُ
مَا أَنْتَ مُنَى وَلَا مِنْكَ انْتَشَى أَمَلِي لَكِنْ نَفْسِي هِيَ الدُّنْيَا هِيَ الْعِيدُ
كَأَنَّمَا كُرْبُ الْأَيَّامِ مُطْلَقَةٌ وَصَفْوَهَا مُوْتَقُ الْأَطْرَافِ مَشْدُودُ

* * *

حقیقۃ فی خیال

دَوْحَةٌ تَهْزَأُ بِالْقَصْفِ الْمُرِيعِ وَتُنَاجِي الْكَوْنَ بِالصَّمْتِ الْوَدِيعِ
ظِلُّهَا ظِلٌّ لَآسٍ وَفَجِيعِ وَذُرَاهَا لِغِنَاءٍ وَحَنِينِ
مَشْرِقٌ يَجْحَدُ نُورَ الْفَلَقِ وَيَغِيْمُ الْكَوْنُ إِنْ لَمْ يُشْرِقِ
فِي سُكُونِ الْيَمِّ تَحْتَ الشَّفَقِ هَلْ تَرَى قَدْ ضَلَّ مَسْرِي الْمَطْلَعِ
أَمْ رَجَاءٌ عَافَ دُنْيَا الْأَرْبُعِ فَتَوَارَى عَنْ قُلُوبٍ وَعُيُونِ

• • •

ذكريات ماجدة

مهدة إلى السابق بالفضل وحسن الافتكار الأستاذ الأديب
الشيخ محمد سعيد دفتر دار وهذه سجة بدون اختيار :

راجعتُ أيامي وصحو شباي	وهوى وقفتُ به على الأعتاب
ومنازلاً رويت بين بقاعها	أملًا تضرم باللظى المنساب
وصبًا تمد له الصباية ظلها	فيموج في آذيتها الصخاب
وكواكب بين المواقب في الدجى	وكواعباً محروسة بكعاب
وصدى يُغمغم بالحنين فامل	وصلا ومفجوع على أحباب
وسنا يُغازل برعماً من زهرة	مخضلة تزهو بغير خضاب
وشدى لأطياب النبوة والهدى	في روضة مجلوة الأطياب
لولا مباهج في الشباب وعهده	ما عذت أذكر في المشيب شباي

ولما هتفت بكل أبيض وامضِ كالفجرِ بلاءً مهجتي واهابي
أبقى عليّ الذكريات كأنها فلقٌ تَلَفَّعَ في زحامِ خباب
ولقد تَلَفَّتْ خافقي وتَلَفَّتْ مهجٌ يخادعها بريقُ سراب
أيَّامٌ يقترب السحاب من الذرى والطير أسراب إلى أسراب
والشمس تسكُب في النخيل شعاعها كالراح بين صواحبٍ وصحاب

(٢)

وجنّ الرعابيب الحسان كأنه كأسٌ مُصَفَّقةٌ يحلو رِضاب
والشامخ التّياه في أمجاده «أحدٌ» يُمثِّلُ شَمَخَةَ الأَحْقَاب
ومدارج الصّبوات حين تَأَلَّقَتْ في «سَلْع» بين أباطِح وهِضاب
والشعرُ يَسْبِحُ في العقيق وَيَنْثَنِي نشوان من مَرَحٍ ومن تَطْراب
والظالمون الوالّهون تَقَاطَرُوا يَتَلَمَّسُونَ الله في المِخْرَاب
ومنَ الرسولِ على الرّحابِ ظلاله سرَحَتْ بكل عَجِيبةٍ وعُجَاب
نَسَجَتْ سحائبها الوطافُ مساربها من رَحْمَةٍ مَمْدُودَةٍ الأَطْنَاب
ومشَى بها الكونُ المُنْعَمُ رَجْعَه يَخْتَالُ بين سَبَاسِبِ وروابي
والفرحةُ الكُبرى مَشاغِرُ صاغها سرٌّ يُهددُ حَيْرَةَ الأَلْبَابِ

مَجْدُ الْخَلِيقَةِ مِنْ رَحَابِ مُحَمَّدٍ	مَجْدُ السَّلَامِ وَرَحْمَةِ الْوَهَّابِ
يَا مَنْ يُنَاشِدُنَا وَقَدْ جَارَ النَّوَى	جُهْدَ الْبَعِيدِ وَحُرْقَةَ الْأَغْرَابِ
وَمَنْ الدُّعُوبِ عَلَى هُمَامَةِ طَامِحٍ	سِرِّ الْحَيَاةِ وَمَعْقِلِ الْآرَابِ
إِنَّا تَذَوَّقْنَا الْهَوَى وَهَوَانَهُ	فِي شَهْدِ غَانِيَةٍ وَنَهْدِ كِعَابِ
وَتَرَاقَصَتْ بَيْنَ الْعُيُونِ مَفَاتِنُ	مِنْ نَاعِسٍ سَاجٍ وَمِنْ وَثَابِ
وَمِنْ الشَّامِ إِلَى الْجَنُوبِ نَوَافِدُ	لِلْفَتَكِ أَتْرَابًا إِلَى أَتْرَابِ
كَالْتَصُّلِ إِنْ تَحْبِسَهُ يَفِرُّ قَرَابَهُ	وَيَجُلُّ مَجَالِ السُّحْرِ فِي الْأَهْدَابِ
مَا حَقَّقْتَ سُلُوبِي وَلَا رَوْتُ صَدْيِ	لَكُنَّهَا خُدَعٌ وَفَرَطٌ كِذَابِ
يَا صَاحِبَ وُقَيْتِ النَّوَى وَشُجُونِهِ	إِلَّا نَوَى فِي عِزَّةٍ وَغِلَابِ
إِلَّا انْتِجَاعَ مَرَاعٍ مَأْهُولَةٍ	بِالْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ وَالْآدَابِ
إِلَّا لِكَشْفِ حَقِيقَةِ مَخْبُوءَةٍ	قَدْ اجْفَلَتْ فَتَنْقَبَّتْ بِنَقَابِ
إِلَّا عِرَاكًا لِلْحَيَاةِ كَرِيمَةٍ	عَزَّتْ بِغَيْرِ أَسْنَةٍ وَجِرَابِ
فَالْمَوْطِنُ الْأَسْمَى هَوَى وَمَقَاصِدُ	مَوْضُوءَةُ الْأَسْبَابِ بِالْأَسْبَابِ

* * *

ومضات

إلى من لا أسميه تجلّة وحبّا :

يا مَنْ أَرَادَ الظَّنَّ فَاسْتَنْكَرَتْ عليه حتى الظنُّ أخلاقه
وَصَارَعَ الْإِنْسَانَ فِي ذَاتِهِ إنسانُهُ الصَّافِي وَأَعْمَاقُهُ
وَرَفَّقَ الْجَوْهَرَ فِي حِسِّهِ جُفُونُهُ الْحَيْرَى وَآمَاقُهُ
إِنْ حَارَبَ الْحُبَّ بِأَوْهَامِهِ فَالْحُبُّ لَا يَخْضَعُ عِمْلَاقُهُ
أَوْ خَانَهُ التَّبَضُّسُ وَدَقَّاتُهُ أَوْ حَنَّ لِلْسَّلْسِلِ دَفَاقُهُ
فَلَنْ يَرَى فِي ذَاتِهِ غَيْرَهَا ذَاتًا هِيَ الْقَلْبُ وَإِشْرَاقُهُ
يَا مَنْ رَأَيْتَ الْوَهْمَ فِي عَيْنِهِ وَالْوَهْمُ قَدْ يَبْرُقُ بَرَاقُهُ
أَمَّا الْهَوَى الْحَيُّ وَإِحْسَاسُهُ فَلَنْ تَضُمَّ الدَّهْرُ أَخْدَاقُهُ
كَمْ مَشْهَدٍ مُسْتَفْرِقٍ هَوْلُهُ يَجْلُو غُيُومَ الْهَوْلِ إِطْرَاقُهُ
وَالسُّحْبُ مُذْ جَمَجَمَ مَرْحُومَهَا زَحَزَحَهَا الْمُرْنُ وَرَقْرَاقُهُ

والدَّمْعُ فِي الْحَيْرَةِ لَا يَأْتَلِي يُخَضِّضُ الْقُوَّةَ مُهْرَاقُهُ
والعَجْزُ عَنْ صَدِّ النَّهْيِ عِزَّةٌ فَالْحُبُّ لَا يُحْمَدُ سَبَّاقُهُ
وَمَنْ يَجُلُ فِيهِ إِلَى غَايَةٍ فَإِنَّمَا الْغَايَةُ إِخْفَاقُهُ
الْحُبُّ كَالطَّيْرِ بِأَمَالِهِ أَجْوَاؤُهُ الدُّنْيَا وَآفَاقُهُ

اللَّهُ فِي الْحُبِّ . . . وَفِي سِرِّهِ فَاللَّهُ رَاعِيهِ وَخَلَّاقُهُ
الرَّحْمَةُ الْكُبْرَى وَإِظْلَالُهَا وَالدِّينُ وَالْعَهْدُ وَمِيثَاقُهُ
وَمَنْ يَفِيقُ مِنْ نَشَوَاتِ الْهَوَى تَطُلُ بِلَاوِيهِ وَإِشْفَاقُهُ
وَلَنْ يَذُوقَ الصَّفْوَةَ إِلَّا فَتًى جَفَّتْ عَلَى الْبِأْسَاءِ اغْرَاقُهُ
عَلَى الْمَعَانِي الْبَيْضِ فِي حِسِّهَا أَمْرَاسُهُ شُدَّتْ وَأَوْثَاقُهُ
كَرَائِمُ الدُّنْيَا وَخَمَرُ الْمُنَى نَفَائِسُ الصَّفْوَةِ وَأَعْلَاقُهُ
أَوْطَانُهُ الْأَغْصَانُ مَخْضَلَةٌ أَوْدِيَةٌ يَقْوَى بِهَا سَاقُهُ
وَالرَّوْضُ كُلُّ الرُّوْضِ فِي مَأْمَنِ تَسُدُّ فِيهِ الْعُمَرُ أَرْمَاقُهُ
لَا مَأْوَها رَنْقٌ وَلَا سَيْرُهَا خَوْفٌ يُفِيضُ الْعَيْشَ ارْهَاقُهُ

قد سالتُ حتّى وحُوشَ الفَلا
والوحُشُ فى الإنسانِ يا هَولَه
لذاعَةُ يَكُوي وَحرَّاقُه
وَإِنَّ ظُلَمَ الحَيِّ فى حَيِّه
شَرُّ يَهْدُ الحِيلَ إطباقُه

* * *

يا عبيد

ما أخطأَ المُتنبِّيَ فيكَ يا عبيدُ فكم تحرَّكَ مَحْظُوطٌ ومُنْكَودُ
وكم توغَّلَ في دُنْيَاكَ مُنْطَلِقُ مِهَادُهُ بِظُهُورِ النَّاسِ مَمْدُودُ
شَرَابُهُ مِنْ نَجِيعٍ مُشْخَرٍ قَلِقُ وَزَادُهُ مُدْنِفٌ عَانٍ وَمَفْؤُودُ
وَرَاحَةُ الْأَكْبَدِ الْخَرَى الَّتِي اعْتَصَرُوا حَيَاتَهَا . دُونَهَا كَرَمٌ وَعُنُقُودُ
إِذَا تَلَامَحَ فِي آفَاقِهِ شَبَحُ ضَاوٍ أَطَاحَ بِهِ كَالْهَوْلِ جُلُودُ
وَإِنْ تَلَمَّسَ رِيًّا فِي سَرَابٍ مُنَى عَدَتْ عَلَيْهِ طُيُوفٌ عُهُرٌ سُودُ
كَأَنَّمَا كُرِبَ الْأَيَّامِ مُطْلَقَةٌ وَصَفُوهَا مُوْتَقُ الْأَطْرَافِ مَشْدُودُ
وَأَنْتَ يَا عَبِيدَ أَنْتَ الْعَبِيدُ مَا اخْتَلَفْتَ إِلَّا عَلَيْكَ الْأَمَانِيُّ الْخُرْدُ الْغِيدُ
تَنَاحَرْتَ وَاشْرَأَبْتَ دُونَ غَايَتِهَا وَخَانَهَا فِي مَرَاقِي الْعِزِّ تَضَعِيدُ
وَصَدَّهَا الْمَوْجُ زَخَّارَ الْعُبَابِ لَهُ عَلَى الْمَسَالِكِ إِرْعَاءٌ وَتَزْيِيدُ
وَمَا تَغْضَنَ يُمْنٌ فِيكَ مُؤْتَلِقُ وَلَا تَصَوِّحَ غُضْنٌ مِنْكَ أَمْلُودُ

ولا ترنن صفو أنت رافده ولا تجهّم فوق الأيّنك غريد
 ولا صحا الفجر إلا في غلائله ندّى تفرقه منك الأناسيد
 ولا استوى في الرّحاب الفيح رجع صدّى تحيا به البید أوتشفى به البید
 ولا استوي في العراق الحردولبد ضارٍ ومنتفخ الأوداج رعيد
 ولا استوي في مجال الفكر منجرد وغارق في الهوى والهون عريد
 يا عيد قل لبنى الدنيا وعترتها أنتم معاني أنتم أهلي الصيد
 لا تحملوا فوق ظهري كل شائنة فانتّموا بالمعاني الحلوة العيد
 بالملتقى السّمح بالأطياب عابقة بالكرّمات تنهى عندها الجود
 بالملتقى من أفوايق النهى سطعت عليه أشدّاء مجد نفحها العود
 بالحب تصدح في آفاهه مهبج غنى لها في ربيع الحب داود
 في هدأة الليل في أطياف سامره في اللّحن يطرب فيه النأي والعود
 في بسمة الفجر في أعطاف سندسه موائس تتمنى حُسْنها الخود
 في أصرات الهوى الغالى موشجة عزّت فلا حاسد فيها ومَحسود
 بالزّحف باركه وحى مجنحة فيه المني رائد والعزم تجديد
 على السري ومضات من معاليلهم فالمجد مُنطلق والعزم تأكيد

سَمُوا عَلَى كُلِّ وَهْمٍ فِي عَقَائِدِهِمْ فَالْحَقُّ أَبْلَجُ وَالْأَخْلَاقُ تَأْيِيدُ
وَالْعَبَقَرِيَّاتُ شُغْلُ شَاغِلٍ أَبَدًا يَنْصُهَا أَمَلٌ يَزْهَوُ بِهِ الْجَبِيدُ
فَلَا فَرَاغَ يَقُودُ النَّاسُ فِي سَفَهٍ إِلَى الدُّنْيَا إِذَا هُمْ ضِلَّةٌ يَبِيدُوا

• • •

مَا ذَنْبٌ سَارِيَةٌ يَا عِيدُ مَثْقَلَةٌ بِالْخَيْرِ سَخَرَهَا لِلشَّرِّ مَوْعُودُ
مَا ذَنْبٌ ثَكَلِي عَدَّتْهَا رَحْمَةٌ دَلَفَتْ إِلَى بَغْيٍ لَهَا رَجْعٌ وَتَرْدِيدُ
وَأَيِّمُ سَاقَهَا الْمَقْدُورُ فَاقْتَرَبَتْ مِنَ النَّهْيَةِ لَا بُشْرَى وَلَا عِيدُ
وطفلة طفلة كالزَّهْرِ يَانِعَةٌ إِذَا بِهَا وَالْحَنَانُ الْحُلُوُّ مَفْقُودُ
يَا عِيدُ كَمْ حِكْمَةٍ لِلدَّهْرِ قَائِلَةٌ فِي الْعُطْفِ أَسْرُوفِي الْإِحْسَانَ تَقْيِيدُ
يَا عِيدُ كَمْ كُرْبٍ جَارَتْ وَمَارَحِمَتْ آثَارَهَا مَشْهَدٌ فِي الْبُؤْسِ مَشْهُودُ
عَاشَتْ عَلَى كُلِّ شَلْوٍ فِي الدُّنْيَا فَبَكَى آمَالَهُ وَالْدُّنَا شَاكٌ وَمَوْلُودُ
وَفِي الْمَخَاضِ مَآسٍ لَمْ تَزَلْ نُطْفًا لَهَا الرَّدَى قَدْرٌ كَالْمَوْتِ مَخْدُودُ
مَا عَافَتْ الشَّرْقُ عَاشَتْ فِي مَرَابِعِهِ وَمَهْدُهَا بِالْدمِ الْمَهْرَاقِ مَمْنُودُ
يَا عِيدُ نَاشِدِ بَطُولَاتٍ لَنَا سَلَفَتْ فَقَدْ وَهَى نَاشِدٌ مِنَّا وَمَنْشُودُ

وغيّمت في سماء الحق غائمة فجاجد غادر فينا ومجحود
وفي الضمائر من وخز الهوى أسن وفي المشارب تعكير وتضريد
كأننا في جحيم من مصائرنا حتى الظلال لها ومض وتصهيد
حتى القلوب استحالت قسوة أبدًا والنصل رغم اقتحام الهول مغمود
حتام تزهل فينا كل صاهلة كالشاة يركض في أعقابها السيد
قدغالنا الوهم في نفس وفي وطن وللعواصف إنذار وتهديد

* * *

تحية وذكرى

أَجَلُّكَ لَا يَحْمِي التَّجِلَّةَ غَيْرُهَا وَلَا يَتَمَلَّى الْعَقْلُ غَيْرُ هَوَى الْعَقْلِ
وَأَحْبُوكَ لَا أَحْبُوكَ إِلَّا مَلَاوَةً تَعَهَّدَهَا حِسِّي وَأَنْضَرَهَا سُؤْلِي
فَمَا ضَوَّعْتَ إِلَّا رَجَاها وَمَا نَمَتَ عَلَى غَيْرِ رَوْضٍ وَارِفِ الظِّلِّ مُخْضَلِ
فَأَثَمَرَهَا غَرَسُ النَّهْيِ بَيْنَ مَرْبَعٍ زَكِيٌّ يَتَبَّهِ الْأَصْلُ فِيهِ عَلَى الْأَصْلِ
وَيَا كَرَهَا حَبَّ الْغَمَامِ وَجَادَهَا مِنْ الْغَيْثِ مُنْهَلٍ بِأَبْيَضٍ مُنْهَلٍ
فَمَا أَطْلَعْتَ إِلَّا فُؤَادًا بِحُبِّهِ بِمَعْنَاهُ لَا جَذْبٍ وَلَا بَاخِلٍ ضَحْلِ
حِبَاءٌ أَمْرِيءُ مَا كَانَ لَوْلَاكَ حَبْوُهُ خُطَى تَتَحَامَاهَا خُطَى اللَّيْلِ فِي اللَّيْلِ
حِبَاءٌ أَمْرِيءُ أَكْرَمَتَهُ وَهُوَ هَيْنٌ عَلَيْكَ فَرَنْتَ الْحَبَّ بِالتَّبَلِّ وَالْفَضْلِ
وَأَشْرَقْتَ فِي قَلْبٍ فَمَا كُنْتَ غَيْرُهُ وَمَا كَانَ إِلَّا أَنْتَ كَالْمِثْلِ لِلْمِثْلِ
عَلَى أَنَّكَ الْأَسْنَى حِبَاءٌ وَمِنَّةٌ وَمَا أَنَا إِلَّا الْغِنْدُ يَفْخَرُ بِالنَّضْلِ

أَجَلْ إِنَّهُ قَلْبِي رَعَتْكَ عُيُونُهُ
وَعَاطَفَتْهُ لَا عَطْفَةَ الْهُونِ وَالْأَسَى
وَقَدْ صَوَّرَ الْوَهْمُ الْمُحِسُّ مَعَانِيًا
وَأَنْكَرَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَعَانِي طَلِيقَةً
وَمَا هِيَ إِلَّا لَمَحَّةُ الْقَلْبِ مِثْلُهُ
وَأَنْصَرَزَتْ مَا قَدْ صَوَّحَ الْوَهْمُ عَادِيًا
فِيَا قَلْبَ هَلْ غَيْرَ الْوِدَادِ تَصُونُهُ
فِيَا سَيِّدِي وَالْقَلْبَ لِلْقَلْبِ مَنْطِقُ
أَجَبْنِي فَمَا أَخْلَى مَعَانِيكَ حُرَّة
فَرَاغَيْتَهُ وَالزَّهْرَ يَبْسُمُ لِلطَّلِّ
وَلَكِنَّهَا الرُّحْمَى وَقَبِيتَ هَوَى الدُّلِّ
خَطَرُنْ بِبَالَى خَطَرَةَ الْوَهْمِ مِنْ قَبْلِ
أَمَامِكَ لَا كَانَتْ خَيَالَاتِ ذِي النَّبْلِ
فَأَشْرَفَتْ بِالنَّبِيلِ الْمُدِلِ عَلَى النَّبْلِ
وَأَرْوَيْتَ رَيَّ الْغَيْثِ لِلْمُقْفِرِ الْمَخْلِ
جَزَاءً وَقَدْ ضَاقَتْ بِمَطْلَبِهِ سُبُلِي
حَفِيلٌ إِذَا أَعَيْتُ مَنَاطِقَةَ الرُّسْلِ
تَرْوُحَ عَلَى رِسْلِي وَتَغْدُو عَلَى مَهْلِ

...

ياليلة حوت النبوغ

ألقيت هذه القصيدة في - تكريم فضيلتي الأستاذين :
السيد محمد شطا والسيد أحمد العربي (بنادي جماعة المحاضرات)
عام ١٣٥٦هـ

أَمَلَا نُحْيِ أَمَ طَلَانَعِ نَهْضَةٍ أَكْرَمَ بِهِمْ فِي مَحْنِدِ وَنَجَارِ
إِنْ جَلَّ مَرْكَزُهُمْ وَقَصَّرَ دُونَهُ رُوحَ الْبَيَانِ وَمُعْجَزِ الْآثَارِ
فَالْقَلْبُ مِلْكُ يَمِينِهِمْ لَوْ سَاءَلُوا كَشَفَ السُّتَارَ لَبَاحَ بِالْأَسْرَارِ
وَالشُّكْرُ أَبْلَغُ مَا يَكُونُ إِذَا وَنَى عَنْهُ الْمَقَالُ وَفَائِقُ الْأَشْعَارِ
مَرْحَى دَعَائِمِ مَجْدِنَا فِي أُمَّةٍ تَمَثَّلُ مَكْرُمَةٍ وَرَمَزَ فَخَارِ
إِنْ الْبِلَادُ سَعِيدَةٌ بِشَبَابِهَا إِنْ شَعَّ مُؤْتَلِفًا كَضَوْءِ السَّارِي
مَا كُنْتُ أَعْتَزِمُ الْوُقُوفَ وَإِنَّمَا هِيَ نَشْوَةُ الْإِعْجَابِ وَالْإِكْبَارِ
مَا كُنْتُ غَيْرَ مُقَدِّمٍ لِمُحَاضِرٍ لَكِنَّ تَقْدِيرَ النَّبُوغِ شِعَارِي
يَا لَيْلَةَ حَوْتِ النَّبُوغِ مُجَسَّمًا فِي نُخْبَةٍ هُمْ صَفْوَةُ الْأَخْيَارِ

أَسْعَى إِلَيْكَ كَمَنْ يَفُوزُ بِوَجَابِ لِبِلَادِهِ فِي حَلْبَةِ الْمِضْمَارِ
إِنْ كَرَّمَ النَّادِي الْمِبَادِيَّ حُرَّةً فِي السَّيْدَيْنِ سَلَائِلِ الْأَحْرَارِ
فَقَرَّ الشَّبَابَ (شَطَا) وَضَوْءَ كَمَالِهِ أَعْظَمَ بِهِ مِنْ عَسَجَدَ زَخَّارِ
وَالسَّيِّدِ الْعَرَبِيِّ (أَحْمَد) مَنْ بَدَى فِي النَّابِغِينَ مُوشِحًا بِوَقَارِ
لَا يَدْعُ فَالْأَمَلُ الرَّحِيبُ مُتَوَجِّجٌ بِجُهُودِهِمْ كَالْحُسْنِ فِي (آذَارِ)
مَرْحَى بِجَامِعَةِ الْإِخَاءِ فَإِنَّهَا أَسُّ النَّجَاحِ وَمَبْنَعُ الْأَوْطَارِ
إِنْ رَاحَ يَجْمَعُنَا الْوَفَاءُ لِأُمَّةٍ سَادَتْ بِعِزَّتِهَا مَدَى الْأَعْصَارِ
فَلَنَنْعَمَ مَا جَمَعَ الْوَفَاءُ وَإِنَّهُ قَبَسَ الشُّعُوبِ وَرَائِدَ الْأَقْطَارِ
مَهْلًا أَخِي زَيْدَانِ إِنْ جُزْتَ الْمَدَى فِي خِلْسَةٍ فَالْعَفْوُ مِنْكَ مُدَارِي
وَلَسَوْفَ تَظْفَرُ بِالْمَنَى إِنْ قُورِنْتَ مِنْهَا الْجُهُودُ بِعِزِّمَةِ الْأَبْرَارِ
وَتَضَافَرْتَ مِنَ الْقَوَى وَتَسَانَدْتَ فِي غَيْرِ مَا نَزَقٍ وَلَا اسْتِثْثَارِ
هَذِي مَعَارِفَ طَيِّبَةٍ مَا بِأَلْهَا تَرْجُو الْكَمَالَ بِنَظَرَةِ الْمُخْتَارِ
وَإِذَا الشَّبَابُ وَقَدْ تَوَسَّدَ أَمْرَهَا تَمْشَى الْوَرَاءَ فَيَالَهُ مِنْ عَارِ

...

مساجلة بين شاعرين

بين الشيخ القاضي ضياء الدين رجب وشاعر آل البيت محمود جبر
مرفوعة إلى أب الشعراء معالي الشيخ محمد سرور الصبان
قال شاعر آل البيت :

وَأَشْتَاقُ أَنْ أَلْقَى السَّمَاةَ لَا النَّدَى	فَقَدْ عَمَّنِي مِنْكَ النَّدَى وَأَفَاضَا
وَأَمْسَى ضِيَاءُ الدِّينِ مِنْ بَعْدِهَا جَرِي	وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَرَاهُ تَغَاضَى
وَمَا نَصَرَ الْقَلْبَ الْجَمُوحَ بِحُبِّهِ	وَلَا سَاسَ مِنْ هَذَا الْجَمَاحِ وَرَاضَا
رَفَعْتُ إِلَى الشَّيْخِ الْوَزِيرَ قَضِيَّتِي	فَهَلْ جِئْتُ يَوْمًا قَاضِيًا وَيَقَاضِي

* * *

وأجاب القاضي الشاعر ضياء الدين :

وَقَاضَيْتَنِي يَا جَبْرُ فِي ظِلِّ دَوْلَةٍ	أَدَارُ بِهَا السَّاقِي الْمُنَى وَأَفَاضَا
رُؤِينَا وَأَرْوِينَا، وَلِلْكَأْسِ صَبُوءٌ	مُصَفَّقَةٌ تَجْلُو النُّفُوسَ رِيَاضَا
تَنَفَّسْتُ الْأَسْحَارُ بَيْنَ ظِلَالِهَا	فَجَاسَتْ رُبِّي مُخْضَلَةٌ وَغِيَاضَا

* * *

وَأَلْبَسَتْ الدُّنْيَا حُلًى عَزَّ وَشَيْهًا	أَيَادِي كَالْفَجْرِ الْمُشَعِّ بَيَاضًا
رَعَى الطَّيْرُ فِي أَفْيَانِهَا وَارِفَ الْجَنَى	فَرَّاحَ قَرِيرًا بِالْحَيَاةِ وَأَضَا
وَأَخْجَلَ فِيهَا النَّرْجِسُ الْغَضُّ مِثْلَهُ	عُيُونًا صِحَاحًا فَاسْتَحَلْنَ مِرَاضًا
أَجَلَ إِنَّهُ الْقَاضِي الَّذِي رَقَّرَقَ النُّهَى	بِفَضْلِ حَسْبِنَاهُ الشُّفَا وَعِيَاضًا
سُرُورٌ ، تَحْدِي كُلَّ مَجْدٍ بِمَجْدِهِ	فَقَدْ جَالَ فِي أَسْمَى الْمَجَالِ وَخَاضًا
حَبِيبٌ إِلَى الْمَشْكُوكِ بَيْنَ رَحَابِهِ	شَكَوَى لَعَمْرِي كَمْ مَلَأْنِ وَفَاضًا
تَمَلَّأَ وَالشَّاكِي عَلَيْهَا فَلَمْ تَزَلْ	طَوَالًا عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ عِرَاضًا
فِيَا أَيُّهَا الْمُرْسِلُ الشُّكُوكَ بَاعِثًا	بِهِ الشَّدُو مَنْ قَاضِيَتْ لَيْسَ يَقَاضِي
فَتَى ظَمِئَتْ بِالرِّيِّ مِنْهُ حُشَاشَةٌ	وَلَمْ يَحْمِ أَرْبَاضًا لَهَا وَحِيَاضًا
نُفُوسٌ وَأَثَامٌ زَحَمْنَ حَيَاتِهِ	وَعَاشَتْ بِهِ الدُّنْيَا فَجَفَّ وَغَاضًا
وَلَكِنَّهُ مِنْ جَبَرَةٍ عَزَّ قُرْبُهَا	غَذَّاهَا بِالْنَدَى مِنْ رَاحَتِيهِ وَفَاضًا
فِيَا شَاعِرَ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ وَآلِهِ	حَنَانِيكَ هَلْ جَارَ النَّبِيُّ يَقَاضِي ؟

فرد شاعر آل البيت على ذلك الإبداع . . . قال : -

بُرُوقُ أَمَانٍ أَوْ مَضَتْ إِيْمَاضُهَا فَسَحَّ هَتُونُ الرَّأَوِيَّاتِ وَفَاضًا

وَأَقْلَحْتُ فِي أَنِّي أَهَجْتُ شُجُونَهَا	فَاتَّرَعَ هَذَا أَبْحُرًا وَحِيَاضًا
وَكُنْتُ كَمَنْ يَشْكُو إِلَى الْقَلْبِ مَا بِهِ	فَفَجَّرَ نَبْعًا كَانَ جَفًّا وَغَاضًا
وَلَوْلَا شَكَاةُ الطُّفْلِ مَا اهْتَزَّ خَافِقُ	بِعَظْفٍ وَلَا قَلْبُ الصَّغِيرِ تَرَاضِي
شَكْوَتْ وَمَا نَصْتُ شَكَاتِي لِحَاذِقِ	أَذَانِ الْمَعَانِي بِالْبَدِيعِ وَقَاضِي
بَعَثْتُ لَهُ عُجْفًا تَرَدَّتْ سَمِينَةٌ	وَزَادَ وَأَرَبَى لَا أَقُولُ وَغَاضًا
وَأَيُّنَ الْمَعَانِي الْبِكْرُ فِي شِعْرِ شَاعِرِ	وَيَا سَعْدَ مَنْ يَجِدُ النُّهَى فَضَاضًا
وَزِيرَ النَّدَى وَالنُّبْلِ وَالْفَضْلِ وَالْحِجَا	وَهَاتِيكَ أَدْوَاهَ زَحْمَنِ رِيَاضًا
سَلَامٌ عَلَى قَاضِي الْقَرِيضِ وَعَاذِرُ	بَسَطْتُ لَهُ عُذْرِي فَهَلْ يَتَغَاظِي

...

سحر الكرسي

يَشُدُّ إِلَى سِحْرِ الْكَرْسِيِّ حَيَاتَهُ وَيَرْجِعُ بَعْدَ الْفَوْتِ يَنْشُدُ ذَاتَهُ
فَلَا ذَاتَهُ أَبْقَى وَلَا مَجْدَ وَاهِمٍ بِأَنَّ حَيَاةَ الْوَهْمِ تُبْقَى حَيَاتَهُ
تَلَمَّسُ فِي تِلْكَ الْأَرَائِكِ نَشْوَةَ تَخِيلُهَا صَحْوًا فَكَانَتْ سُبَاتَهُ
وَأَغْرَقَ حَتَّى لَا يَرَى غَيْرَ نَفْسِهِ سِوَاهَا وَإِلَّا ، لَاتَهُ «وَمُنَاتَهُ»
وَفَاقَ عَلَى سِرِّ الْحَقِيقَةِ صَارِخًا فَأَجْهَشَ اثْرَ الرَّكْبِ وَالرَّكْبَ فَاتَهُ
وَهَزْهَزَةُ الْكُرْسِيِّ هَزَّةَ عَابِثٍ فَأَقْصَاهُ وَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ رُفَاتَهُ
وَقَهْقَرَهُ يَسْتَدْنِي إِلَيْهِ لِذَاتِهِ وَأَعُولُ يَسْتَعْدِي عَلَيْهِ عُدَاتَهُ
وَقَالَ لَهُ أَهْوَى الدَّمَى وَيَلْدُ لِي هَزِيلُ الْمَعَانِي لَا أَدَارِي شِمَاتَهُ
تَعَبَّدَ بِي فِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ فَضَيَّعَ حَتَّى صَوْمُهُ وَصَلَاتَهُ
وَيَا طَالَمَا هَزَّ النَّدَى مُغَرَّدٌ بِحَمْدِي فَمَا أَبْقَيْتَ حَتَّى لَهَاتَهُ
لَقَدْ مَاتَ فِي الْمَوْتِ وَزَادَ عَلَيْهِمْ وَأَحْلَفَ أَنِّي قَدْ نَسِيتَ وَفَاتَهُ

التاريخ الشامت

وَتَمَطَّى التَّارِيخُ شَمَتَانِ وَاسْتَرْخَى فَأَحْسَسْتُ فِي الْمَفَاصِلِ ضَغْطَهُ
صَارِخاً نَاعِقاً كَعُوبٍ حَقُودٍ شَالَهُ فَوْقَ رَأْسِهِ ثُمَّ حَطَّهُ
كَانَ رَبُّ الْيَرَاعِ سِبْطِي فَهَلْ يَخْدَعُ رَبُّ الْيَرَاعِ فِي الْكُونِ سِبْطَهُ
أَنَا أَلْبَسْتُهُ الْقَلَائِدَ مِنْ حُرْجُمَانٍ فَمَزَقَ الْيَوْمَ سِنْمَتَهُ

* * *

قَدْ وَطَأْتُمْ أَمْجَادَكُمْ وَعُلَاكُمْ شُرُوطَ مَنْ لَمْ يَرْعَ إِلَّا وَمَهْ
أَنْتُمُوا أَنْتُمُوا الَّذِي شَرَبَ الْكَأْسَ الْمُصَفَّى عَلَى رَوَاسِبِ رِمِهِ

* * *

كَلْتُمُوا الْمَذْحَ وَالْثَنَاءَ لِمَنْ شَوَّهَ أَزْمَانَكُمْ بِظُلْمٍ وَظُلْمَةٍ
مَا اسْتَحْيَيْتُمْ وَقَلْتُمُوا صَانِعَ الْمَجْدِ تَبْنَاهُ قِمَّةً فَوْقَ قِمَّةٍ

* * *

وَيَحْكُمُ تَخْتَفُونَ إِذَا مَا حَصْحَصَ الْحَقُّ وَاسْتَدَارَ الزَّمَانُ
وَاسْتَفَاقَ أَشَدُّ وَاسْتَيْقِظَ الْوَسْنَانُ وَأَنْقَدَ فِي السَّبَاقِ الْبَنَانُ

سَوْفَ تَنْصَبُ فَوْقَكُمْ لَعْنَةَ الْعِصْرِ بِأَبْعَادِهِ وَيَفْنَى الْأَوَّانُ
وَتَمْنُونُ لَوْ تَذُوبُونَ فِي اللَّعْنَةِ لَكِنْ لَمْ يُسْعِفِ الذُّوبَانُ

* * *

وَتَضَاحَكْتَ ثُمَّ قُلْتَ لَهُ رِفْقًا فَقِيلَ الْوُجُودُ حُمٌّ الْقَضَاءُ
لَيْسَ فِي الْكُونِ غَيْرَ مَا ضَمَّتْ الْأَرْضُ وَمَا أَنْزَلَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ
مَا لِهَٰذِي الْحَيَاةِ مَاضٍ وَلَا آتٍ وَلَا حَاضِرٍ لَهُ أَمْدَاءُ
هِيَ تَارِيخُهُ الْحَيُّ أَنْفَاسٌ وَظَرْفٌ كَمَا يَشَاءُ الْفَنَاءُ
ثُمَّ يَجْرِي الْقَضَاءُ بِالْبَعْثِ وَالْبَعْثُ امْتِدَادٌ وَلَا يَعْتَرِيهِ فَنَاءُ

* * *

فَدَعَ النَّوْحَ وَالْعَوِيلَ وَلَا تَرْجُفْ فَطَبَعَ الْأَشْيَاءُ ضِدَّ السُّكُونِ
فَإِذَا كُنْتَ مِنْ مِدَادٍ وَطِرْسٍ وَالْمَعَانِي مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ
فَتَحْمَلُ وَزَرَ الْوَعَاءِ الَّذِي مَزَقَ أَحْشَاءَهُ صِرَاعُ السِّنِينَ
ذَٰكَ شَأْنُ الْغُرْبَالِ يُلْقَى الَّذِي فِيهِ بِحَسْبَانٍ مُطْمَئِنِّ صَنِينِ
وَإِذَا كُنْتَ مِنْ تَجَادِيفِ طِينٍ فَالَّذِي فِيكَ أَصْلُهُ مِنْ طِينِ
مِنْكَ يَا صَاحِبَ طِينَةِ الْأَمْسِ أَمَا الْيَوْمَ فَالطَّيْنُ صَائِرٌ كَالْعَجِينِ
كُلُّنَا كُلُّنَا شَجَرٌ فَتَرَفَّقْ لَا تُحَرِّكْ نَوَازِعِي وَشُجُونِي
وَتَلَمَّلِمْ وَاسْتَبَقْ فِي الْقَاعِ إِنْ شِئْتَ ظِلَالًا مِنْ طِينِكَ الْمَسْجُونِ

بينى وبين الدينار

وأوماً بالفتنة الصارخة على قمّة صعبة شامخة
بتلك الأنامل غلابها حكى الزهو فى الروعة الباذخة
يقول هلمّ فهدي الحياة بدونى كالحة ماسخة

* * *

وما طاب لى غير حطم العيوف وأخلاقه الساهيات الأبيّة
أرامق حاجاته الكاربات يلح صبى بها أو صبية
فانفذ كالسهم من بينها وازهو بمصرع تلك الضحية

* * *

وحملت فى خادع ماكر يُقامر بالشرف الغامر
ويمتص فى نشوة الساجر إباء الكرامة فى الصابر
وأشقى البلاء هوان الكريم يباب لثيم الخطى هادر

بِمَا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ يُرْتَجَى مَذَلَّةَ عَفِّ الْيَدِ الطَّاهِرِ
وَحِينَ يَشِيمُ بَرِيقَ النَّصَارِ إِذَا هُوَ كَالرَّاحِ الصَّاعِرِ

* * *

شَحِيحُ النُّهْيِ مِثْلُ شُحِّ الْفُؤَادِ ثَقِيلُ عَلَى الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ
وَيَهْرُبُ مِثْلَ هُرُوبِ الْجَبَانِ مِنَ الْأَسَدِ الزَّائِرِ الْكَاسِرِ
وَيَخْشَى عَلَى الْمَالِ هَبَّ النِّسِيمِ وَتُرْعِبُهُ نَظْرَةُ النَّاضِرِ

* * *

فَمَا الصَّخْبُ فِي ظِلِّ تَقْدِيرِهِ سَوِي طُغْمَةِ عَشِقُوا مَا لَهُ
تَنَاسَى عَلَى الْخَضْبِ أَحْوَالِهِمْ وَأَنْكَرَ فِي الْجَذْبِ أَحْوَالَهُ
كَذَلِكَ عُبَادُ دِينَارِهِمْ حَقِيرُونَ . وَاللَّهُ . أَمْثَالُهُ

* * *

فَيَا ابْنَ الْكَرَامَةِ خُضْ لِلْعُلُومِ بِحَارًا مِنَ الْفَيْضِ لَا تَنْفَدُ
وَطَاطِيءُهَا لَهَا الرَّأْسُ حَتَّى تَغُوصَ فَكَمْ غَائِصٌ دُونَهُ الْفَرْقَدُ
وَمَنْ ذَلَّ لِلْعِلْمِ ذَلَّتْ لَهُ رُؤُوسٌ وَدَانَ لَهُ السُّودَدُ

* * *

مجد الأدب

أَدَبُ المَجْدِ ومَجْدُ الأَدَبِ خَيْرُ أَثْوَابِ الخُلُودِ القَشِبُ
فَالْمَعَالَى فِي ذُرَاهَا شُهْبُ والإِطَارَاتُ رِداءُ الشُّهْبِ
والمَعَانِي البَيضُ يَعْرِوْهَا البَلَى حِينَمَا تَأْوِي لِجُحْرِ خَرَبِ
رُبَّ سِرٍّ غَامِضٍ قَدْ صَانَهُ فِي الجَمَالِ الحُرِّ نَسْجُ الذَّهَبِ
وِثْمَارُ مَنْ جَنَّا الفِكْرَ ذَوَتْ فِي أَكْفٍ بَادِيَاتِ العَطَبِ
مِثْلُ مَا تَهْوِي صُرُوحُ رَفَعَتْ فِي بِنَاءِ عَائِمٍ مَضْطَرِبِ
دَوْحَةُ العِرْفَانِ مَجْدٌ بَاذِخٌ ضَوْؤُهَا الحَرْفُ كَظَلِ الكَوْكَبِ
والبُطُولَاتُ وَأَمْجَادُ النُّهَى وَالخَيَالَاتُ وَرَاءَ السُّحْبِ
وَالثَّقَافَاتُ وَسَاحَاتُ الوَعَى وَهَوَى الفَنِّ وَدُنْيَا الطَّرِبِ
وَالسِّيَاسَاتُ وَمَا تَقَاسُ مِنْ شُجُونٍ وَشُثُونٍ عَجَبِ
كُلُّهَا مِنْ مُزَنَةِ الحَرْفِ ارْتَوَتْ فَتَلَاقَتْ كَلِقَاءَ النَّسَبِ
فِي دَمٍ حَرٍّ كَمَا تَهْوَى العُلَا طَيِّبَ العِرْقِ وَشِيحَ القُرْبِ

الشايات

يَا صَدِيقِي الَّذِي تَأَلَّقَ فِي الْيُسْرِ حَفِيًّا يَرِي بِقَلْبِي وَعَيْنِي
كَيْفَ أَصْبَحْتَ كَيْفَ حَالُكَ يَا حُلُوَّ التَّغْنِي وَيَا جَمِيلَ التَّنْثِي
أَيْنَ مِنِّي هَوَاكَ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ قُلْهَا عَسَايَ يَكْذِبُ ظَنِّي

* * *

وَتَعَالَى الصَّدَى يُقَهِّقُهُ يَا وَنَحْ غَيْبِي يَرِي السَّرَابَ كَمْزَن
كَانَ لِي يَوْمَ كَانَ غَضُّ الْأَسَارِيرِ فَذَاكَ الْهَوَى الَّذِي كُنْتُ أَغْنِي
كُلُّ مَا بَيْنَنَا عَوَاطِفُ لَا تُسَمِّنُ يَوْمًا وَلَا مِنْ الْجُوعِ تُغْنِي

* * *

الْوِدَادُ الرَّسْمِي صِدْقَ الْمَعَايِيرِ إِذَا قَسَتْهَا بِكَيْلٍ وَوَزَنٍ
وَابْتِسَامَاتُنَا الْغَنِيَّةُ كَالْحَلِيَّةِ وَالسَّرُّ فِي الْجُيُوبِ يُغْنِي
نَتَبَارَى فِي الْأُمْنِيَّاتِ لِبَعْضٍ ثُمَّ لَا شَيْءَ غَيْرُ ذَلِكَ التَّمَسُّنِي

الناقد والمنقود

أهدأفه البيض قد شدت مبادته	الناقد الحر مشاء على سنن
ولو رأى ذلك المنقود شائنه	حتى يرى نفسه فى النقد ماثلة
كما يعالج فى رفق مساوته	يجلو المحاسن فى قصد وفى أدب
لا جمر يحرق بالنيران واطئه	فالنقد تصفية كبرى وتنقية
ولن يثور عليه أو يناوته	فلن يجمال منقوداً بمحض هوى
وطالما قد تحدى الكأس ماله	كلاهما فى كؤوس الفن غمغة
وربما مزق المكلوء كاله	ورب مستهدف يلوي به هدف
بحر منائره تحيي موانئه	والنقد إن جل عن هدم ومنقصة
تقيم معوجه : تُقصى نواتئه	وليس سهلاً فحر النقد هندسة
كمن يراقب : فى نجواه بارئه	صوت الضمير وسر الذوق جوهره

الصديقان

عَرَفْتُهُمَا قَبْلَ أَنْ يُعْرِفَا مُضِيِّينَ فِي الْوَدِّ كَالْمَقْتَلَيْنِ
 لَقَدْ رَضَعَا مِنْ لَبَانِ الصَّفَا كَأَنَّهُمَا صَاحِبَا الرِّقْمَتَيْنِ
 وَاسْعَى لِدَارِيَهُمَا طَائِعًا كَمَنْ خَفَّ لِلسَّعْيِ فِي الْمَرَوَتَيْنِ
 وَعَاشَا عَلَى الْحُبِّ مَا أَخْلَفَا لَهُ مَوْعِدَا يُبْعَدُ الْخَطَوَتَيْنِ
 فَغَارَ الصُّدُودُ وَغَارَ الْجَفَا وَهَمَّا بِمَا يُوْغِرُ الْمُهْجَتَيْنِ
 فَقَدْ سَاوَمَا الْجَاهُ أَنْ يَعْرِفَا عَلَى وَتَرٍ وَاحِدٍ نَعْمَتَيْنِ
 فَوَاحِدَةٌ تَشْطُرُ الْأَحْرَفَا كَمَا انْشَطَرَتْ نَجْمَةٌ نَجْمَتَيْنِ
 تُرِيكَ التَّنَافُسَ كَيْفَ اصْطَفَا وَشَاحَ الْمَعَارِكِ فِي الْجَبْهَتَيْنِ
 وَزَحْمَتِهِ تُلْهِبُ الْمَوْفِقَا فَتَجْعَلُ عَزْفَتَهُ عَزْفَتَيْنِ
 وَثَانِيَةَ النَّعْمَتَيْنِ الْوَفَا تُصَوِّرُهُ ثَانِي الْخُدَعَتَيْنِ
 وَدَارَتْ حُمَاهُمَا قَرَقَفَا لَهَا أَلْقَ الصَّخَوُ فِي الْجَمْرَتَيْنِ
 وَعَبَّ طَرِيفٌ فَلَمَّا اخْتَفَى عَنِ الْحَسِّ يَسْبَحُ فِي الضَّفَّتَيْنِ

تَحْيَلُ أَنْ السَّمَاءَ احْتَفَى بِمَقْدَمِهِ حَامِلًا شَمْعَتَيْنِ
وَيَذُرُ السَّمَاءَ لَهُ قَدْ وَفَا وَحَيَّاهُ مَبْتَسِمًا بَسْمَتَيْنِ
وَفَوْقَ الذُّرَى الشَّمُّ قَدْ رَفَرَفَا يُوَاكِبُ فِي الْجَوِّ شَخْرُورَتَيْنِ
رَأَى الْوَدَّ بَيْنَهُمَا عَازِفًا صَدْيَ فَرْحَةٍ أَشْرَقَتْ مَرَّتَيْنِ
وَمَهُمَا قَسَا الدَّهْرُ أَوْ أَنْصَفَا لَصِيقَيْنِ شَبًّا عَلَى الْحَالَتَيْنِ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّهُ خَلَفَا صَدِيقَ الطُّفُولَةِ فِي كَرَبَتَيْنِ
وَلَمْ يَتَذَكَّرْ بِهِ الْمَوْقِفَا فَقَدْ عَظُمَ الْخُلْفُ فِي النُّظْرَتَيْنِ
وَلَكِنَّ تَوَّامَهُ الْمُنْصِفَا « وَلِيدًا » تَأَلَّقَ فِي دُمْعَتَيْنِ
وَشَقَّ الطَّرِيقَ كَمَا أَسْرَفَا إِلَى وَجْهِهِ لَا إِلَى وَجْهَتَيْنِ
فَثَبَّتْ أَقْدَامَهُ وَاسْتَكْفَى بِعَذْبِ النِّسِيمِ مِنَ الشُّرْفَتَيْنِ
وَمَنْ أَحْكَمَ الْهَدَفَ الْهَادِفَا إِلَى اللَّيْثِ لَمْ يَنْتَظِرْ قُبْلَتَيْنِ
وَمَنْ جَاوَرَ الشَّادِنَ الْأَهْيَفَا فَلَيْسَ كَمَنْ يَمَّمُ الْقِبْلَتَيْنِ
وَطَارَا إِلَى الْجَدِّ هَذَا وَفَا لَهُ حَقُّهُ فِي « رَبِّي » الْمَكْتَبَيْنِ^(١)

(١) يشير الى من فرق بين مكة وبكة في المدلول

ويحلُو خِصَامُ الْعُلَا عَاصِفَا فليس سِوِي وَهَجِ الْحِفْبَتَيْنِ
 وموتُ الْعُلَا كَالْهَوِي إِنْ شَفَا عَلِيْلَا نَمُوتُ بِهِ مَرَّتَيْنِ
 وَأَرْقَى سَامِقٌ قَدْ عَفَا وَذَابَتْ مَعَانِيهِ فِي لَحْظَتَيْنِ
 وَفِي نَشْوَةِ الْجِدِّ لَمَّا غَفَا تَقَطَّعَ مُحْتَرِقَا قِطْعَتَيْنِ
 وَقَدْ وَخَطَ الشَّيْبُ عَهْدَ الصَّفَا وَعَهْدَ شَبَابِ الْمُنَى وَخُطَّتَيْنِ
 وَمَا رَاعَى بَعْدَ ذَلِكَ الْجَفَا وَبَعْدَ الْقَطِيعَةِ فِي الذُّرُوتَيْنِ
 سِوِي نَغَمٍ حَرَّكَ الْمَعْرِفَا وَبَحَثَهُ مِنْ صَدَا الْبَحْتَيْنِ
 وَفِي الْجِدِّ مَعْنَى غَرِيبُ الصُّفَاتِ عَلَى الدَّرْبِ لَا يَقْبَلُ الزَّحْمَتَيْنِ
 فَإِنْ أَخْصَبَتْ فَتَرَاتِ الْجَفَافِ اطمئنَّا إِلَى شَامِخِ الْقِمَتَيْنِ
 فَضَمَّهُمَا ضَمَّةً اعْتَفَا مِنْ أَلْحَبِ رَقَّتْ بِهِ بَرَقَتَيْنِ

* * *

عندما يبكي العقل

أهدي هذه القصيدة إلى نوعين : من الناس الذين عرفتهم
وجهلوني والذين عرفوني وجهلتهم .

تَسْأَلْنِي كَيْفَ التَّقِينَا عَلَى هَوَى شَحِيحِ الْمَعَانِي كُلُّ أَرْبَاضِهِ مَحَل
فَمَا آنَسْتَنَا فِي فَيَافِيهِ نَسْمَةٌ وَلَا طَلْنَا فِي جَوْفِهِ أَبَدًا طَل
وَلَا ظَلَّلْتَنَا فِي سُرَاهِ سَحَابَةٌ وَلَا بَارِقٌ حَتَّى وَلَوْ خَلَبُ ضَحَل
رَضِينَا بِأَشْوَالِ الْقَتَادِ وَمَا ارْتَضَتْ فَيَاوِيحِ سَارِ عَافِهِ الصُّعْبُ وَالسَّهْلُ
وَدُرْنَا وَدَارَتْ حَوْلَنَا الْبَيْدُ هَلْ تَرَى جُنُنًا أَمْ الْبَيْدَاءُ قَدْ مَسَّهَا خَبْلُ
وَمَا أَنَا فِي شَكٍّ مِنَ الْحُبِّ إِنَّمَا تَعَجَّبْتُ هَلْ لِلنَّارِ مِنْ جَمْرِهَا ظِل
أَجَلٌ فِي اللَّطَى عِشْنَا وَفِي الْقَلْبِ جَنَّةٌ لَهَا شَفَقٌ يَزْهَوُ بِحُمْرَتِهِ النَّخْلُ
وَفِي عُنْفُوانِ الْجَدْبِ تُخَصِّبُ لَوْبِدَتِ بَوَادٍ مِنَ النِّعْمِ يَلِجُ بِنَا الْوَيْلُ
أَجَلٌ فِي حَوَاشِينَا تَرِفُ خَمِيلَةٌ رَبِيعِيَّةُ الْأَنْدَاءِ تَزْكُو وَتَخْضَلُ
لَهَا أَلَقٌ أَمَا إِذَا الشَّمْسُ زَاوَرَتْ فَيَضْحُو وَبِالْمُزْنِ الْعَقِيبِيُّ يَنْهَلُ
وَنَضْحُو عَلَى هَمْسِ الْكَرَى مِثْلَ مَا صَحَّتْ عَلَى النَّرْجِسِ الْغَفْوَانُ أَعْيُنُهُ النَّجْلُ

ضَحِكْنَا فَعَبَّ النِّجْمُ نَخْبَ شِعَاعِهِ وَرَفَّتْ عُرُوقُ الْأَيْكِ تَغْفُو وَتَنْحَلِ
 وَغَرَّدَ لَحْنٌ عَبْقَرِيٌّ كَأَنَّمَا تَعَجَّلَ ضَوْءُ الْفَجْرِ طَال بِهِ اللَّيْلُ
 فَقُلْتُ لَهَا يَا مَيُّ لِلْحُبِّ مَنْطِقُ فَرِيدٌ فَلَا زَمَرَ لَدَيْهِ وَلَا طَبْلُ
 مَطَالِعُهُ فَوْقَ السَّحَابِ فَإِنْ دَنْتُ مَنَازِلُهُ فَالْحُبُّ مِنْ دُونِهَا يَعْلُو
 وَأَجْوَاؤُهُ حُمُرُ الْمَطَا لَا قَشَاعِمُ تُزَاحِمُ عُقْبَانَا هُنَاكَ وَلَا جُذُلُ
 وَلَا نَهْجُهُ نَهْجَ الْقَطَا وَهُوَ سَابِحٌ وَلَا لِمَرَامِي شَأُوهُ أَبَدًا سُبُلُ
 إِذَا حَارَبَ الْهَادُونَ جَهْلًا بَعْلَمَهُمْ فَعِلْمُ الْمُحِبِّينَ الْغَبَاوَةُ وَالْجَهْلُ
 وَإِنْ ضَحِكَ الْقَلْبُ الشَّجِيُّ وَرَاقَصَتْ مَعَانِيهِ أَطْيَافُ الْحَيَاةِ بِكَيِّ الْعَقْلِ

• • •

عندما يضحك الدم

وَوَمَضُ تَوَارِي بَيْنَ أَعْطَافِهِ سُؤْلُ وَغَرَّدَ فِي «مِي» نَحِيبٌ مُهْدَهْدِ
 أَيْسُطُو عَلَى أَعْرَاقِهِ : الْعِزُّ وَالذُّلُّ أَتَعْرِضُ لِلْحُبِّ الْمُوشَّجِ سَلْوَةٌ
 خَرِيفٌ فَيَنْوِي فِي الْغُصُونِ وَيَنْسَلُ أَيْعَرُوهُ مَا يَعَرُو الرِّبْعَ أَظْلَلَهُ
 زِلَازِلُ أَمْ تَعْلُو رَوَاسِيَهُ الْبُسْلُ وَهَلْ هُوَ مِثْلُ الْكُونِ يَرْجِفُ إِنْ عَدَتْ
 تُحَاوِرُهُ حَتَّى يَرِثَ لَهُ . حَبْلُ وَهَلْ لِسُمُومِ الشَّكِّ وَالْغَدْرِ جَوْلَةٌ
 أَمَا كَانَ مِثْلًا حِينَ قَالَ هُوَ الْمِثْلُ وَكَيْفَ يَجُورُ الْحُبُّ وَالسَّرُّ وَاحِدُ
 دَبِيبٌ : كَمَا دَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا النَّمْلُ فَقُلْتُ خَلَكَ الدَّمُ قَدْ يَخْجُبُ السَّنَا
 لَكَانَ لَدَيْهِ الْمَوْتُ أَسْهَلَ وَالْقَتْلُ خَفَاءٌ بِلَا ذَنْبٍ لِحِجَانِيهِ لَوْ دَرَى
 وَكَمْ فِي سَبِيلِ الْحُبِّ يَمْتَنِعُ الْحُلُ وَمَا هُوَ لَوْمْ فَالْهَوَى حُلٌّ أَمْرُهُ
 فَبِالْعَيْنِ مِنْ إِشْعَاعِهِ النَّهْلُ وَالْعَلُّ رَقِيقٌ كَحَدِّ السِّيفِ أَمَا صَفَاؤُهُ
 دَمٌ لَيْسَ مِنْهُ قَدْ يَمُرُّ وَقَدْ يَحُلُو وَكَمْ مِنْ دَمٍ فِي الْعِرْقِ يَجْرِي وَرَاءَهُ
 ضَحِكُنَا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَضْحَكَ الْعَقْلُ وَيَا وَيَلْنَا مِنْ ضِحْكَةِ الدَّمِ لَيْتَنَا

...

دودة القز

حَسِبُوا أَنَّهَا إِذَا نَسَجَتْ نَسْجًا جَمِيلًا يَمْتَصُّهَا فَتَلْذُوبُ
وَهِيَ فِي جُهِدِهَا الْمُحَجَّبِ تَحْيَا فِي جَدِيدٍ هُوَ الْبَقَاءُ الْعَجِيبُ
لِمَ هَذَا وَكَيْفَ ؟ ذَلِكَ سِرٌّ فِي مَدَارَاتِهِ الْحَيَاةُ تَلُوبُ
هُوَ حِينًا يَبْدُو عَلَى النَّسَقِ الْعَالِيِ وَحِينًا بَيْنَ الضُّبَابِ يَغِيبُ

* * *

كَمَنْتُ أَنَّهَا تُمَزَّقُ ذَاكَ التَّوَرَّ مِنْ جُهِدِهَا كَمَا تَشَعُّ الْكُرُوبُ
ثُمَّ تَعْدُو فَرَّاشَةً فِي انْطِلَاقٍ تَنْفُثُ « الْبَيْضَ » بِالْحَيَاةِ يُؤُوبُ
إِنَّهُ بَعَثَهَا الْجَدِيدَ وَلَوْلَا ذَلِكَ النَّسْجُ لَاخْتَوَاهَا الْمَغِيبُ
كَمْ غُرُوبٍ يَلُوحُ مِنْهُ شُرُوقٌ وَشُرُوقٌ يُطِلُّ مِنْهُ الْغُرُوبُ
فَالَّذِي يَسْرِقُ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَوْتِ يُوفِيَّ لَهُ كَمَا يَشَاءُ النَّصِيبُ
إِنَّهُ الْبَازِلُ الْحَيَاةَ لِأَسْمَى مَا يُرْجِيهِ فِي الْحَيَاةِ دَوُوبُ
لِلْبَقَاءِ الْجَمِيلِ فِي الْأَثَرِ الْأَبْقَى وَبِالْمَجْدِ لَا تَضِيقُ الدُّرُوبُ

* * *

لم يكنْ بذله لأجل مُرَادِ النَّفْسِ فَالْعَاشِقُ الْمُرَادُ سَلِيبٌ
 وَخَصِيبُ الْمَنَى عَلَى شَهْوَةِ الذَّاتِ وَإِنْ فَاضَ فَيَنْضُهُ لَجْدِيبِ
 جَوْهَرِ الْمَجْدِ فِي مَعَانِيهِ فَرْدٌ لَا يَطِيقُ الْعَدُولُ بَلْ يَسْتَرِيبُ
 شَرَفٌ وَاحِدٌ إِذَا مَزَجُوهُ بِهَوَى غَيْرِهِ عَرَاهُ الشُّحُوبُ
 شَرَفٌ سِرُّهُ الْجَمَالُ الْمَصْفَى ضَوْؤُهُ فِي شُعَاعِهِ مَسْكُوبُ
 ذَائِعُ الدَّفْنِ شَائِعُ الْحُبِّ لَا تَرْقِصُ إِلَّا عَلَى سَنَاهِ الْقُلُوبِ
 مَا لَهُ مِنْ جَدَاهِ أَدْنَى نَصِيبٍ مَا لَهُ فِي ارْتِفَاعِهِ مَنْسُوبُ
 اللَّذَازَاتُ عِنْدَهُ فِي الْوَعَى الْحُرَّةِ يُدْعَى لِخَوْضِهَا فَيَجِيبُ
 وَأَمَانِيهِ أَنْ تُزْفَ الْأَمَانِي فَإِذَا طَابَتِ الْحَيَاةُ يَطِيبُ
 وَتَلَفَ الْحَيَاةَ آصِرَةُ الرَّحْمَى سَوَاءٌ بَعِيدُهَا وَالْقَرِيبُ
 أَنَّمَا تَضْحَكُ الْكُرُوبُ وَتَمْتَدُّ إِذَا ضَاقَ بِالْحَيَاةِ غَرِيبُ
 حَيْثُ لَا غُرْبَةً إِذَا صَدَقَ الْحِسُّ فَمَا فِي الْوُجُودِ إِلَّا نَسِيبُ
 وَعَطَاءُ الْقُلُوبِ أَسْمَى عَطَاءٍ وَاهِبُ الْحُبِّ نَفْسُهُ الْمُوْهَبُ
 كُلَّمَا صَفَّقَ الْمُدَامَةَ ذَوَاقُ شَذَاهَا يَبْقَى السَّنَا وَتَذُوبُ
 وَتَعِيشُ الظَّلَالُ حَرَكَهَا الْوَقْدُ وَحَلَى أَطْيَافَهُنَّ اللَّهْيَبُ
 وَاسْتَرَاخَ الْكَمَالُ فَوْقَ مَدَاهِ وَتَسَاوَى الْمُحِبُّ وَالْمَحْبُوبُ

...

إلى تهاني

دخلت غرفة ابنتي « تهاني » في البيت وهي في المستشفى تعملُ
عملية الزائدة : فنظرت إلى صورتها وكتبت تحتها هذه الأبيات :

لَا خَلَا : مِنْكَ زَمَانٌ لَا خَلَا : مِنْكَ مَكَانٌ
يَا ابْنَتِي قَدْ غَبَتْ أَيَّاماً لَهَا شَانٌ : وَشَانٌ
فَصِغَارُ الْبَيْتِ غَدَّتْهُمْ وَإِيَّاكَ لِبَّانٌ
فِي دُعَاءٍ : عَنْهُ لَمْ يَفْتَرِ جَنَانٌ : وَلِسَانٌ
يَا تَهَانِي كُلُّكُمْ عِنْدِي أَمْنٌ وَأَمَانٌ
فَرَحَةٌ تَمْشِي وَأَكْبَادٌ حَوَاشِيهَا حَنَانٌ
وَعُقُودٌ حَالِيَاتٌ أَنْتُمْو : فِيهَا الْجُمَانُ
وَأَزَاهِيرٌ رِيْعٌ غَارَ مِنْهَا الْأَقْحَوَانُ
سَتَعُودِينَ كَمَا عَادَ بِنِعْمَاهُ الزَّمَانُ

إِنْ تَكُنْ « زَائِدَةٌ » عِنْدَكَ تُقْصَى وَتَبَّانِ
فَلَقَدْ تَكْمُلُ بِالنَّقْصِ كِعَابٌ : وَحِسَانِ
وَعَلَى الْإِيجَازِ كَمْ يَخْلُو حَدِيثٌ وَبَيَانِ
وَالَّذِي زَادَ عَلَى زَيْفٍ طِلَاءٌ وَدِهَانِ
إِنَّهَا سَبْعَةُ أَيَّامٍ وَإِنْ زَادَتْ ثَمَانِ
وَتَعُودِينَ كَمَا عَادَ بِنِعْمَاهِ الزَّمَانِ
قَدْ حَمِدْنَا اللَّهَ وَالتَّعْمَى بِشُكْرَانٍ تُصَانِ

* * *

فَلَكُمْ : مَرَّةً عَلَى الْخَاطِرِ مَعْلُولٌ مُهَانَ
مَا لَهُ ضِلْعٌ وَلَا رِيشٌ وَفِي الرِّيشِ الْكِيسَانِ
كَمْ كَرِيمٌ قَدْ نَخَطَّاهُ لَثِيمٌ أَلْعَبَانِ
لَيْسَ فِي الْوُجْدَانِ رُحْمَى لَيْسَ فِي الْكَفِّ لِسَانِ
يَا ابْنَتِي : الصَّدَقَ فَإِنَّ الصَّدَقَ نِعْمَ التَّرْجُمَانِ
مِثْلُ مَا نَعْمَلُ نَلْقَى وَبِمَا دِنَّا نُدَانِ
وَالَّذِي يَسْعَى لِهَوْنِ النَّاسِ : لَا شَكَّ يُهَانَ

حَسْبُنَا الصَّحَّةُ وَالْعَفْوُ فَذَاكَ : الصَّوْلَجَانِ
وَهُمَا السَّرُّ الْمُرْجَى حِينَ يَشْتَدُّ الزَّمَانُ
وَهُمَا الْخَمْرُ الْمَصْفَى لَيْسَ مَا تَسْقَى الدَّنَانُ
وَهُمَا النَّعْمَاءُ لَا يَهْرَمُ فِيهَا الْعُنْفَوَانُ
فَارْقُبِي السَّعْدَ كَمَا تَهْوِينِ قَدْ آتَى . . . الْأَوَانُ
إِنَّ مَنْ يَطْرُقُ بَابَ اللَّهِ مُحْفُوظٌ مُعَانُ
مِثْلَمَا يَقْهَرُ حُرُّ النَّفْسِ رِغْدِيدُ جَبَانِ -
أَوْ يَصِدْ فِي عَكْرِ الْمَاءِ دَعَى بِهِلَوَانِ

* * *

شاعر الأمل

يا شاعر الأمل كان الأمل رابيةً
تَهْتَزُّ أَعْطَافُهَا فِي مَحْمَلٍ عَجَبٍ
وَلَمَّهَا الْعَيْنُ خَطْوُ فِي مَدَارِجِهِ
نَشْوَانٌ فِي عَبَقِ هَيْمَانٍ فِي أَلَقٍ
وَلِلثَرِيَّا خَفِيفٌ حَوْلَ هَالَتِهِ
كَأَنَّهَا فِي رِحَابِ الْخُلْدِ غَانِيَةٌ
مِنْ الْعَقِيقِ عَلَيْهَا تَنْطَفُ السُّحُبُ
الْفَرْحَةُ الْبِكْرُ مِنْ أَرْجَائِهِ تَشِبُ
وَالْبَدْرُ يُسْفِرُ أَحْيَانًا وَيَنْتَقِبُ
الْعَيْنُ فِي ضَوْئِهِ تَنَائِي وَتَقْتَرِبُ
كَمَا يَتَنَّبَعُ لَيْلُ الْمُغْتَرِبِ
أَثَرِي بِهَا الْحُسْنُ حَتَّى شَعْرُهُا ذَهَبُ

* * *

يا شاعر الأمل رَوَّتْكَ الْحَيَاةُ هَوًى
تَمُوجُ فِي سُبُحَاتٍ مِنْ عَوَالِمِهَا
سَوَادُهُ كَسَوَادِ الْعَيْنِ مَا تَلِقُ
الْحُسْنُ رَافِدُهُ الْأَسْمَى وَرَائِدُهُ
طِبَاعُهُ كَطِبَاعِ اللَّيْلِ رَفْرَفَةٌ
تَمُدُّ لِلْحُبِّ أَسْبَابًا مُغْرِبَةً
لَا تَأْلَفُ الْقَيْدُ يُمْلِيهِ النُّهْيُ قَدْرًا
غَضًّا تَمْنَى شَذَاهُ الْكَرَمُ وَالْعِنَبُ
كَمَا تَمَاجِيلُ لَيْلٍ فِيكَ مُضْطَرِبُ
بُنُورِ إِنْسَانِهَا وَالْمُلْتَقَى عَجَبُ
وَالْحُسْنُ مُنْطَلِقُ شُقَّتْ لَهُ الْحُجُبُ
فَوْقَ الْمَدَى وَرِحَابُ مَا لَهَا طَنْبُ
أَحْلَامُهَا نَغَمٌ أَسْرَارُهَا قُرْبُ
يَجْرِي عَلَى سَنَنِ تَعْيَا بِهِ الْحَقْبُ

شِرَاكِهَا تَتَحَدَى وَهِيَ تَنْتَجِبُ
كَأَنَّهَا مِنْ خِضَابِ الْخُورِ تَخْتَضِبُ
وَسِحْرُهَا مِنْ حُمَيَّا الْخُلْدِ مُنْسَكِبُ
وَالْأَنْجَمُ الزُّهْرُ فِي أَقْدَاحِهِ حَبَبُ
إِلَّا السِّنِينَ عَلَيْهَا تَضْحَكُ الشُّهْبُ
هَبَّتْ لِتَرْجِعَهُ الذِّكْرَى فَيَقْتَرِبُ
وَكَمْ شَبَابٌ خَبَا فِي شَرْخِهِ اللَّهَبُ
وَأَفْؤُسًا فِي بُطُونِ الْغَابِ تَخْتَطِبُ
مِنْ الْقِتَامِ هَدِيرٌ لَحْنُهُ صَخِبُ
يَخْنُو عَلَى صَبَّهَا مِنْ ظِلِّهَا سَبَبُ
يَجْرُهَا عَسْكَرٌ مُسْتَهْتَرٌ لَجِبُ
وَرَبَّمَا مَسَهُ مِنْ دُونِهَا الْعَطَبُ
تَشَعَّبَتْ فِي مَلَاوِي خَطِّهِ الشُّعْبُ
مِنْ الْحَقَائِقِ حَتَّى اللَّهْوِ وَاللَّعِبُ
تَمُرُّ وَالْأَصْلَحُ الْأَبْقَى لَهُ الْعَلْبُ

فَلِلنَّهْيِ شِقْوَةٌ مِنْ عَجْزِهَا نَصَبُ
يَا شَاعِرَ الْأَمْسِ كَانَ الْأَمْسُ أَجْنَحَةً
ظِلَالُهَا كَرِيَاضِ الْخُلْدِ ضَاحِكَةٌ
شَبَابُهَا مِنْ شَبَابِ الرُّوحِ مُصْطَفَقٌ
فَلَيْسَ تَهْرُمُ فِي أَعْمَاقِ نَشْوَتِهِ
فَإِنْ نَأَتْ بِصُرُوفِ الدَّهْرِ بَهْجَتِهِ
وَإِنَّمَا مِنْ لُهَا بِ الرُّوحِ جَدْوَتُهُ
يَا شَاعِرَ الْأَمْسِ عَادَ الْأَمْسُ أَصْبَغَةً
وَمُدْخِنَاتٍ لَطَى قَدْ رَاحَ يَنْسِجُهَا
حَتَّى الْمَظَلَّةِ كَانَتْ فِي حَانِيَةِ
عَادَتْ وَسِيلَةَ فَتَنِكَ نَسْجُهَا حُمَمُ
فَاعْجَبْ لِمُنْتَحِرٍ يَرْمِي فَرِيَسَتَهُ
يَا شَاعِرَ الْأَمْسِ هَلْ نَمَضَى عَلَى سَنَنِ
وَأَيُّ ظِلٍّ خِيَالٍ لَمْ يَلِدْ نَسَقًا
يَا شَاعِرَ الْأَمْسِ دَعُهُمْ تِلْكَ تَجْرِبَةٌ

* * *

أدوا الأمانات

أَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا تَعَبْتُ: مِنْ «بُكَرَا» وَمِنْ ظِلِّهَا
مَمْطُوطَةٌ تَسْبَحُ فِي عَرْضِهَا وَرُبَّمَا تَسْبَحُ فِي طُولِهَا
فِي سَبْحَةٍ زَعَمُوا أَنَّهَا خَمَائِلُ الْأُنْسِ عَلَى مَحَلِّهَا
لَا أَشْرَقَتْ شَمْسٌ عَلَى أَرْضِهَا لَا رَفَّ قَمَرِيٌّ عَلَى نَخْلِهَا
أَتَعَبَنِي هَذَا الصَّدِيقُ الَّذِي أَوْدَعْتَهُ الْفَيْنَ مَعَ مِثْلِهَا
وَطَالَتِ الْغُرْبَةُ مَشْدُودَةً لِكَرْبَةٍ أَخْبَطَ فِي لَيْلِهَا
خَابَرْتُهُ قُلْتُ لَهُ أَدَهَا يَبْغِضُهَا إِنْ شِئْتَ أَوْ كُلَّهَا
إِلَى وَكِيلِي حَامِدٍ إِنَّهُ أَسْلَفَنِي أَكْثَرَ مِنْ جُلِّهَا
فَرَدَّنِي يَطْلُبُ أَنْ أَحْضُرَا بِالذَّاتِ أَوْ أَحْرَمَ مِنْ نَيْلِهَا
وَقُلْتُ لِلنَّفْسِ عَلَى غُصَّةٍ هَبَا إِلَى الْمُودَعِ مِنْ أَجْلِهَا
لَعَلَّهُ خَيْرٌ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً : أَنْعَمَ فِي سَهْلِهَا
وَلَمْ أَكْذِبْ خَبَرًا مِثْلَهُمَا حَمَلْتُ نَفْسِي فَوْقَ مَا حِمْلِهَا

وَجِئْتُ لِلصَّاحِبِ فِي فَرَحَةٍ أَقْبِضْ قَبْضَاتِي عَلَى أَصْلِهَا
 فَهَشَّ فِي الْوَجْهِ عَلَى خَشْبَةٍ كَقَاصِدِ الْحَسَنَاءِ فِي أَهْلِهَا
 وَمَنْ غَدَا لِبُعْدِهَا : : بَعْدَهُ أَلْمَحَ لِي بِالْيَأْسِ فِي وَصْلِهَا
 وَقَالَ لِي فِي جَفْوَةٍ سَاخِرًا أَتَيْنَ بَقَايَاكَ عَلَى كُلِّهَا
 فَقُلْتُ مَاذَا تَبَتَّغِي مِنْهُمْو أَمَانَتِي وَحَدِي وَمَنْ : حِلُّهَا
 قَالَ أَشْكِنِي إِنْ شِئْتَ لَكُنَّهَا دَارُ ابْنِ لَقَمَانَ عَلَى حَالِهَا
 فَقُلْتُ أَشْكُو حَالَتِي كُلَّهَا اللَّهُ يَا وَثْلَكَ مِنْ وَيْلِهَا

تَحْنُوتُ وَشُكْرُ

جاءتني من الصديق الأديب الكبير الأستاذ السيد علي عامر
قصيدة يهنئني فيها بزفاف ابنتي مرام ويدعوني باسم الصحافة
السعودية إلى مغادرة مصر والعودة إلى المملكة فأجبت بهذه القصيدة .

شكرا

شكراً فقد عودتني	حلو المعاني الخرد
بهجة كالعسجد	شريفة كالمقصد
ما ضرها طول النوى	أوفدت أو لم تفيد
في ألقى معطر	مثل الشذى المنضد
مسجوعة كأنها	ترجيع شاد غرد
محبوكة من زرد ..	في حله من بارد
صافية من كدر	نقية من حرد
تحكي المني رفاة	من خلد لخلد
صار المرام نسجها	من مهج وأكبد
فإن نأت فرحتنا	فإننا لم نبعد

بالروح بالمعنى الوض	ي هالة في الجسد
فخذ حديث القلب من	نخب هوانا السرمدي
معضورة خمرته	من خافق لم يترد
مفتونة بالدردي	س في دنان الأبد
مخومة ما مسها	ثغر ولا ظل يد
أثارة الماضي الذي	عشنا وبقيًا مجهد
مخبوءة مذخورة	لما نرجى في غد
فلينها ياصاحبي	رهينة بالموعد
يوم العلا يوم الذرى	في موطني في بلدي
ونلتقى في فرحة	غامرة لم تهجد
موارة صخابة	فوق السهى والفرقد
بادئة بريئة	من عبث ومن رد
هي الوجود قبلها	كأننا لم نولد
ونعد كيف الحال	يا أخا الهوى المتقد
وهل تردد الشط في	غفلة عين الرصد

وتُحَلُّ المَقْلَةُ أَمْ . . طَارِيءٌ أَوْ عَارِضٌ
وَكَيْفَ نَقْضِي الْوَقْتَ فِى وَكَيْفَ زَيْدَانُ وَيَاسِيَّةُ
وَالْجَهْبَذُ الْأَشْيَ مِنْ أَبْلِغْهُمْ أَلْوَكَةَ
فِي غُرْبَةٍ قَاسِيَةٍ وَكُلْ مَا يَشْفَعُ لِي
إِنِّى هِنَا مِنْ أَجْلِهِ أَطْعَمَكَ اللَّهُ وَلَوْ
تَرَى الشَّبَابَ مِنْ جَا وَتَزْرَعُ النُّورَ عَلَى
فَرِيْمًا طَابَ الثَّرَى وَرَبِّمَا وَرَبِّمَا . .
وَلَا تَهَبْ مِنْ أَحَدٍ فَاقْنُصْ لَهَا يَا دَلْعِي
«مَوْلُودَةٌ» مَوْلُودَةٌ . . عُوْدَتْ مَا لَمْ تَعْتَدْ
أَوْ خَلَّ فِي الْمِرْوَدِ ي الرُّوْشَنُ أَوْ فِي الْمَقْعَدِ
ن وَأَهْلُ الْمُدَدِ . . زَكَ بِعَطْرِ الْمُخْتَدِ
مِنْ ظَامِيءٍ لَمْ يَرِدْ يَا صَاحِ أَوْهَتْ جَلْدِي
فِي تَعَبِي لَكِيْدِي فَلَنَدَ كِيْدِي وَلَدِي
بُرْعَمَةٌ كَالشَّهْدِ لَمِيْدٍ بِالْمَعَانِي الْجُدَدِ
نَهَجٍ خَلَا مِنْ عَقْدِ فِي خَطْوَةِ الْمُتَّيْدِ
حَمَدَتْ مَا لَمْ تَحْمَدِ فَأَنْتَ مِثْلُ «أَحَدِ»
«جِيْدَانَةٌ» فِي غِيَالِ فِي بُرْجِ ثَوْرِ أَوْجَدِي

البراءة الحاملة

أَيُّ حُبٍّ مَهْمَا سَمَا وَتَعَالَى بِالِغُ فِي سَمَائِكَ الْآمَالَا
فَجَرَتْ مَجْدَهُ الْعَرِيقُ مِنَ النَّفْسِ يَنَابِيعَ صَفَقَتِهِ زُلَالَا
سَكَبَتْهُ رُوحِي فَطَابَتْ بِمِرَّاهُ وَضَمَّتْ حَقِيقَةً وَخِيَالَا
وَرَوَتْهُ مِنَ الشُّعَاعِ الْمُصْفَى عَسْجِدِيَا مُعْطَرَا سَلْسَلَا
بَعْضُ نَفْسٍ وَسِرٌّ مَعْنَى عَمِيقُ كَانَ لَوْلَا الْوُجُودُ أَمْرًا مُحَالَا
إِنَّهُ غُصْنُ دَوْحَةٍ قَدْ تَغَنَّتْ لَوْ شَآهَا فِي قِمَّةٍ لَنْ تُطَالَا

* * *

سَأَلَ الْعَقْلُ : خَاشِعًا هَلْ لِعَاطِفَةِ الْحُبِّ مِنَ السَّحْرِ مَا يَفُكُّ الْجِبَالَ
هَذِهِ الْبَرْعُ النَّدِيَّةُ تَحْيَاهَا لِيَتَرَعَى طُفُولَةٌ : أُمُّ جَمَالَا
وَالْأَمَانِي قَدْ حَوَّلَتْكَ عَنِ النَّفْسِ إِلَى ظِلِّهَا لِيَتَنَعَّمَ حَالَا
وَتَغَافِلْتَ عَنِ سَنَا الْبَسْدِ وَضَاءَ بِهِذَا الَّذِي تَظُنُّ هِلَالَا

الْمَجَالَات كُلُّهَا فِي النَّهْيِ الْوَاصِلِ لَا فِي طُفُولَةِ تَتَلَّالَا ..
 وَتَصَدَّتْ مِنَ الطُّيُوفِ الْغَوَالِي لَمَحَاتٌ عَلَى النَّهْيِ تَتَغَالَى
 تَتَحَدَّى الْأَطْوَادَ : لُحْنٌ ثِقَالًا بِرُؤْيٍ أَرْسَلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا ..
 إِنَّمَا هَذِهِ الطُّفُولَةُ أَسْرَابُ شِفَافٍ لَا تَعْرِفُ الْأَوْحَالَ
 إِنَّهَا الرُّوحُ فِي طَبِيعَتِهَا الْحُرَّةُ وَحَى لَمْ يَأْلَفِ الْأَغْلَالَ
 إِنَّهَا الْوَجْهَ لِلْخَلِيقَةِ مَذْ فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا نَسَائِمًا وَظِلَالًا ..
 لَمْ يُدْنَسْ جَبِينُهَا وَضُرُّ الذَّاتِ أَنْانِيَّةٌ وَنَفْعًا مُذَلًّا
 هِيَ أَنْفَاسُهَا اللَّطَافُ هِيَ الْمُثَلِّ الْعُلْيَا لَعُمْرِي بَرَاءَةٌ وَجَلَالًا
 إِنْ فِيهَا خُلُودًا لِأَسْمَى .. الرُّسَالَاتِ عَطَاءٌ مِنَ السَّمَاءِ تَوَالِي
 إِنْ فِيهَا مِنَ الْجَمَالِ الْمُسَجَّى بِمَعَانِيهِ مَا يَدِقُّ مِثَالًا ..
 إِنْ فِيهَا حَلَاوَةُ الْبَشَرِ الْوَاعِلِ فِي عُمُقٍ جِيْفَةٍ تَتَعَالَى
 قَلَزُ عَاشِهِ وَيَحْمِلُهُ النَّاسُ غُثَاءً وَكُدْرَةً وَضَلَالًا ..
 مَا أَحْسَوْا بِثِقَلِهِ عِنْدَمَا كَانُوا نِطَاقًا أَوْ هُنْذَبُوا أَطْفَالًا
 وَلَقَدْ جَاوَزُوا الطُّفُولَةَ فَارْتَاعُوا وَذَاقُوا السَّنِينَ عُجْفًا مِحَالًا
 وَدَعَوْهَا فَوَدَّعُوا الْخَيْرَ . وَالْحُسْنَ وَعَافُوا الْمِيَاهَ وَالْأَظْلَالَ

وَاسْتَرَّاحُوا لِلشَّرِّ يَكْمُنُ فِي الْأَطْوَاءِ خَالُوا رُؤُوسَهُ أَبْطَالًا
 وَاسْتَبَدُّوا وَقَاوَمُوا السَّلْمَ . . بِالْحَرْبِ فَزَادَتْهُمْ الْحُرُوبُ وَبَلَا
 وَاسْتَطَابُوا مَرَاغِيَ السُّوءِ ظَنُّوْهَا ذَكَاءً وَأَرْقَلُوا أَرْقَالًا . .
 زَعَمُوا طِبِيَّةَ النَّفْسِ غَبَاءً وَاسْتَغَلُّوا الضَّمَائِرَ اسْتِغْلَالًا
 وَرَمَوْا بِالْعَفَافِ فِي لُجَّةِ الْقَا عِ وَرَامُوا الْحَيَاةَ جَاهًا وَمَالًا
 وَالْمَنَى عِنْدَهُمْ طَرَائِقُ أَنْى وَجَهَتْهُمْ خَدِيعَةٌ وَاحْتِيَالًا
 وَعَجِيبٌ أَمْرُ الْحَيَاةِ وَأَمْرُ . الْخَلْقِ فِيهَا قَذَارَةٌ وَسِفَالًا
 بِالْدُنْيَا انْطَوَتْ عَلَيْهَا يَرَاهَا الْإِنْسَانُ حَالًا وَيَرْتَجِيهَا مِثَالًا
 فِي مَنَى حُبِّهِ وَفِي شَهْوَةِ النَّفْسِ إِلَى وَضْلِهَا يَمُدُّ الْجِبَالَا
 فَلَكُ دَائِرٌ يُغْلَفُهُ . . الشَّكْلُ جَمَالًا مُنَمَّقًا خَتَالًا
 كَنَى يَدُورَ الْإِنْسَانِ فِي الْفَلَكَ الْوَاعِلِ فِي الرَّجْسِ ضَلَّةً وَخَبَالًا
 وَمِنَ الْحُسْنِ مَا يَرِينُ عَلَى . . الْآمَالِ يَغْتَالِ حَسَنُهُنَّ اغْتِيَالًا
 وَمِنَ الْقُبْحِ وَالذَّمَامَةِ . . مَا يَغْمُرُ دُنْيَا الْوُجُودِ سِحْرًا حَلَالًا
 رَبُّ طِفْلِ أَهْدَى إِلَى الْخَيْرِ مِنْ شَيْخٍ عُتِلَّ يَضِلُّ الْأَجْيَالَا
 رَبُّ طِفْلِ « بَغَايَةِ » يُبْهِجُ النَّفْسَ لِأَجْدَى مِمَّنْ حَسِبْتَ رِجَالَا

كَمْ مُهُودٍ تَسْمُو عَلَيْهَا نُهَى الْأَطْفَالِ تَدْعُو أَكَابِرًا أَطْفَالًا
كُلُّ مَنْ فِي الْحَيَاةِ يَنْسِجُ مِنْوَالًا وَيَأْتِي مَنْ يَنْسِجُ الْمِنْوَالًا
صُورٌ كُرِّرَتْ عَلَى نَسْتِ فَرْدٍ حَلَاهَا وَغَيَّرُوا الْأَشْكَالًا . .
فَالْأَبْوَاتِ وَالْأُمُومَاتِ . . تَلْقَاكَ لِتَلْقَى مِنْهُنَّ عَمَّا وَخَالًا . .
فَإِذَا مَا افْتَقَدْتَ قُرْبَاكَ . . لَا تَيَاسَ فَقَدْ تُبْصِرُ الْأَبَاعِدَ آلا
سُنُّ الْعَيْشِ لَا تَدُومُ لَكَ نَذَكْرَ رَبٍّ يُبَدِّلُ الْأَحْوَالَ

* * *

حلم غادة

ليس لى إلا فضل الرواية فقد قصت على غادة ابنة صديقى
الفيلسوف رحمه الله حلمها اللذيذ فأثرت أن أقدمه للقراء منظوما
فعسى أن يروقهم كما راقى :

يا أبى كيف أنت كيف تُروض الوقت فى العالم الكبير الكبير
كنت لا تستريح فى هدأة الليل ولا ضحوة النهار الهجير
لم يكن للفراغ عندك . مِيقَات فَقَدْ ذُبْتُ بَيْنَ نَارٍ وَنُورٍ
وتألفت فى العِشِيَّات بالفِكر المُجَلِّ غِيَاهِبِ الدِّيَجُورِ
يا أبى الفيلسوف بالله هل تذكر أَشْيَاءَنَا بِوَعَى ذُكُورِ
والأُمَامِى حَالِمَاتِ المَعَانِى صَاحِبَاتِ صُخُورِ النُّهَى فى البُكُورِ
تَنَضُّحِ الليل فى النجوم كما تَنَضُّحِ أَشْطَانَهَا صَبَايَا الغَدِيرِ
هَلْ لَقِيتِ الصُّحَابَ فى النُّنُوءَةِ الكُبْرَى : أَرْسَطُو والجَهْبَذِ ابنِ نَظِيرِ
والأَسَاطِينِ فى القَرِيضِ الأُلَى كُنْتَ تُنَاجِيهِمُوهَا بِذُنُوبِ الشُّعُورِ
ابنِ هَانِى وَأَحْمَدُ المُنْتَبِى والنَّدَامِى فَرَزْدَقِ وَجَرِيرِ

كُلُّهُمْ كَيْفَ خَالَهَمْ هَلْ تَلَاَقَتْ بَعْدَ لَايٍ أَفْكَارُهُمْ فِي الْمَصِيرِ
 كَيْفَ ذَابَ الْخِلَافَ أَيْنَ تَوَلَّتْ إِحْنٌ أَوْ غَلَتْ بِهِمْ فِي الصُّدُورِ
 هَلْ يَدَارُ الْقَرَارَ تُشْفَى صُدُورُ بَيْنَ نَعْمَى وَبَيْنَ عَيْشِ قَرِيرِ
 مَا لِقَاءُ الْأَرْوَاحِ مَا هَيْئَمَاتٍ . . الْكَوْنُ مَا السَّرُّ فِي خَفَايَا الْأُمُورِ
 كَيْفَ تَحْيَا النُّفُوسَ حِينَ يَسُودُ الصَّمْتُ مُسْتَلْهِمَا حَيَاةَ الْقُبُورِ
 وَالنَّسِيمُ الْعَلِيلِ مِنْ نَكْهَةِ الْفِرْدُوسِ هَلْ نَفْحُهُ كَنَفُ الْعَبِيرِ
 وَسُؤَالُ الْفَيْتَةِ أَنَا مِنْ قَبْلِ عَلَى عِلْمِكَ الْوَفِيرِ الْغَزِيرِ
 ذَلِكَ الدُّودُ هَلْ يَلُوكَ صَغِيرِ الْقَوْمِ تَحْتَ التُّرَابِ لَوْكَ الْكَبِيرِ
 أَمْ يَهَابُ الْكَبِيرِ شَأْنَ بَنَى الدُّنْيَا وَلَا يَسْتَطِيبُ غَيْرَ الصَّغِيرِ
 وَالْإِهَابُ النَّضِيرِ بِالْحُسْنِ وَالرُّوْنَقِ هَلْ طَعْمُهُ كَطَعْمِ النَّضِيرِ
 وَعُيُونُ الْمَهَا وَاهْدَابُهَا الْوُطْفُ تَنَاهَلْنَ مِنْ شُعَاعِ الْبُذُورِ
 سَلِمَتْ : مِنْ بَرَائِنِ الدُّودِ فِي الظُّلْمَةِ أَقْوَى مِنْ مِخْلَبِ مَسْعُورِ

وَتَجَلَّى أَبِي كَعَهْدِي بِسِيمَاهُ مُحْيَا مُشْعَشَعًا فِي حُبُورِ
 وَهُوَ يُنْمِلُ سَطُورَهُ فِي ابْتِسَامِ كَابِتْسَامِ مَقْطَرٍ فِي سَطُورِ

إِيَّاهُ يَا غَادَتِي وَيَا نَفْسِي خُذِينِي فِي جَوْهَرِي فِي ضَمِيرِي
 كُلِّ مَنْ قَدْ ذَكَرْتَ فِي كَنْفِ اللَّهِ رِفاقَ عَلَى بِسَاطِ السُّرُورِ
 مِثْلَ رَشْفِ الرِّضَابِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ نَظِيمٍ إِنْ شِئْتَهُ أَوْ نَثِيرِ
 وَالْمَعَانِي كُتُوبُهُمْ وَالْمَغَانِي حَانِئَاتِ بَيْنِ الرَّبِّيِّ وَالزُّهُورِ
 نَحْنُ لِلصَّفْوِ يَا حَبِيبَةِ فِي الْجَنَّةِ كَالزُّغْبِ هُجَعًا فِي الْوُكُورِ
 السَّيَّاحِ الْكَبِيرِ يَا زَهْرَةَ . . الْعُمَرِ حَيَاةٌ لَمْ تَذُرْ مَعْنَى الْفُتُورِ
 وَإِذَا الْوَدُّ عِنْدَكُمْ أَرْسَلَ . . اللَّوْمُ عِتَابًا عَيْبِهِ كَالزَّفِيرِ
 فَهُنَا عَالَمٌ مِنَ الرَّحْمَةِ الْكُبْرَى مِنَ الْحُبِّ وَالْفِدَاءِ الْأَثِيرِ
 أَبْعَدُ الْخَاطِرَاتِ فِي عَالَمِ الْخُلْدِ رِثَاءٌ لِعَابِيدٍ مَغْرُورِ
 أَوْ مَهِيضِ الْجَنَاحِ فِي زَحْمَةِ النُّورِ يَجْرَحُ دَامٍ وَقَلْبٍ كَسِيرِ
 وَالْتِمَاسِ الْغُفْرَانِ لِلْأَمَلِ الرَّاجِي سَمَاحٌ مِنَ الْعُقُورِ الْعُفُورِ
 وَعَنِ الدُّودِ فَاسْمَعِي مَنَظِقَ الدُّودِ بِصَوْتِ جَمِّ الْبَيَانِ جَهِيرِ
 إِنَّهُ قَالَ لَسْتُ كَالنَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَلَا مِثْلَهُمْ بِشَرْوِي نَقِيرِ
 لَا أَمْسُ الضَّعِيفَ لَكِنَّمَا . أَقْوَى عَلَى كُلِّ فَاتِكِ جَسُورِ
 إِنَّمَا الدُّودُ عِنْدَنَا ثَاقِبُ النَّظَرَةِ مَهْمَا خَطَى كَخَطْوِ الضَّرِيرِ

وإذا ما سَمِعْتَ عن أَقْرَع . . اللّٰخِذِ وَتُعْبَانِهِ الْعَنِيَّ الْمَرِير
 فهو والدُّودِ تَوَآمَانِ وَكَمْ نَابًا جِهَارًا عَنْ مُنْكَرٍ وَنَكِير
 لَا تُرَاعِي يَا غَادَتِي أَنَّمَا نَحْنُ وَأَنْتُنَّ عَلَى شَفَا أَوْ شَفِير
 نَتَرَجَّى الْمِيعَادَ فِي يَوْمِهِ الْأَكْبَرِ فِي ظِلِّهِ الْخَفِيِّ الْوَثِير
 نَحْنُ يَا غَادَتِي وَأَنْتُنَّ عَلَى الْمُفَرِّقِ وَالسَّرِّ فِي الْهُدَى الْمُسْتَنِير
 مَا لَنَا شَافِعَ سِوَى صَالِحِ الْأَعْمَالِ مَنْ لِي بِالْوَاصِلِ الْمَبْرُور
 وَبَيْنَنَا فِي دَعْوَةٍ تَنْقُلُ . . السَّرَّ إِلَيْنَا عَلَى جَنَاحِ الْأَيْبَر
 وَعَلَى فِكْرَةٍ فَأُمِّكَ تُقَرِّبُكَ سَلَامًا كَالْعِقْدِ فَوْقَ النُّحُور
 وَوَصَاةٍ مِنْهَا إِلَيْكَ عَلَى الْبُعْدِ خُذِيهَا كَبُشْرِيَّاتِ الْبَشِير
 أَنْ تُقِيمِي عَلَى الْعَفَافِ عَلَى الصُّونِ بِمَنْجَى مِنْ عَالَمٍ مَسْخُور
 بَهْرَتِهِ الْأَضْوَاءُ بِالْخَلْبِ الْبَارِقِ لَا مَاطِرٍ وَلَا مَمْطُور
 فَتَبَدَّى وَقَدْ تَسَرَّبَلِ بِالْعُرْيِ وَعِزُّ الْجَمَالِ فِي الْمَسْثُور
 وَاسْتِرَاحِ الْأَوْغَادِ إِذْ وَجَدُوا الْعَلِيَاءَ مَبْدُوءَةً بِغَيْرِ مُهُور
 ثُمَّ مَاذَا لَقَدْ صَحَّوَتْ مِنَ الْحُلْمِ بِقَلْبِ مُرَوِّعٍ مَذْعُور
 وَتَحَرَّيْتَ أَنْ أَقْصِكَ . . . رُؤْيَاكَ فَيَأْتِي ظَمَأَى إِلَى التَّغْيِيرِ

المريض الجانى

أَقْعَدَهُ الدَّاءُ وَلَمْ يَقْعُدْ بِهَمَّةِ الْمَشْلُولِ وَالْمُقْعَدِ
الْخَائِفُ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ لَمْ يَرْقُدِ اللَّيْلَ وَلَمْ يُرْقِدِ
يَا مَغْلَقَ الْحِقْدِ عَلَى نَفْسِهِ تُوَارِبُ الْبَابَ وَلَمْ يُوصِدْ
وَانْجَذَبَ اللَّفْحُ وَجَذَابُهُ وَاشْتَغَلَ الْمَوْقِدَ فِي الْمَوْقِدِ
حَسَدَتْ حَتَّى قَلْبِكَ الْمُبْتَلَى بِأَنَّهُ بِالْدَّاءِ لَمْ يُحْسَدِ
وَحَجَبَتْ عَنْكَ مَعَانِي الْهُدَى لَمْ تُهْدِ لِلْخَيْرِ وَلَمْ تَهْتَدِ
الْعِلَّةُ الْكُبْرَى تَذَوَّقْتُهَا فَانْعَكَسَتْ فِي النَّظَرِ الْأَرْمَدِ
مَجْنُونَةُ الْحَسْرَةِ مَشْبُوبَةٌ مَطْوِيَّةٌ فِي قَلْبِكَ الْأَسْوَدِ
مَثَلُهَا الْحَسُّ الَّذِي أَذْهَبَتْ رَوْنَقَهُ نَفْسِيَّةُ الْمُجْهَدِ
نَفْسِيَّةُ الْمَسْلُوبِ قَدْ آدَاهَا تَجَهُمُ الْيَوْمَ وَكَرَبُ الْقَدِ
وَقَسْوَةُ الدَّهْرِ وَهَزَاتُهُ وَمَكْرُهَا الْحَائِقُ بِالْمُعْتَدِ
طُيُوفُهَا الْوَسْنَى إِذَا أَبْعَدَتْ فِي أَنْفِهَا مِنْ أَفْقِهِ الْإِرِيدِ

فَإِنَّهَا صُورَةٌ مُسْتَقْبَلُ يُلْفِي الرَّدَى فِيهَا عَلَى مَوْعِدِ
تَقْدِمُهُ اللَّوْعَةُ حَرَّاقَةً جَزَاءَ مَا حَرَّقَ مِنْ أَكْبَدِ
وَالْبُؤْسُ هَتَاكَ لِأَسْتَارِهِ كَهَيْكَلِهِ لِلصُّوْنِ الْخَرَدِ
وَالْجُوعُ وَالْعُرْيُ وَسَوَاطِ الْأَذَى وَنَقْمَةٌ كَاللَّيْلِ لَمْ تَجْهَدْ
قَالُوا كَلِمٍ مِلَّةٍ أَبْرَادِهِ حَصَافَةٌ كَالْعَلَمِ الْمُفْرَدِ
وَعِبْرَتِي نَضْحُ أَغْرَاقِهِ مِنْ سُودَدٍ يُنْمِي إِلَى سُودَدِ
يَجُولُ بِالرَّأْيِ مَجَالِ النُّهَى فَيَقْنَصُ الشُّرْدَ بِالشُّرْدِ
وَقِيلَ سِرُّ الْعَقْلِ فِي صَمْتِهِ وَإِنَّهُ كَالصَّارِمِ الْمُغْمَدِ
وَانْطَلَقَ الدَّهْرُ بِأَحْدَاثِهِ وَعَصْفِهِ كَالهَادِرِ الْمُزِيدِ
تَعَلَّقَ النَّاسُ بِأَذْيَالِهِ تَعَلَّقَ الْحَائِرُ بِالْفَرْقَدِ
وَانْتَهَظَرُ النَّاسُ وَمَا اسْتَعْجَلُوا سَيِّدَهُمْ فِي الْمَوْقِفِ السَّيِّدِ
فَرَاغَهُمْ يَا هَوَلُ مَا رَاعَهُمْ ضَحَالَةُ الرَّأْيِ وَوَهْنُ الْيَدِ
وَالْفَشَلُ الصَّاعِقُ لَا يَأْتِي يُعَالِجُ الْفَاسِدَ بِالْأَفْسَدِ
قَدْ أَجْدَبَ الْخِصْبَ عَلَى عَهْدِهِ وَانْفَضَّ الْعَابِدُ فِي الْمَعْبَدِ
وَمَا صَحَا إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ مُطَارِدًا يَلْهَثُ فِي الْفَدْفَدِ

إلى أنبياء العالم والمعري في عالمه

يا فلذة من ضمير الكون صاحبة
 وناسج المجد في أعراق حكمته
 شذبة العرف تحكي في ملاحظتها
 سامرت كل شجى في مفاتيحه
 ولم تدع فوق آفاق السماء علًا
 ولم تذر تحت أطباق الثرى جدًا
 قالوا تحيرت في دنياك بين هو
 وإن ظلمة كون عشتها قلقًا
 قد أورتك ضلالاً في متاهتها
 وتستحل حرام العيش في شطف
 ولست يا ابن الشام الحلو غير فتى
 صحا بمهجنه صخوا تضيق به
 رعى الحقيقة في أسمى منازلها
 وعانق الحسن في أطواء عالمه
 صحو الربيع الموشى بالرياحين
 تنبه في الخلد تبه الخرد العين
 لواحظ الغيد في عنف وفي لين
 وهجت كل خلي غير مفتون
 حتى أباحك منه كل مكنون
 حتى تحرك بين الماء والطين
 طاغ وبين رشاد غير مأمون
 تجتر حرمانها في الخفض والهون
 فرحت تحرق مضمونا بمضمون
 وتحرّم النفس من نعى ومن لين
 أعطى الحياة عطاء غير ممنون
 مشاهد الكون في رؤيا المجانين
 بصيرة فوق أبصار الملايين
 كما تعانق فتان بمفتون

إِذَا تَدَفَّقَ فَالسَّلْسَالُ رَوْنَقُهُ
 وَإِنْ تَأَلَّقَ فِي أَعْمَاقِهِ قَبَسُ
 وَإِنْ تَلَفَّتْ صَوْبَ الْغَيْدِ بَارِقُهُ
 حَبَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا كُلُّ فِلَسْفَةٍ
 وَأَنْطَقَ الْمَجْدُ نُطْقًا غَيْرَ مُتَكِيٍّ
 وَرَاشَ بِالْمُثَلِّ الْعُلْيَا كَنَانَتَهُ
 وَمَدَّ لِلْعَقْلِ ظِلًّا مِنْ رَحَابَتِهِ
 قَالُوا شَمَخْتَ شُمُوخَ الْحِقْدِ لَوْ عَقَلُوا
 الرَّائِدُ الْفَرْدُ فِي عُمُقِ الْفَضَاءِ عَلَى
 فَإِنْ تَدَافَعَ «دَانِي» حَوْلَ سَرَحَتِهِ
 يَجْرِي مَعَ الْغَيْثِ فِي آنٍ وَفِي حِينٍ
 تَفْتَحُ الرُّوْضَ عَنْ وَرْدٍ وَنِسْرِينَ
 مَشَيْنَ مَشَى الْقَطَا حَوْلَ الْبَسَاتِينِ
 رَعْنَاءُ تَنْشُدُ سِرَّ الْكَافِ وَالنُّونِ
 عَلَى الْخُرَافَةِ فِي تَهْرِيجِ مَا فُونِ
 فَمَزَقَ السَّهْمُ أَحْشَاءَ الشَّعَابِينِ
 تَمَخَّضَتْ عَنْ حَضَارَاتٍ وَتَمْدِينِ
 لَمَجَّدُوا فِيكَ تَفْجِيرَ الْبَرَائِكِينَ
 مَطَارِحَ الْبَيْدِ فِي نَجْحِ الدَّهَاقِينِ
 فَذَاكَ مَجْدُ النُّهَى فِي مَنْطِقِ الدِّينِ

• • •

ذکر تکرار

ذکر تکرار والقلب الوفی ذکور
وصاغ الهوى من لحنها ما أثارنى
وما صدحت إلا بلحنى ولينتها
إذن لدرت قلباوعى اللحن حسه
تناعى الذي يجلو سنائه بقربه
وغادره لا عن قلى أو ملالة
فحملنى همين هم فراقه
عشيّة قالوا أم كلثوم وعدّها
وأنكرت نفسى والحياة وصفوها
وغنّت وقلبي شارد الحس هائم
وصحني من حولي يريدون سلوتي
خديها كما شاء الهوى عسجديّة
ويا طلعتى قلبي ضنين بحبه

فهاجت شؤون هجع وأمور
وأذكى حنيني والحنين شعور
تحس بأشجان الفؤاد تمور
تطير به آهاته وتثور
وآفاقه بشر يلوح ونور
ولم يدر أن الحفل بعد يصير
وهما من الذكري على يجور
مساء عرتني رعدة وقتور
وقلت هو الحظ الجميل نفور
يُنازعه منى هوى وضيمير
أأسلو؟ كأننى خائن وغلور
سلافاً على ذكرى هواك تدور
وفي على حالي هواك صبور

الشامخة

وشامخةً نَفْسُهَا عِزَّةٌ كما شَمَخَ الصَّدْرُ بِالنَّاهِدِ
 تَأَلَّفَ فِي جِيدِهَا الْعَبْقَرِيُّ شَذَى مِثْلَ تَنْهِيدَةِ الْعَابِدِ
 وَأَضْبَوْا لِحُسْنِ ثُرَيَّاتِهِ أَشِعَّةُ بَدْرِ الدُّجَى السَّاهِدِ
 أَفَاقَ الصُّبْحِ وَلَمَّا تَزَلْ شَوَادِيهِ كَالْوَاجِدِ الْفَاقِدِ
 هُوَ الْحُسْنُ فِي الْمَوْكِبِ الْمُجْتَلَى فَأَعْظَمَ بِمَوْكِبِهِ الْخَالِدِ
 تَنَاعُمُ أَمْجَادِهِ الصَّادِحَاتِ مَجَالِي الْمُنَى فِي الصَّبَا الْعَائِدِ
 وَتَبَسُّمُ فِي رَوْضِهِ فَرَحَتَانِ قُتُولَانِ لِلْعَازِلِ الْحَاسِدِ
 تَكْوَرَّتَا فَوْقَ مَجْرَى الْعَبِيرِ تَعْبَانِ مِنْ مَنْهَلٍ وَاحِدِ
 دُعَاءُ الطَّبِيعَةِ قَدْ صَوَّرَتْهُ ثِمَارًا عَلَى الْفُصْنِ الْمَائِدِ
 تَرَجَّرَجَ مِنْ فَوْقِهَا بُرْعَمُ حَكَى هِزَّةَ الرَّيْبِ فِي الشَّاهِدِ
 فَيَا مَا أَحْيَيْ الْمُنَى الزَّاهِيَاتِ مُقْصَصُضَةً بِالسَّنَا الْوَاقِدِ
 وَيَسْرِي الْهَوَى بَيْنَ هَمْسِ الْكَرَى وَتَعْزِيمَةِ الْفَاتِكِ الْعَامِدِ

يُوزَنُ فِي خَطْوِهِ كَالْقَطَا
وَعَادَ وَلَمَّا يَثْبُتْ رُشْدُهُ
فِيَا نَفْحَةَ الْحُلْمِ الْعَسْجَدِي
وَيَا فَرْحَةً فِي شِغَافِ الْقُلُوبِ
زَوِينَا مِنَ الْبَسَمَاتِ الْعِذَابِ
تُمَثِّلُ رِفْقَ النَفُوسِ الرُّطَابِ
وَعُدْنَا وَفِي الصَّخْرِ لَمَّا تَزَلْ
وَبَيْنَ لُبَانَاتِهِ ذِكْرِيَّاتُ
فِيَا أَنْتِ يَا حُلُوهُ الْمُجْتَنِى
وَيَا نَسْمَةً أَقْبَلْتَ بِالْحَيَاةِ
تَلْمِيزَ فِي حُطَامِ الشُّبَابِ
تُرَاعِينَ مَجْدًا هَوَى كَالشُّهَابِ
هُوَ الْحُبُّ نَهْرُ الْحَيَاةِ السَّرِيِّ
لَقَدْ كَانَ مُذْ كَانَ سِرُّ الْوُجُودِ
وَبَيْنَ الرُّعَانِ وَبَيْنَ الشَّعَافِ
وَفِي غَمِّمَاتِ الْعِرَاقِ الْخَفِيِّ
وَفِي صَخُوهِ الْفِكْرِ فِي سُهُودِهِ
فِيَا فَرْحَتِي : لِلْمُنَى « قَارِي »
وَيَنْسُمُ لِلْمَشْرِعِ الرَّافِدِ
وَيَخْلُدُ غَيْرَ الْهَوَى الرَّاشِدِ
وَإِغْفَاءَ الْقَدْرِ الرَّاصِدِ
أَضَاءَتْ عَلَى الْكَفِّ وَالسَّاعِدِ
تُصَفِّقُ سِرَّ الْهَوَى الرَّائِدِ
وَتَهْزَأُ بِالزَّمَنِ الْحَاقِدِ
مَعَالِمُ فِي سَرَحِهِ الْبَائِدِ
هِيَ الْعَيْنُ بِالْأَمَلِ الشَّارِدِ
وَيَا قِمَّةَ الْمُلتَقَى الصَّاعِدِ
كَمَا ابْتَسَمَ الْقَصْدُ لِلْقَاصِدِ
وَمَا فَاضَ عَنْ جُهْدِهِ الْجَاهِدِ
وَمَا يَقْدِرُ الْمَجْرَى كَالْمَاجِدِ
وَمُعْجِزَةُ الصَّيْدِ وَالصَّائِدِ
تَدْفُقُ فِي الْوَجْدِ وَالْوَاجِدِ
تُزَمِّزِمُ أَنْشُودَةَ النَّاشِدِ
وَفِي صَوْلَةِ الْجُنْدِ بِالقَائِدِ
وَفِي جَلُوهِ الْفَلَقِ الْمَارِدِ
وَيَا مُنِيَّتِي : لِلْجَفَا « بَاعِدِي »

ضحك العين

يا ضاحك العين وبسامها وواهباً للنفس أحلامها
وراقصاً فوق ثُغور المني ومُلهِمَ الألحان أنغامها
ما بَسْمَةِ الثَّغْرِ سِوَي شُعْلَةٍ من خَمْرَةٍ قد أَسْكَرَتْ جَامَهَا
مِنْ سِرِّ عَيْنَيْكَ وَمِنْ سِحْرِهَا تَصُوغُ لِلْبَسْمَةِ بَسَامَهَا
بَرَاءَةً فِي ظِلِّ أَنْفَاسِهَا أَطْيَابُهَا تَغْسِلُ آثَامَهَا
نَاسِكَةً تَعْبِقُ ارْدَانُهَا ما فَارَقَتْ فِي الْحِلِّ أَحْرَامَهَا
ويا حَدِيثًا لَمْ يَزَلْ سِحْرُهُ يَحْكِي مِنَ الرِّقَّةِ أَنْسَامَهَا
ويا مُنَى صَاغَتْ مَعَانِي الْهَوَى حِسَانُهَا الْغَيْدُ وَآرَامُهَا
وَطَارَخَتْ بِالْحُبِّ أَسَدَ الشَّرَى فَمَا أَطَاقَتْ بَعْدَ آجَامَهَا
وَأَمَنْتَ بِاللَّهِ فِي حُبِّهَا وَأَسْرَعَتْ تُغْلِنُ إِسْلَامَهَا
تُسَابِقُ الْفَرَحَةَ أَعْوَامَهَا وَتَمْلَأُ الْبَهْجَةَ أَيَّامَهَا

لماذا أحبته؟

أَحَبَّتْهُ فِي تَحَنُّانِهِ وَحَنَانِهِ وَرَاعَتْهُ فِي إِيمَانِهِ وَأَمَانِهِ
فَلَيْسَ لَهُ فِي نَفْسِهِ غَيْرُ شَانِهَا وَلَيْسَ لَهَا فِي نَفْسِهَا غَيْرُ شَانِهِ
أَطْلَتْ بِعَيْنَيْهِ فَلَمْ تَرَ غَيْرَهُ وَشَامَ بِعَيْنَيْهَا صَفَاءَ زَمَانِهِ
إِذَا خَافَ غَدْرَاتِ الزَّمَانِ أَجَبَةً وَرَوَّعَهُمْ زَحْفُ النَّوَى بِجِرَانِهِ
وَكَحَلَّ أَغْيَنَهُمْ سُهَادُ مُؤَرِّقٍ يُحَجِّبُ اشْرَاقَ الْمُنَى بِدُخَانِهِ
تَسَاقُوا كُؤُوسَ الْخُلْدِ رَفَافَةَ السَّنَا وَعَاشُوا بِرَوْضِ الْحُبِّ أَغْصَانِ بَانِهِ
صَحَاوَى فَلَا يَذْرِي الْحَمَامُ مَكَانَهُمْ وَغَاطَوْهُ حَتَّى مَادَرُوا بِمَكَانِهِ
هُمَا فِي رِحَابِ الْأَمْنِ وَالْحُبِّ بِبَهْجَةٍ مُطَوَّقَةٌ فِي الْخُلْدِ بَيْنَ جِنَانِهِ
وَلَيْسَ النَّوَى إِلَّا لِقَاءً وَبَهْجَةً لِإِلْفَيْنِ فِي رُوحِ الْهَوَى وَكَيَانِهِ

* * *

يَانِمَة

يا نَسْمَةً مِثْلَ اللَّيْلِ عَذْبَةً
 نَاشِدَتُكَ اللَّهُ أَمِنْ فَجَرِهَا
 وَهَذِهِ الْبَسْمَةُ مِنْ ثَغْرِهَا
 وَكَيْفَ جَاوَزَتْ سَوَادَ الدُّجَى
 أَمَا خَشِيتِ الْعُنْفَ فِي رِفْقِهَا
 وَهِيَ الَّتِي تُسَكِّرُ أَسَدَ الْحِمَى
 وَهِيَ الَّتِي تَقْتُلُ فِي بَسْمَةٍ
 فَقَالَتِ النَّسْمَةُ خَالَسْتُهَا
 غَافِيَةً تَضْحَكُ أَحْلَامُهَا
 عَوَّذْتُهَا مِنْ شَرٍّ وَسَوَاسِهَا
 أَعْمَيْتَهُ عَنْهَا لِكَيْ أَهْرَبَا
 تَرَكْتُهَا تَسْبَحُ فِي صَمْتِهَا
 كَأَنَّهَا الْوَرْدَةُ فِي كُمَّهَا
 شَبَّهْتُهَا مِثْلَ ظَبَاءِ الْفَلَا

تَرَوِي الْهَوَى عَنْ طِيبِ أَنْفَاسِهَا
 أَشْرَقَتْ أَمْ مِنْ نَبْعِ إِحْسَاسِهَا
 أَوْ مَزَجُ يَاقُوتٍ بِأَلْمَاسِهَا
 فِي شَعْرِهَا الْمَاتِعِ فِي رَأْسِهَا
 أَمَا خَشِيتِ الْبَاسَ مِنْ بَاسِهَا
 فَلَا تَفِيقُ الدَّهْرَ مِنْ كَأْسِهَا
 وَهِيَ الَّتِي تُخَيِّبُ بَايِنَاسِهَا
 فِي غَفْلَةٍ عَنْ عَيْنِ جَلَّاسِهَا
 صَاحِبَةٍ فِي ضَوْءِ نَبْرَاسِهَا
 رَقِيتُهَا مِنْ سِحْرِ خَنَاسِهَا
 مِنْ سَاجِنِ الرُّوحِ وَحَبَّاسِهَا
 تَضْرِبُ أَخْمَاسًا بِأَسْدَاسِهَا
 وَأَنْتِ مِنْهَا الْعَيْنُ فِي رَأْسِهَا
 ضَاقَتْ بِهَا وَحْشَةٌ أَكْنَاسِهَا

من عطرها غبّ الضياء وانتشى لم يدر بالدنيا ولا ناسها

ملائكُ الرحمة في برجها حارسَةٌ اكْـرِمْ بحراسها

طباعها الحلوة من معدن غراسه يُنمى لأغراسها

تُزْفُ بشري فرحٍ غامرٍ كفرحة الغيد باعراسها

والحربُ في الحسادِ قد أعلنت واليوم قد دَقَّتْ بأجراسها

* * *

يَا مَيِّ

أَهْوَاكِ فَوْقَ هَوَايَ فَوْقَ هَوَاكِ
أَشَدَّاءِ رُوحٍ فِي غَلَاثِلِ سُنْدُسٍ
هَمْسُ الْمَلَايِكِ دُونَ هَمْسِكَ رَاعَهُمْ
وَتَلَفَّتُوا مِنْ حَوْلِ ذَاتِكَ فَاَنْبَرَى
وَيُصَفِّقُ الْأَمْلُ الْهَنِيءُ كُؤُوسَهُ
أَقْسَمْتُ مَا أَدْرِي لَهُ طَعْمًا سِوَى
أَطْيَافِ أَنْسٍ فِي مَبَاهِجِ صَانِهَا
وَإِذَا تَرَاقَصَتِ الْمُنَى وَتَزَاوَحَتِ
وَلَكَ الرُّضَى مَا شِئْتَ حَتَّى تَعْلَمِي
يَا «مَيِّ» مَنْ لِي وَالْهَوَا جِسُّ جَمَّةٍ
وَالْعَاذِلُونَ تَفَنَّنُوا فِي كَيْدِهِمْ
يَا مَيِّ لَا أَدْرِي وَقَدْ عَصَفَ الْجَوَى
يَا مَيِّ مَا أَحْلَاكَ بِسْمَةِ طَالِعِ
الْعُمَرِ فِي لَحْظَاتِ عُمْرِكَ سَاعَةً
وَالْحُسْنُ فِي ذَهَبِ الْأَصِيلِ كَأَنَّهُ

وَأَرَاكَ أَجْمَلَ مَا تَكُونُ رُءَاكِ
فَكَأَنَّمَا صَاغَتْكَ مِنْكَ يَدَاكَ
مِنْكَ السَّنَا فَتَطَلَّعُوا لِذُرَاكِ
طَيْفٌ يُنْغَمُ رَجْعُهُ بِصَدَاكِ
رَاحًا مُشْعَشَعَةً بِخَمْرِ لَمَاكِ
أَرَجَ عَرَفْتُ بِعَرَفِهِ رِيَّاكِ
مَرَحُ الشَّجِيِّ وَلَوْعَةُ النَّسَاكِ
فِي مُهْجَتِي أَغْرَيْتُهَا بِرِضَاكِ
أَنَّ الْمُنَى كُلَّ الْمُنَى لُقْيَاكِ
حُفَّتْ وَرُودُ هَوَاكِ بِالْأَشْوَاكِ
كَيْ يُحْرِمُوا عَيْنِي مِنْ رُؤْيَاكِ
بِحَشَاشَتِي مَا مَوْضِعِي بِحَشَاكِ
بِالْيُمْنِ فِي دُنْيَايَ مَا أَحْلَاكَ
مَسْخُورَةٌ ضَحِكَتْ لَهَا عَيْنَاكِ
فَحَوَاكِ أَوْ مَعْنَاكِ أَوْ مَعْنَاكِ

وَإِذَا سَخَوْتَ بِبِسْمَةِ عِطْرِيَّةٍ فَكَأَنَّمَا جَادَتْ بِهَا كَفَّاكَ
 وَإِذَا تَحَدَّثَ خَاطِرِي وَتَأَلَّقَتْ شَفَتَاكِ وَاهْتَزَّ لَهَا عِطْفَاكَ
 طَابَ الْحَدِيثُ إِلَيْكَ حَتَّى أَنْبَى أَبْصَرْتُهُ شَبَحًا يُقْبَلُ فَكَ
 فَأَغَارُ مِنْ ذَاتِي لِذَاتِي وَيَحَهَا خُدْعُ الْهَوَى مَنْصُوبَةُ الْأَشْرَاكَ
 فَأَعِيشُ بَيْنَ يَدَيْكَ عُمْرًا ثَانِيَا لَوْلَاكَ مَا عِفْتُ الْكَرَى لَوْلَاكَ
 أَفْرَاحُ أَسْمَارٍ كَانَ نَعِيمَهَا أَسْحَارُ أَنْدَاءٍ وَطَيْفُ مَلَكَ
 وَأَوْدُ لَوْ وَصَلَ الْهَنَاءُ دَوَامَهَا لِمُورِقِ صَاحِرٍ وَقَلْبِ بَاكِي
 فَالْلَيْلُ يَا ذَاتَ الْوِشَاحِ جَوَانِحُ مَخْضُوبَةٌ فِي صَمْتِهَا أَرْعَاكَ
 وَاللَّيْلُ حَمَالُ الْكُرُوبِ سَجِيَّةٌ فِيهِ عَرَفْنَاها مِنَ الْأَفْلَاكَ
 يَخْلُو بِهِ سَمَرُ التَّهَجُّعِ آهَةٌ هَجْعُ الْحَمَائِمِ فَوْقَ غُضْنِ أَرَاكَ
 وَإِذَا أَنْسْتُ إِلَيْكَ أخطرَ مَا أَرَى مَسْرَاكَ وَنَحِ الْقَلْبِ مِنْ مَسْرَاكَ
 فَاحِسٌ وَثْبَتَهُ كَوْنُكَ فِي الْخُطَى يَا لَيْتَنِي يَا مَيُّ بَعْضُ خُطَاكَ
 يَا مَيُّ أَسْعَدَنِي هَوَاكَ فَهَلْ تَرِي يَا مَيُّ قَدْ أَحْطَاكَ أَمْ أَشَقَاكَ

...

يا صمتها

يا صَمَتَهَا الحُلُو يا أَسْرَارَ مُهْجَتِهَا يا سِحْرَهَا العَذْبَ في أَنْفَاسِ رِقَّتِهَا
ويا رَهَافَةَ حِسِّ بَعْضِ حَلِيتِهَا مَتَى أَبُوحُ بِأَقْصَى مَا أَدَارِيهِ

★ ● ★

الحُسْنُ نَفْحَةُ عِطْرِ مِنْ مَجَامِرِهَا والسَّحَرُ وَمِضَّةُ جَفْنٍ في مَحَاجِرِهَا
والأَسْرُ لَفْتَةٌ جَيِّدٌ : هُمْ شَاعِرِهَا صَوْنُ النُجُومِ عُقُودًا في مَعَانِيهِ

★ ● ★

ويا عُدُوبَةَ نَفْسٍ قَدْ كَلَفْتُ بِهَا وَلَمْ أَزَلْ أَتَغَذَّى مِنْ أَطَائِبِهَا
فَكَانَ مَذْهَبَ حُبِّي مِنْ مَذَاهِبِهَا قَدْ طَوَّقْتَنِي بِدَيْنٍ كَيْفَ أَقْضِيهِ

★ ● ★

يا رَبِّ نَفْسِي إِلَيْهَا الْيَوْمَ قَدْ أُنِسْتُ في فَرَحَةٍ بِقِضَاءِ مِنْكَ قَدْ سَنَحْتُ
ما خَادَعْتَنِي وَلَا رَأَيْتُ وَلَا لَبِسْتُ غَيْرَ الْوَفَاءِ رِدَاءَ عَزِّ بَارِيهِ

★ ● ★

وَالْيَوْمَ كَاشَفْتُهَا بَعْضَ الَّذِي أَجِدُ وفي الحَنَايَا لَطَى كَالْجَمْرِ يَتَّقِدُ
فَاغْرُورَقْتُ عَيْنُهَا مَذْخَانَهَا الْجِلْدُ مَعْنَى حَظِيْتُ بِهِ مِمَّنْ أُفْدِيهِ

★ ● ★

وَفَتْ في عَضْدِي أَنِّي شَكُوتُ لَهَا يَا لَيْتَنِي قَدْ كَسَمْتُ الحُبَّ وَالْوَلَاها
لَكِنَّ إِيْمَانَهَا الحَسَّاسَ شَاغِلَهَا فَادْرَكَتْ في هَوَاهَا ما أَعَانِيهِ

وَطَالَ صَنْتُ كَيْبِ شَابَهُ أَلَمْ
وَفَارَقَ الشَّعْرَ حَتَّى الْجَرُسِ وَالنَّعْمُ
وَفِكْرُهُ فِي النَّوَى تَغْلِي وَتَحْتَدِمُ
وَدَبَّ حِسَّ غَرِيبٌ فِي قَوَافِيهِ

★ ● ★

وَقَاوَمْتُ بَيْقَايَا الْجُهْدِ قَائِلَةً
فَقُلْتُ هَلْ تَحْسِبِينَ الْحَبَّ قَافِلَةً
أَلَا تَرَى فِي احْتِجَابِي عَنْكَ طَائِلَةٌ؟
يَلْوِي أَرْمَتَهَا فِي الرِّكْبِ حَادِيهِ

★ ● ★

قَدَزِدْتُ فِي الْقَلْبِ فَوْقَ الْعَيْنِ وَالنَّظَرِ
فَلَنَنْصَطِرَ عَلَّ فِي تَصْرِيفِهِ الْقَدَرِ
لَكِنَّ صَفْوَ الْهَوَى يَحْلُو مَعَ الْكَدْرِ
حَظًّا إِلَى أَجَلٍ عَنَّا يُوَارِيهِ

★ ● ★

وَلَمْ تَدْعِنِي إِلَّا وَاللُّجَى أَمَلُ
حَتَّى كَأَنَّ أَحَادِيثَ الْمُنَى قُبْلُ
فَالْعَيْنُ قَدْ ضَحِكَتْ وَالصَّفْوُ مَكْتَمِلُ
صَدَاحَةٌ فِي فَمٍ حُلُو تُنَاجِيهِ

* * *

لوكان

لَوْ كَانَ مُتَعَقِدِي أَنَّ الْهَوَى ثَمَنُ
 أَوْ كُنْتُ مِثْلَ بَنَاتِ الْيَوْمِ عَاطِفَةً
 وَلَوْ رَضِيتُ بِأَنَّ الْحُبَّ مَنْزِلَةٌ
 لَكِنَّ لِي أَمَلًا فِي الْحُبِّ يَعْرِفُهُ
 وَرِثَتُهُ عَنْ مَعَانٍ فِي صَافِيَةٍ
 إِنِّي أَجِلُّكَ عَنْ عَيْبٍ وَمَنْقَصَةٍ
 أَحَبَبْتُ فِيكَ نَقَاءَ الْمُرْنِ فَانْطَلَقْتُ
 وَهَبْتُكَ الرُّوحَ مَجْدًا خَالِدًا أَبَدًا
 جَرَحْتُ يَا أَمَنَ نَفْسًا أَنْتَ عَزَّتْهَا
 أَشْتَرِي أُنْسَكَ الْغَالِي وَبَهْجَتَهُ
 لَيْسَتْ هِبَاتٌ وَلَكِنْ فَرَحَةٌ عَرَضَتْ
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْكَأْسَ وَاحِدَةً
 لِمَنْ أَبَتْ شَكَاتِي وَهِيَ فِي خَلْدِي
 مَا عِشْتُ وَحْدِي فَرِيدًا بَيْنَ خِلَانِي
 لَصَانِي عَنْكَ وَجَدَانِي وَإِيمَانِي
 تُشْرِي لَسَاوَمْتُ فِي مِصْرٍ وَلِبْنَانٍ
 مِثْلِي وَيَعْجِزُ عَنْهُ كُلُّ فَنَانٍ
 صَفَاءَ نَفْسِي فِي سِرِّي وَاعْلَانِي
 لَوْلَاكَ مَا سَمَحْتُ نَفْسِي بِغُفْرَانٍ
 تَشْدُو بِرُوحِكَ قِيثَارِي وَالْحَانِي
 فَهَلْ يُقَاسُ بِمَجْدٍ خَالِدٍ : فَانِي
 وَأَنْتَ جَوْهَرُهَا فِي نَفْسِ إِنْسَانٍ
 بِمَا أَرَى فِيهِ تَقْصِيرِي وَنُقْصَانِي
 مِنِّي إِلَى حَكَّتْ أَنْفَاسَ نَبِئَانٍ
 وَلَوْ تَرَشَّفَهَا يَا آمَنَ اثْنَانِ
 سِرٌّ كَسِرُّكَ فِي طَيٍّ وَكَيْمَانِ

...

هو ويه

كَيْفَ أَحْبَبْتُ رَوَاهَا ؟ كَيْفَ أَكْبَرْتُ هَوَاهَا ؟
لَسْتُ أَذْرِي

أَصْبَحْتُ لِلْقَلْبِ دِينَهُ يَوْمَ أَحْظَانِي لِقَاهَا
فَهُوَ عُمْرِي

أَهْيَ أَخْلَامُ شَبَابٍ زَهْزَهَتْ عِنْدَ مَشِيبٍ ؟
وَهِيَ تَذْرِي

فَتَوَارَتْ بِالْحِجَابِ لَا كَهْنِدٍ أَوْ رَبَابِ
رَغْمَ صَبْرِي

يَا فَتَاتِي لَكَ أَجْرٌ لَكَ إِنَّ صَدَيْتِ عُذْرٌ
أَيُّ عُذْرٍ

لَا يَطِيقُ الْمَاءُ جَمْرٌ لَا يَطِيقُ الْحُلُوُّ مُرٌ
أَيُّ مُرٍ

لَا مَ عُدَالِي وَلُمْتُ وَتَحَدَوْنِي فَقُلْتُ
بِنْتُ ... حُرٌّ

أَنْتِ زَهْرٌ أَنْتِ نَبْتُ وَأَنَا يَا آمَنَ مَيْتٌ
دُونِ قَبْرِي

هَيْكَلٌ يَمْشِي ثَقِيلًا بَيْنَ عَيْنَيْكَ ذَلِيلًا
مِثْلَ شِعْرِي

إِنْ تَمِيلِي لَنْ أَمِيلَا فَاصْبِرِي صَبْرًا قَلِيلًا
أَيَّ صَبْرٍ

فَهِيَ أَيَّامٌ بَوَاقِي رَغَمَ أَنَّ الْحُبَّ بَاقِي
كُلُّ دَهْرِي

فَرَحَتِي يَوْمَ التَّلَاقِي تَتَلَاشَى بِالْفِرَاقِ
غَيْرِ سِرِّي

فَصَلِّبْنِي بِالتَّمَنِّي بِرِضَاكِ الْمُطْمَئِنِّ
لَا تَفَرِّي

لَا تَرْقِيْ لَا تَحْنِيْ غَيْرَ حَنِيةٍ ضَنْ

دُونَ هَجْرٍ

فَأَنَا يَا أَنْتِ مَعْنَى دُونَ لَفْظٍ يَتَغَنَّى

مِثْلَ طَيْرٍ

أَنَا رَمَزُ يَتَمَنَّى لَكَ إِسْعَادًا وَأَمْنًا

لَوْ بِغَيْرِي

يَا فَتَاتِي لَنْ تَخَافِي أَنْتِ حُبٌّ فِي شِغَاغِي

طُولُ عُمْرِي

لِلْعَادِيلِ خَوَافِي وَأَنَا تِلْكَ الْخَوَافِي

فَاطْمَئِنِّي وَاسْتَقِرِّي

وَاسْمَعِي بَعْدَ الْأَصِيلِ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْمَقِيلِ

خَفَقُ صَدْرِي

تَعْرِفِينِي بِالْخَمِيلِ إِنَّ شَدَا بَيْنَ الْخَمِيلِ

لَحْنُ قَمْرِي

وَإِذَا أَظْلَمَ لَيْلٌ وَأَوَى فَرْعٌ وَأَضْلُ

تَخْتَسِرُ

وَإِذَا حَفَّفَ نَخْلٌ وَاخْتَفَى لَحْنٌ وَهَذَا

فَهُوَ أَمْرِي

أَنَا رَاضٍ يَا فَتَاتِي مِنْكَ حَتَّى بِالْفُتَاتِ

وَسَطَ قَفَرٍ

أَتَحَرَّى أُمْنِيَّاتِي عَلَى فَجَرِ الصُّبْحِ آتِي

لَصَبُورٍ مُتَحَرِّي

قَالَ لِي حَسِّي الْعَجِيبُ إِنَّهُ أَمْرٌ غَرِيبٌ

أَيَّ سِرِّ

أَشْرُوقُ أَمْ غُرُوبُ ؟ أَعْنَاءُ أَمْ نَحِيبُ ؟

لَسْتُ أَذْرِي

أَنْتِ أَبْصَرْتَ قَبْلَ مِيلَادِ

دُونَ أَمْرِي

هَلْ تَحَدَّثْتَ السَّيِّئِينَ ؟ هَلْ تَهَجَّجْتَ الْعَرِينَ ؟

بَعْدَ عُسْرِ

كَيْفَ أَرْضَيْتَ السَّمَاءَ ؟ كَيْفَ دَارَيْتَ الْقَضَاءَ ؟

هَلْ يُسَّرُ ؟

هَلْ تَخَطَّيْتَ الْقَضَاءَ ؟ مِثْلَمَا شِئْتَ وَشَاءَ

قَبْلَ فَجْرِ

قُلْتَ لِلْحُبِّ شُهُودٌ وَالْهَوَىٰ عِطْرٌ وَعُودٌ

فَوْقَ قَنْدَرِي

كُنْتُ أَبَدِي وَأَعِيدَ فَدَنَا النُّجْمُ الْبَعِيدَ

حَوْلَ شَهْرِ

وَرَعَانِي وَرَعَاهَا وَسَقَانِي وَسَقَاهَا

حُلُوَ خَمْرٍ

وَبَدَتْ لِي مُقْلَتَاهَا ثُمَّ رَقَّتْ وَجَنَّتَاهَا

دُونَ مَكْرٍ

وَتَمَلَّيْتُ شَذَاهَا نَاقِلًا عِطَرَ لَمَاهَا

عِطَرَ سِخْرِ

كُلُّ مَا أَعْلَمُ عَنْهَا أَنَّ نَفْحَ الْمِسْكِ مِنْهَا

نَفْحَ زَهْرِ

كُلُّ حُبِّي لَمْ يَزِنْهَا كُلُّ وَضْفِي لَمْ يُبَيِّنْهَا

فَوْقَ شِعْرِي

فَاقْبَلِي أَنْفَاسَ قَلْبِي إِنَّهَا زَفْرَةُ حُبِّي

رَمَزُ شُكْرِي

كُلُّ مَا أَرَجُوهُ مِنْكَ عِنْدَمَا أَبْعُدُ عَنْكَ

قَبْدَ شَبْرِ

إِنْ تَصُونِي فِي يَدَيْكَ لَمَسَاتِ مِنْ يَدَيْكَ

فَهِيَ ذِكْرِي

وَدُعَاءُ كَالْحَنِينِ لِهَوَى حُرٍّ أَمِينِ

صَوْبٍ وَشُكْرِي

إِنَّهَا دُنْيَا تَمُرُّ وَالْمُنَى مَدٌّ وَجَزْرٌ
مَوْجٌ بَخْرٌ
فَإِذَا أَظْلَمَ فَجْرٌ وَمَضَى عُمْرٌ وَعُمْرٌ
أَيَّ عُمْرٍ
لَيْسَ لِلْأَحْيَاءِ قَدْرٌ إِنَّمَا الْأَيَّامُ ذِكْرٌ
نَبْعٌ خَبْرٌ
قَالَ لِي طَيْفُكَ أَمْسٍ إِنَّ طَبَعَ الدَّهْرِ يَنْسِي
قُلْتُ بَدْرِي
هِيَ عَيْنِي هِيَ رَأْسِي فَوْقَ أَرْضِي تَحْتَ رَمْسِي
ضَوْءُ بَدْرِي

* * *

يَا رَبِّ

يَا رَبُّ صَنَعْتُكَ الْجَمِيلَةَ يَا رَبُّ فِطْرَتُكَ الْأَصِيلَةَ

فَأَقْتِ بِنُبُلٍ خِصَالِهَا

وَبِطِيبِهَا وَكَمَالِهَا

قَدْ كَانَ يَأْسِرُنِي الْجَمَالُ وَالْيَوْمَ يَأْسِرُنِي الْجَلَالُ

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهُ الدَّلَالُ وَأَظُنُّهُ أَلْقُ الْجَمَالُ

فَبَدَتْ حَنَانُ فَوْقَ مَا

تَبْدُو الْمَلَاهِكُ فِي السَّمَاءِ

كَانَتْ يَحَقُّ بِلَسْمَا وَمِنْ الْمَكَارِمِ أَكْرَمَا

يَا رَبُّ صَنَعْتُكَ الْجَمِيلَةَ يَا رَبُّ فِطْرَتُكَ الْأَصِيلَةَ

يَا رَبُّ كَالْإِشْرَاقِ يَسْطَعُ فِي الْخَمِيلَةِ يَا رَبُّ كَالْإِعْجَازِ إِذْ يَرْوِي دَلِيلَهُ

يَا رَبُّ كَانَتْ بِالْكَمَالِ

تَضِنُّ بِالسُّخْرِ الْحَلَالِ

كَانَتْ تُجْمَعُ بِالْحَنَانِ وَتَخَافُ مِنْ زَحَمِ الْحَنَانِ
كَانَتْ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ تَلُودُ إِشْرَاقَ الْبَيَانِ
وَتَظُنُّهُ سِحْرَ اللِّسَانِ
وَكَانَ إِحْسَاسُ الْحَنَانِ

فَرَكَعْتُ يَا رَبِّاهُ لَا تَغْضِبْ عَلَيَّ أَمَامَهَا
وَجَنُوتُ أَلْتُمُ فِي رِضَا فَوْقَ الرِّضَا أَقْدَامَهَا
وَضَمَمْتُهَا ضَمَّ السَّحَابَةِ فِي سَمَاكِ غَمَامَهَا
وَقَرَنْتُ بِاسْمِكَ مُسْتَرِيحًا بَدَءَهَا وَخِتَامَهَا
وَلَقَدْ شَكَرْتُكَ رَحْمَةً بَرَزَتْ دَلَائِلُ أَضْلَاهَا
فِي قَوْلِهَا فِي فِعْلِهَا لَسْتُ الْجَدِيرَ بِمِثْلِهَا
أَبَدًا وَلَا مِنْ أَهْلِهَا

لَكِنَّهَا رُحْمَاكَ تَغْمُرُنِي بِوَارِفِ ظِلِّهَا
سَكْرَانٌ يَا رَبِّاهُ مِنْ عَذَابِ اللَّامِ مِنْ كَوْنِكَ
وَمِنْ الشَّدْيِ قَدْ دُقَّتْهُ وَكَانَنِي فِي جَنَّتِكَ
وَنَهَلْتُ مِنْ حُلُوِ الرُّضَابِ وَإِنَّهُ مِنْ رَحْمَتِكَ

وَسَكِرْتُ لَسْتُ بِجَاحِدٍ مِنْ ثَغْرِهَا مِنْ خَمَرَتِكَ
 يَا رَبِّ إِنَّ مَنَعْتَ بِأَسْرَارِ الْكَمَالِ
 فَالْيَوْمَ قَدْ مَنَحْتَ بِأَسْرَارِ الْكَمَالِ
 بِالْحُبِّ مَوْضُولاً بِحُبِّكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْخَيَالِ
 وَلَأَنْتَ يَا رَبُّ الْقُلُوبِ الْبَيْضِ لَا يَخْفَاكَ حَالِي
 فَاتَّكُبْ لِقَلْبَيْنَا الْأَمَانَ
 وَاتَّكُبْ لَنَا حُسْنَ الْمَالِ
 وَاجْعَلْ دَائِمًا فِي حُسْنِهَا ذَاتَ الدَّلَالِ
 فَأَنَا الْفَخُورُ بِحُبِّهَا
 فِي بُعْدِهَا أَوْ قُرْبِهَا
 صُنْهَا عَنِ الشَّرِّ الْمُبِيتِ فِي الْجَلَاءِ وَفِي الْخَفَاءِ
 صُنْهَا عَنِ الْحُسَادِ أَنْتَ كَمَا تَشَاءُ
 فَيَهِيَ إِلَيَّ تَهْوَى رِضَاكَ وَلَا تُحَازِرْ مَا سِوَاكَ
 وَأَنَا الْفَخُورُ بِحُبِّهَا
 فِي بُعْدِهَا أَوْ قُرْبِهَا

أهلاً

أَهْلًا بِمَنْ وَهَبَتْ نَفْسِي وَأَعْيَادِي عُمْرًا جَدِيدًا كَعُمْرِي يَوْمَ مِيلَادِي
فَنَشِيبِهِ كَمَا تَبْغِينَ تَنْشِئَةَ وَزُودِيهِ بِمَا تَهْوِينَ مِنْ زَادِ
وَأَشْرِقِي فِي مَعَانِيهِ يَكُنْ أَبَدًا صَدَاكِ يَامِي مِنْ وَادٍ إِلَى وَادٍ
طَوْقَتِهِ مِنَّنَا غَرَاءَ ضَافِيَةً فَكَيْفَ يَنْسَى النَّدَى مِنْ غُضَنِ النَّادِي
يَوْدٌ لَوْ سَارَتِ الرُّكْبَانُ تَنْقُلُهَا كَالْغَيْثِ يَنْقُلُهُ لِلرَّائِحِ الْغَادِي
أَجَلٌ مُرِيهِ فَمَا أَحْلَاكِ أَمْرَةً عَلَيْهِ يَامِي فِي خَافٍ وَفِي بَادِي
أَسِيرُكَ الْيَوْمَ يَرْجُو أَنْ يَلْتَوِمَ عَلَى أَسَارِ فَضْلِكَ أَسَرَ الظَّامِي الصَّادِي

...

ساعتها

يَا عَذُولًا فِي يَدَيْهَا أَنْتَ مَنْ أَنْتَ لَدَيْهَا؟
مَا كَفَى أَنْكَ طُولَ الْوَقْتِ تَطْوِي مِعْصَمَيْهَا؟
كَالَّذِي يَسْتَرْقُ السَّمْعَ وَيَلْوِي نَظَرَيْهَا
صَوْبَ ذَلِكَ الْعَقْرَبِ اللَّامِعِ . يُغْرِي أُذُنَيْهَا
فَتُطِيلُ الْمَسَّ وَالنُّظْرَةَ دَوْمًا فِي يَدَيْهَا
مَنْ تُرَى أَنْتَ وَهَلْ وَصَّاكَ ذُو شَأْنٍ عَلَيْهَا؟

* * *

كَانَ أُخْرَى بِكَ ذَوْقُ يَتَنَانِي ، يَتَأَدَّبُ
لَا يُطِيلُ الرِّقْصَ كَيَّ يَرْكُضُ بِالْوَقْتِ وَيَهْرَبُ
أَنْتَ حَوْلَ الْقَلْبِ وَالْقَلْبُ شُعَاعٌ يَتَوَثَّبُ
كَيْفَ لَا تُشْجِيكَ دَقَّاتُ فُؤَادٍ مِنْكَ أَقْرَبُ؟
كَيْفَ لَا تَسْكُنُ لَا تَهْدَأُ فِي رِفْقِي وَتَطْرَبُ؟

فَتَمَهَّلْ أَيْهَا الرُّقَاصُ وَاغْفِلْ وَتَهَذَّبْ
بَارِكِ الْوَقْتَ وَجَرَّبْ وَتَعَلَّمْ مِنْ مُجَرَّبْ
إِنَّهَا لَحِظَةٌ أَحْلَامِي وَعُمْرِي فَتَجَنَّبْ
لَسْتُ لَوْلَا يَدُهَا الْحَلُوهُ إِلَّا سُمُّ عَقْرَبْ

• • •

وَإِذَا حَاوَلْتَ أَنْ تُسْرِعَ بِالْوَقْتِ عَلَى غَيْرِ هَوَانَا
سَوْفَ نَسْتَبْدِلُكَ عَقِيَانَا وَمَاسَا وَجُمَانَا
وَيَوَاقِيتَ ثُرَيْنَا الْوَقْتَ لَكِنْ لَا تَرَانَا
سَاعَةً قَدْ صَنَعُوهَا ذَاتَ حِسٍّ لَا يُدَانِي
تَرْقُبُ الْفَرَحَةَ تُغْلِبُهَا زَمَانَا وَمَكَانَا
ذَاتُ حِسٍّ عِبْقَرِيٍّ فِي لِقَانَا تَتَفَانِي
حَسْبُهَا رَجْعُ صَدَانَا تَغْمِضُ الطَّرْفَ حَنَانَا
تَكْتُمُ السَّرَّ وَلَا تَنْطِقُ شَيْئًا مِنْ وَرَانَا
رُبَّمَا أَبْطَاتِ السَّيْرَ فَلَا تَسْبِقُ فِي السَّيْرِ خُطَانَا
بِنْتُ أَضَلِّ وَبَنَاتُ الْأَضَلِّ أَغْلَى النَّاسِ شَانَا

حَسْبُهَا يَا نَاسُ أَنْ تَشْهَدَ حَالَيْنَا عَيْنَانَا
حَسْبُهَا رُؤْيَا لِقَانَا ثُمَّ تَشْبِيْعُ خُطَانَا
وَمَعًا لِلْبَابِ حَتَّى حِينَ تَغِيَا قَدَمَانَا
نَسْرِقُ الصَّفْوَةَ مِنَ الْوَقْتِ وَنَرْجُوهُ الْأَمَانَا
وَهُوَ بِالْأَنْسِ ضَنِينٍ قَلَّمَا يُعْطِي الْأَمَانَا
وَإِذَا صَافَى فَأَيَّامُ الصَّفَا أَنَا فَآنَا
وَأَخِيرًا فَاغْلَمِي يَأْمِي أَنَا فِي الْهَوَى غَيْرُ سَوَانَا
إِنْ مَحَا الدَّمْعُ أَمَانِي النَّاسِ لَا يَمَحُو مُنَانَا
أَوْ طَوَى النَّاسَ فَإِنَّ الْحُوبَ قَدْ يَطْوِي الزَّمَانَا

* * *

اعتها تجيب

خَنَاتِيكَ قَدْ أَوْسَعَتْ لَوْمًا كَأَنِّي عَذُولٌ بِحَقِّ تُسْتَبَاحِ دِمَائِي
 وَمَا أَنَا نَمَامٌ وَلَا أَنَا حَاسِدٌ فَحَسْبِي فِي دُنْيَا الْبَلَاءِ بِلَائِي
 فَبُرْجِي كَمَا تَذَرِي كَفِيفٌ وَصَامِتٌ ثَقِيلٌ بَطِيءٌ فِي أَشَدِّ حَيَاءِ
 فَفِي حُبِّهِ أَعْمَى وَفِي الْكُرْهِ مُبْصِرٌ عَلَى غَيْرَةِ شَفَافَةٍ كَذُّ كَاءِ
 يُحَرِّكُهَا سَمْعٌ وَيُلْهِبُهَا لَظَى إِذَا مَسَّهَا ذُو غِلْظَةٍ وَغَبَاءِ
 وَفِي بُرْجِ ذَاتِ الْمِعْصَمِ الرِّخْصِ شِيمَةٌ ثَلَاثُمُ حُبِّي فِي الْهَوَى وَإِبَائِي
 قَلِيلَةٌ حُبٌّ غَيْرُ أَنَّ مَزَاجَهَا عَلَى الْحُبِّ يَجْرِي دَائِمًا بِقَضَاءِ
 لَهَا فِي مَذَاقِ الْحُبِّ نَكْهَةٌ حَالِمٌ بَرِيءٌ يَرَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ رِضَاءِ
 وَرُبَّ خَيَالٍ آسِرٍ فِي صَفَائِهِ يَفُوقُ الْهَوَى الطَّاعِي بِغَيْرِ صَفَاءِ
 طَبِيبٌ يُدَاوِي طِبُّهُ غَيْرَ دَائِهِ تُشْعِشِعُ فِيهِ حِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ
 يَرَى فِي دَلَالِ الْحُبِّ سُلْطَةً قَادِرٍ مُمَثَّلَةٌ فِي نَشْوَةِ الْخِيَلِ
 وَيُعْجِبُهُ فِي الْحُبِّ طَاعَةٌ وَالِهِ تَفِيضٌ عَلَيْهَا رِقَّةُ النَّبَلِ
 وَأَسْمَى مَعَانِيهِ الْوَفَاءُ وَرُبَّمَا يَذُوبُ حَيًّا فِي رِذَاءِ وَفَاءِ

وَيَغْصِمُهُ الْحُبُّ الْحَقِيُّ وَطَالَمَا
وَيَغْصِمُ مَنْ يَهْوَاهُ حَتَّى كَانَمَا
مَغَانِي تَرْعَى أَنْفَسَ الشُّعْرَاءِ
وَحَتَّى مَعَانِي الْحِظِّ مَعْكُوسَةُ الرُّوَى
وَتَحْزِمُ حَتَّى نَفْسَهَا يُنَمَّ حِظُّهَا
فَلَا تَرْتَضِي فِي عِزِّهَا ذُلًّا وَالِهِ
تَضِجُ الْمَعَانِي فِي حَنَائِيا فُؤَادِهَا
وَتَرْعَى انْطِلَاقَ الْحُبِّ فِي غَيْرِ مَغْرَمٍ
تُدِيرُ أَحَادِيثَ الْهَوَى بِلَبَاقَةٍ
وَيَكْبُرُ مِنْهَا الضَّنُّ حَتَّى كَانَهُ
طَيَابَةُ نَفْسٍ بَيْنَ صَخَوٍ وَغَفْوَةٍ
حَنَانِيكَ فَاسْجَحْ إِنِّي لَسْتُ عَازِلًا
وَلِلْأَسَدِ الزَّوَارِ بُرْجٌ كَانَهُ
وَتِلْكَ الَّتِي قَدْ هَدَمْتَ فِيكَ ثَوْرَةً
لَهَا الشُّكْرُ نَزْجِيهِه ثَنَاءً مُعْطَرًّا
تَسَامَى عَلَى جَاهٍ وَطُولٍ ثَرَاءِ
يَرَى كَوْنَهُ دُنْيَا بِغَيْرِ شَقَاءِ
مَغَانِي تَرْعَى أَنْفَسَ الشُّعْرَاءِ
وَحَتَّى مَعَانِي الْحِظِّ مَعْكُوسَةُ الرُّوَى
وَتَحْزِمُ حَتَّى نَفْسَهَا يُنَمَّ حِظُّهَا
فَلَا تَرْتَضِي فِي عِزِّهَا ذُلًّا وَالِهِ
تَضِجُ الْمَعَانِي فِي حَنَائِيا فُؤَادِهَا
وَتَرْعَى انْطِلَاقَ الْحُبِّ فِي غَيْرِ مَغْرَمٍ
تُدِيرُ أَحَادِيثَ الْهَوَى بِلَبَاقَةٍ
وَيَكْبُرُ مِنْهَا الضَّنُّ حَتَّى كَانَهُ
طَيَابَةُ نَفْسٍ بَيْنَ صَخَوٍ وَغَفْوَةٍ
حَنَانِيكَ فَاسْجَحْ إِنِّي لَسْتُ عَازِلًا
وَلِلْأَسَدِ الزَّوَارِ بُرْجٌ كَانَهُ
وَتِلْكَ الَّتِي قَدْ هَدَمْتَ فِيكَ ثَوْرَةً
لَهَا الشُّكْرُ نَزْجِيهِه ثَنَاءً مُعْطَرًّا
أَرْتَنَا لُيُونًا فِي إِسَارِ ظَبَاءِ
مَنْ غَيْرُهَا حَقٌّ بِكُلِّ ثَنَاءِ

الصحواح الم

وَقَدْ غَادَرْتَنِي بَيْنَ صَفْوٍ وَضِدِّهِ
 تَسَمَّرْتُ خَلْفَ الْبَابِ ثُمَّ وَصَدْتُهُ
 مَشَيْتُ الْهُوَيْنَا وَإِنِّي الْخَطُورَاجِفَا
 رَجَعْتُ إِلَى كُرْسِيِّهَا فَلَثَمْتُهُ
 وَسَاوَرَنِي مَالًا أَطِيقُ احْتِمَالَهُ
 وَلَيْلٍ كَلِيلٍ « النَّابِغِيُّ » مُؤَرِّقٍ
 تُمْلِمُنِي فِيهِ أَمَانِي ظَافِرٍ
 أَعَاتِبُ نَفْسِي كَيْفَ ضَايَقْتُ ثَاوِيَا
 وَلَوْ كُنْتُ ذَا وَدٍّ صَحِيحٍ كَمَمْتُهُ
 وَأَبْدِي سِوَاهُ عِنْدَهَا رَغَمَ أَنَّنِي
 فَمَنْ لِي بِمَنْ يُرْضِنِي . . بَعْدَمَا
 وَقَدْ خَلَفْتَنِي فِي اللَّطْفِ الْعَذْبِ حَاثِرَا
 وَحَيْرَةً مَسْلُوبٍ وَقَسْوَةً سَالِبٍ
 بِحُرْقَةٍ مَغْلُوبٍ وَأَمَالٍ غَالِبٍ
 كَمُبْصِرٍ أَظْعَانٍ مَشَتْ بِالْحَبَابِ
 وَحَاضِنْتُهُ فِي حُزْنٍ أَسْفَانٍ ذَائِبٍ
 وَزَاحَمَنِي زَحَمَ الْقَنَا وَالْقَوَاضِبِ
 ثِقَالٍ مَرَاسِيهِ بَطِيءٍ الْكَوَاكِبِ
 وَتَحْرِقُنِي فِيهِ أَحَاسِيْسُ خَائِبٍ
 بِقَلْبِي مُقِيمَا بَيْنَ عَيْنِي وَحَاجِبِي
 وَعِشْتُ عَلَى مَعْنَاهُ أَطْوِي جَوَانِبِي
 أَضْمُّ عَلَى ذِكْرَاهُ كُلَّ رَوَاجِبِي
 رَمْتَنِي بِلَحْظِ جَاهِمِ الْحَسِّ غَاضِبِ
 وَمَا أَنَا بِالسَّالِي وَلَسْتُ بِعَاتِبِ

وَلَكِنَّهَا نَفْسُ الْمُحِبِّ عَجُولَةٌ تَطِيرُ بِهَا أَخْلَامُهَا لِلْسَحَائِبِ
 فَمَنْ مُبْلَغٍ عَنِّي . . . أَنَّهَا إِذَا مَا عَفَتْ تَلْقَى شَمَائِلَ تَائِبِ
 وَحَسْبِي مِنْهَا فِي الْكَرَى طَيْفُ حَالِمٍ وَلَوْ حَسَبْتَنِي فِي عِدَادِ الصَّوَاحِبِ
 سَأَخْبِيكَ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ كُلِّ خَاطِرٍ يَسُوءُكَ وَعَدًا صَادِقًا غَيْرَ كَاذِبِ
 وَدُمْتُ كَمَا تَبْغِينَ نُبْلًا وَعِزَّةً تَفُوقِينَ فِي دُنْيَاكِ أَسْمَى الْكَوَاقِبِ
 وَرَجَوَايَ أَنْ لَا تَنْدِمِي رَغَمَ مَا جَرَى عَلَى كُلِّ مَا اسْلَفَتْ رَغَمَ مَعَائِي
 وَإِنِّي عَلَى وَدِّي بِأَشْوَاقٍ حَاضِرٍ وَإِنِّي عَلَى عَهْدِي بِأَمَالٍ غَائِبِ

أَتَنْسِينَ؟

إِذَا فَرَّغَ الْعَطْفُ هَلْ تَنْتَهِي مَعَانِيهِ فِي نَفْسِكَ الطَّيِّبَةِ ؟
وَأَنْتِ الَّتِي لَمْ يَزَلْ نَفْحُهَا نَدِي الْعُدُوبَةِ مَا أَطْيَبَهُ ؟
أَتَنْسِينَ أَنَّكَ أَزْهَى رَّبِيعٍ حَفِيلِ الصَّلَاتِ جَزِيلِ الْهَيْبَةِ ؟
وَشَعْرُكَ تَنْسِينَ إِلْهَامَهُ وَأَوْرَاقَهُ الْغَضَّةَ الْمُخْصِبَةِ ؟
أَلَمْ تَرْضَيْ حَرَّ أَنْفَاسِهِ وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِهِ مُعْجِبَةٍ ؟

... ..

الكوافير

وَكُنْتُ أَخَافُ عَلَى الْوَجْنَتَيْنِ مِنْ اللَّهَبِ الْحَرِّ فِي الْجَمْرَتَيْنِ
وَمِنْ أَثَرِ الْكَأْسِ فِي «الشَّفَتَيْنِ» وَمِنْ خَطَرَاتِ النَّسِيمِ الْعَلِيلِ
فَطَمَأَنَّنِي حَارِسُ الْمُقْلَتَيْنِ وَقَالَ أَنَا الْحِرْزُ مِنْ كُلِّ عَيْنِ
وَلَا تَنْسَ عَنَبَةً بَيْنَ بَيْنَ عَلَى شَفَةِ كَاخِمِرَارِ الْأَصِيلِ
تَصُونُ لَمَاهَا بِغَمَازَتَيْنِ وَظِلُّ الْجُفُونِ الْوَرِيفِ الظَّلِيلِ
وَالسَّهْرِيُّ لَطَى طَعْنَتَيْنِ يَصُونُ عَلَى الْغُصْنِ رُمَانَتَيْنِ
فَلَا تَخْشَ إِلَّا تَبَارِيحَ بَيْنِ فَشَرُّ الْهَوَى يَوْمَ شَدِّ الْحُمُولِ

فَقُلْتُ لِحَارِسِهَا الْمُشْفِقِ فَدَيْتُكَ صِفْ لِي وَلَا تَقْلِقِ
بِمَاذَا تَصُدُّ يَدَ الْخَالِقِ كَوَافِيرُهَا وَالشَّلَى يَقْطِرُ
أَأَحْسَنُ مِنْ صَنْعَةِ الْخَالِقِ ؟ تُرِيدُ وَفِي شَعْرِهَا أَبْحُرُ
تَمْوُجُ بِتَغْيِيرِهَا النَّاطِقِ تَرَانِيمُهَا النَّايُ وَالْمِزْهُرُ
يَمُرُّ بِكَفْنِهِ كَالسَّارِقِ وَيَسْكُرُ بِالنَّفْسِ الْعَابِقِ

وَفِي خَصَلَاتِ الصَّبَا الدَّافِقِ يُخَالِسُهَا الْمُشْطَ إِذْ يَغْبِرُ
وَفِي شَعْرِهَا كُلِّ مَا فِي الدُّجَى مِنَ الْوَمَضِ كَالْأَمَلِ الْمُرْتَجَى
وَفِيهِ دُعَاءُ يُدِيرُ الْحِجَى فَكَيْفَ عَلَى حُسْنِهِ آمَنُ ؟
فَجَاوَبَنِي الْحَارِيسُ الْآسِرُ هَوَاكَ هُوَ الْحَاكِمُ الْآمِرُ
يُكَيِّفُهُ حِسْكَ الشَّاعِرِ وَمِنْ خَوْفِهِ تَغْمُضُ الْأَعْيُنُ

...

المستلقية

رَأَيْتُكَ فِي سَدْحَةِ النَّائِمِ كَأَنَّكَ فِي سَبْحَةِ الْعَائِمِ
وَلِلْحَنِ فِي الْجَسَدِ النَّاعِمِ تَرَائِمُ مِثْلَ الدُّجَى الْفَاعِمِ
فَمَا هَزَمَزَ الْغُصْنَ أَثْمَارُهُ سِوَى ثَمَرٍ نَافِرٍ هَائِمِ
كَأَمْوَاجٍ نُورٍ تَدَلَّتْ عَلَى عَنَاقِيدَ مِنْ عَسَجِدٍ بِاسِمِ
فَعَوَّذْتُهَا ثَمَلًا بِالْمُنَى تَضَاحَكْنَ لِلْحُلُمِ وَالْحَالِمِ

قالت

قَالَتْ أَخَافُ الْمَعَانِي فِيكَ غَافِيَةً وَلَا أَخَافُكَ فِي صَحْرِ يُدَارِيهَا
 فَأَنْتَ إِذْ يَهْجَعُ الْإِحْسَاسُ مُنْطَلِقٌ كَالْمَاءِ فِي الْأَرْضِ يَنْأَى عَنْ أَعَالِيهَا
 وَيَسْتَرِيحُ إِلَى أَعْطَافٍ مُنْخَفَضٍ عَلَى طَبِيعَتِهِ فِي حِضْنٍ وَادِيهَا
 وَأَنْتَ كَالْحُبِّ تَطْوِيهِ عَوَاطِفُهُ وَحُلُوهُ حِينَ تَطْوِيهِ وَيَطْوِيهَا
 فَقُلْتُ أَنْتِ الْمَعَانِي فِي حَقِيقَتِهَا فَكُلُّ مَا فِيكَ عُنْوَانٌ لِمَا فِيهَا
 قَالَتْ حَبَسْتُ مَنَى نَفْسِي بِأَقْنَعَةٍ طَرِيقَةَ اللَّمَسِ رَقَّتْ فِي حَوَاشِيهَا
 فَلَنْ أَطِيقَ بِمَا أَخْفَيْتُ أَبْدِيهَا وَلَنْ أَطِيقَ بِمَا أَبْدَيْتُ أَخْفِيهَا
 فَقُلْتُ لَا تَحْسَبِيهَا حَيْرَةً أَنْفًا فَكَمْ نُفُوسٍ مَضَتْ كَانَتْ تُعَانِيهَا
 وَقِمَّةَ الْحِسِّ فِي دُنْيَا الْهَوَى صُورُ وَشَيْكَةَ الصَّفْوِ أَشْبَاحُ مَرَاتِيهَا
 إِذَا اسْتَرَاخَتْ إِلَيْهَا النَّفْسُ ثَانِيَةً كَرَّتْ عَلَيْهِ بِأَهْوَالٍ لِبَالِيهَا
 وَالْحُبُّ كَالْكُونِ يَا لَيْلَايَ تَجْرِبَةٌ تُضَيُّ فِي الزَّخْمَةِ الْكُبْرَى مَعَانِيهَا
 وَالْفَجْرُ مِنْ غَسَقٍ يَبْدُو مِنْ حُرْقٍ كَأَدْمَعِ الصَّبِّ حَارَتْ فِي مَآقِيهَا
 وَكَمْ سَحَابٌ ظَنَّمَايَ وَهِيَ مُثْقَلَةٌ يَمْزِنُهَا ثُمَّ لَا تَدْرِي بِمَا فِيهَا

رَجَوْتُ أَمْنَكَ يَا لَيْلَايَ فَأَعْتَرَضْتُ
لَكِنِّي بِكَ يَا أَمْنِي وَيَا أَمَلِي
فَهَلْ تَصُونِينَ بَقِيَا النَّفْسِ فِي حُلْمٍ
قَضَيْتُ عُمْرِي فِي دُنْيَا الْهُدَى أَرْقَا
بَذَلْتُ رُوحِي فِي أَمْجَادِهَا لِأَرَى
وَأَثَرَتْ نَفْسِي الْحِرْمَانَ أَنْشُدُهُ
فَعَقَّنِي كُلُّ خَلٍّ كُنْتُ أَمَلُهُ
وَهَا أَنَا الْيَوْمَ مُعْتَاضٌ بِأُمْنِيَةِ
إِذَا صَحَوْتُ فَمِنْ أَنْفَاسِهَا أَمَلِي
مَلَكَتْهَا الْقَلْبَ لَا أَبْغِي لَهُ ثَمَنًا
وَلَيْتَ أَوْرَاقَ عُمْرِي بَعْدَمَا ذُبُلْتُ
شَتَّى صُرُوفٌ تَمَادَتْ فِي تَجَنِّيْهَا
سَاحَتَمِي بِالْعَوَادِي مِنْ عَوَادِيهَا
فَقَدْ تَعِيشَ الْأَمَانِي فِي بَوَاقِيهَا
أَرْعَى الذَّمَّارَ لِأَوْطَانِي وَأَحْمِيهَا
مَا كُنْتُ أَمَلُهُ فِي عِزِّ أَهْلِيهَا
غِدَاءَ أُمْنِيَةِ كُبْرَى أَرْجِيهَا
وَبَاعَ دِينًا بِدُنْيَا ذَلِّ رَاجِيهَا
عَزِيزَةَ كَهْوَى الْأَوْطَانِ أَغْلِيهَا
وَأِنْ غَفَوْتُ فَطَاطِيفُ أَنْاجِيهَا
حَسْبِي ابْتِسَامَةُ فَجْرِ لَا تُوَارِيهَا
تَلُمُّهَا كَفُّ أُمِّي ثُمَّ تَطْوِيهَا

* * *

قوله

قُولِي بِرَبِّكَ مَاذَا أَنْتِ صَانِعَةٌ بَعْدِي وَقَدْ سَرَقَتْ عَيْنِي عَيْنَاكَ
 فَلَيْتَ أَنِّي لَمْ أَرْسُمْ هَوًى ثَمَلًا عَلَى جَبِينِكَ بَادٍ فِي مُحِبَّاكَ
 وَلَيْتَ أَنَّكَ قَدْ أَطْفَأْتَ شُعْلَتَهُ أَوْ أَنَّ حُبًّا سَوَى حُبِّي تَفَادَاكَ
 إِنْ كُنْتُ أَسْعِدُ نَفْسِي فِي شَقَاكَ فَلَا دَامَتْ سَعَادَةٌ مِنْ يَا مِيْ أَشَقَاكَ
 حَسْبِي مِنَ الذِّكْرِيَّاتِ الْبَيْضِ مَا تَرَكَتُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ بَقَايَاكَ
 وَأُمْسِيَّاتُ لَنَا كَالْحُلُمِ قَدْ سَلَفَتْ الشُّعْرُ أَنْجُمُهَا وَالْخَمْرُ نَجْوَاكَ
 وَلَمْ نَذُقْ طَعْمَ رَاحٍ غَيْرَ مَا سَكَبْتَ عَيْنَاكَ مِنْ نَشْوَةٍ فِيهَا حُمَاكَ
 أَجَلُ فَدَيْتِكَ هَلَّا تَذْكُرِينَ إِذَا مَرَرْتَ بِالْجِيزَةِ الزَّهْرَاءِ مُضْنَاكَ
 وَلَوْ بِنَظَرَةٍ عَطْفٍ فَوْقَ مِصْعَدِهَا إِذَا تَيَمَّمْتَ فِي أَعْلَاهُ قُرْبَاكَ
 تَذْكُرِيهِ وَلَوْ عَتَبًا وَلَوْ غَضَبًا فَسَوْفَ تُسْعِدُهُ يَا مِيْ ذِكْرَاكَ
 قَوْلِي هُنَا كَانَ مِنْ دَارِ الْهُدَى رَجُلٌ بَادِي الْهَيْامِ عَلِيلٌ ضَا حِكُ بَاكِ

سلمت يداك

يَا مِي يَا نَوْرَ الْجِنَانِ	سَلِمَتْ يَدَاكَ الْحُلُوتَانِ
فَكَيْفَ يَبْلُغُكَ الْبَيَانُ	يَا مَنْ سَمَوْتَ عَلَى الْحَنَانِ
أَخَافُ مِنْ حَسَدِ الزَّمَانِ	لَوْ قُلْتُ جَوْهَرَةَ الزَّمَانِ
طَابَتْ بِهِنَّ الْمُقْلَتَانِ	لَمَسَاتُ كَفِّكَ بِالْبَنَانِ
بِالْمَاءِ ثُلْجًا يَقْطُرَانِ	مَا « كَمَدْتَنِي » « الْقُطْنَتَانِ »
بِشَذَى الْحَلَاوَةِ فِي اللِّسَانِ	لَكِنْ بِأَنْفَاسِ الْحَنَانِ
وَأَقُولُ فِي نَفْسِي : كَمَا	عَزَافَةُ عَزَفَ الْكَمَانِ
وَلَقَدْ كَسَبْتُ أَنَا الرِّهَانِ	أَنْتِ الطَّيْبَةُ بِالرَّهَانِ
إِنْ تَعْتَرِينِي مَرْضَتَانِ	أُمْنِيَّتَانِ عَزِيزَتَانِ
وَلَوْ تَطُولُ الْعِلَتَانِ	أَحْظَى بِأَنْمُلِكِ الْحِسَانِ
وَقُلْتُ تَكْفِيكَ لُفَافَتَانِ	يَا مَنْ أَبَيْتَ لِي الدُّخَانِ
وَسَكَتُ فِي حَذَرِ الْجَبَانِ	أَغْضَتْ وَقَالَتْ « نُكْتَتَانِ »

...

أ

هِيَ النَّدَامَةُ أَخْشَاهَا عَلَى « أَمَلٍ »
 وما نَدِمْتُ وَلَمْ أَنْدَمْ عَلَى ثِقَةٍ
 تَبَلَّلتُ فِي مَفَاهِيمِ الْهَوَى فَبَدَّتْ
 وفَاتَهَا أَنِّي فِي حُبِّهَا قَبَسُ
 وفَاتَهَا أَنِّي كَالشَّمْعِ مُحْتَرِقُ
 وَأَنَّ لِي أَمَلًا فِيهَا أُرْغِرُهُ
 وَأَنِّي غَيْرُ مَا أَبْدِيهِ مِنْ صُورٍ
 إِنْ غَابَ عَنْكَ فَأَيَّامُ الْمُنَى دَوْلُ
 إِنِّي أُعْيِذُكَ مِنْ آلامِ نَادِمَةٍ
 يَسُوءُنِي ظَنُّكَ الْعَاتِي وَيُحْزِنُنِي
 لَسْتُ الْمُخَادِعَ عُمْرِي وَقَدْ جَعَلْتُ هَوَى
 فَلَا أَقُولُ ودَاعًا بَلْ ودَادَ رِضَا
 فَالْبُعْدُ أَهْوَنُ مِنْ لُقْيَا مُرْوَعَةٍ
 أَبَاحَنِي الْحُبُّ فِيهِ كُلُّ مَمْنُوعٍ
 لَكِنْ نَدِمْتُ « وَقَدْ » جَفَّتْ يَنَابِيعِي
 تَقْيِسُ مَصْنُوعَهُ الْبَالِي بِمَطْبُوعٍ
 شُعَاعُهُ طُولَ عُمْرِي غَيْرُ مَقْطُوعٍ
 لَكِي يُضِيءُ وَأَنِّي غَيْرُ مَدْفُوعٍ
 بَيْنَ الْحَنَابَا بِنَهْيِيدِي وَتَلْوِيْعِي
 سِرٌّ مِنَ الْغَيْبِ يَمْشِي فِي التَّلَافِيْعِ
 كَمْ بَائِعٍ قَدْ بَكَى فِي إِثْرِ مَبْيُوعٍ
 مَضَى بِهَا الْوَهْمُ فِي أَحْلَامِ مَفْزُوعٍ
 رُؤْيَا فُؤَادِكَ فِي أَثْوَابِ مَخْدُوعٍ
 النَفْسُ مِنِّي تَابِعًا فِي ظِلِّ مَتْبُوعٍ
 إِنْ فَاتَنِي حَظُّ تَشْيِيعٍ وَتَوَدِيعٍ
 وَمِنْ لِقَاءِ ودَاعٍ بَعْدَ أُسْبُوعٍ

أَعَلِمْتِ ؟

أَعَلِمْتِ كَيْفَ دَنَوْتُ مِنْكَ وَمِنْ سَمَاكِ وَمِنْ رِحَابِكَ ؟
وَمِنْ الْبَشَاشَةِ فِي طِبَاعِكَ وَالْحَلَاوَةِ فِي دُعَابِكَ ؟
وَمِنْ الصَّفَاءِ الْعَبْقَرِيِّ لَقَدْ تَلَّالًا فِي شَبَابِكَ ؟
وَمِنْ الْأَرِيحِ الْعَذْبِ احْسَبْهُ تَقَطَّرَ مِنْ رَضَائِكَ ؟
شَيْءٌ خَفِيَ لَا يُبَيِّنُ لَقَدْ دَنَا بِي نَحْوَ بَابِكَ
شَيْءٌ تَلَعَّمْتُ فِي سُؤَالِي إِذْ تَلَعَّمْتُ فِي جَوَابِكَ
شَيْءٌ أَطَّلَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَيْسَ ظِلًّا مِنْ رَغَائِكَ
حَدَّثْتُ وَاحْلِفْ أَنَّهُ مَا كَانَ يَوْمًا فِي حِسَابِكَ
شَيْءٌ تَسَامَى عَنْ هَوَى الدُّنْيَا وَأَشْرَقَ فِي إِهَابِكَ
ذِكْرِي مُعْطَرَةً سَتُقْرَأُ يَا وَفِيَّةُ فِي كِتَابِكَ
قُولِي لِأَهْلِكَ وَالْأَقَارِبِ وَالْأَعِزَّةِ مِنْ صَحَابِكَ
هَذِي الْحَيَاةُ مَشَاهِدُ غَيْرَ الْقَنَا . غَيْرَ السَّنَابِكِ
غَيْرَ الْوُجُودِ بِكُلِّ مَا فِيهِ وَغَيْرَ سَنَا الْمَلَاتِكِ

أَعْطَاهُ الْوَرْدُ الْمُصَفَّى رَغَمَ أَنَّ اللَّئْسَ شَائِكَ
وَبَسَاطَهُ رَوْحٌ بِلَا وَقْدِ أَلْدُّ مِنَ الْأَرَائِكَ
ذَهَبِيَّةٌ لِحَظَاتِهِ مِنْ دُونِهَا أَعْلَى السَّبَائِكَ
لَوْ دُقْتُ يَا أُمَاهُ لاسْتَحْلَيْتِ مَاءَ غَيْرِ مَائِكَ
وَلَقَالَ لِي كُلُّ الصَّوَابِ زَوْدِينَا مِنْ سَمَائِكَ
لَكِنْ أَضِنُ لِيَهْتَفُوا يَا مَيُّ هَذَا بَعْضُ دَائِكَ

...

الحب الشاعر

أَحِبُّكَ يَا حُبَّهَا الشَّاعِرَا وَأُغْلِيكَ يَا قَلْبَهَا الطَّاهِرَا
وَأُضِدِّحُ يَا غُصْنَهَا الزَّاهِرَا لِتَرْحَمَ فِي خَافِقِي طَائِرَا
وَتُؤْوِي مُرْتَعِشًا صَابِرَا وَتُنْهَضَ حَظًّا لَهُ عَائِرَا
نَصَبْتَ لَهُ الْفَلَكَ الدَّائِرَا فَعَبَّ الضِّيَاءَ هَوَى سَاحِرَا
فَيَا لَيْتَ آخِرُهُ أَوَّلَا وَيَا لَيْتَ أَوَّلُهُ آخِرَا
لَقَدْ كُنْتُ أَرْضُدُ سِيرَ النُّجُومِ وَاجْعَلْ بَاطِنَهَا ظَاهِرَا
وَهَا أَنَا يَرِضُدُنِي آسِرَا وَكُنْتُ لَأَمْثَالِهِ آسِرَا
فَيَا مَنْ أَسْرَتَ بِغَيْرِ حِسَابٍ قَتَى حَاسِبًا مَاهِرَا
فَدَعْنِي أَصْنَعْ لَكَ الطَّالِعَا فَرِيدًا كَمَا تَشْتَهِي نَادِرَا
وَشَرِّطِي أَنْ لَا تَفُكَّ الْأَسَارَ وَتَبْقَى عَلَى مُهْجَتِي آمِرَا
وَإِنْ لَاحَ فِي الْبُرْجِ نَجْمٌ سِوَايَ فَكُنْ لِي وَلَوْ خُفِيَّةً ذَاكِرَا

لا تلمني

لا تَلْمَنِي حِينَ يَنْحُو الْعَقْلُ عِنْدِي غَيْرَ نَحْوِكَ
لا تَلْمَنِي

لا تَقُلْ فَرْطُ دَلَالٍ لَا تَقُلْ زَهُوُ جَمَالٍ
وَتَرْفُقُ

لا تَلْمَنِي

لِي رُؤْيَا غَيْرُ رُؤْيَاكَ وَعِلْمٌ غَيْرُ عِلْمِكَ
فَتَمَهَّلْ

لا تَلْمَنِي

لَسْتُ بِالْجَاهِلِ قَدْرَكَ مِثْلَ مَا أَجْهَلُ سِرَّكَ
وَرَجَائِي

لا تَلْمَنِي

فَرَحَنِي فَرَحَةً إِحْسَاسٍ وَقَلْبٍ يَتَضَرَّمُ

فَتَأْمَلِي

لَا تُلْمَنِي

أَنْتَ مَعْنَى غَيْرِ مَيْسُورٍ عَلَى الْعَقْلِ قَبُولُهُ

لَا تَسْلَنِي

لَا تُلْمَنِي

وَبِلَذَوْقِي وَأَحَاسِيْسِي مَضْنَتُهُ

دُونَ عَقْلِي

لَا تُلْمَنِي

فَمَعَانِي الْحُبِّ قَدْ تَعْرِفُ لَكِنْ لَا تُطَاقُ

فَأَجِرْنِي

لَا تُلْمَنِي

فَوْقَ سُوءِ الظَّنِّ فَوْقَ الشُّكِّ تَعْلُو لِلثَّرِيَّا

لِلثَّرِيَّا

لَا تُلْمَنِي

قُلْتُ لِي إِنِّي فِي اللَّحْظَةِ وَالْخَطَرَةِ جَنْبِكَ
فَصُعِقْتُ

لَا تُلْمَنِي

أَنْتَ شَيْءٌ غَيْرُ حُبٍّ غَيْرُ وَدٍّ غَيْرُ قُرْبٍ
لَا تَسَلْنِي

لَا تُلْمَنِي

قَالَ لِي حُسْنُكَ فِي صَمْتِ عَجِيبٍ
وَعَرِيبٍ

لَا تُلْمَنِي

إِنِّي أَكْثَرُ مِنْ بِنْتٍ وَأَخْتٍ وَحَلِيلَةٍ
وَصَمْتُ

لَا تُلْمَنِي

إِنِّي عِنْدَكَ فِي النَّوْمِ وَفِي الصُّحُورِ سَوَاءٌ
بِسَوَاءٍ

لَا تُلْمَنِي

إِنِّي رَاحَتُكَ الْكُبْرَى عَلَى رَغْمِ انْبِهَارِي

وَاعْتِذَارِي

لَا تَلْمَنِي

إِنِّي دُونَ رُضُوحٍ وَجُمُوحٍ فِي جِوَارِكَ

وَدِثَارِكَ

لَا تَلْمَنِي

فَتَمَلَمَلْتُ وَأَصْبَحْتُ كَمَا تَهْوَى وَأَكْثَرُ

ثُمَّ أَكْثَرُ

لَا تَلْمَنِي

وَتَمَلُّيتُكَ فِي نَفْسِي وَرَاقِبْتُ زِيَارَةَ

لَا إِشَارَةَ

لَا تَلْمَنِي

وَتَقَمَّصْتُ الَّذِي فِيكَ « تَحَابِيشُ » وَرَجَوِي

بَعْدَ نَجْوِي

لَا تَلْمَنِي

عِنْدَمَا أَنْزَعُ فُسْتَانِي وَأَخْتَارُ شَعَارِي

وَسِوَاهِ

لَا تَلْمَنِي

عِنْدَ حَمَامِي وَهِنْدَامِي وَكَوَاثِيرِي وَشَعْرِي

أَيُّ شَعْرٍ

لَا تَلْمَنِي

رَبِّمَا أَخْرَجُ مِنْ عِنْدِكَ غَضَبِي أَيُّ غَضَبِي

دُونِ قَصْدٍ

لَا تَلْمَنِي

ثُمَّ أَرْضَى فِي سُورٍ يَتَجَلَّى بِابْتِسَامٍ

وَالْتِقَامٍ

لَا تَلْمَنِي

كُنْتُ أَخْشَاكَ وَأَصْبَحْتُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ أَخْشَى

فَفَرِّثُ

لَا تَلْمَنِي

إِنْ صَحَا عَقْلِي لَا أَرْغَبُ فِي حِسِّي صَحْوَهُ

مِثْلَ سَهْوِهِ

لَا تَلْمَنِي

إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ مِنْ مِثْلِي عَيْبٌ أَنْتَ تَعْلَمُ

فَوْقَ عِلْمِي

لَا تَلْمَنِي

غَيْرَ أَنِّي دُونَ مَنْ قَدْ تَنَاسَيْتُ الظُّنُونَ

وَالْحِسَابَ

لَا تَلْمَنِي

كُلُّ مَا أَرْجُوهُ مِنْ قَلْبِكَ فِي قَلْبِي وَرَوْحِي

أَنْ تَبُوحَ

لَا تَلْمَنِي

وَتُريَنِي مَا نَرَاهُ لِأَرَى رُؤْيَا الْيَقِينِ

فِي جَلَاءِ

لَا تَلْمَنِي

وَأَرَى تَذْيِيرَ صُنْعِ اللَّهِ فِي حَالِي وَحَالِكَ

لِلنَّهَائَةِ

لَا تَلْمَنِي

هُوَ شَهْرٌ فِي حِسَابِ النَّاسِ لَكِنْ فِي حِسَابَيْنَا

سِنِينَ

لَا تَلْمَنِي

فَأَجِبْنِي كَيْفَ نَحْيَا كَيْفَ نَبْقَى فِي سَلَامٍ

وَأَمَانٍ

لَا تُلْمَنِي

مَا مَصِيرُ الْبُعْدِ بَعْدَ الْقُرْبِ قُلْ لِي

هَلْ يَذُوبُ

لَا تُلْمَنِي

قُلْتُ حُبٌّ فَوْقَ حُبٍّ النَّاسِ مَا شَكَلَ الْحَصَانَةَ

لَسْتُ أَدْرِي

لَا تُلْمَنِي

فَأَجِبْنِي لَا تَدْعِنِي وَأَعِنِّي أَيَّ عَوْنٍ

لَا تَدْعِنِي

لَا تُلْمَنِي

الجواب المنشور

أَجَبْتُكَ فِي نَثْرِ عَمِيْقٍ كَأَنَّهُ فَتَاوَى إِمَامٍ يَسْتَرِيحُ لِمَأْمُومٍ
وَصَوَّرْتُ مَجْهُولَ الْحَقِيْقَةِ غَامِضًا بِإِيْمَاءٍ مَفْهُومٍ وَإِشْرَاقٍ مَعْلُومٍ
وَلَكِنَّ نَفْسًا بَيْنَ جَنْبَيْكَ حُرَّةً تَأْتُمُّ حَتَّى مِنْ هُبُوبِ نَسِيمٍ
تَحَيَّرْتُ فِي نَصِّ تَحْرِيطُ صِدْقِهِ وَإِنْ بَانَ فِي مَعْنَاكَ غَيْرَ هَضِيمٍ
وَهَا أَنَا قَدْ حَرَمْتُ كُلَّ مُحَلَّلٍ « لَدَيَّ » لِأَخِيَا فِي لَطْفٍ وَجَّهِمِ
وَهَا أَنَا ذَا يَا آمِنَ آخِرِ طَاعَةٍ بِأَحْسَاسٍ نَلْمِيذٍ وَطَبْعٍ حَلِيمِ
وَلَا تَحْمِلِي إِلَّا عَصَا الْعُنْفِ دَائِمًا فَكَمْ مُخْلِصٍ يَا آمِنَ غَيْرَ رَحِيمِ
وَكُلُّ الَّذِي أَرْجُوهُ غُفْرَانٌ قَادِرٍ وَتَأْدِيبَ إِنْسَانٍ وَهَجَرَ حَكِيمِ
وَكَمْ رَحْمَةٍ جَاءَتْ بِأَثْوَابِ نِقْمَةٍ وَكَمْ مِنْ وَلُودٍ أَخْصَبَتْ بِعَقِيمِ

...

سامحني

« يا رَبِّ سامحني » تقولُ وذنبُها
 وتظنُّ رِقَّتَها رَغِيبَةً نَفْسِها
 وَسَمِعْتُها وَلَمَحْتُ بَيْنَ جُفُونِها
 وَهَتَفْتُ يا رَبِّي أَبَوْهُ بِإِثْمِها
 واملأُ جَوَانِحَها بِمَا تَرْضَى لَها
 يا رب إنَّ أَغْضَتُ فَكُلُّ عُيُوبِها
 يا ربُّ بِاسْمِكَ قَدْ شَفَعْتُ لِجُبِّها
 يا ربُّ فامْنَحْ لي بِفَضْلِكَ حُلَّةً
 وَمِنَ السَّعَادَةِ ما تُرِيدُ وَعِزِّمَةً
 فِي فِطْنَةٍ لِّمَاحَةٍ طَمَاحَةٍ
 لَكِنَّ رَجَوايَ الْحَبِيبَةَ أَنْ أَرى
 وَهُمْ الْبَرِيَّةُ فِي حَنانِ الْمُحْسِنِ
 مِنْ طِيبِ غُنْصِرها وَفَرَطِ تَحَنُّنِ
 أَلَقَ الرَّجاءِ الْوَائِقِ الْمُتَمَكِّنِ
 وَحَدِي وَخُدْنِي أَخَذَ رَاضٍ مُذْعِنِ
 وَأَمُنْ بِحَسٍّ مِنْ «لَدُنْكَ» مُطْمَئِنِّ
 إِسْرَاعُ مُؤْمِنَةٍ لِنَجْدَةِ مُؤْمِنِ
 وَبِكُلِّ ما أَعْطَيْتَنِي وَمَنْحَتَنِي
 كَالْخُلْدِ لَمْ تَذُبْ لَمْ تَتَغَضَّنِ
 كَالنَّضْلِ لَمْ تَخْدَعْ وَلَمَّا تَغْبُنِ
 تُودِي بِكُلِّ مُجَازِفٍ لَمْ يَفْطِنِ
 قَلْبِي بِغَيْرِ وَقَائِها لَمْ يُفْتَنِ

...

الشراب الجديد

ولمَّا أَرْتَنِي « الشُّرَابَ الْجَدِيدَ تَسَاءَلْتُ هَلَّا أَرَاهُ عَلَيْكَ
فَلَعَنَهَا خَفَرٌ ذَائِبٌ وَلَعْنَمَنِي مِثْلُهُ فَاسْتَحَيْتُ

...

وَلَاذَتْ بِصَنْتٍ وَمِنْ بَعْدِهِ تَنَفَّسَ فِيهَا الْحَنَانُ اللَّذِيذُ
وَقَالَتْ إِذْنٌ فَأَغْمِضْ نَاطِرِيكَ وَأَغْمِضْتُ حَتَّى كَانَنِي سَكِرْتُ

...

وَلَمْ أَذِرْ إِلَّا وَكَفًا رَشِيقًا عَلَى الْعَيْنِ تَفْتَحُهَا كَالنَّسِيمِ
وَلَا حُ الشُّرَابُ وَمِنْ لَوْنِهَا يَعْ بُ النَّبِيدَ كَانَنِي عَبَبْتُ

...

فَيَا لَيْتَ كُلِّ جَدِيدٍ أَرَاهُ كَمَا قَدْ رَأَيْتُ الشُّرَابَ الْجَمِيلَ
فَفِي هَذِهِ الْوَمَضَاتِ الْقِصَارِ لَذَائِذُ وَحْدِي بِهَا قَدْ دَرَيْتُ

...

خَلُّوا مَثَلًا « نَانَاتِ الْحَدِيثِ » عَلَى فُسْتَقٍ فِي يَدَيْهَا تَقَشَّرُ
أَتَنِّي بِهِ وَهُوَ فِي الشَّنْطَةِ تَمَنَيْتُ لَوْ كُنْتُه فَاخْتَبَأْتُ

...

تُجَمِّعُهُ فِي الثَّنَايَا الْوَضَاءِ وَلَوْلُؤُهَا الْأَبْيَضُ الْأَفْلَجُ

لَتَكْسِرَهُ وَفُؤَادِي يَخَافُ عَلَيْهَا وَلَكِنِّي أَسْكُتُ

وَتَأْكُلُنِي غَيْرَةُ حُرَّةٍ لَهَا أَوَّلُ مَا لَهَا آخِرُ

وَلَيْسَتْ بِدَارِيَةٍ لَيْتَهَا تَحُسُّ بَأْنِي أَمْرُؤُ مَيِّتُ

من مشاهير

مَنْ مِثْلُهَا فِي رِقَّةٍ ؟ مَنْ مِثْلُهَا
 دَغَّ عَنْكَ حُسْنَ شَيَاتِيهَا وَسِمَاتِهَا
 وَالزَّهْرُ وَالضُّوْءُ الْمُقَطَّرُ وَالصَّبَا
 قَالُوا تُحِبُّ جَمَالَهَا فَاجَبْتُهُمْ
 هِيَ كَالْكُرُومِ حَلَاوَةٌ وَنَشَاوَةٌ
 لَهَبُ الْجَبَاءِ يُزِينُهَا إِيمَاوُهَا
 وَيُلْدُنِي فِيهَا حَنَانٌ ضَاحِكٌ
 ضَمِنَتْ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا ضَمِنَتْ عَلَى
 أَنَا مَنْ أَرَا حَ هَوًى وَطُمْنِينَ قَلْبُهُ
 فَإِذَا وَهَبْتُ لَهَا الْحَيَاةَ فَإِنَّهَا
 قُولُوا لَهَا إِنِّي الْوَفِيُّ لِعَهْدِهَا
 وَهِيَ الَّتِي مِنْ أَجْلِ قُرَّةِ عَيْنِهَا
 مِصْرُ « بِهَا » وَطَنِي وَفِي أَنْسَامِهَا
 وَهَوَا « قُبَاء » وَمَاوُهَا وَثِمَارُهَا
 قُولُوا لِأَمْتِنَا الْمُتَمَرِّقِ شَمْلُهَا

فِي عِفَّةٍ ؟ سَلِمَتْ وَزَانَتْ كُلُّهَا
 فَالرَّوْضُ وَالكَرْمُ الْمُهْدَلُّ ظِلُّهَا
 رَوْضُ سَقَاهُ مِنَ الْمَلِيحَةِ طَلُّهَا
 بَهْرًا وَجَعَفَرُهَا الظَّرِيفُ وَأَهْلُهَا
 عَذْبُ تَجَنُّيْهَا ، حَبِيبُ دَلُّهَا
 وَعَلَى الْحَيَاءِ أُحِبُّهَا وَأُجِلُّهَا
 فَكَأَنَّ سُؤْلِي فِي حَيَاتِي سُؤْلُهَا
 صَبُّ يُنَازِعُهُ عَلَيْهَا بُخْلُهَا
 وَمَضَى لِعُقْدَةٍ أَصْغَرِيهِ يَحِلُّهَا
 أَذْنِي أَمَانِي مُهْجَتِي وَأَقْلُّهَا
 فَهِيَ الْعَزِيزَةُ فَوْقَ رَأْسِي نَعْلُهَا
 قَدْ يَسْتَوِي صَعْبُ الْحَيَاةِ وَسَهْلُهَا
 دَارُ الْهُدَى وَرُبِّي الْعَقِيقُ وَنَحْلُهَا
 « فَارِيسُ » طَيِّبَةٌ فِي الْكِتَانَةِ نَيْلُهَا
 بِالْحُبِّ لَيْسَ سِوَاهُ يُجْمَعُ شَمْلُهَا

اعتذار

سَهَوْتُ فَنَسِيتُ نَاسًا عُرِفْتُ بِهِمْ هَلْ يَجُوزُ
شَغِلْتُ بِهَا فَلَمْ تَسْأَلْ عَلَيْنَا وَوَقْتُ الشُّغْلِ مَعْلُومٌ وَجِيزُ
فَقُلْتُ ظَلَمْتُمُوهَا وَهِيَ مِنْكُمْ فَإِنَّ الْحَبَّ مَعْنَى عَزِيزُ
وَلَوْلَاكُمْ لَمَا صَبِرْتُ عَلَيْنَا وَإِلَّا فَكَيْفَ يَنْهَضُمُ الْعَجُوزُ
يُضَايِقُهَا بِتَخْرِيفٍ سَخِيفٍ وَأَوْرَاقٍ لَهَا أَبَدًا أَزِيزُ
تَأَبَّتْ فِيهَا تَرْفُضُ كُلِّ شَيْءٍ وَمَا أَنَا مُسْتَغِلٌّ أَوْ نَهِيْزُ
وَمِنْ أَخْلَاقِهَا الْغَرَاءُ تَبْدُو تَمَائِمُهَا الْحَصِيْنَةُ وَالْحُرُوزُ

...

قصة العمر الضائع

مهدة إلى الشباب اللامع

يا حُلماً مرَّ على خاطري وكنتُ في واقعِهِ أحلم
تَذوبُ فيَّ أطيافُهُ حَسرةً محمومةً تكظمُ : ما تكظم
تذكرتُ عهداً شديَّ الرؤي تحرسُهُ الأَقمارُ والأنجم
كانما شَقَشَقَ أنداءهُ... من المُنَى النَسمةُ والبرعم
واستعبرتُ فيه النهي فرحةً وشئى بها فى الوجنةِ العندمُ
وأشرفتُ دنيا الهوى غضةً نحتارُ : هل تنهلُ : أو تلثمُ
آمالها أرحبُ مِنْ رَحِيها وكأسها مِنْ « دَنها » أفعمُ
العينُ ما أبصر إنسانها « دنيا » على غرةِ تبسم
وحالياتِ سَمحةِ المجتنى مذاقها حلوٌ : ويدري الفمُ
ومرتِ الذكرى أَسىً طاوياً على الشجا من دونهِ العلقم
سوانحا نَضَّتْ غلالاتها عنه فلا جيدٌ ولا معصم
مِنْ كُلِّ حوراءٍ على وصلها أراقَ خيرَ العمرِ لو يعلمُ

فإن بكى الأيام في حسرة

فقد أدارت وجهها تلطم

أيام ناداه ضمير الهدي

أن : قدك : فالأيام لا ترحم

وما ونى عن عتبه والنهى

غاف : ألا تصحو : ألا تندم

لكنه الغارق في لجة

ألقى بها في مده العيلم

لكنه السادر ما يرعوي

وقد أفاق النوم والنوم

واليوم إذ جالت بآفاقه

دموعه والعود مستعجم

أنحى على الذروة والغارب

غيب تصاريفه تزحم

فصاحت العين وقد صوحت

أهدأها : هل في ما يلهم

قد يجذب القلب وينوي النهى

والروح لا تبلى ولا تهرم

فخذ من الماضى وأبعاده

عبرة والمنتأى أسلم

كم عبرة هزت كيان الذرى

تنفض فى الأهوال ما يُبرم

فإن تكتنها عظة للألى

تلوك : فالذكرى هى المغنم

فكلهم والعمر فى صحوه

يحين بالعمر كما يرسم

فالخطه المثللى هى الملتقى

وأنها المنهج والمعلم

يختارها يعرف أمداها

كما يراها الفارس المعلم

يجولُ بالرأيِ الصُّراحِ الذي يبرحُ لا يخفى ولا يكتمُ
ويملاً النفسَ فلا منفذَ إلا على أهدافه يقحمُ
يوقتُ الرميَ بميقاته وكيف ينبو : هادفٌ : محكمُ
فلا تُبيحُ النفسُ أهواءها إلا هوى عن غيره يَبْنِكُمُ
وفي ضلالِ السعيِ في جهله يضيعُ هذا العمرُ أو يعدمُ
وإنه الجهلُ دليلُ الردى ومعوّلُ الهدمِ الذي يحطمُ
وثائرُ العزيمةِ موارؤها يسعى له المجلُو والمبهمُ
فقد تخطى الهولَ لا راغما فما يروض الهولَ من يرغمُ
وعالج الناسَ على ما بهم لأنّه بالمبتغى أعلمُ

* * *

إليها

إليها حُنُوءاً من أحاديث نفسها	تصيدته منها بوحى خواطري
حديث معان زاحم الجد سرها	ورب صراع من وراء الضمائر
وفى ومض عينيها تألق خافق	يداري جراحاً هجماً فى السرائر
تهدهده بالأمنيات حبيسة	لتنطق لكن فى جوانح شاعر
فيا أنت يا نَفْحَاء كلِّ هنيهة	كآمال حب فى مواكب هاجر
تحريت فيه الفجر أرقب ضَوْءَهُ	وأخشاه والأقدار رهن المصائر

...

أتحلاك

أَتَحْلَاكِ فِي الْأَهْلَةِ تَنْسَابُ ضِيَاءِ بِنُورِ عَيْنِكَ يَرْنُو
أَتَحْلَاكِ فِي الْخَمِيلِ وَفِي الرُّوضِ عَلَى نَفْسِهِ يَرِقُّ وَيَخْنُو
أَتَحْلَاكِ فِي الْأَصِيلِ الَّذِي وَدَّعَ شَمْسَ الضُّحَى حَزِينًا يَتْنُو
أَتَحْلَاكِ فِي الْمَاقِيِ الَّتِي يَزْحَمُ إِشْرَاقُهَا حَيَاءً وَفَن
أَتَحْلَاكِ فِي النَّسَائِمِ أَنْدَاءَ لِبَاطَا رَفِيفُهَا مِنْكَ لَحْن
أَتَحْلَاكِ فِي الْمَعَانِيِ الَّتِي تَنْبِضُ بِالْحُبِّ سَخَاءَ حَنَانِهِ لَا يَضِنُ
أَتَحْلَاكِ فِي الْمَنَى بِاسِمَاتٍ فِي ثُغُورِ الْأَقَاحِ وَالْغُصْنِ لَدُنْ
أَتَحْلَاكِ فِي الرَّبَى تُسَكِرُ النَّشْوَةَ فِيهَا وَيَبْهَجُ الْعَيْنَ حَسَن
أَتَحْلَاكِ فِي الْكُؤُوسِ الَّتِي شَعِشَعَ أَقْدَاحُهَا هَوَى مُسْتَكِن
نَوَّرَتْ بِالْحُبَابِ كَالْعَسَجَدِ الصَّافِيِ عَلَى وَقْدِهَا يُغَمِّغُ دَنْ
أَتَحْلَاكِ فِي الدُّجَى لَفَّهَ الصَّمْتُ وَقَدْ حَرَّكَ الْمَوَاجِعَ بَيْنُ
أَتَحْلَاكِ تَصَدَّحِينَ كَمَا يَصْدَحُ فِي الْفَجْرِ هَزَارٌ إِلَى الْأَلِيفِ يَحْنُ
أَتَحْلَاكِ تَخْطُرِينَ عَلَى الشُّطِّ وَقَدْ أَثْقَلَ الْخُطَى مِنْكَ وَهْنُ
رَجَفَتْ بِالْخِيَالِ أَطْيَافُكَ الْبَيْضُ وَحُسْنُ الْخِيَالِ وَهُمْ وَظَنُ
وَالْهَوَى ثَائِرٌ يَعِيشُ عَلَى الشُّكِّ وَلَا يَخْلُدُ الْهَوَى الْمُطْمَئِنُّ

أَنْتِ يَا جَوْهَرَ الْحَيَاةِ صَفَاءٌ سَكِرْتُ مِنْ لَمَاهِ عَيْنٍ وَأُذُنٍ
 وَرَحِيقُ الْجَمَالِ فِيكَ « حُمِيًّا » أَشَعَلَتْ خَمَرَهَا الْمُعْتَقُ عَيْنٍ
 مِنْ مَعَانٍ كَرِيمَةٍ وَسِمَاتٍ: كُلُّهَا فَرَحَةٌ وَبِشْرٌ وَيُمْنٌ
 وَجَمَالٌ فِي النَّفْسِ وَالْقَلْبِ وَالرُّوحِ أَصِيلُ سَقَاهُ بِالْحُبِّ مُزْنٌ
 فَسَلِّبْنِي عَنِ النَّوَى وَسَلِّبْنِي عَنْكَ فِي ظِلِّهِ يُحَدِّثُكَ جَفْنٌ
 قَرَحَتْ لَيْلَهُ الْهُمُومُ وَشَابَتْ أَدَمْعُ فِيهِ ... مَا تَأَلَّقَ سِنٌ
 هِزَّةً بَعْدَ هِزَّةٍ وَعِرَاكٌ وَطُيُوفٌ تَنَائِي حِينًا وَآخِرَ تَذْنُوءٍ
 وَأَنَا الْحَائِرُ الْمُعَذِّبُ لَا يَشْكُو ، وَصَمْتُ الْهَوَى أَسَارٌ وَسِجْنٌ
 كُنْتُ فِي أَرْبَعِ الْحِجَازِ غَرِيبًا فَالْهَوَى مَوْطِنٌ وَعِشٌّ وَكِـنْ
 وَالْهَوَى إِنَّ تَغَيَّبَ بِالنَّفْسِ وَالْحِسِّ حَيَاةً فَالْقَلْبُ دِفْءٌ وَرُكْنٌ
 وَالْهَوَى مِعْزِفٌ يُغَرِّدُ لِلْكَوْنِ فَيَزْهُو بِالْحُبِّ عَيْشٌ وَكَوْنٌ
 وَأَنَا الْيَوْمَ بَعْدَ أَنْ سَمَحَ الدَّهْرُ بِلُقْيَاكَ مَا أَزَالُ أَحِـنْ
 فَاشْهَدِي يَا سَمَاءُ أَنَّ حَيَاتِي فِي يَدِ كُلِّهَا سَلَامٌ وَأَمْنٌ
 أَنْتِ عَلَّمْتَنِي الْوَفَاءَ الَّذِي طَرَّزَ أَرْدَانَهُ عَفَافٌ وَصَوْنٌ
 فَلْتَقُولِي إِذَا دَعَوْنِي إِلَيْهِمْ مَا لَهُ عِنْدَنَا سَمَاحٌ وَإِذْنٌ
 إِنَّنَا هَا هُنَا نَعِيشُ عَلَى الْغُرْبَةِ زَادًا ... فَكَيْفَ يُطْلَبُ ظَعْنٌ

...

واختلفنا

قُلْتُ هِيَ قَدْ اخْتَوَانَا الْأَصِيلُ إِنَّهُ الذُّكْرِيَّاتُ وَالتَّامِيلُ
 إِنَّ مَعْنَى الْوُجُودِ بُقْيَا مِنَ الْحُسْنِ وَهَذِي الْحَيَاةُ لَفْظُ جَمِيلٍ
 كَمْ مَعَانٍ مَشَتْ عَلَيْهَا اللَّيَالِي فَاضْمَحَلَّتْ وَالْبَاقِيَّاتُ الطُّلُولُ
 وَجَمَالٍ حَسِبْتَهُ أَلَقَى الْفَجْرُ مَحَاهَ لَيْلٍ عَرِيضٍ طَوِيلٍ
 وَتَبَقَّى خِيَالُهُ فِي مَعَانٍ ذَابِلَاتٍ كَأَنَّهُنَّ الْفَتِيلُ
 وَالضُّحَى غَالَهُ مِنَ الصَّمْتِ مَا غَالَ ضَحَايَاهُ : قَاتِلٍ وَقَتِيلٍ
 رَقَدُوا فِي الثَّرَى وَمَا رَقَدَتْ ذِكْرِي عَلَى مِثْلِهَا يَلُوبُ الْأَصِيلُ

* * *

أَنَا مَنْ يَعْشَقُ الْأَصِيلَ : فَضُولٌ رَاسِخٌ فِي هَوَاهُ يَخْلُو الْفُضُولُ
 أَنَا مَنْ يَعْشَقُ الْخُلُودَ وَيَسْتَرْوِحُ أَمْجَادَهُ الَّتِي لَا تَدُولُ
 كَمْ عَشِقْنَا الْغَنَاءَ لَا يَرْمَزُ إِلَّا لِبَقَاءٍ وَالذُّكْرِيَّاتُ الرَّسُولُ

انظري الحسن في الاصيل نضاراً بهرته شفاف وخمیل

وانظريه على الشفاف أكاليل سناها ماضٍ عريق أثیل

وانظريه على الورود النديات عيبراً يموج فيه الخميل
 وانظريه مع النسائم ألحاناً عذاباً كأنها التقبيل
 والمحيه على الضفاف طيوفاً حائرات أنفاسهن الهديل
 والصبايا تدافعت تسبق المواج وقد شققها جوي ونحول
 لا تراعى من الأصيل فما يلقف همس الجياد إلا الأصيل
 وهنا لفها الضباب الذي أثقل أجواءه أسي وعويل
 وتمطى الدجى الغدافي لا يلمع فى جوّه الحسام الصقيل
 واستدار الحديث تحسبه النغي وقالت هذا الأصيل : أقول
 تدلف الشمس للغروب كما تدلف هذي الحياة حين تزول
 خير جدواه لوعة واصفرار وبعاد يطول فيه الرجيل
 أنا أهوى الشروق تسطع دنياه ويستقبل النزيل النزيل
 أنا أهوى فى دفته الأمل الرحب ، قلوب « تهفو له وعقول »
 إنه الصحو للطبيعة والحب على ظله يطيب المقييل
 لا تلمنى فإن نبع حياتي فى شروق كأنه السلسيل

وَقَدَّةٌ فِي الْحَيَاةِ أَنْفَاسُهَا الْحَرَّى عَلَى سِرِّهَا يَخْفُ الثَّقِيلُ
 وَجَنَاهَا الْمَوَارُ فِي الْحَبِّ الْوَاقِدِ تُرْقَى بِهِ وَيُشْفَى الْعَلِيلُ
 كَيْفَ تَسْتَبْدِلُ الْمَوَلَّى بِالْوَافِدِ تَزْهَوُ فُرُوعُهُ وَالْأَصُولُ
 كَيْفَ تَسْتَبْدِلُ الرَّجَاءَ بِئَاسٍ غَارِقٍ فِي ظَلَامِهِ الْمَأْمُولُ
 وَاخْتَلَفْنَا وَمَا اخْتَلَفْنَا وَلَكِنْ فِي اضْطِرَابِ الْمُنَى تَرَوْعُ الشُّكُولُ
 فَالْحُمَيَّا عَلَى الْكُؤُوسِ شُرُوقٌ وَغُرُوبٌ عَلَى الثُّغُورِ يَسِيلُ
 إِنَّهَا غُرْبَةٌ عَلَى الْبُعْدِ وَالْقُرْبَى وَزَادَ الْحَيَاةِ فِيهَا قَلِيلُ
 فَالْغُرُوبُ الَّذِي يَرُوعُ شُرُوقٌ وَالشُّرُوقُ الَّذِي يَرُوقُ أَفُولُ
 جَوْلَةٌ بَعْدَ جَوْلَةٍ وَعِرَاكٌ سَوْفَ يَطْوِيهِ عَالَمٌ مَجْهُوْلُ
 نَفْثَةٌ ضَلَّ سَعْيُهَا وَحُرُوفٌ تَتَلَوَّى أَقْوَلُهَا : وَتَقُولُ
 وَانْتَحَيْنَا نَلْمَلِمُ الْأَمَلَ الشَّارِدَ مَسْحُوبَةً عَلَيْهِ الذُّيُولُ
 وَبَكَيْنًا عَلَى الضِّيَاعِ عَلَى الْمَعْقُولِ يَطْفَى عَلَيْهِ : لَا مَعْقُولُ
 وَاسْتَرْخْنَا إِلَى الْغَدِيرِ نَعَانِي مَا تُعَانِيهِ « شِمَالٌ » وَ « قَبُولُ »
 وَشَرِبْنَا هُمُومَنَا مِثْلَ مَا يَشْرَبُ صَبَّ دُمُوعُهُ فَيَعُولُ
 وَسَكَبْنَا الْحَيَاةَ أَغْلَى صَبَابَاتِ نُهَانَا : هَلْ كَفَّ قَالَ وَقِيلَ

وَرَجَعْنَا إِلَى الْوَرَءَاءِ وَقَدْ يُحْمَدُ عِنْدَ السُّرِيِّ الْمُمِضُ قُفُول
وَأَدْرَنَّا أَبْصَارَنَا فِي الَّذِي كَانَ فَرَّاعَ الْأَبْصَارِ هَذَا الْمُحُول
وَالْتَفَتْنَا لِثَائِرِ طَالَمَا خَضَخَضَ أَخْشَاءَهُ دَمٌ مَطْلُـوْل
وَعَبَيْنَا مِنَ السُّلَافِ الَّذِي أَشْعَلَ جَمَرَ الْغَضَى فَصَاقِ السَّيْلِ
وَانْتَشَيْنَا لَعَلَّهَا صَحْوَةُ الْعُمَرِ فَخَلْنَا الرُّؤُوسَ مِنَّا تَمِيل
وَلَجَأْنَا لِلِسَّلَمِ نَسْتَلِهِمُ الْعَوْنَ فَهُنَا وَعَزٌّ فِينَا الدَّخِيل
وَأَخِيرًا لَقَدْ تَسَاوَى لَدَيْنَا فِي الْأَمَانِي شُرُوقُهَا وَالْأَصِيل

* * *

الهوى الأول

فى سن الرابعة عشر

قَلَدْتُ جِيدَكَ يَا بَدُورُ لَأَلْتَا	مَنْ نَظَمِي الْغَالِي رَجَاءَ رِضَاكَ
قَالُوا إِذْنُ ذَابَتْ بُدُورُ حَشَاشَةٌ	لَمَّا رَأَوْا فِيهَا لَهَيْبَ فِتَاكَ
هَذَا التَّحُولُ كَمَا تَرَيْنَ رَضِيَّتُهُ	وَأَلْفَتُهُ لِيَكُونَ رَمَزَ هَوَاكَ
هَمْنَا وَهَامُوا وَالْغَرَامُ مَذَاهِبُ	وَلِمَذْهَبِي فِي الْحُبِّ طِيبٌ لِقَاكَ
أَبْدُورُ إِنَّ جُزْتَ الْقَضَاءَ وَسَحَتْ فِي	أَوْجِ السَّعَادَةِ فَادْكُرِي مُضْنَاكَ
أَوْ جُلْتُ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ فَذْكُرِي	قَمَرًا هُنَاكَ بِحُسْنِهِ حَاكَاكَ
وَصِفِي لَهُ مُضْنَى الْغَرَامِ وَرَدِّدِي	رُحْمَاكَ عَاطِفَةَ الْهَوَى رُحْمَاكَ

• • •

دَنَا الرَّحِيلُ فَهَاجَ الْقَلْبُ وَاضْطَرَمَا	وَصِيبُ الدَّمْعِ مِنْ جَفْنِي الْقَرِيحِ هَمِي
وَأَرَقَّ الْبَيْنَ حَبَا كُنْتُ أَلْفُهُ	وَكَانَ بِأَلْفُنِي إِلْفَ الَّذِي غَرِمَا
قَضَيْتُ بِضَعِ شُهُورٍ فِي الْوِصَالِ وَمَا	غَيْرَ الْهَنَاءِ وَمُحْيَا دَائِمًا بَسْمَا
مَلَكَتْهُ النَّفْسُ فَاَنْقَادَتْ وَأَنْسَهَا	طَبَعَ رَقِيقٍ وَحُبٍ فِي الْفُؤَادِ نَمَا
يَوْمُ سُوءٍ وَلَيْلَةُ نَكْرَاءٍ	أَلْمَانِي وَكُلُّ خَطْبٍ بَلَاءٍ

• • •

عنت

قَالَتْ وَقَدْ غَضِبْتَ مِنْ قَوْلِي بَدَرْتُ مِنْي سَاقَطُ عَنْكَ الرَّدُّ إِنْ تَعُدْ
 وَقُلْتُ يَا لَيْتَهُ ضَرَبْتُ فَيُسْعِدَنِي أَوْ عَصَةُ فِي لِسَانِي مِنْكَ بِالْبَرْدِ
 إِذَنْ لَكَرَّرْتُ هَذَا الذَّنْبَ مُلْتَمِسًا حُلُوَ الْعِقَابِ الَّذِي يَشْفِي مِنَ الْكَمَدِ
 يَأْمَنُ بَعَثْتُ بِإِنْذَارٍ حَكَمِي سَلَفًا أَنْذَارَ (رُوسِيَا) إِلَى الْمُسْتَعْمِرِ الْحَرَدِ
 وَمَا اخْتَلَلْتُ رَبِّي لِبَنَانٍ فِي سَفَهٍ وَلَا اعْتَدَيْتُ عَلَى (الْأُرْدَنِ) فِي لَدَدِ
 وَمَا غَضِبْتَ مِنَ الشَّعْبِ الَّذِي انْتَفَضَتْ عُروُقه ثُورُهُ فِي الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
 شَعْبُ الْعِرَاقِ الَّذِي اعْتَزَّتْ بِهِ مُضَرٌّ فَأَنْقَذَ الْحَقُّ قَسْرًا مِنْ فَمِ الْأَسَدِ
 أَمْضَوْهُ عَنْ مَوَكِبِ الدُّنْيَا وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا دُولٌ وَالْيَوْمُ غَيْرُ غَدِ
 وَأَنَّ لِلشَّعْبِ حَقًّا سَوْفَ يُذَرِّكُهُ عَمَّا قَرِيبٍ بِمَا فِي الطُّوقِ مِنْ جَلَدِ
 هُمْ حَارِبُوا اللَّهَ وَالْأَخْلَاقَ فِي بِلَدِ وَحَارِبُوا الْفَضْلَ عَنْ حَقْدٍ وَعَنْ حَسَدِ
 وَحَالَفُوا الطَّغَمَةَ الْأَشْرَارَ فَانْحَدَرُوا إِلَى مَخَاطِرِ أَضْحَتْ عَقْدَةُ الْعُقَدِ
 فَيَا أَعَزَّ الْمَنِيِّ رَفَقًا بِعَاطِفَةٍ شَدَّتْ بِحَبِكَ شَدَوَ الطَّائِرِ الْغَرْدِ

سلى الدجى' عن تباريح يشاطرنى فى حملها وجدي كالجمر متقد
سلى النجوم فكم ناجيتها فرنت تحنو على كوكب فى الأرض منفرد
بثثت شكواي من جور الزمان لها وليس من طبعي الشكوي إلى أحد
وهاك أنفاس حبٍ خانه جلدٌ فلاطفى مهجنى واستعطفى خلدي
ماعدتُ اهتفُ فى الدنيا وبهجتها إلا باسمك يا روحى ويا كبدي

- ٢ -

وباسم بلاد العرب ترعى زمانها إذا اخلولكت دكن اللبالي وسودها
ويوم البريمي أي يوم تجمعت له العرب مذ ريعت حدودها
ودوى احتجاج دونه السمر والقفنا حقوق العلام مضمونة أو لحودها
وما بحث العادون إلا لحتفهم بنار هم رغم العوادي وقودها
لقد عبثوا بالحق والعرف والحجى فباءوا بها نكرًا نتنا صديدها
ولكنها البتراء تفتك فيهم هي البكر والعادون حتما حصيدها
وفى طيها تطوي يهود وعونها وما داء قلب العرب إلا يهودها

...

رسالة

حَمَلَ الْبَرِيدُ رِسَالَةَ الْأَمَلِ الْحَبِيبِ
أَلَقَ الضُّحَى الْمُنْسَا بِ فِي الْأُفُقِ الرَّحِيبِ
وَنَسَائِمُ الْفَجْرِ الْعَلِيلِ نَوَاضِحًا بِشَدًّا وَطِيبِ
تَسْرِي إِلَى الْأَعْمَاقِ مَسْرَى الرُّوحِ فِي اللَّحْنِ الطَّرُوبِ
بِالْفِتْنَةِ الْكُبْرَى تَضِجُ مِنَ الشُّرُوقِ إِلَى الْغُرُوبِ
لَيْلِي لَمَحْتُكَ فِي الرُّسَا لَةَ لَمَحَّةَ الطَّيْفِ الْوُثُوبِ
تَتَخَطَّرِينَ وَتَنْتَنِينَ تَخْطُرُ الرِّشَا اللَّعُوبِ
وَتُجْرَحِينَ الْعُودَ تَجْرِي حَا عَلَى وَتَرِ الْقُلُوبِ
عَزْفًا يُثِيرُ الشَّنُوَ آهَاتٍ بِلَحْنِ الْعَنْدَلِيبِ
لَيْلِي وَأَنْتِ الذُّكْرِيَّاتُ يَثْرُنُ فِي وَهَجِ اللَّهَيْبِ
أَمَلٌ تَأْتِي فِي الْحَيَاةِ وَكَانَ سِرًّا فِي الْغُيُوبِ
وَهَوًى تَرَفَّرَ مِنْ هَوَاكِ وَعَطْفِكَ الْحَانِي الرَّتِيبِ

لَيْلَى دَعَوْتُكَ وَالْهَوَى الدَّعَاءُ يَعَذُّبُ بِالْمُجِيبِ
 قَدْ كُنْتُ سَارِقَةَ الْقُلُوبِ بِلَسْتِ سَارِقَةَ الْجُيُوبِ
 أَسْعَدْتِ بِالرُّحْمَى فَتَاكِ بِأَمْسِهِ الْحُلُو الْقَرِيبِ
 أَرْوَيْتِهِ أَوْزَيْتِهِ أَنْعَشْتِ بِالْأَمَلِ الرَّغِيبِ
 شُهْدًا يُذِيبُ وَلَا يَذُوبُ بِشَغْرِكَ الْعَذْبِ الشَّنِيبِ
 وَلَكَمْ أَعَدْتِ لَهُ الْحَيَاةَ وَكَانَ كَالرُّوْضِ الْجَدِيبِ
 وَمَحَوْتَ آيَةَ لَيْلِهِ فِي الشَّامِ بِالْفَجْرِ الرَّطِيبِ
 قَدْ كَانَ ذَا الرَّأْيِ الصَّلِيبِ فَعَادَ يَهْتَفُ لِلصَّلِيبِ^(١)
 هَذَا النَّوَى الْقَاسِي اسْتَطَالَ فَهَلْ سَيَجْنَحُ لِلْمَغِيبِ
 هَذِي تَحِيَّاتِ الْقَرِيبِ وَإِلْفِهِ الصَّبُّ الْقَرِيبِ
 شَطُّ الْمَزَارُ بِهِ وَبِي فَضْوَى النَّسِيبِ إِلَى النَّسِيبِ
 لَيْلَايَ تَكْرِيماً وَتَقْدِيرَا كَحُبِّكَ لِلْحَبِيبِ
 حُبُّ يَطِيبُ بِمِثْلِهِ أَمَلُ النَّجِيبَةِ لِلنَّجِيبِ

• • •

(١) الشديد •

في القطار

تَجَلَّبَتِ إِشْعَاعًا مِنَ السَّحَرِ جَائِلًا مَجَالِ مَرَامِي الطَّرْفِ يَنْفُذُهَا نَفْذًا
تَحَكَّمْتَ فِيْنَا تَفْتِنِينَ فَلَا نُهَى تَفِرْ وَلَا قَلْبٌ بِمَا أَخَذُوا أَخْذًا
سَحَرَتْ وَكَانَ السَّحَرُ إِدْمَانُ سَاحِرٍ يَرَى فِي هَوَاهُ أَنْ يَلْدَّ وَيَلْتَذَا
وَأَحْلَى الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَهَا نَشَاوَى بِأَكْبَادِ يَفْلِذْنَهَا فَلَذَا
يَلُكِّنَ لُبَانَاتِ الْهَوَى وَهِيَ أَنْفُسُ يَدُرْنَ بِهَا شُهْدًا وَيَنْبِذْنَهَا نَبْذًا
عَجِبْتُ لَهَا بِنْتُ الرُّصَافَةِ حَنَحَتْ خُطَاهَا إِلَى مَصْرِ تَغْذُ الْهَوَى غَذَا
تَنُورُهَا بَيْنَ الْقِطَارِ فَرَقَرَقَتْ قِطَارِ السُّرَى قَطْرًا يَرُدُّ بِنَا رَدَّا
وَزَادَتْ فَجَالَ الْكَفِّ رَحْصًا مُعْنَمًا يُعَايِثُ بُدْرًا قَدْ مَحَا الْبَدْرَ أَوْبَدًا
وَلَمَّا تَثْنَتْ بِالْقِسْوَامِ وَزَحَزَحَتْ عَبَاءَةً حُسْنٍ لَمْ يَزَلْ حُسْنُهَا فَذَّا
ذَكَّرْنَا رَعَائِبَ الْحِمَى وَجَمَالَهَا وَعُفْنَ الْقَدَى الْمُصْنُوعِ فِي الصُّورِ الْأَقْدَى
فَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَشْتَهِي طُولَ رِحْلَةٍ بِأَفْيَانِهَا نُرُوى، بِنِعْمَائِهَا نُغْذَى

صباح

أَلْقُ تَنْفَسَ بِالشَّدَى وَتَنَهَّدَتْ
 وَعَلَى الطَّبِيعَةِ مِنْ طَبِيعَةِ حُسْنِهَا
 شَفَقَ تُعَانِقُهُ الْخَمَائِلُ وَالذُّرَى
 وَمِنْ الْمَشَارِفِ أَشْرَفَتْ تَلْعَاتُهُ
 سَبَقَ النَّسَائِمَ عِطْرُهُنَّ فَصَفَّقَتْ
 وَتَنَسَّمَ الْأَفُقَ الطَّرُوبَ كَأَنَّهُ
 وَتَهَامَسَتْ حُورُ الْجَنَانِ فَمَا وَشَى
 وَتَرَاقَصَتْ عَبْرُ الْهَزِيغِ يَوْوُدُهَا
 وَإِنْ سَابَ فِي الظُّلْلِ الْفِسَاحَ كَأَنَّهُ
 وَتَلَالَاتِ « لَاءَاتُهَا » وَتَشَدَّدَتْ
 هَذَا الْهَدِيلِ أَهَاجَ وَرَقَاءِ الْجَمَى
 وَالْوَرْدُ غَيْرُهُ الشَّدَى فَسَخَى بِهِ
 وَلَقَدْ صَحَوْتُ عَلَى الْحَيَاةِ وَعُرسِهَا
 آهَاتُهُ فَإِذَا الْقُلُوبُ جِرَاحُ
 دُرُّ تَوَهَّجَ فَوْقَهُنَّ وَشَاحُ
 فَعَلَى الْحَوَاشِي الْخُضْرُ مِنْهُ بِطَاحُ
 وَمَهَا تُسَارِقُ رَاحَتَهُنَّ الرَّاحُ
 أَنْفَاسُهَا وَتَلَاَقَتْ الْأَرْوَاحُ
 مَجْدُ السَّمَاءِ وَلَحْنُهَا الصَّدَاحُ
 إِلَّا السَّنَا وَعَبِيرُهَا الْفَوَاحُ
 طُولُ الْحَيْنِ كَمَا يَرِفُ جَنَاحُ
 دَفءُ الْحَيَاةِ تَشْبَعُهُ الْأَفْرَاحُ
 فَتَرَنِّجُ النَّدْمَانُ وَالْأَقْدَاحُ
 فَإِذَا بِأَسْرَارِ الْغَرَامِ تُبَاحُ
 وَعَلَى الْغُصُونِ تَحْيَرُ التُّفَاحُ
 وَسَأَلْتُ مَا الدُّنْيَا فَقِيلَ « صَبَاحُ »

وقالت

تَحَدَّثُ عَنِ الْآمَالِ سَكْرَى حَوَالِمَا يَفِيضُ بِهَا حُبٌّ مُعْنَى إِلَى صَب
وَقُلُّهَا كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ طَلِيقَةً فَإِنَّ حَدِيثَ الْحُبِّ أَحْلَى مِنَ الْحُبِّ
أَجَلَ قُلْتُهَا يَا مُنِيَّةَ النَّفْسِ حُرَّةً تَنَاقَلَهَا هُدْبٌ ظَلِيلٌ إِلَى هُدْب
تَبَيَّنَتْ فِيهَا حَيْرَةٌ مَا عَهْدَتْهَا وَرَعِشَةُ قَلْبٍ لَا تَبِينُ وَلَا «نَبِي»
تَمَثَّلْتُ يَوْمًا مَا تَمَثَّلْتُ غَيْرَهُ غَدَاةَ التَّقِينَا مَوْعِدِ الْغَيْبِ فِي الْغَيْبِ

...

إليها.. على صورتها

إِنَّهَا تِلْكَ الَّتِي أَعْرِفُهَا وَالَّتِي يَعْرِفُ قَلْبِي رَسْمَهَا
 فِي الْحَنَائِيَا مِنْ ضُلُوعِي هَجَعْتُ صَخُوهَا . . يُشْبِهُ عِنْدِي نَوْمَهَا
 خَاطَبْتُهَا الْعَيْنُ فِي صُورَتِهَا ثُمَّ حَيَّتَهَا . . وَسَمَّتْ بِاسْمِهَا
 وَتَنَبَّهْتُ لِنَفْسِي « نَبْهَةً » فَإِذَا الصُّورَةُ تَجَلُّو غَيْمَهَا
 وَتُنَادِينِي عَلَى عَادَتِهَا هَاكِهَا (خُذْهَا) تَذَوِّقُ طَعْمَهَا
 هَذِهِ الْقَهْوَةُ مِنْ هِيَاهَا هَذِهِ الرَّشْفَةُ مِنْ قَدَمِهَا
 آه يَا قَلْبِي فَمَا أَقْسَى النَّوَى لَسْتُ أَعْنِيهَا . . فَمَا أَرْحَمُهَا
 قُلْتُ وَالرَّسْمَ أَمَامِي مَائِلٌ عَيْنُهَا . . بَلَّ سِنُّهَا . . بَلَّ فَمُهَا
 وَعَلَيْهَا الشَّالُ قَدْ ظَلَّلَهَا مِثْلُ ظِلِّ الضَّوْءِ مِنْ تَحْتِ الْمَهَا
 سَامَرْتَنِي بَيْنَ أَخْضَانِ الدُّجَى وَنُجُومِ اللَّيْلِ تَرْعَى نَجْمَهَا
 رَفَعَ الرَّسْمَ يَدًا تُزْجِي بِهَا مِنْ تَحَايَاهَا . . وَأُخْرَى ضَمَهَا
 سَلِمْتَ تِلْكَ وَهَذِي فِي الْهَنَا وَرَعَاهَا وَلَنَا سَلَمَهَا

وتمثلتُ كأنِّي عندها وقفَـة الباب وما أنعمها
جمع اللهُ بشملي شملها واهبًا من بلسي بلسها
وحبانا منيةً أغلى النى فى حياتينا أجل أكرمها
ورعى اللهُ أباهَا وأبى ورعاها صنو أمى أمها
وابتسامُ الفجرِ ما زال لنا فرحة الأيام بل مبسمها

* * *

أنا والشيثة

لَمْنِي اشْتَعَلْتُ . . . وَشَيْشَتِي يَا حُلُونِي . . . لَمْ تَشْتَعِلْ
غَارَتْ فَفَرَّقَ صَوْتُهَا مُذْ رَاعَهَا رَجْعُ الْقُبُلِ
قَالَتْ نَعِمْتُ بِاشْتِعَا لَكُمْو فَمْتُ عَلَى مَهَلٍ
يَا لَيْتَ لِي ثَغْرًا وَلَيْتَ اللّٰهُ أَوْجَدَ لِي مُقَلَّ
فَأَغِيظُ ضُرَاتِي الْحَسَانَ وَلَا أَبَالِي . . . بِالْخَجَلِ

...

حـب وأشواق

أَنَا بِالْجِسْمِ فِيكَ يَا مَصْرُ حَيْرًا نُ . . . وَقَلْبِي مُعَلَّقٌ بِدِمَشْقِ
 لَا جَفَاءَ . . . وَلَا قَلْبٌ لَكَ يَا مِصْرَ ر . . . فَأَنْتِ الدُّنْيَا رَحَابَةٌ أَفْقِ
 الْمُنَى كُلُّهَا كَمَا تَشْتَهِي النَّفْسُ س عَلَى رُحْبِهَا مَجَالَاتُ سَبْقِ
 وَالْحَيَاةَ . . . الْحَيَاةَ . . . خَضَخَضَهَا النَّيْ ل رُؤَاةً لِلْحَفِّ مِنْ كُلِّ ذَوْقِ
 غَيْرَ أَنْ الشَّامَ مِيلَادُ أَحْلَا مِ حَبِيبٍ فِيهَا أَسَارِي وَرَقِّي
 ذِكْرِيَاتِي بِهَا حَنِينٌ . . . وَأَمَّا لِي عَلَى بُعْدِهَا ضِرَامٌ لِشَوْقِي
 بَرْدَى . . . نَبْعُهَا سَقَانِي وَرَوَا نِي وَمَا زَالَ بِي يُرَوَّى وَيَسْقِي
 حَالِي النَّبْتُ زَاهِي الْحُسْنِ ن سَخِيًّا بِالْحُبِّ يَهْنِي وَيُشْقِي
 أَنَا مِنْ طَيِّبَةِ وَحْسُبِكَ مِنِّْي لَذَّةً نَزَعَةً الْهَوَى لِدِمَشْقِ
 الْمُنَى النَّاضِرِ الْمُشْعِشِ وَالْمُشْ بٌ صَغْرِي وَالْعِرْقُ أَطْيَبُ عِرْقِ
 وَالْفَرَادِي مُصْحَبَاتُ الْفَرَادَى وَامِضَاتُ وَمَضِ السَّنَا خَلْفَ بَرْقِ
 بِاسِمَاتُ كَالْفَجْرِ فِي صَحْوَةِ الْفَجْرِ ر عَلَى لَحْنِ عِنْدَلَيْبٍ وَوَرَقِ

وَالْمَعَانِي ذَوْبُ الْمَبَانِي تُعَاطِيهِ لَكَ سُلَافًا مِنْ دَافِقِ السَّحْرِ طَلَّقِ
أَنَا مِنْ سِحْرِهَا عَلَى سَحَرِ الْمَجْدِ بِدِ عَلَى صَدْرِهِ شَمَخْتُ بِرَوْقِي
ضَمَخْتُ أَرْضَهَا طُيُوبُ النُّبُوءَا تِ فَآنِي حَلَلْتُ أَشْدَاءَ عَبْنِي
عَرَبَدَ الْمَجْدُ فِي مَرَابِعِهَا الْخُضْ رَ عَلَى صَهْوَتَيْنِ بُلُقِي وَزُرُقِ
ثُمَّ أَبْرَتْ اخْلَافَهَا الْبَيْضُ سَخَا ءَ فَلَا بَارِقَ عَلَى غَيْرِ وَذَقِ
وَحَلَّتْ صَفْحَةً عَلَى الْكَوْنِ غَرَا ءَ فِدَاءً بِكَرًّا وَصَوْلَةً حَقَّ
قَدْ أَخَذَتْ الْحَيَاةَ وَالْأَفْقُ مُرَبِّ دُ قُتَامٌ مَا بَيْنَ رَعْدٍ وَبَرْقِ
لَا بِمَالٍ نَشْرَتْهُ . . إِنَّهُ طَا غِ رَخِيسٌ مَا لَمْ يُدْعَمْ بِخُلُقِ

• • •

فَلْتَقُولِي لِلنَّاسِ . . بَلْ فَلْتَعُودِي ثَوْرَةَ الْعُرْبِ أَنْتِ أُخْرَى يَسْبِقِي
لَقْنِيهِمْ سِرَّ النَّجَاحِ . . فَمَا زَا لَوْا لَعَمْرِي عَلَى مَفَارِقِ طُرُقِ
فَالْتِيَامِ الْجِرَاحِ فِي نَسَقِ الْحُكْمِ عَلَى وَحْدَةِ النِّظَامِ الْأَدَقِ

• • •

يَا صَبَا جَلَّقَ قَدَيْتُكَ رِفْقًا بِخَفَايَا لَظْيٍ وَلَا هِبِ خَفَقِ
عُنْجٌ عَلَى « النَّيْرَبِينَ » مُنْعَطَفٍ الـ وَادِي وَسَلَّمٌ عَلَى الْحَبِيبِ الْأَرْقِ

إيها أيضا

إِذَا أَنْسَتْ نَفْسِي إِلَيْهَا وَسَرَّنِي حَدِيثُ هَوَى أَلْفَاظُهُ تَتَلَعَّمُ
 تَلَمَّسْتُ قَلْبِي وَهُوَ مِلْكٌ يَمِينُهَا فَأَبْصَرْتُهُ فِي قَلْبِهَا .. يَتَكَلَّمُ
 وَحَدَّثَنِي قَبْلَ الْحَدِيثِ مُعَبَّرٌ مِنَ اللَّحْظِ وَالْدُّنْيَا حَوَالِيَهُ تَبْسُمُ
 وَمِنْ دُونِهِ طَلَقَ الْمُحْيَا مُشْعِشِعَ تُحِيطُ بِهِ فِي دَارَةِ الشُّهُبِ أَنْجُمُ
 فَأَسْبَحُ فِي نُورٍ مِنَ النُّورِ سَاطِعُ يُطَرِّزُهُ وَشَيْءٌ بِهِجُ مُنَمِّنُ
 فَحَسَبَ الْمُنَى وَالْفَنَ طَلْعَةَ جُودِرٍ وَحَسَبَ الْهَوَى وَالْحُسْنَ جِيدُومِعْصَمُ
 يَقُولُونَ لِي .. قَدْ عُدْتَ لِلشَّعْرِ ثَانِيَا كَمَا عَادَ لِلرُّوْضِ الْهَزَارُ الْمُرْتَمُ
 فَقُلْتُ لَهُمْ قَدْ اخْضَبَ الْقَلْبُ بِالْمُنَى وَغَرَّدَ فِي أَحْشَائِهِ الْيَوْمَ مُلْهُمُ
 وَلَا تَنْكَرُوا سِرَّ الْغَرَامِ وَسَحَرَهُ وَلَا تَهْزِلُوا فَالْحَبَّ وَالشَّعْرَ تَوَامُ
 وَقَلْبِي إِنْ عَزَّ الدَّاءُ لِدَائِهِ يَظْلِلُهُ أَحْنَى عَطُوفٍ وَارْحَمُ

* * *

شائيات

إِنَّهَا تِلْكَ . . . وما أَجْمَلُهَا ذَوْبُ الطَّافِكِ أَوْ شَيْتِ فَذَوْبِي
 فِي فَمِي يَلْحَظُهَا إِحْسَاسُهُ حُلُوةَ الذِّكْرِى عَلَى بُعْدِ وَقُرْبِ
 إِنَّهَا إِحْسَاسُكَ الْغَالِي . . . وَمَا أَجْمَلُ الْإِحْسَاسِ فِي مَنْحٍ وَسَلْبِ
 عَطَّرَتْ رُوحِي . . . أَحْبَبْتُ أَمَلِي أَسْكُرْتَنِي بِاللَّمَى . . . بِالضَّرْبِ
 أَيْنَ مِنْهَا الرَّاحُ دَارَتْ سَحَرًا مِنْ يَدِ السَّاقِي يَلُونُ الذَّهَبِ

* * *

إِنْ فِي الْقُبْلَةِ لِلْحُبِّ غِذَاءٌ وَحَيَاةً وَانْتِعَاشًا . . . وَبَقَاءً
 (أَيُّ حَيٍّ عَاشَ أَهْلُوه ظِمَاءً) أَيُّ غَرَسٍ لَيْسَ يَسْتَجِدِي السَّمَاءَ

* * *

تعالى

تعالى إلى جنبي : أحدثك ساعة
 حديث معني بالمجاز كتيب
 تُورقني الذكري إلى غير ذاكر
 بلوعة مُشتاقٍ وحزنٍ غريب
 وما ذلَّ قبلَ اليوم دَمعي ولم تَلن
 قناتي لِخَطْبٍ في الزَّمان عَصيب
 تعالى : أصارحك الهوى إن جهلته
 تُطالعك عيني بالآسى ونَحِيبِي
 أعدُّ الليالي والليالي بطيئةً
 وما ذنبُها والذنبُ ذنبُ حَبِيبِي
 ولا حظَّ أصحابي سقامي فها لهم
 وقالوا : إذن شوق الشَّامِ ومن بها
 فَمَنْ لى بِوادي النَّيرَبِينِ وروضه
 وقالوا طيبٌ .. قلتُ أيُّ طيب
 سَأغْدُوا إليها بالفؤادِ وسِرُّه -
 فقلتُ أَجَلٌ .. والظَّنُّ ظنُّ مُصِيب
 إذا حظِّي السرُّ الدِّفينُ يسره
 وأطفئُ بالظلمِ البرودِ لهيبِي
 ووَيْحِي أَمَا كانَ غيرُ مُجِيب

...

(١) الدريق

الفتنة الراقصة

مِنْ قَبْلِ عَشْرِ خَلْتُ قَدْ كَانَ بِأَسْرُنِي فِيهَا جَمَالٌ غَرِيبٌ لَسْتُ أَذْرِيهِ
 قَدْ مَثَلْتُهُ رُسُومٌ بَضَّةٌ نَطَقَتْ دَعَاءَةً تَتَنَنَّى فِي مَجَالِيهِ
 تَأَلَّقَتْ وَبِشَاشَاتُ الْمُنى رُسُلُ إِلَى الْقُلُوبِ تُعَانِي مَا تُعَانِيهِ
 حَبِيسَةُ اللَّهِوَ لَكِنْ فَوْقَ طَاقَتِهَا وَهُمْ يُعْرِبِدُ خَافِيهِ وَبَادِيهِ
 وَقُلْتُ تِلْكَ ظِلَالٌ رُبَّمَا زَحَفَتْ بِهَا خَيَالَاتُ رَسَامٍ تُنَاجِيهِ
 حَتَّى التَّقَى اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى عَلَى أَمَلٍ تَحَقَّقَتْ فِي مَجَالِيهِ مَرَامِيهِ
 رَأَيْتُهَا هِيَ لَا رَسْمًا وَلَا شَبَحًا وَلَا خِدَاعَ تَصَاوِيرٍ وَتَمْوِيهِ
 رَأَيْتُهَا هِيَ جِسْمًا صَاغَهُ أَلْقُ وَالشَّمْسُ تَسْبِيحُ رُوحًا فِي حَوَاشِيهِ
 مَشَتْ عَلَى الْمَسْرُوحِ الْمَشْبُوبِ دَانِيَةً سَكْرَى مِنَ الْحُسْنِ أَوْ نَشْوَى مِنَ التَّبِيهِ
 النُّورِ يَسْبِيحُ فِي أَضْوَائِهَا غَرْدًا كَأَنَّمَا الصُّبْحُ مِنْ بَعْضِ الْجَلَى فِيهِ
 تَحَرَّكَ الصَّدْرُ تَحْرِيكَ السَّنَاوَمَضَتْ مِنْ فَوْقِهِ لَمَسَاتُ مِنْ مَعَانِيهِ
 وَرَاقَصَتْ بِسَمَاتِ الثَّغْرِ مَا سَمَحَتْ بِهِ الْبَرَاعِمُ فِي مَجْرَى غَوَالِيهِ

وَجَالَتْ الْعَيْنُ مِنْهَا جَوْلَةً سَكَبَتْ
خَمْرًا وَحَامِي الْحِمَى يَانِعُمُ حَامِيهِ
رَوْضُ تُرْنَحِهِ أَحْلَامُ مُبْتَهَجٍ
تَغْفُو دَوَانِيهِ إِذْ تَضْحُو عَوَالِيهِ
فَاعْجَبْ لِنُصْنِ أَعَالِيهِ مُغْرَدَةً
خَفِيفَةً سَحَرَتْ أَعْجَازَ تَالِيهِ
الطَّرْفُ يَانِعُمُ حَيْرَانٍ قَضَى أَسْفَا
كَسَابِحٍ فِي بَحَارِ النُّورِ تُغْيِيهِ
الشَّعْرُ مِنْكَ عَلَى الْإِنْعَامِ مُنْطَلِقُ
وَالْكَفُّ إِذْ تَتَشَنَّى فِي مُهَادَنَةٍ
وَالْمِعْصَمُ الْبُضُّ أَوْ مَا فَوْقَهُ أَلْقُ
تَمْوِجٍ فِي الْخِصْرِ تُبْدِيهِ وَتُخْفِيهِ
وَالْمِعْصَمُ الْبُضُّ أَوْ مَا فَوْقَهُ أَلْقُ
كَالسَّاقِ مَنُغُومَةٍ رَفَّتْ مَثَانِيهِ
الْجُزْءُ وَاللَّهُ كُلُّ فَيْكِ فَاسْتَبْقَى
صَفْوَةَ الزَّمَانِ تَزِدُ حُسْنًا مَغَانِيهِ

* * *

ضمي إليك

ضُمِّيْ إِلَيْكَ هَوَى تَطْلُعُ لِلذَّرَى
 آوَى إِلَيْكَ وَأَنْتِ قِمَّةُ شَامِخِ
 ضُمِّيْ هَوَاهُ فَمَا صَفَتْ أَيَّامُهُ
 عَامٌ مَضَى وَهَوَاكَ فِي أَحْلَامِهِ
 عَامٌ مَضَى وَالْحِسُّ فِي آثَامِهِ
 عَامٌ مَضَى وَالْكَرْبُ فِي آهَاتِهِ
 نَاشَدْتَ رَسْمَكَ فِي الْحِشَا أَنْ لَا يَرَى
 وَتَوَسَّلْتُ عَيْنِي لَدَى إِنْسَانِهَا
 لَكِنْ أَضْلَاعِي الَّتِي حَمَلَتْهَا

صُونِيهِ فَهُوَ مِنَ السُّيُوفِ بَقِيَّةُ
 وَمِنَ الْعَوَاطِفِ طَالَمَا حَمَلْتُهُ
 صُونِي حَيَاةً فِي يَدَيْكَ رَخِيصَةً
 بِأَيْبِكَ بِالْعَيْنِ الْكَحِيلَةِ بِاللَّمَى
 بَعْلَاكَ بِالسَّرِّ الْخَفِيِّ لِمَحْتِهِ
 وَمِنَ الْجَرَاحِ النَّازِفَاتِ تَرَعْرَعَا
 عِبَاءُ السُّنَيْنِ فَمَا وَهَى وَتَضَعُضَعَا
 تَأَبَّى لِغَيْرِكَ أَنْ تَذِلَّ وَتَخَضَعَا
 بِالْفَجْرِ لَوْ لَمْ تَأْذَنِي لَنْ يَسْطَعَا
 فِي نَظَائِرِكَ مَشَى إِلَيَّ وَأَسْرَعَا

هذا الضياء كما ترين ملامح
 قولي ففي شفيتك أنت نعيمه
 حبس الحياء بيانه واستنطقت
 ورأى السلاف البكر منهل ظامي
 الغرس يستجدي السماء فهل تري
 أزوي به ظمًا الفؤاد ولينني
 إن صغت يا أمل الحياة لك المني
 فلقد وهبت لي الحياة جديدة
 أنا من عرفت ومن جهلت فسائلي
 أنا من عرفت وما عرفت سوى امري
 عوذت باسم الحب حبك إنه
 ضاعت فهل يبقى لديك مضيعة
 لو تذكرين مروعا ومفرعا
 عيناه عينيك الحديث فأبدعا
 كنت المعين له وكنت المنبعا
 أفوي وأستجديك كأسا مثرعا
 أبقي على ظمًا ألد وأمتعا
 عقدا بحبات الفؤاد مرصعا
 وأحلت هذا الجذب خضبا ممرعا
 إحساسك العالي وإحسامي معا
 لو شئت حتى من بتانك أطوعا
 حب يصون به المنيع ممتعا

• • •

لا أنت صانعة الوداد ولا أنا
 من جاء بالصّب الغريب ليلتقي
 ولقد بعثت القلب عندك شافعا
 فالله أودع بيننا ما أودعا
 بمراميه يا أنت كيف تجمعنا
 هل تقبلين هوى الفؤاد مشفعا

• • •

صورة

حِجَازِيَّةُ الطَّبَعِ وَالْمَخْتَدِ عِرَاقِيَّةُ النَّبْتِ وَالْمَوْلِدِ
كَأَنَّ « زُرُودًا » يَغْزِلَانِهِ جَرَى فِي الرِّصَافَةِ كَالْعَسْجَدِ
وَمَا زَجَ بَيْنَ عُيُونِ الْمَهَا وَكَحَلِّهَا بَعْدُ بِالْإِثْمَدِ
وَعَارِ الْعَقِيقِ مِنَ الدَّجَلَتَيْنِ فَصَفَّقَ لِلنَّبْعِ وَالْمُورِدِ
فِيَا مَا أَجْلَى ظِلَا « وَجَرَةً » تَرُوحُ عَلَى الْجِسْرِ أَوْ تَغْتَدِي
وَيَأْتِلِقُ الْوَمَضُ بَيْنَ الْعُيُونِ كَمَا تُومِضُ السُّحُبُ لِلْفَرْقَدِ
وَتَبْسُمُ لِلنَّبِرَاتِ الْكُرُومُ عَنَاقِيدُ فِي غُضَنِهَا الْأَمْلَدِ
فَمِنْ عَنَبٍ رَفَرَقْتَهُ الشُّفَاهُ سُلَاقًا تُدَارُ عَلَى مَوْعِدِ
وَرُمَانَةٍ فَوْقَ مَجْرَى الْعَبِيرِ بِعَيْنَيْكَ تُقْطِفُ لَا بِالْيَدِ
تَخَيَّلْتُهَا مَوْجَةً مِنْ سَنَا تَقُولُ لِبَذْرِ الدُّجَى عَرَبِدِ
تَرَنِّحَ فِيهَا الْجَمَالُ السَّخِيُّ عَلَى نَحْبِ أَنْجُمِهِ الْخُرْدِ
وَأَنْتِ يَا مُهَجَّتِي صُورَةٌ مِنْ الْأَمَلِ الْحَالِمِ الْمُفْرَدِ

وَنَامَ الدُّجَىٰ وَاسْتَرَا حِ النَّهْيَ وَهَوَّمْ فِي أَفْقِهِ السَّرْمَدِي
وَحَتَّى الْكَوَاكِبِ لَمَّا تَغَيَّ وَأَنْتِ الْوَحِيدَةُ لَمْ تَهْجُ دِي
كَأَنَّكَ فِي اللَّيْلِ سِرُّ الْوُجُودِ وَخَارِسَةُ الْأَعْيُنِ السُّهْدِ
وَلَكِنَّهُ قَدَرٌ رَاصِدٌ تَوَحَّدَ مَرَمَاهُ فِي الْمَرْصَدِ
تَفَرَّعَ مِنْ أَضْلِهِ الْأَوَّلِ وَقَارَبَ فِي الْحِسِّ لَمْ يَبْعُدِ
لَاخْتِمَ مَعْنَى الْهَوَىٰ فِي الْحَيَاةِ بِمَا كُنْتُ فِي أَمْرِهِ أَبْتَدِي
وَلَكِنْ يَا حَسْرَتِي فِي الْمُنَى أَهَابُ زَمَانِي وَأَخْشَى غَسَدِي

...

اللقاء الباكي

بَعْدَ لَأَيِّ وَبَعْدَ ضَنْ وَمُظْلٍ أَقْبَلْتُ كَالشَّدَى كَبْسَمَةٍ طَلُ
 تَتَهَادِي حُورِيَّةً فِي وَشَا حَيْنَ جَمَالٍ بِكْرِ وَخِفَةِ ظِل
 وَأَعْنَّ يَنْسَابُ فِي هَذَاةَ اللَّيْلِ مُدِلُّ عَلَى الْهَزَارِ الْمُدِلِ
 رَاقَصَتِ النُّجُومُ فِي فَلَكَ الْحُسْنِ وَسَاقَيْنَهُ بِعَلُّ وَنَهْلِ
 فَوَصَلْنَ السَّمَاءَ بِالْأَرْضِ أَمَجَا دَا تَغْنَى فَكَانَ أَغْذَبَ وَضَلِ
 ثُمَّ مَاذَا لَقَدْ دَنْتَ فَتَدَلَّتْ وَقُطُوفُ الْمُنَى بَوَاسِمُ حَوْلِي
 وَاسْتَرَاخَتْ عَلَى وَثِيرٍ مِنَ الْحُوبِ أَثِيرٍ غَذَاهُ قَلْبِي وَعَقْلِي
 وَتَطَفَّلْتُ بِالْحَدِيثِ عَنِ الشُّوِّ قِ وَسِرِّ الْغَرَامِ بَعْدِي وَقَبْلِي
 وَهِيَ نَشْوَى أَوْ مِثْلَمَا خَبِلَ الْوَهْمُ لِقَلْبِي وَمَا فَطَنْتُ لِحَبْلِي
 وَالْعَوَانِي سِرٌّ يُغْنِمُ بِالْبَوِّ حِ وَوَيْلِي مِنَ النَّقِيزَيْنِ وَيْلِي
 مَنْ تَرَاهُ يَظُنُّهَا وَهِيَ فِي الْقَمَّةِ مِنْ لُطْفِهَا تَثُورُ وَتَغْلِي
 وَالْعُيُونُ الَّتِي يُظَلِّلُهَا الْجَفْنُ دُمُوعُ حَكَيْنِ أَدْمَعُ طِفْلِ

وَالسَّائِغِ الْحَالِمِ الْمُشْعَشِعِ أَغْفَى بَعْدَ أَنْ لَاحَ كَالِهَلَالِ الْمُطْلِ
 وَابْتِسَامَاتِهَا اللَّطَافُ تَوَارَيْنِ وَوَارَيْنِ غَضَابًا فِي فَرَحَةِ الْعُمْرِ سُؤْلِي ^(١)
 قُلْتُ وَالْقَلْبُ لَهْفَةٌ وَضُرَامٌ وَالسُّكُونُ الرَّهِيْبُ بَعَثَ شَمْلِي !!؟
 يَا ضِيَاءَ الْحَيَاةِ يَا تَوَامَ الْبَدَنِ رِ أَقُولِي أَسَاءَ أَمْ سَاءَ فِعْلِي !!؟
 هَلْ عَرَنْكَ الشُّكُوكُ فِيمَنْ يُرَجِّيكِ هِنَاءَ وَالْحُبُّ يَصْفُو بِمِثْلِي
 فَاسْتَعَارَتْ مِنَ الدُّجَى صَمْتَهُ الْخُلُو وَجَاءَ الصَّبَاحُ يَزْحَمُ لَيْلِي
 بَيْنَ آهِ مُعَبِّرٍ وَلِحَاطِيزٍ رَاعِشَاتٍ تَرْوِي الْحَدِيثَ وَتُمَلِّي
 قَالَ مِنْهَا الصَّدَى الْمُجَابِبُ فِي النَّفْسِ حَرَامٌ أَبْقَى خَلِيلَةَ خَلِّي
 وَبَكَتْ وَالْدُمُوعُ تَسْبِيحَةُ الْقَلْبِ وَقَالَتْ أَرَبُّ لَيْتِي وَعَلِي؟
 قُلْتُ يَا رَبُّ عَلَيْهَا سَاعَةٌ الْيُسْمَنِ فَتَغْلُو فِينَا حَلِيلَةَ بَغْلِ
 وَيَزْفُ الصَّفَاءُ لِلْحُسْنِ مَجْلُوءًا عَرُوسًا تَزْهُو بِأَبْهَجِ حَفْلِ
 وَالضُّيَاءُ الضُّيَاءُ يَقْطُرُ بِالْفَرْحَةِ هَلْ لِي أَرَاهُ يَا رَبَّ هَلْ لِي

(١) أسأل فلانا سؤاله قضى حاجته

من یہ ؟ ؟

تَسْأَلْنِي عَنْ صَائِدِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا
فَدَيْتُ هَوَاهَا زَهْرَةً صَانَهَا الْهَوَى
تَعَهَّدَا الْمَزْنَ الصُّبُوحَ فَأَوْرَقَتْ
وَمِنْ بَرْدِي قُلْتُ وَمِنْ بَرْدِهِ ارْتَوَتْ
فَمَا كُلُّ ظَامٍ نَاهِلٌ مِنْ رِضَابِهَا
وَمَا كُلُّ بَرَقٍ لَاحَ وَهَوَ يَمَانِي
أَمِنْ ظَبْيَاتِ الشَّامِ أَوْ غِيدِ لِبْنَانٍ
وَبَيْضَةِ خِذْرِ لَمْ تَطْلُهَا يَسْدَانِ
وَبَاكَرَهَا حَبُّ الْغَمَامِ بَيْنَسَانِ
فَلَا يَدْعُ أَنْ جَادَتْ بِرِيٍّ لِظْمَانِ

...

عَدْتَهَا الْعَوَادِي فَهِيَ قَلْبِي بِحُبِّهِ
تَخَيَّرَهَا قَلْبِي فَكَانَتْ لِسِرِّهِ
وَفَاضَتْ عَلَيْهِ الْبِشْرَ وَالسُّخْرَ وَالْمُنَى
وَكَانَ هَوَاهَا مَبْعَثَ الصُّفْرِ مُشْرِقًا
تَخَيَّرَهَا قَلْبِي فَلَا الْحُبُّ حُبُّكُمْ
غَرَامٌ سَمَاوِيٌّ الْمَعَانِي مُجَنِّحٌ
بِمَعْنَاهُ بَلْ أَبْنَى مِنَ الْخُلْدِ فِي الْخُلْدِ
وَكَانَ لَهَا سِيَانٌ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
وَمَاهِمْتُ عَمْرِي فِي رَبَابٍ وَلَا هِنْدِ
وَمُغْرَبَ آلاَمِي وَمُنْبَثِقَ السَّعْدِ
وَلَا وَضْفُكُمْ وَضْفِي وَلَا جُهْدُكُمْ جُهْدِي
وَالْطَّافَهُ شَيْءٌ خُصِصْتُ بِهِ وَخُدِي

أفاضت عليَّ السحرَ سحرين حبَّها
وهذا الرضابُ الحلو أحلى من الشهد
وعطفةُ قلبٍ ضمَّ في الحب مثله
ورحمةُ إنسانٍ وضمةُ ذي ودٍ
وتطويقةُ بين الذراعين غضةُ
وما عدت أدري زندها الغض من زندي
فما ملكتُ قلبي سِواها ولم تَلنْ
لغيري لعلَّ اللهَ عن سرِّها يُبدي
وليلاي دُعَاءُ المحاجرِ جوذر
وليلاك شقراءُ وليلاي شعرُها
وليلاك أعظمتك الوعودَ سَخِيَّةُ
كجنح الليلي فارِعِ الحسنِ مسود
وليلاي عهدي عهدا لم تَبَحْ به
وفي مَسَبِّحِ الأحلامِ لَمْ تَفِ بِالوعد
نَعِيشَ عَلَيْهِ مَا حَيِينَا بِلا قَيْد

* * *

عن دمشق وإليها

عزيزي : سررتُ بالمقطوعة التي هي قبسٌ من قبسك وقطعةٌ من
نفسك فأوحتُ إلىَّ بهذه القطعة الشعرية التي أقدمها للذكرى مثل
ذكرى شعرك فيمن أوحتْ به إليك ولها منا الشكرُ سلفاً على الغيب .

مَنْ تَرَاهَا لَيْلَاكَ قُلْ لِي حَقًّا بَابِلُ^(١) أَوْ أَتْلَحُ غَيْدَانُ^(٢)
أَوْ يَغْضُنِ كَالْبَانِ أَوْ هُوَ أَحَلَى أَوْ يَنْغْرِ مُنْضِدٍ بِالْجُمَانِ
ثُمَّ قُلْ لِي هَلْ أَسْعَدْتُكَ بِعَظْفٍ عَبْقَرِيٌّ فِي رِقَّةٍ وَحَنَانِ
هَلْ تَلَقَّيْتُكَ بِالْشَدَا مِنْ شَدَاها مِثْلَ مَا التَفَّ بِالْهَوَى طَائِرَانِ
هَلْ رَشَفْتَ اللَّمَى الْمُعْتَقَ اشْهَى مِنْ مُدَامٍ دَارَتْ عَلَى النَّدْمَانِ
ثُمَّ قُلْ لِي وَلَا أَحَاكَ تَبْسُدِي ذَلِكَ السَّرُّ فَهُوَ سِرُّ الْغَوَانِي
كَمْ صَرِيحٍ مِثْلِي وَمِثْلِكَ لِلْحُبِّ قَبَّحٌ لِي فَإِنَّنَا تَوَآمَانِ
وَهَنِيئًا لَهَا بِشَاعِرٍ سَلَعِ وَالْأَدِيبِ الْأَرِيبِ فَخْرُ الْبَيَانِ
مَى صَادَتْ بِسُخْرَاهَا سَاحِرَ اللَّفْظِ رَقِيقَ الْإِحْسَاسِ وَالْوُجْدَانِ

(١) خمر بابلي

(٢) غيدان الشباب اوله - التلح التطلع بالعنق الى الشيء

نجوى

يا ابنة القوطة والنهر المحلى برضائك
يا ابنة الفجر تمنى البدر تقيل إهابك
والنجوم الزهر لو تنثر زهراً فى رحابك
والمعانى باسمات غازيات فى ركابك
يتعالين على الدنيا ويسجدن ببائك
آه لو تدرين ماى مثل ما أعلم ماىك
يا ابنة الكرم من كرم شبابى وشبابك
والأمانى عذاب مثل معسول عذابك
إن تمثلت رغبى فاقربىها فى رغابك
فالرذاذ الحلو لا يقطر إلا من سحابك
والمنى البىضاء فى الحب معان من كتابك
فاطلبى لى رحمة الله أجدها فى طلاك

هَمْسَةً تَسْرِي عَلَى الْبَرْقِ يَنْجُو فِي خِطَابِكَ
فَأَرَى الْحُظُوءَ فِي لُقْيَاكَ مِنْ بَعْدِ غِيَابِكَ
وَإِذَا الْبُعْدُ حِكَا يَأْتُ عَذَابِي وَعَذَابِكَ
وَتَسَالِينَا أَحَادِ يَثُ اغْتِرَابِي وَاغْتِرَابِكَ
وَارْتَوَائِي مِنْكَ يَا حَبِي شَرَابًا مِنْ شَرَابِكَ

* * *

ليلة العيد

ذَكَرْتُكَ فِي اللَّيْلَةِ الْحَالِيَةِ مِنْ الْعِيدِ أَبْكِي عَلَى حَالِيَةِ
أَرَى فَرَحَةَ النَّاسِ فِي عِيدِهِمْ وَفَرَحَةَ نَفْسِي فِي الْبَاقِيَةِ
وَيَنْعَمُ حُبٌّ بِمَحْبُوبِهِ وَأَشْكُو مِنَ الْوَحْدَةِ الْقَاسِيَةِ
أَقُولُ لِنَفْسِي هَلْ مِنْ جَنَّا حِ أَطِيرُ إِلَى الشَّامِ فِي ثَانِيَةِ
وَأَلْقَى الْعَزِيزَةَ فِي حِيَّهَا وَتَلَمَّسُنِي كَفُّهَا الْحَانِيَةِ
أَقْبَلُ مِنْهَا يَدًا طَالَمَا رَعْنِي بِأَلْطَافِهَا السَّامِيَةِ
أَشْمُ مِنَ الرَّوْضِ وَرَدَ الْحَيَاةِ وَأَقْطُفُ أَزْهَارَهُ الزَّاهِيَةِ
سَأَلَقِي بِكَ الْعِيدَ يَوْمَ اللَّقَاءِ فَمَا الْعِيدُ إِلَّا الْمُنَى الْغَالِيَةِ

على صورتها

يا صُورَةَ أَبْصَرْتَ عَيْنِي بِهَا أَمَلِي وَقَرَّبْتَنَا فَعُدْنَا قَابَ قَوْسَيْنِ
ضَمَمْتُهَا فَإِذَا الْقَلْبَانِ قَدْ جُمِعَا وَفِي الْبَعَادِ غَرِيبٌ ضَمَّ قَلْبَيْنِ
لَمَحْتُ فِي صَمْنِهَا شَبَحًا مُمَثَّلَةً فِيهِ النَّوَى فَرَّقْتُ بِالرَّغْمِ الْفَيْنِ
كَأَنَّهَا تَسْأَلُ الْأَقْدَارَ كَيْفَ قَسَتْ تَقُولُ رِفْقًا بِهِذَيْنِ الْحَبِيبَيْنِ
وَقُلْتُ بِاللَّهِ كَيْفَ الْحَالُ فَاِبْتَسَمْتُ حَالِي كَحَالِكَ لَيْسَ الْحَالُ حَالَيْنِ
صَدَقْتُ يَا زِينَةَ الدُّنْيَا وَفَرَحْتُهَا لَنْ يُصْقِلَ الْحُبَّ إِلَّا لَوْعَةُ الْبَيْنِ
يَا رَبُّ رُحْمَاكَ فِي قَلْبَيْنِ مَضْمُومَا عُسْرُ النَّوَى فَأَزِخْ عُسْرًا بِيُسْرَيْنِ

* * *

ثلاثيات

لَقَدْ تَحَدَّثْنَا وَلَمْ نَسْتَرْحِ حَتَّى رَأَتْ أَكْبَادَنَا تَنْزِفُ
وَبِالْبَنَانِ الْغَضُّ لَمْ تَسْتَبِحْ غَيْرَ السُّوَيْدَاءِ وَمَا تَنْطَفُ
قَالَتْ لِبَدْرِ التَّمِّ هِيََا اضْطَبِحْ نَفَحَ عَيْسِرُ دُونَهُ الْفَرْقَفُ

* * *

وَابْتَسَمَ الْبَدْرُ عَلَى مِحْنَةٍ ضَاحِكَةً فِي غَسَقِ الْفِتْنَةِ
وَبَسْمَةُ الْبَدْرِ مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ وَجَنَةٍ تَسْرِي إِلَى وَجَنَةٍ
وَقَالَ لَا دِيْنِي وَلَا سُنِّي تَشْرَبُ كَأْسًا صَبِغَ مِنْ أَنَّهُ

* * *

الأمل الحائر

وَعَاطَيْتَنِي الْأَمَلَ الْحَائِرَا تَمَنِّيْتِهِ : الْأَلَمَ السَّافِرَا
 تَمَنِّيْتِهِ صَعَقَاتِ الرَّدْيِ تُرِيحُ وَلَا تَكْسِرُ : الْخَاطِرَا
 فَإِنَّ الْأَسَى قَدْ يُمِيتُ النَّفْسَ وَلَكِنَّهُ يَحْرِقُ : الشَّاعِرَا
 وَتِلْكَ الْمَعَانِي الَّتِي صَوَّرْتُهَا تُحَازِرُ حَتَّى الشَّدَى : النَّافِرَا
 إِذَا صَارَحْتُهُ الْمُنَى الْحَالِمَا ت رَعَى ظِلُّهَا : طَبْعَا : صَابِرَا
 وَغَرَّدَ فَوْقَ أَقَانِينِهَا يُسَاجِلُ : بُلْبُلُهَا : الطَّائِرَا
 وَيَسْكُبُ لَحْنَ الْجَنَانِ الشَّفِيفِ خَجُولًا : رَوَى غُصْنَهَا : النَّاصِرَا
 وَحِينَ تَشِفُّ الْأَغَارِيدُ تَسْتَرْفِدُ مِنَ الرُّوحِ عَالَمَهَا : الزَّائِرَا
 وَتَسْبَحُ فِي صَحْوِهَا الْهَادِرِ تُصَفِّقُ الْهَامَهَا : الْهَادِرَا
 وَتَلْفِظُ وَهَمَّ الْحَيَاةِ الشَّحِيجِ إِذَا سَلَبَ الْمُقْبِلُ : الْحَاضِرَا
 وَتَهْوِي الدُّجَى الْمُقْفِلَ الصَّائِمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ خَادِعًا : غَادِرَا
 فَكَمْ عَانَتْ اللَّيْلُ أَشْبَاحَهُ كَمَا عَانَتْ الْكَافِرُ : الْكَافِرَا

...

فَيَأْمَنُ رَجَوْتُكَ رَغْمَ النَّفَارِ هَوَى صَاحِبًا يَانِعًا : ثَامِرَا

تَضْمِينَ أَحْلَامِهِ الصَّافِنَاتِ وَتَحْمِينَ وَجْدَانَهُ الْعَامِرَا

تَخِذْتُ هَوَاكَ الْمَنَارَ الْوَضِىَّ وَإِشْعَاعَةَ الْفَلَكَ : الدَّائِرَا

فَمَا دُرْتُ فِي غَيْرِهِ هَادِيَا وَلَا رُمْتُ فِي غَيْرِهِ : نَاصِرَا

وَأَلْفَيْتُ فِيكَ الرَّجَاءَ الْعَظِيمَ كَمَا وَجَدَ الْعَاجِزُ : الْقَادِرَا

تَحِيرْتُ فِيمَا أَرَى يَا تَرَى بَلَاءَ كَحِيرَتِهَا : حَائِرَا

أَمْ الِهْمَسُ مِنْ حَوْلِنَا رَاعَهَا فَصَاغَ الْأَسَى لَحْنَهَا : الْفَاتِرَا

أَمْ الشَّامِخَ الصَّاعِدَ الْمُعْتَلَى رَمَانِي وَلَمْ يُقِلِرْ : الْعَائِرَا

• • •

وَلَا عَجَبُ ذَاكَ شَأْنُ الزَّمْ— إِنْ حَدَوْنَا بِهِ الْمَثَلَ السَّائِرَا

إِذَا شَقَّ دَرْبَ الْعُ— لَا «لَاحِبًا» فَيَا طَالَمَا قَدْ هَدَى السَّائِرَا

سَوَاءٌ عَلَيْهِ اِزْدِحَامُ الْمَوَارِدِ لَا يَفْضُلُ الْأَوَّلُ الْآخِرَا

فَكَمْ صَادِرٍ غَالَهُ وَارِدٌ وَكَمْ وَارِدٍ قَدْ رَوَى : الصَّادِرَا

تَسَاوَى رَخِيصُ الْمُنَى وَالْعَزِيْزُ زُ لَدَيْهِ فَمَا كَانَ فِي عُمْرِهِ ذَاكِرَا

وَمَنْ يَنْسَ تَارِيخَهُ ذَاتَهُ مَعَا : طَبْعُهُ : الْفِكْرُ : وَالْفَاكِرَا

هُوَ الصَّانِعُ الْمَاهِرُ الْمَاكِرُ وَمِنْ سِرِّهِ : كَوْنُهُ : مَاكِرَا

أَيْدَمُشْ لِلتَّبَرِ قَدْ صَاغَهُ نَفِيسًا بِهِجَ الرُّوْي : نَادِرَا

أَيُعْجِزُهُ بَعْدَ رَجَعِ النَّفِيسِ رَخِصًا كَأَن لَّمْ يَكُنْ : بَاهِرَا

...

خَانِيكَ وَلِتَعْلَمِي أَنِّي أَرْجِيهِ مُصْطَفَقَا : ثَائِرَا

فَذَلِكَ أَكْرَمُ مَا أَسْتَطِيعُ تَقَبَّلْهُ رَاضِيًا شَاكِرَا

لَآن يَلَدَ الْحُبِّ كُرْمَا أَعَزُّ مِنَ الْحُبِّ تَحْمِلُهُ صَاغِرَا

وَأَحْقَرُ مِنْهُ هُوَ الْاِغْتِصَابُ تُعَاقِرُهُ كَارِهَا حَاقِرَا

بِجُرْحِ الْهَوَى فَلَتَمْتُ لَا تَعِشْ بِجُرْحِ الْقَلَى أَبَدًا فَاغِرَا

وَوَشْوَشَنِي الْقَلْبُ مُسْتَنَكِرَا حَرُونَا فَلَيْسَ الْأَذَى : آسِرَا

وَقَالُوا قَدِيمًا يَدُومُ الْوِدَادُ سَلِيمًا وَيَفْنَى الْهَوَى : عَاقِرَا

هَوَى النَّفْسِ آرَابُهَا الْمُسْتَقَّ اءُ تُمَزَّقُهُ : كَابِرَا

فَكَيْفَ وَقَدْ بَاتَ حُبُّ الشَّرِيفِ لَعَمْرِي قَصِيرَ الْمَدَى قَاصِرَا

وَأَنْبَتُ مِنْهُ الْهَوَى اللَّوْثِيَّ يُبَادِلُهُ : فَاجِرُ : فَاجِرَا

مُنَاطَرَةٌ بَيْنَهُمْ لَمْ تَزَلْ يُحَاوِرُ مَنْظُورُهَا : النَّاطِرَا

لَنَا أَجَلٌ حَدَدَتْ عُمْرَهُ مَنَاصِبُ تَحْتَضُنُ : الظَّافِرَا

وَتَلْوِي بِمَنْ أَبْطَأَتْ رِجْلُهُ وَتَلْفِظُهُ بَاطِنًا : ظَاهِرًا
 وَيَغْزُوهُ فِي خِلْسَةِ شَاطِرٍ وَمَا كَانَ فِي أَمْسِهِ : شَاطِرًا
 وَقُلْتُ لِقَلْبِي لَا حَيْرَةَ وَلَا لُبْسَ فَلَتَكُنْ : الْحَادِرًا
 فَلَيْسُوا نَفُوسًا كَمَا قَدْ زَعَمْتُ وَمَا عَرَفُوا الْهَدَفَ : الْبَاصِرًا
 فَمَا بَيْنَهُمْ مُهْجَةً حُرَّةً تُمَثِّلُ قَلْبًا : سَمًا : طَاهِرًا
 لَقَدْ جَهِلُوا سِرَّ هَذِي الْحَيَاةِ فَكُلُّهُمْو عَاشَهَا : سَادِرًا

يَعِيشُ الْوَفَى لِأَخْلَاقِهِ كَمَا شَاءَهَا : صَاعِدًا : حَادِرًا
 وَيَغْنَى الْحَصِيفُ بِآدَابِهِ فَقَدْ كَانَ ظِلٌّ : ضَحَى : عَابِرًا
 فَعِشْ هَائِمًا فِي غِمَارِ الْحَيَةِ اةٍ وَلَا تَرْضَ عَيْشَتَهَا : مَادِرًا
 وَمَا ضَاعَ خَيْرٌ وَلَكِنَّهُ تَجَاوَزْنَا غَاضِبًا : هَاجِرًا
 قَوَانِينُهُ حَقَّةٌ كَالْحَيَاةِ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْ : نَاشِرًا
 أَلَا إِنَّا دَاوُمَا وَالِدَوَاءِ وَلَا يُصْلِحُ الْعَاهِرُ : الْعَاهِرًا

اللؤلؤة .. الحمراء

لَمَحْتُهَا وَكَأَنَّ الْعِيدَ فِي فَلَكٍ وَقَلْبُهَا سَابِحٌ كَالنَّجْمِ فِي فَلَكٍ
وَتَرَقَّبُ النَّهْرَ مُنْسَابًا أَشْعَثُهُ كَشَعْلَةَ اللَّيْلِ «تَرْمِي» سُذْفَةَ الْحَلَكِ
يَرِفُ كَالنَّسَمَةِ الْعَذَاءِ تَحْسِبُهَا عَرْشًا تَرْفَعُ عَنْ تَاجٍ وَعَنْ مَلِكٍ
الْعِيدُ يَصْدَحُ فِي أَغْطَافِ فَرْحَتِهِ كَالرَّيْمِ يَجْفُلُ مِنْ رَامٍ وَمِنْ شَرَكِ
وَرَبَّةُ الْحُسْنِ فِي الْأَصْدَاءِ هَائِمَةٌ كَأَنَّهَا رَاهِبٌ قَدْ ذَابَ فِي النَّسْكِ
تَعَبُ مِنْ أَلْقَى صَادٍ وَتَسْمَعُهُ وَالْوَجْدُ فِي صَخَبٍ وَاللَّحْنُ فِي دَرَكِ
وَصِرْتُ فِي الْمَشْهَدِ الْمَسْخُورِ طَرَّزَهُ وَرَدُّ تَلَفَعَ فِي طَوْقٍ مِنَ الْحَسِكِ

• • •

دَنُوتُ صَوْبَ الْحَيَا الْغَافِي عَلَى حَذَرٍ وَفِي الْحَيَاءِ صِرَاعُ الْفَارِسِ الْفَتِكِ
فَمَسَّنِي الْهَوْلُ إِذْ أَبْصَرْتُ لَوْلُؤَةً حَمْرَاءَ تَرْقُصُ رَقْصَ الصَّيْدِ فِي الشَّبَكِ
وَقُلْتُ يَا أَنْتِ هَلْ فِي الْعِيدِ سَائِحَةٌ تَجْرِي بِدَمْعٍ عَلَى الْخَدَّيْنِ مُشْتَبِكٌ
قَالَتْ نَفَحْتُ حُشَاشَاتِي وَمَا سَمَحْتُ عَيْنِي بِغَيْرِ دَمٍ كَالدَّمْعِ مُنْسَفِكِ

أَذِيبُ فِيهِ الْأَسَى الْجَافِي وَأَحْرِقُهُ
الْحُبُّ تَحْمِيهِ أَجْفَانٌ مُقَرَّحَةٌ
بَكَيْتُ أَحْرُسُ نَشَوَاتٍ مُغْرَدَةٍ
فَبَهْجَةُ الْعِيدِ أَسْمَى حَقَائِقُهَا
وَرَجَعُهَا كَصَفِيرِ الرِّيحِ مُنْطَلِقُ
هَتَّا كَةُ السِّتْرِ عَنْ عَفِّ الْخُطَى حَذِيرُ
لَذَعُ الْحَنِينِ وَوَقْدُ الشَّوْقِ إِنْ تَرَكََا
وَالْحُبُّ فِي الشَّامِ فِي أَفْيَاءِ غُوطَتِهِ
سِرُّ الْبَقَاءِ لَهُ زَادٌ مُؤَجَّجَةٌ
نَادَيْتُهَا وَالْمَعَانِي الْبَيْضُ غَاضِبَةٌ
زَيْدِي بُكَاءُكَ هَذَا الدَّمْعُ لِي وَلَكَ

أول لقاء

وقابلتها والليلُ حُلُوٌّ مُشْعِشٌ له من عبير الصدم لحن مَوْعٌ
 عليها الإِشَابُ^(١) الحلو يقطر لذة يضيءُ به في الرأس تاج مُرْصَع
 فما هي إلا نظرة لم أَشْنَهَا إذ القلبُ من فرطِ المسرة يدمع
 وكانت كأحلى ما تمناه شَيْقٌ رفيقُ الأمانى شاعر الحس مبدع
 فضم عليها القلبُ كل مرامه فما لسواها بين جنبيّ موضع
 وسلمتُ للحس الرفيع مقادتي ولي كبرياء لا تليق وتخضع
 وقال رفيقُ كان في الدرب بيننا أَمِنْ نظرةٍ أولى تذوب وتخضع
 تمهل ولا تعجل فللحس خدعة فقلت ولكن مهجتي كيف تخدع
 فللحب عين لا تطيق سهامها وللقلب إحساس من البرق أسرع
 لمحت بها سرّاً دفيناً تصونه وجرحاً كجرحي لم يُغْدِ فيه مبضع
 لها رقةٌ كالنور تحلو بطبعها ولا يغلبُ الطبعَ الكريمَ التطبع
 وواعدتها في ليلة القدر ثانياً وفوح مرامي عطره يتضوع
 فكان هلال السعد واليمن موعداً وأصبح بدرأ ضوءه العذب يسطع
 رحيبُ المعاني لا يحولُ صفاؤه فإن الوفاء الحرّ لا يتزعزع

(١) الإِشَاب ما يوضع على الرأس من غطاء

عيناك

عيناكِ بالإشعاعِ ياقوتةٌ تسطعُ في جَفَنِ الدجى الداكنِ
تحركتِ في ومضها مثلما تحركَ الخافقُ في السّاكنِ
وأسبلتِ هُذْباً كَأَنَّ الذي في ظلّه تنهيدةُ الظّاعنِ

* * *

واللهُ واللهُ ولا أحضتِ رأيتُ في الليلِ ضحياً ينفثُ
رأيتِ ومضاً عَنبريَّ السنا وَالْعَيْنُ لا تكذبُ لا تعبثُ
لولا سوادُ خِلْتِه سُكَّراً قلتِ نهراً بالدجى يرفثُ

* * *

كف

يوماً بليته أهْيِيءُ للقاءِ لما أقول وما أعيد
وأنسَقَ الجَمَلَ الحسانَ يضمُّها العقدُ النضيد
وأهدُ آونةً وأبني فالوصالُ الحلو عيد
ودَلِفْتُ للميعادِ أعتصر الفؤادَ كما يريد
وهوأيَ ذِيالكِ المُجنَّحِ ليس ينقصُ بل يزيد
وفرحتُ بالأملِ الطريفِ يحثُّه الأملُ التليد
فوجدتُها قمرأً يعبُّ من النجومِ ويستزيد
في حلةٍ حمراءَ تعشقُ حسنَ منظرِها القدود
تحنو لِنَلْتُمُها الورودُ فلا تفارقها الورود
وبكيتُ من فرح اللقاءِ وانني الحِبُّ الوحيد
وسألتها الرُحْمِي فقالت مَنْ تكونُ وما تريد
قلتُ المَوَلَّهْ كُلُّ نومي فيكِ أحلامُ شهود

وإذابها في غَضَبَةٍ شُمَّ الجبال لها تميد
رفعت حجابَ العينِ سخريةً يذوبُ لها الحديد
وتمر فوق الصدرِ كفيها وتأتلقُ الخلود
تخشى اضطراباً ربّما فَرَّتْ تحاذره النهود
وسمعتُ قهقهةً صداها اننى القَدُمُ البليد
قالتُ لأنّ الخائبُ الكسلانُ هل يغفو العמיד
يا خيبةً عَبَثْتُ بصاحبها كما عَبَثَ الوليد

...

اعظم

وَتَضَحَّكَ بِسَمْتِهَا حُرَّةٌ كَمَا يَنْسُمُ الْأَمْلُ النَّاجِحَ
وَتَبْسُمُ فِي عَيْنِهَا فَرَحَةٌ كَمَا يَفْرَحُ الْآيِبُ النَّازِحَ
وَيَرْتَسِمُ الصَّخْوُ فِي ثَغْرِهَا يُدَاعِبُهُ الْأَلْقُ الصَّاحِ
وَيَهْرَجُ مِعْزَفُهَا الرَّائِعَ فَيَشْجَى لَهُ الْبُلْبُلُ الصَّاحِ
وَأَمَّا الْحَدِيثُ فَهَمْسُ الرَّبِيعِ يُفَاغِمُهُ عِطْرُهَا الْفَائِحَ

وَأَبْصَرْتُ فِي كَفِّهَا سَاعَةً وَرَقَاصُهَا رَاكِضُ جَامِحَ
يُتَابِعُ فِي جَفْنِهَا رَعْشَةً تُحَاذِرُهَا وَالْهَوَى فَاَضِحَ
وَيَوْمِضُ فِيهَا رَفِيفُ السَّنَا يُجَاذِبُهَا سِرُّهَا الْبَائِحَ
فَلِلرُّوحِ مَا يَهْتِفُ الْهَاتِفَ وَلِلْقَلْبِ مَا يَمْنَحُ الْمَانِحَ
وَلِلْأَفْقِ الرَّاقِصِ الْحَالِمِ مَنَى زَفِّهَا السَّائِحُ الْبَارِحَ
فَسَاءَلْتُهَا وَالْمَنَى غَضَّةً يُصَفِّقُهَا بِشَرِّهَا النَّاضِحَ

لِمَاذَا نَحُدُّ مَجَالِي السُّرُورِ وَلِلْعُمْرِ مِيقَاتُهُ الْجَائِحِ
وَنَحْبِسُ أَنْفَاسَنَا وَالرَّدَى عَلَى الدَّرْبِ غَادِيهِ وَالرَّائِحِ
وَأَنْتِ الْحَيَاةُ بِلَا مَوْعِدٍ فَمَوْعِدُهَا نَافِرٌ سَارِحِ
وَهَذِي الْحَيَاةُ كَمَا تَعْلَمِينَ أَطَابِيهَا الْأَمَلُ السَّابِحِ
تُمَثِّلُهَا الْأَنْجُمُ الْحَائِرَاتِ يَهِيْمُ بِهَا الْهَدَفُ الطَّامِحِ
فِيَالْبَيْتِهَا حِلْيَةٌ كَالسُّوَارِ يُشَعِّشُهَا الْمِعْصَمُ اللَّامِحِ
فَلَا الْأَنْسُ يُعْجِلُنَا وَقْتَهُ فَيَعْتَكِرُ الْأَلْقُ الْفَاتِحِ
وَلَا الْعَيْنُ مِنْكِ لَهَا شَاغِلُ كَمَا يَشْغُلُ الْعَاذِلَ الْجَارِحِ
لِتُزْعِجَنَا نَظَرَاتُ إِلَيْهَا كَمَا يَنْزِحُ الْمُقْلَةُ النَّازِحِ
فَقَالَتْ صَدَقْتَ وَلَكِنَّا يَطِيبُ لَنَا الْفَرَحُ الْفَارِحِ
إِذَا مَا قَدَرْنَا لَهُ قَدْرَهُ وَطَارَدَهُ شَوْقُنَا الْجَامِحِ
فَهَلْ يَسْتَوِي بَازِلُ شَدْوِهِ وَصَادٍ . عَلَى أَيْكِهِ صَادِحُ
هُوَ الْقَصْدُ مِيزَانُ هَذِي الْحَيَاةِ وَرُبَّانُهَا الْقَائِدُ السَّاجِحِ
فَإِنْ ضَاعَ فِي أُمَةٍ وَقْتُهَا فَذَلِكُمُ خَطْبُهَا الْفَادِحِ

...

الحسناء والموحة

وَسَأَلْتُ عَنْكَ فَقِيلَ مَرَّتْ فِي يَدَيْهَا « مَرُوحَه »
وَالطَّقْسُ « قَمَرٌ » وَالنَّخِيلُ مِنَ الصَّقِيعِ مُطْلَحَةٌ
وَالزَّمْهَرِيرُ مَشَى عَلَى أَنْصَائِهِ الْمُتَرَنِّحَةُ
مِنْ كُلِّ فَارِغَةِ الْقَوَامِ كَشَاهِدٍ فِي « الْمِسْبَحَةِ »
الرَّوْضُ بِأَمَلٍ أَلَّا تُدَاعِبَ زَهْرُهُ أَوْ تَنْفَحَهُ
وَالنَّرْجِسُ الْفَضَّاحُ يَحْذَرُ لَحْظَهَا أَنْ يَفْضَحَهُ
فَعَجِبْتُ كَيْفَ أَضْفَنَهَا خَفَقَاتِ هَذِي الْأَجْنَحَةِ
حَتَّى الْجَحِيمِ يَخَافُ مِنْ أَنْفَاسِهَا أَنْ تَلْفَحَهُ
يَا شَاعِرِي أَيْنَ الْمَشَاعِرُ إِذْ تَحُومُ مُجَنِّحَهُ
أَيْنَ الْخَيَالُ مُغَرَّدًا فِي الرَّوْضِ بِلَهْمٍ « صَبْدَحَهُ »
أَظَنَنْتِ مَرُوحَةَ الشِّتَاءِ طَرَاوَةً « أَوْ » قَنَزَحَهُ
لُغْزًا وَحَقِّكَ قَدْ عَجَزْتَ عَلَى الْمَدَى أَنْ تَفْتَحَهُ

يَا صَاحِبَ مَرْوَحَةِ الْهَوَى رَهَقُ الْجَوَى : لَنْ أَبْرَحَهُ
لَهَبُ الْجَوَانِحِ فِي دَمِي دَمْعُ أَبِي أَنْ أَسْفَحَهُ
لَهَبُ كَمَا شَاءَ الْهَوَى مَسَى الْحَيْنِ : وَصَبَّحَهُ
لَهَبُ كَأَنْفَاسِ الْجَحِيمِ تَدُورُ فِيهِ الْمَرْوَحَةُ
هُوَ مُهْجَتِي هُوَ لَوْعَتِي وَسَوَاهُمَا لَنْ يَلْمَحَهُ
فَالْحُبُّ يَضْمِدُهُ الَّذِي أَضْمَى حَشَاهُ وَجَرَّحَهُ
وَصَلَّاحُهُ فِي دَائِهِ وَفَسَادُهُ مَا أَصْلَحَهُ
هَذَا جَوَابُ مَلِيحَتِي أَسْمَعْتَهُ ؟ مَا أَمْلَحَهُ

...

ذِكْرُكَ

ذَكَرْتُكَ فِي مَعْنَاكِ يَامُمِّي طَالَمَا
 وَكُنْتُ أَجِيلُ الطَّرْفِ فِيكَ تَعْجَبًا
 وَفِي لَحْظَاتِ نَفْحِهَا ظِلٌّ سَارِيَا
 وَكَمْ دَمْعَةٍ دَارَيْتِ عَنِّي بِسِمَةٍ
 فَلَمْ أَذِرْ سِرَّ الدَّمْعِ قَبْلَ افْتِرَاقِنَا
 فَيَا الْقُلُوبِ الْغَيْدِ خَلْفَ عُيُونِهَا
 لَقَدْ شَفَّكَ السَّقْمُ الْخَفِيُّ فَنَوَّرَتْ
 لِي اللَّهُ لَيْتِي قَدْ رَأَيْتُ بِعَيْنِهَا
 إِذَا لَتَحَدَّثْتَ النَّوَى بِالَّذِي رَأَتْ
 فَكَمْ رَاحِلٍ نَعْمَاؤُهُ فِي مَقَامِهِ
 وَكَمْ حَالَةٍ يَرْجُو سِوَاهَا لِغَايَةٍ
 عَلَى بَطَرٍ يَجْرِي الزَّمَانُ بِضِدِّهِ
 تَحَسَّنْتَ هَذَا الْبَيْنَ قَبْلَ اخْتِمَالِهِ
 مِنْ الْوَهْمِ خَطَّارًا بِغَيْرِ مَجَالِهِ
 مَسَارِ النَّسِيمِ الْعَذْبِ بَيْنَ ظِلَالِهِ
 تُضِيءُ كَبْدَرِ التَّمِّ عِنْدَ اكْتِمَالِهِ
 وَلَمْ أَذِرْ سِرَّ الْوَصْلِ قَبْلَ زَوَالِهِ
 عُيُونُ وَيَا لِلْمُسْتَهَامِ وَحَالِهِ
 مَعَانِيكَ عَنْ حَالِ الْهَوَى وَمَالِهِ
 مَصِيرًا رَمَى أَخْشَاءَنَا بِنِصَالِهِ
 مِنْ الصَّبْرِ يَغْتَالُ النَّوَى بِنِبَالِهِ
 وَكَمْ مِنْ مُقِيمٍ عِزُّهُ فِي ارْتِحَالِهِ
 يَشُدُّ لَهَا فِي سَبْحِهِ وَخِيَالِهِ
 وَيَبْكِي عَلَى مَا فَاتَ رَغْمَ اعْتِلَالِهِ

وَعَاتَبَنِي الْعَنْبَ الرَّقِيقَ فَلَيْتَهُ
 وَأَخْلِفُ لَمْ أَلْمَحْ سِوَى الدَّلْحَانِيَا
 وَأَغْضَبَ اسْتَجْدِي الدَّلَالَ وَكَمْ جَنَى
 فَيَامِي هَلَّا نَفْحَةٌ مِنْكَ غَضَّةُ
 تَعَالَيْتِ عَنْ عَسْفِ الْحَيَاةِ قَصِيَّةُ
 وَعَانَدْتُ فِيكَ الْقَلْبَ مِنْ أَجْلِ رَامَةٍ
 وَأَنْكَرَنِي فِيهَا الْغَنَى لِأَنْسِي
 وَيَمْنْتُ رَبَّ الدَّارِ أَبْغَى شُوْبَهَتِي
 فَعَانَيْتُ مِنْ تَسْوِيفِهِ وَمَطَالِهِ
 وَحَمَلْتِي مِنْ عَمِّهِ بَعْدَ خَالِهِ
 فَيَامِي هَلْ بُشْرَى لَدَيْكَ مُطْلَأَةٌ
 فَإِنَّ مِلَاحَ الْكَوْنِ أَهْلُ سَمَاحَةٍ
 تَعَنَّفَ بِي فِي شَدِّهِ وَمِحَالِهِ
 تَعُودَتْ لُقْيَا فَرَحَتِي مِنْ خِلَالِهِ
 عَلَى عُنُقَوَانِ الْحُبِّ فَرَطُ دَلَالِهِ
 لِمُغْتَرِبٍ فِي دَارِهِ بَيْنَ آلِهِ
 لِمُرْتَبِعٍ ذُقْتَ الضَّنَى مِنْ حِيَالِهِ
 وَسَلَعُ وَمَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَضَالِهِ
 أَبِيُّ عَلَى عُجْبِ الْغَنَى وَمَالِهِ
 أَعَالَجَ ضَرْعًا طَالَ فَوْقَ مَطَالِهِ
 مَهَانَا وَمُسْتَجِدِّ كَرِيمٍ نَوَالِهِ
 مَذَلَّةَ عَمِّ حَاقِدٍ حَقْدَ خَالِهِ
 فَأَحْلَى أَمَانِي الْحُبُّ فِي يُمْنِ قَالِهِ
 وَإِنَّ جَمَالَ الْكَوْنِ أَضْلُ جَلَالِهِ

...

تَقُول

الإهداء إلى تلك التي سما بها الحب عهداً وترقرق وُداً وتبلور
دعاءً وتحقق وعداً أهدي هذه القصيدة إلى « مي »

تَقُولُ أَمَا شَأْنُكَ مَنَى بَقِيَّةُ هِيَ النَّفْسُ وَالْقَلْبُ وَالْحُبُّ
هِيَ الْعَهْدُ أَبْقَى مَا يَلْدُ إِذَا انْطَوَتْ صَبَابَتُهُ وَاسْتَذَكَّرَ النَّشْوَةَ الصَّبُّ
فَأَثَرُ أَيَّامِ الْحَيَاةِ عَلَى الْمَدَى مَسَاحِبِ أَذْيَالِ مَحَا رَسَمَهَا الدُّرْبُ
لَنَا فِي الْهَوَى الْعَالِي الْأَصُولِيَّ وَشَجَهُ كَلُونَ الْأَصِيلِ الْحُلُو تَلْثُمُهُ السُّحْبُ
وَتَحْضِنُهُ الْأَضْوَاءُ غَرَفِي يَرُدُّهَا إِلَى اللَّيْلِ شَرْقُ فِي حَقِيقَتِهِ : غَرْبُ
فَقُلْتُ لَهَا « يَا مِي » هَلْ يَذْبِلُ الْهَوَى وَهَلْ تَخْصِبُ الدُّنْيَا إِذَا عَافَاهَا الْجَذْبُ
وَعُمُرُ الْهَوَى فَوْقَ السِّنِينَ وَعَدُّهَا وَحُسْبُكَ رَمَزاً هَذِهِ الْأَنْجُمُ الشَّهْبُ
فَلَيْسَتْ سِنِينَ الْعُمُرِ غَيْرَ عَوَازِلِ تُنَافِسُنِي لَكِنَّ قَلْبِي هُوَ الْقَلْبُ
لَعَمْرُكَ أَنْتِ الرَّاحُ عَتَقَ رُوحَهَا زَمَانٌ قُصَّارَاهُ النَّيْمَةُ وَالشَّعْبُ
فَدَيْتُكَ لَوْ لَا الْأُمْسِيَّاتُ لَمَّا حَلَا مَعَ الْفَجْرِ ذِيَاكَ الصَّبَا النَّاعِمِ الرُّطْبُ
وَأَغْنَفَ مَا قَدْ سَاءَ يَا « مِي » أَنْ أَرَى ظُنُونَكَ لَوْ لَا أَنَّهَا الْبَارِقُ الْعَذْبُ
فَلَمْ أُنْسَ أَيَّامَ اللَّقَا بَيْنَ غَيْرَةٍ تَهْبُّ وَإِعْصَارٍ يُرْجِعُهُ الرِّيبُ
حَنَانِيكَ هَلَّا تَذْكُرِينَ سَوَانِحَا طَلَاتِئُهَا وَثُبُّ حَوَادِثِهَا وَكُبُّ

ليالي عاشَ البدرُ بينَ ظلالِها كانَ له مِن حوْلِ وارقهِ صَحْبُ
 تُداعِبُنَا فيه ابتِسامَةٌ ضارِعٍ فيملؤُنَا مِن فرطِ بهجَتِنَا الرعبُ
 ونسبحُ في اللَّآلِي أَمَّا رَحيقُها فشَهد وَأَمَّا العطرُ مِن حوْلِها سَكَبُ
 نقولُ معاً يَا رَبُّ جَاوِزُنَا المَدَى إِلَى الشَّيْبِ حَتَّى لَا يَطَارِدُنَا الشَّيْبُ
 وَحَتَّى نَرَى الْأَحْوَالَ خَلْفَ ظَهْرِنَا فَأَخْشَى الَّذِي نَخْشَاهُ أَنْ يُزَحِّمَ الصَّبُّ
 وَلَمْ نَقْضِ مِن صَفْوِ الهَوَى وَنَعِيمِهِ لِبَانَةً سَرَبَ حَائِمِ حَوْلِهِ الذُّبُ
 نَخَالِسُهُ الصَّفْوِ الْمُتَّاحِ كَأَنَّهُ مِنَ الْغَيْبِ أَقْدَارُ رَمَانَا بِهَا الْغَيْبُ
 تَطَوَّحْنَا أَنْضَاءُ ذُلٌّ وَلَوْعَةٌ بَيْنَ مُشْتَدِّ دُونِهِ الْمَرْكَبُ الصَّعْبُ
 فَقَالَتْ أَنَحْنُ الْيَوْمَ نَحْيَا مَعَانِيَا سَوَالِفَ عَاشَتْ بَيْنَ أَعْطَافِنَا تَحْبُو
 أَجَلُ كُلَّنَا يَا مِيَّ ذَنْبٌ وَلَمْ نَزَلْ نَقُولُ بِسَرِّ الْحُبِّ يَا رَبُّ يَا رَبُّ

• • •

ساعة

قَدَّمْتُهَا سَاعَةً حُبٌّ عَسَى أَنْ تَعْرِفَ الْفَرْحَةَ مِيعَادَهَا
وَأَنْ أَعِيشَ الْعُمَرَ فِي عُمرِهَا وَأَنْ تَرَى الْأَفْرَاحَ أَعْيَادَهَا
وَمَا أَرَى الْوَقْتَ مَهْمَا يَطُلُ مَا أَنْقَصَ الْأَقْمَارَ بَلْ زَادَهَا
وَلِأَنِّي أَعْرِفُ مِيلَادَهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَعْرِفَ مِيلَادَهَا
فَالرُّوحُ قَبْلَ الْجِسْمِ سَبَاقَةٌ وَالشَّمْسُ لَا تَجْهَلُ عُبَادَهَا

صورة

وَتَزْهَوُ زُهْوً الصَّافِنَاتِ تَمَرَّدَتْ

عَلَى لُجْمٍ مَعْلُوكَةٍ فِي رِبَاطِهَا

تَشُدُّ إِلَى أَعْلَى السَّمَائِينَ أَتْلَعَا

وَتَسْحَبُ فِي الْجَوَازِءِ فَضْلَ رِبَاطِهَا

وَتَضْهَلُ لَوْلَا بُحَّةُ رَقٍّ عَزَمُهَا

خَشِبَتْ عَلَيْهَا حَشْرَجَاتِ نِبَاطِهَا

* * *

التفاحة

مَدَّتْ إِلَى الصَّدْرِ كَفًّا رِخْصَةً فَبَدَتْ تُفَاحَةٌ، عِطْرُهَا يَحْكِي تَرَائِبَهَا
 تَقُولُ قَدْ أَطْلَعَ الرُّمَانُ مَزْدَهْرًا تُفَاحَةٌ جَاوَرَتْ عِنْدِي حَبَائِبَهَا
 فَقُلْتُ حَسْبِي تُفَاحُ الْخُدُودِ جَنَى حُلُومًا يَزُفُ مِنَ الدُّنْيَا أَطَائِبَهَا
 أَهْكَذَا صَنَعْتَ حَوَاءُ حِينَ غَزَتْ أَبَا الْخَلِيقَةِ تَسْتَعِدِّي مَوَاهِبَهَا
 هَلْ دَاعَبْتَهُ عَلَى حُبٍّ وَمَوْجِدَةٍ أَمْ أَنَّهُ ذَاقَهَا قَبْلًا فَدَاعَبَهَا
 شُكْرًا لِآدَمَ لِلتُّفَاحَةِ انْبِثَقَتْ رُؤْمَانَةٌ لَمْ نَزَلْ نَحْيَا عَجَائِبَهَا
 كِلْتَاهُمَا أَنْتِ يَا حَوَاءُ فَاسْتَبَقِي غَرَائِبًا طَالَمَا عِشْنَا رَغَائِبَهَا
 وَلِلْمَى مِنْ سَمَاءِ الْكَوْنِ أَنْجُمُهُ فَأَنْتِ دُنْيَا تَخَيَّرْنَا كَوَاكِبَهَا
 فَمِنْ أَعَارِبِهَا نُغْلِي أَعَاجِمَهَا وَفِي أَعَاجِمِهَا نَهْوِي أَعَارِبَهَا
 تَكَامَلَتْ وَخُدَةٌ فِي الْحُسْنِ مُرْهِصَةٌ بِالْخُلْدِ تَطْمَعُ أَنْ تَلْقَى كَوَاعِبَهَا

...

هوى الجحيم

قَالَتْ إِلَيْكَ هَوَى الْجَحِيمِ فَطَالَمَا
نَسَجَ الظَّلَالِ وَأَنْضَجَ الْإِلْهَامَا
عَذَبُ اللَّهِيْب كَانَ أَجَّ ضِرَامِهِ
شُعْلُ صَنْعَنِ مِنَ اللَّظَى أَنْعَامَا
وَمِنَ الْغِنَاءِ عَلَى شَجِيٍّ لُحُونِهِ
أَسْمَى بَقَاءً كَانَ قَبْلُ حُطَامَا
عِزُّ الْحَيَاةِ مَشَاعِلُ فَإِذَا خَبَّتْ
أَبْقَتْ رَمَادًا تَرْجُمُوهُ . سَلَامَا
وَهَنْ تَلَفَعَ فِي غَلَاثِلِ سُنْدُسٍ
شَفَافِهِ تَتَقَمَّصُ الْأَخْلَامَا
يَا مَنْ هَوَى وَتَرَعَرَ عَ فِي الْفَضَا
بَادِي الضَّنَا يُذْكِ الْأَوَارَ . سَقَامَا
حَتَّى كَأَنَّكَ فِي الْجَوَانِحِ خَافِقُ
أَلِفِ الْحَيَاةِ ضَرَاوَةٌ وَخِصَامَا
قَدْ عِشْتَ تَعْتَقِدُ الظَّلَامَ إِذَا بَدَا
صُبْحًا وَكَمْ نَسَجَ الضِّيَاءُ ظَلَامَا

...

يَا مَنْ وَهَبَتْ نَعِيمَهُ لِجَجِيمِهِ حُرْقًا مُعْتَقَةً تَفُوحُ ضِرَامًا
 بِهِوَكَ أَعْلَيْتِ الْجَجِيمَ مَنَازِلًا وَنَشَرْتَ عِطْرًا حَوْلَهُ وَخُزَامِي
 وَحَبَوْتَ أَعْمَاقَ الْجَجِيمِ فَرَادِسًا طَابَتْ عَلَى صَحْوِ الْخُلُودِ مَقَامَا
 وَنَزَعْتَ عَنْ رَهَجِ الْحَرَامِ حَلَالَهُ وَعَنِ الْحَلَالِ الْمُسْتَرِيبِ حَرَامَا
 لَوْلَا اللَّطِيُّ الْمَشْبُوبُ فِي وَهَجِ الضُّحَى مَا فَاقَ مَنْ قَطَعُوا الْحَيَاةَ نِيَامَا
 لَوْلَا الشُّعَاعُ الْعَبْقَرِيُّ وَوَمُضُهُ مَا رَفَّ بَرْقٌ وَاسْتَهَلَّ غَمَامَا
 وَلَمَّا شَدَى فَوْقَ الْأَرَاكِ مُرَوِّعٌ نَهَلَ الشَّدَى وَاسْتَوْقَفَ الْآرَامَا
 وَلَمَّا تَنَفَّسَتْ الْكُرُوبُ وَسَبَّلَتْ دَمْعًا أَحَالَ دَوَاءَهُنَّ أَوَامَا

* * *

يَا لِلْحَنِينِ إِذَا اسْتَطَالَ وَرَجَعَتْ أَضْدَاءُهُ مُهْجٌ نَضَجْنَ عُرَامَا
 يَا لِلشَّقَاءِ تَضَيَّقُ فِي لَهَوَاتِهِ نَفْسٌ تُمَزَّقُ لَوْعَةً وَهِيَامَا
 يَا لِلْجَفَاءِ رَحِيقُهُ . شَفَةُ الدُّجَى يَرعى السُّهَاءُ وَيُعَانِقُ الْأَوْهَامَا
 وَيَطُوفُ حَوْلَ الرُّوضِ يَنْشُقُ عِطْرَهُ لَا يَسْتَبِيحُ الزَّهْرُ وَالْأَكْمَامَا
 الْوَضْلُ فِي حِرْمَانِهِ وَالْقُرْبُ فِي أَشْجَانِهِ : أَفْقُ نَائِي وَتَرَامِي
 يَامِي : زَلْزَلَنِي النَّهْيُ وَتَرَأَشَقْتُ نَظْرَاتِهِ صَوْبَ الْجَجِيمِ : لِمَامَا

فِي الدَّائِقِينَ لَطَىٰ جَهَنَّمَ فِي غَدٍ مِنْ كَافِرِينَ وَنَاكِثِينَ . ذِمَامَا

وَجَهَنَّمُ يَا « مَيِّ » نَازِعَةُ الشَّوَى وَعَذَابُهَا كَانَ الْغَدَاةَ : غَرَامَا

فَعَلَامَ ؟ نَهْتَفُ لِلسَّعِيرِ وَنَحْتَفِي بِحَيَاةٍ مَنْ رَأَمُوا السَّعِيرَ : عَلَامَا

هَلْ كَانَ مَنْ حَلُّوا الْجَحِيمَ وَكُتِبُوا فِيهِ جُفَاءً خَالَفُوا الْإِجْرَامَا

وَرَثُوا عَنِ الْحَجَرِ الْأَصَمِّ طِبَاعَهُ وَرَعَوْا ظَلَامَا . يَعِشُ الظُّلَامَا

فَعَدُّوا عَلَى الْإِنْسَانِ فِي إِنْسَانِهِمْ وَتَجَاهَلُوا الْآمَالَ وَالْآلَامَا

أَمْ أَنَّهُمْ فَقَدُوا الْحَنَانَ وَسِرَّهُ وَالْحُبَّ فَارْتَكَسُوا : وَرَاءَ . أَمَامَا

فَسَعَتْ إِلَيْهِمْ فِي جَهَنَّمَ نَارُهَا لِتُهَذِّبَ الْأَرْوَاحَ وَالْأَجْسَامَا

فَالْحُبُّ فِي عُمُقِ الْجَحِيمِ حَلَاوَةٌ تَحْكِي النَّعِيمَ الدَّافِيَّ الْبَسَامَا

مَا أَخْطَأَ الْفَانُونَ حِينَ تَلَمَّسُوا نَارًا تُبَاعِدُ عَنْهُمْ الْإِجْرَامَا

فَالرُّوحُ طَارَ بِهَا الْهَيَامُ فَحَلَّقَتْ كَالرَّيْحِ سَوْرَتُهَا . تَعَاْفُ لِحَامَا

وَالْحُبُّ بَيْنَ مَدَارِهِ وَمَسَارِهِ فَوْقَ الْحَيَاةِ جَلَالُهُ يَتَسَامَى

الْحُبُّ خَمْرُ الدَّائِقِينَ شُعَاعُهُ يَحْمِي النُّفُوسَ وَيُوصِلُ الْأَرْحَامَا

الْحُبُّ هَذِي الْعَالَمِينَ إِذَا اسْتَوَى أَلْغَى الْجَحِيمَ وَعَطَّلَ الْأَثَامَا

الْحُبُّ إِيمَانُ الْمَشَاعِرِ لَمْ تَكُنْ أَبَدًا نِبَالًا تُتَّقَى وَسِهَامًا
أَعْلَى الْفِدَاءِ فَلَنْ تَجْفَ دِمَاوُهُ إِلَّا لِتَضْحِيَةٍ أَعَزُّ مَقَامًا
صُورٌ تَمَثَّلُهَا الْخَيَالُ مَشَاهِدًا وَهِيَ الْوُجُودُ أَصَالَةٌ وَتَمَامًا
الْكُونُ أَجْمَعُهُ رَضِيعٌ لِبَانِهَا وَعَلَى الْمَدَى لَا يَسْتَطِيعُ فِطَامًا
فَهِيَ الْحَقَائِقُ جَوْهَرًا وَلَطَافَةٌ وَهِيَ الْحَيَاةُ بَدَايَةٌ وَخِتَامًا

...

طعنتان

طَعَنْتَ بِنَهْدَيْهَا الْعُبَابَ : فِخْلُهُ نِصْفًا وَنِصْفًا
وَتَكَسَّرَ الْمَوْجُ . . . الْمُعَرَّبُ ذَائِبًا أَمَلًا وَعَظْفًا
وَتَنَدَّتِ الْأَزْهَارُ مِنْ حَجَلٍ تَمُدُّ يَدًا وَكَفًّا
وَتَأَلَّقَتْ فِي الضُّفَّتَيْنِ فَأُخِذَتْ فِي الْيَمِّ رَجْفًا
وَتَبَسَّمَتْ فَانْهَلَّ مِنْهُ غَمَامَةٌ سَحَاءٌ وَطَفًا
وَبَدَا الْهِلَالُ التَّمُّ يَسْأَلُ أَيْنَ أَلْقَاهَا وَكَيْفًا
وَتَنَهَّدَتْ لَهْفَى تُعَانِقُ انْجَمًا رَعْنَاءَ لَهْفَى
يَا لَلْمَهَالُو أَنَّهَا كَالْحُورِ عَاشَتْ حُسْنَهَا فِي الْخُلْدِ عَفَا
مَشْبُوبَةَ الْجِمَرَاتِ ضَمَّتْ أَهْيَفًا عَجَبًا وَهَيْفًا
وَتَنَسَّمتْ أَرَجَ الْخَمَائِلِ عَابِقًا نَشْرًا وَلَفًّا
بَيَضاءَ تَهْتِفُ لِلْمُنَى الْمَسْكُوبِ عَسْجَدُهُ الْمُصْفَى
أَعْطَافُهَا الدِّيْبَاجُ تَقْطُرُ بِهِجَةً وَتَسِيلُ لُطْفًا

فِي رَفْرِفٍ خُضِرِ حِسَانِ تَقْطِفِ الآمَالَ قَطْفًا
سَكْرَى بِأَنْغَامِ الرَّبِيعِ كَأَنَّمَا أَغْفَتِ وَأَغْفَى ...
رَبًّا : مِنَ الْبَسَمَاتِ تَعْتَصِرُ الْغَمَامَ هَوًى وَعَظْفًا
وَتَجُولُ فِي وَرْدِيَّةٍ حَمْرَاءَ تَحْسِبُهَا مَعَ الْأَخْلَامِ طَيْفًا
لَبَتَ الْغَوَانِي فِي السَّدِيفِ هَتْفَنَ لِلْفَرْدَوْسِ هَتْفًا
وَوَظَرَ كَاللَّمَحَاتِ كَالنَّغَمِ الشَّجِيِّ صَدْيٍ وَعَزْفًا
وَسَبْحَنَ كَالْإِلَهَامِ يَحْتَضِنُ الرُّؤْيَى صَفًّا فَصْفًا ...
وَمَشَى بِهِنَ الْهَيْدَبَى عُمُرٌ وَقَاهُ اللَّهُ حَتْفًا
لَا رَنْقَ : لَا سَأْمًا يُمِلُّ وَلَا مُحَاذَرَةَ وَخَرَفًا
تِلْكَ الْأَمَانِي الصَّافِنَاتِ جَلَوْتُهَا لِلْغَيْدِ وَصَفًّا

* * *

أوبرارائعة

مقدمة :

هذه القصة من واقع الحياة في تاريخ أدبنا العربي الصميم يسرني أن أهديها لوزارة الأعلام تحية للتلفزيون العربي السعودي متمنياً أن ينهض مسرحه الناشئ بأمثال هذه التمثيليات النابضة العتيقة من تراثنا العربي العتيق ومجدنا الأدبي الشامخ المجيد فليس في التمثيليات الغربية المترجمة ما يستطيع أن يقف في السفح من هذه القمم الخالدة وليس لي من فضل إلا نظم هذه القصة كما قرأتها مروية عن كتاب مصارع العشاق صفحة ٢٤٩ وهكذا النظم منسوخاً مُتصرفاً فيه بعض الشيء .

الناظم

هذا الجَجِيمُ العَبْقَرِيُّ سَطَا كما يَسْطُو القَدَرُ
وَمَشَى عَلَى رَجْعِ الزَّفِيرِ يَسُوقُهُ لِلْمُنْحَدَرِ
مُتَحَدِّيًا بِهَوَاهِ عَادَاتِ الْبَدَاوَةِ فِي الْحَدَرِ
وَالْحُبُّ غَلَابُ يَدُوسُ الصَّغْبَ يَهْزَأُ بِالْخَطَرِ
يَلْقَى الْأَسِنَّةَ وَالْحِرَابَ كَأَنَّمَا يَلْقَى الْمَطَرُ

* * *

مُو : لَمْ يَلْقَ بُدًّا مِنْ تَلَمَّسِ قُرْبِهَا عِنْدَ السَّحَرِ

فى خِذْرِهَا فى نَوْمِهَا مَا بَيْنَ أَخَوْنِهَا الْآخَرِ

هـى : فَتَحَتْ عَلَيْهِ الْعَيْنَ فَانْهَلَعَتْ وَصَاحَتْ فى خَفَرِ

وَيْكَ : انْصَرَفَ أَوْ رُحْتُ أَوْقَظُهُمْ فَتُنْسِي فى الحُفَرِ

مُو : فَيَقُولُ أَقْسِمُ لِلْمَحَاتِ أَحَبُّ مِنْ وَخْزِ الْإِبْرِ

فَلْتُعْطِنِي الْكَفَّ الْهَيَّ أَضْمُهَا ضَمَّ الثَّمَرِ

هـى : وَيَجُرُّ ثَانِيَهُ هَوَاهُ إِلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ

مُو : لِيَقُولَ هَلْ مِنْ لَحْظَةٍ أَحْيَا بِهَا أَحْلَى الْعُمَرِ

أَدِرَ الرَّحِيقَ وَلَنْ تَرَى لِي بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَثَرِ

هـى : وَإِذَا بِهِ قَدْ حَلَّ نَارًا فى حَشَاها تَسْتَعِيرِ

الحى : وَإِذَا بِأَهْلِ الْحَيِّ قَدْ رَامُوهُ شَرًّا مُسْتَطَرِ

وَتَوَعَّدُوهُ فَلَمْ تُطِقْ صَبْرًا وَأَعْطَتْهُ الْخَبَرِ

وَتَأَهَّبُوا لِلْفَتْكَ فى لَيْلَاءِ تَقْذِفُ بِالشَّرِّ

مُو : وَتَأَهَّبَ الصَّبُّ الْمُغَامِرُ وَهُوَ ذُو كَرٍّ وَقَرِ

مُتَوَشِّحًا قَوْسًا وَأَسْهُمَهُ ظِمَاءً تَنْتَظِرُ

فِي مَكْمَنٍ مِنْ حَيْثُهَا وَالْحَيُّ يَقْدَحُ بِالْشَّرِّ

منظر : لَكِنَّ أَمْرًا مِنْ وَرَاءِ الْعَقْلِ دَبَّرَهُ الْقَدَرُ

بَرَقَ وَسَارِيَةٌ تَبْتُ بِمَاءٍ مُزْنٍ مِنْهُمْ

طَرَبَتْ رُبُوعُ الْحَيِّ فَرَحَى بِالرَّيْبِيعِ الْمُزْدَهَرِ

فَلَهُوا عَنِ اللَّيْلِ الْمَحْرَمِ فِي الظَّلَامِ الْمُعْتَكِرِ

وَنَسُوا ، وَعِيدًا أَرْسَلُوهُ فَفَاتَهُمْ دَرَكُ الْوَطْرِ

وَمَضَى اللَّجَى إِلَّا الْأَقْلَ فَوْصُوصَتْ تِلْكَ الدَّرَرِ

وَتَقَشَّعَتْ قِطْعُ السَّحَابِ عَنِ الضُّيَاءِ الْمُنْتَشِرِ

هـ : فَتَنَّهُدَتْ تِلْكَ الْحِصَانُ تَشْوِقُهَا نَجْوَى السَّمَرِ

وَتَذَكَّرَتْ مَنْ حَامٍ أَلَا تَذَرِيهِ أَوْرَدَ أَوْ صَدَرَ

وَتَخَطَّرَتْ تَمْشِي الْهُوَيْنَا لِلِلِّقَاءِ الْمُتَنْظَرِ

نَشَرَتْ غَدَائِرَهَا فَصَاحَ الْعِطْرُ وَانْتَفَضَ الزَّهَرُ

هـ : وَيَطِيرُ لُبُّ الرَّاصِدِ الْوَلَهَانِ يَحْسِبُهَا « الْغَيْرِ »

وَيُسَدِّدُ السَّهْمَ الْعُقُورَ لِمُهْجَةِ الصُّبْحِ الْأَغَرِ

لِهَوَاهِ لِلْأَمَلِ الْحَبِيبِ لِخَافِقِي لَمْ يَسْتَقِرْ

مي : وَتَخِرُّ صَرَغِي لِلْيَدَيْنِ يَلْفُهَا أَلَقُ سَفَرِ

وَتَضَرَّجَتْ بِدَمٍ فَنَاحَ الشَّدُوْ وَانْتَحَبَ الْوَتَرُ

وَجَرَى الْعَقِيْقُ إِلَى الْعَقِيْقِ وَجَفَّ فِي الْعَيْنِ الْحَوْرُ

فَتَكَسَّرَ الدَّمْعُ الْحَزِينُ وَنَوْرُ مُهْجَتِهِ انْكَسَرَ

وَعَوَى الصَّدَى وَسَرَى الدُّجَى بِحَنِينِ قَلْبٍ مَنْفَطِرِ

هو «١» : نَعَبَ الْغُرَابُ بِمَا كَرِهْتُ وَلَا أَزَلَهُ الْقَدَرُ

تَبْكِي وَأَنْتَ قَتَلْتَهَا فَاصْبِرْ وَإِلَّا فَانْتَحِرْ

وَأَجَالَ فِيهِ نَصَالَهُ مِثْلَ الْمَدَى تَبْرَى الظَّهْرِ

الحي : وَأَتَى الْعُدَاةُ فَأَبْصَرُوا الْإِعْجَازَ فِي لَمَحِ الْبَصَرِ

شَمْسٌ أَفَاضَتْ لِلْغُرُوبِ وَحَوْلَهَا أَغْفَى الْقَمَرُ

لَقُوهُمَا فِي هَالَةٍ سَطَعَتْ لِأَمْرٍ قَدْ قُدِرَ

العاشقان : فَأَقَا عَلَى عُمُقِ الْحَيَاةِ نَضِجَ فِي بَطْنِ الْحُفَرِ

الحي : وَدَرَى الْجَفَاةُ بِأَنَّ سِرَّ الْحُبِّ مِنْ سِرِّ الْقَدَرِ

...

هِيَ قِصَّةٌ عَرَبِيَّةٌ مِنْ غَابِرٍ لَمْ يَنْدَثِرِ
مِنْ وَاقِعٍ جَمَّ الرِّوَايَعِ قَدْ شَأَتْ أَعْلَى الصُّورِ
لَوْ مُثِّلَتْ لَسَمَتْ عَلَى كُلِّ التَّرَاجِمِ وَالسُّيَرِ
«أَوْبَرَا» تَفُوقُ مُتَرَجِمَاتِ الْغَرْبِ إِلَّا مَا نَدَرَ
يَا لَيْتَهَا لِلْمَسْرُوحِ الْعَرَبِيِّ فَاتِحَةُ السُّورِ

(١) البيتان من نظم العاشق صاحب القصة

قطوف وألوان

ورشفة من لهيب الوجد تُشبهه كأنها الوجد أخذًا وعطاء
 فإن جهنم حاكته لظى وجوى فقد أخذنا عليه : سرَّ أوساء
 قالوا هي الداء أعيا الطب لا حذر بقي الهيامى ولو كانوا أطباء
 وإنها السحر لا تبدي بواطنه إلا ملامح تحكي الومض إيماء
 فقلت كم من دواء قد طوى عللاً والداء إن رضىته : لم تُلغ داء

* * *

جامعى يتوسل

وجاء يُثقله عبء ينوء به من صحنِ جامع غناء لغاء
 وفيه ما فيه هنس لا يكفكه إلا أسي لف في عطفه أشياء
 تلقفته رؤوم في جوانحها أمال راجية كالطيف « حناء »
 فقال يا أم هيا أسرعى قدماً صوب التي حذقت أسرار حواء

واستعبرت : أهوى ما زلت تعلّكه
 ونحن خلفك في عشواء لخياء
 نغص بالماء نستحلي غصاصته
 وكم أسفنا على رجواك : لأواء
 فكيف نعتاض عن علياء باسمه
 ببارق اللهو في أعطاف غيداء
 أهكذا أنت تقضي العمر في عبث
 أهكذا أنت تفضي العمر في عبث
 وهب يصرخ يا أمّاه ما دريت
 وبالحب نفسي فيمن راح أو جاء
 ولم يداعب جفوني قط في حلم
 فالحب كالموت يعتام الأعزاء
 لكن تلك التي قد رحت أسبقها
 فإنها حرم «الدكتور» في يدها
 يا أمّ لو أنت قد أبصرت موقفه
 وكالخصم على أمواجه فبج
 لكنه مثل أهل الله تنقله
 في المندرج الرخب مثل الليث عداء
 فإن تبسم قلنا الله شاء لنا
 في السبر في اللحظة الأولى لمقدمه
 فبحمي دارها ليلا فإن غدا
 تطفئ معها في القول وابتدري
 إنقاذ ألف فتى بالعبر قد ناء
 في المندرج الرخب مثل الليث عداء
 يغري بجوهره المكنون إغراء
 حال : لحال وضراء : لسراء
 خيراً وإلا فإن الله ما شاء
 فإن مطرنا : بنوء : كان جوزاء
 ميعادنا معه لوزق أنداء
 لها الرجاء فما قارفت نكراء

ما نَبْتَغِي أَبَدًا مِنْهَا وَسَاطَتَهَا ولا شَفَاعَتَهَا حَتَّى وَلَوْ رَأَى
 وَكُلُّ مَا نَرْتَجِيهِ أَنْ تَكُونَ بِهِ رَفِيقَةً لِيَرَى الْأَشْيَاءَ أَشْيَاءَ
 وَأَنْ يُغَادِرَ بَيْنَ الْعِزِّ مُؤْتَلَقًا فِي طَلْعَةِ بِالرُّضَا وَالْأَنْسِ قَمَرَاءَ
 فَأَيُّ عَكْنَنَةٍ فِي الْبَيْتِ تُزْعِجُهُ تَذِيقُنَا لَيْلَةَ نَعَسَاءَ غَمَاءَ
 وَيَا لَهَا سَاعَةً لِلْبَخْسِ لَوْ صَحِبَتْ تَمْزِيقَ أَرْوَاحِنَا: أَشَلَاءَ : أَشَلَاءَ
 وَإِنَّ أَرْوَاحَنَا الْأَوْرَاقَ فِي يَدِهَا وَإِنَّ تَصْحِيحَهَا: تَجْرِيعُنَا: الدَّاءَ
 وَاسْتَضْحَكْتَ أُمَّهُ وَاسْتَذَكَّرْتَ نِقْمًا جَرَى بِهَا الشُّؤْمُ أَخْبَارًا وَأَنْبَاءَ
 وَلَفَعَتْ نَفْسَهَا تَلْفِيعَةً عَجَبًا وَاسْتَجْمَعَتْ وَهْنَهَا: تَنْجَرُ: إِعْيَاءَ

قاضية

شَاهَدْتُهَا فَوْقَ كُرْسِيِّ الْحُكْمِ وَاجِمَةً فَأَلَمَحُ الْقُرْطَ كَالْغَيْرَانِ شَكَّاءَ
 قُولِي: أَذْنِي كَمْ: حَمَلْتُهَا رَهَقًا كَانَتْ لِهَمْسِ الْهَوَى يَنْسَابُ: دَعَاءَ
 قُولِي لَهُ يَنْسَحِبُ عَنْ مَوْطِنِ قَلْقٍ إِلَّا عَلَى الْقُرْطِ إِشْرَاقًا وَلَا لَاءَ
 وَاسْتَضْحَكَ الْقَلْبُ مِنْ أَعْمَاقِهِ وَبَكَى عَلَى النَّهْيِ خَافِقُ مَا زَالَ بَكَاءَ
 فَشِمْتُ «أَنْثَى» اسْتِرَاحَتْ فِي أَنْوَتِهَا تُطَارِدُ الْوَهْمَ هَدَامًا وَبَنَاءَ
 وَلَوْحَتْ بِالْيَرَاعِ الْحُلُوِّ مُنْسَرِحًا عَلَى الْمَشَاعِرِ إِرْوَاءَ وَإِظْمَاءَ
 تَقُولُ حَسْبِيَ آفَاقًا أَصُولُ بِهَا عَلَى الْعَوَاطِفِ إِقْصَاءَ وَإِدْنَاءَ
 وَحَسْبِيَ الْمَجْدُ فِي حُسْنِ أَدِيرُ بِهِ أَعْتَى الرُّؤُوسِ وَأُمْلِي الْحُكْمَ أَمْلَاءَ

العائدة

قَالَتْ إِلَيْكَ فَإِنِّي ظَنَنْتُ لِيَّامِي لَدَيْكَ
أَيَّامَ تَبَسُّمٍ لِي الْحَيَاةُ فَأَسْتَرِيحُ رِضًا إِلَيْكَ
وَأَعْبُ مِنْ أَلْقِي تَهَلَّلَ بِاسْمَا فِي نَظِيرِكَ
أَنْسَى الْعَذَابَ بِلَحْظَةٍ فِيهَا أَوْسَدُ سَاعِدَيْكَ
وَهَوَى الْحَنَانِ أَحْسَهُ أَمَلًا تَرَفِّقَ فِي يَدَيْكَ
وَأَلَدُهُ وَهُمْ الدُّلَالِ بَأَنَّهُ حَقٌّ عَلَيْكَ

* * *

وَأَحِبُّ أَمْرَكَ إِذْ أَثُورُ وَأَنْتَ تَحْلُمُ رَاضِيَا
فَتَهْزُ فِي يَمَا تُكِنُّ مِنَ الْوَدَادِ وَدَادِيَا
لِتَقُولَ إِنَّكَ قَدْ أَسَاتَ وَمَا خُلِقْتَ مَأْسِيَا
وَتَغْضُ طَرْفَكَ حَانِيَا وَتَرُدُّ دَمْعَكَ بَاكِيًا
وَالْيَوْمَ شَطَطُ بَكَ الْمَزَارُ فَضَاقَ بَعْدَكَ حَالِيَا

عُلِمْتُ أَنِّي لَنْ أَرَى فِي الْأُفُقِ نَجْمًا صَاحِبًا
أَقُولُ عُذْرِي لِلْحَيَاةِ فَمَا عَهْدُكَ قَاسِمًا
حَتَّى جَفَاكَ فَإِنَّهُ أَضْحَى لَدَيَّ أَمَانِيَا

* * *

فَأَجَبْتُهَا كَالْأَمْسِ وَاهِمَةً ؟ فُعُودِي ثَانِيَا
بِأَيْبِكَ بِالْحُبِّ الْعَظِيمِ تَرْفُقِي بِحَيَاتِيَا

... .

المتشائمة

قَالَتْ غَرِيبٌ أَنْ أَرَاكَ الْيَوْمَ تَسْبِقُ مَوْعِدَكَ
مُتَخَفِّفًا مِنْ كُلِّ قَيْدٍ « بِالْمَوَاجِبِ » قَيْدَكَ
مَاذَا ؟ أَمْسَكَ مِنْ دَيِّبِ الشَّكِّ سَهْمٌ أَقْصَدَكَ
أَمْ طَافَ حَوْلَكَ طَائِفٌ لِلْبَيْنِ هَاجَ تَوَجُّدَكَ
إِنْ غَالَ يَوْمَكَ طَارِقٌ فَاسْتَبَقِ لِلنُّعْمَى غَدَكَ
هِيَ زُورَةٌ غَاظَتْ عِدَايَ وَلَمْ تُوفِّرْ : حُسْدَكَ

* * *

وَمَضَتْ لِحُجْرَتِهَا وَغَابَتْ فَاسْتَظَلَّعَتْ غِيَابَهَا
وَعَجِبْتُ هَلْ لِلْعِطْرِ رَاحَتْ . كَيْفَ أَطْرُقُ بِأَبَاهَا
قَدْ كُنْتُ إِنْ مَرَّتْ دَقَائِقُ اسْتَحِثُّ إِيَابَهَا
فَتَعُودُ بِالْأَرْجِ الَّذِي فَاقَتْ بِهِ أَتْرَابَهَا

عِطْرُ تَدِيلٍ بِهِ إِذَا خَطَرْتُ تُغَيِّرُ صِحَابَهَا
نَضَحَتْ بِهِ أَلَقَ الشَّبَابِ مَلَامِحًا وَمَشَابَهَا
لَمْ تَذَرِ أَنْ شَذَى الرَّبِيعِ عَلَى الْخَمِيلِ وَشَى بِهَا

* * *

وَسَمِعْتُ عَنْ كُتُبٍ أَنِينًا شَفَّ عَنْهُ نَحِيبُهَا
وَدَلِفْتُ أَسْتَوْحِي النَّحِيبَ طَغَى عَلَيْهِ وَجِيبُهَا
فَلَمَحْتُهَا سَكْرَى تَوَرَّدَ فِي الْخُدُودِ لَهَيْبُهَا
وَعَمَامَةٌ وَطَفَاءُ نَضَرَ حُسْنَهَا : شُؤْبُوبُهَا

* * *

وَسَهَرْتُ أَسْتَجِدِّي الْمَلِيحَةَ سِرًّا وَسِرَّارَهَا
وَسَأَلْتُ لَبَنِي مَا سَأَلْتُ وَمَا ابْتَدَرْتُ بِدَارَهَا
فَكَأَنَّنِي بِيَدِي أَمَطْتُ لِثَامَهَا وَخِمَارَهَا
وَأَخَذْتُ أَلْحَفُ بِالسُّوَالِ فَهَيَّجَ اسْتِغْبَارَهَا
وَتَصَبَّبْتُ عَرَقًا فَرَقَرَقَ كَالْأَصِيلِ نُضَارَهَا
وَتَمَاوَجَّتْ فِي الشَّعْرِ خَصَلَاتُ تَحُلُّ ضِفَارَهَا

وَتَرَا جَعْتُ حَيْرِي تُحَدِّثُ نَفْسَهَا أَخْبَارَهَا

* * *

وَتَصْبِحُ عِطْرِي قُلْتُ مَا لِلْعِطْرِ أَنْتِ عَيْبِرُهُ
وَتَأْوَهُنَّ أَنَّى . . . فَقَدْتُ الْعِطْرَ : عَزَّ نَظِيرُهُ
كُنْتُ الضَّئِينَ بِهِ فَلَسْتُ لِمَنْ يَكُونُ أُعِيرُهُ
وَرَكَضْتُ أَغْبِقُ كَيْ يَطِيبَ شَذَى اللَّقَاءِ وَنَوْرُهُ
وَقَارُورَتِي الْخَضْرَاءُ سِرٌّ وَدَادِنَا وَضَمِيرُهُ^(١)
وَقَعْتُ فَطَارَ . . . الْعِطْرُ طَارَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ
هِيَ مِثْلُ نَفْسِي إِنَّهَا ذِكْرِي الْهَوَى وَشُعُورُهُ
هِيَ أَنْتَ فِي الْمَعْنَى الْكَبِيرِ : حَفِيَّةٌ وَأَثِيرُهُ
أَصْفَى مِنَ الرَّاحِ الْمُصَفَّى عَذْبُهُ وَنَمِيرُهُ
خَمَرٌ يَمُوجُ بِعِطْرِهِ كَأْسٌ عَلَيْكَ أَدِيرُهُ
أَفَلَا أَخَافُ ؟ أَلَا يَحِقُّ لِي الْأَسَى وَزَفِيرُهُ
وَالْوَهْمُ مِنْ شِيمِ الْمُحِبِّ إِذَا جَفَاهُ سُرُورُهُ

* * *

(١) الواو هنا زائدة تكسر وزن البيت : فالواجب كما أرى حذفها (المحقق)

فَأَجَبْتُ أَنْتِ الْعِطْرُ أَنْتِ شَذَاهُ بَلْ إِخْسِيرُهُ
أَنْتِ الْوَفَاءُ جَمَالُهُ وَسَنَاوُهُ وَحُبُّورُهُ
أَنْتِ الرَّجَاءُ تَشَعُّعُ آفَاقِهِ وَبُذُورُهُ
بِهَوَاكِ مَا أَهْرَقْتُ مِنْ عِطْرِ قَدْتِكِ بُحُورُهُ
قَدْ جِئْتُ بِالْمَثَلِ الْكَرِيمِ يَرُوعُنَا تَصْوِيرُهُ
وَجَلَوْتُ حَوَاءَ الزَّمانِ يُجِيرُهَا وَتُجِيرُهُ
وَبَدَوْتُ عَنْوَانَ الْكِتَابِ جَنَّتْ عَلَيْهِ سَطُورُهُ
وطلعتِ كالأملِ النَّضِيرِ فَمَا يَجِفُ نَضِيرُهُ
وَشَدَّتْ بِحُسْنِكِ إِذْ تُغَرَّدُ فِي الْخَمِيلِ طُيُورُهُ
وَحَكَكَكَ فِي الْأَلْقِ النَّدِيِّ دِمَقْسُهُ وَحَرِيرُهُ

فَدَعَيْ التَّشَاوُمَ جَانِبًا فَالْيُمْنُ أَنْتِ بِشِيرُهُ
حَوَاءُ إِنَّ عَبَقْتَ بِعِطْرِكَ : فَالْخُلُودُ مَصِيرُهُ
فَالْحُسْنُ أَنْتِ كِيَانُهُ وَلِيَاذُهُ وَمَصِيرُهُ

قَالُوا الْغُرُورُ الْأُنْثَوِيُّ أَجَبْتُ بَلْ وَغُرُورُهُ
لَوْ كَانَ يُعْطِيهَا الَّذِي تَرْجُوهُ دَامَ حُبُّورُهُ
وَلَطَابَ فِي كَنْفٍ . . . الْحَيَاةِ رَوَاحُهُ وَبُكُورُهُ
وَالْحُبُّ يُعْطَى الْقَلْبَ خَفَقًا : مَا أُذْيِعَ كُفُورُهُ
يَجْفُو الْحَيَاةَ عَلَى الْمَدَى مَنْ لَمْ يُطْقِهِ : عَشِيرُهُ

* * *

صورة

يا أَجْمَلَ الْغَيْدِ حُلَّةُ وَأَحْسَنَ الْبَيْضِ « لِمَه »
 كَالْفَيْءِ حَرَكٌ ظِلُّهُ فِي الْأَنْثَلِ نَجْمٌ وَنَجْمُهُ
 قَدْ حَامَ يُطْفِئُ غُلُّهُ مِنْ الشُّعَاعِ بَلْثَمُهُ
 فَهَابُهُ وَأَجَلُّهُ وَبِالذُّرَاعَيْنِ ضَمُّهُ

مَنْ الشُّفَا ؟ قَالَ « يَا لَهُ » فِي بُحَّةٍ ذَاتِ نَغْمَةٍ
 مَا شُفَّتْ : فِي الْحَيِّ مِثْلُهُ كَطَبِيئَةٍ عِنْدَ قِمَّةٍ
 كَالزَّهْرِ يَرْشُفُ طَلُّهُ كَالْبَدْرِ شَارِفِ تِمِّهِ

سَاءَلْتُ مَنْ رَامَ وَضَلَهُ قَالُوا نَصِيبُ وَقِسْمَةُ
 مَا ضَرَّ لَوْ حَامَ حَوْلَهُ رَاعِي وَفَاءٍ وَذِمَّةُ
 فَخَفَّ يُسْنِدُ رِجْلَهُ شَيْخٌ لَهُ نِصْفُ عِمَّةٍ

وَجَرَّ سَيْفًا وَسَلَّاهُ فَكِدْتُ أَشْرَبُ دَمَهُ ..
وَالرَّيْمُ فِي ظِلِّ نَخْلَةٍ يَرْعَى الْخُزَامَى وَأُمَهُ
وَصَاحَ بِي الشَّيْخُ خَلَهُ « فَتَى » حَوَايَا « وَنَجْمَهُ »^(١)
وَسَلَّ أَهْلِي وَأَهْلَهُ فَلَيْسَ فِي الْأَمْرِ حُرْمَةٌ
أَتَى مِنَ الْأَمْرِ حِلَّهُ عَمَّى تَلَاقَى وَعَمَّهُ
وَالْمَثَلُ يَخْطُبُ مِثْلَهُ وَنَوَّرَتْ مِنْهُ بَسْمَهُ
فَصِخْتُ ذَا الْجَيْنِ : أَخْلَى قَالَتْ مِنَ الْغَدِ . ثَمَّةُ

• • •

(١) أسماء أمكنة بالطائف وضواحيها

كفكف دموعك

هَبْنِي الحَيَاةَ وَخُذْهَا أَحْسُ فِيهَا حَيَاتَكَ
وَتَلَمَسُ الرُّوحَ مَعْنَى يَغِيظُ مِنْكَ عُدَاتَكَ
فَطَالَمَا لَوْعُونِي بِأَنْ حُبَّكَ وَهَم
وَلَيْسَ رَوْحًا لِرَوْح

...

فَاهْزُزْ عَلَيْهِمْ قَنَاتَكَ وَكُنْ صَلِيبًا عَنِيدًا
وَلَا تَبُثْ شَكَاتَكَ لِمَنْ يَرَى الْخُلْفَ عِيدًا
مَبِ الْأَعَادِي رَوَانِكَ فَالْحُبُّ عَذْلٌ وَلَوْمْ
فَدَتَكَ نَفْسِي وَرَوْحِي

...

دَعُهُمْ وَكَفِّفِ دُمُوعَكَ مَا بَيْنَ عَيْنِي وَحِجِّي
فَأَنْتَ أَغْلَى حَبِيبٍ وَأَنْتَ تَوَاقُمْ نَفْسِي ...

...

سَعَادَتِي فِي هَنَائِكَ وَالظُّلْمَ شَهِدُ وَظَلَمُ
يَا بَلَسَمًا لِحُرُوجِي

• • •

الْحُبُّ أَغْلَى الْفِدَاءِ وَالْحُبُّ أَسْمَى الْعَطَاءِ
فِي نَظَرَةٍ كَالرَّجَاءِ فِي فَرَحَةٍ بِاللِّقَاءِ
السُّقْمُ فِيهِ دَوَاءٌ
وَالْبُرءُ عِنْدِي سُقْمُ
صَحِيحَةٍ كَالْجَرِيحِ
وَكَمْ سَعِدْتُ بِبُعْدٍ وَكَمْ شَقِيتُ بِقُرْبِ
إِنِّي كَظَلِّكَ وَمَمِّ فَالصَّخْوُ فِي الْحُبِّ غَيْمُ

• • •

رَشَحِ العَنَاقِيدَ

نُورُكَ الْعَذْبُ كَالْهُدَى الْمُطْمَئِنِّ سِحْرِي الْأَنْدَاءِ حُلُوِّ أَغْنِ
تَنْحَرَاهُ فِي السَّحَابِ آهَاتُ حَيَارِي فَتَسْتَهْل بِمُزْنٍ
وَيَرْشُ الضُّحَى عَلَى الْأَلْقِ الصَّاحِي عَقِيْقًا مُطَرَّرًا بِلُجَيْنِ
فِي التَّسَابِيحِ فِي الْأَمَانِ . . . السَّخِيَّاتِ دَوَانِي الْقُطُوفِ لِلْمُتَمَنِّى
يَا بِلَادِي وَانْتِ رَشَحُ ... الْعَنَاقِيدِ وَنَفْحُ الشَّدَى وَفُرَّةُ عَيْنِ
شَعَشَعِ الْخُلْدُ فِي صَبَاحِ التَّرَانِيمِ فَعَادَتْ رَبَّاكَ جَنَّاتِ عَدْنِ
فَالصَّحَارِي الْبَيْضَاءُ فِيكَ ابْتِهَالِ . . سُنْدُسِي كَأَنَّهُ نَسَجُ لَحْنِ
وَالْيَوَاقِيْتُ فِي فَمِ الْفَجْرِ تَنْسَابُ أَنْسَامُهَا كَأَنَّهَا ظِلُّ جَفْنِ
وَالْمَعَانِي بِرَقِصَةِ الْأَمَلِ الْبَاسِمِ فِي مَوْكِبِ الْحَيَاةِ تُغْنِي
يَا سَقَا اللَّهَ فِي رِحَابِ الْقَدَاسَاتِ طُيُوفًا مِنَ الْهَوَى الْمُسْتَكِنِ
يَا رَعَى اللَّهَ فِي الدَّمُوعِ الْكَرِيمَاتِ مَصَابِيحَ مِنْ جَمَالٍ وَفَنٍّ
وَإِدْيَا أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ النُّبُوءَاتُ فَكَانَتْ أَبْهَى غَلَائِلِ حُسْنِ
فَإِذَا لَاحَ فِي الرُّؤْيِ غَيْرُ ذِي زَرْعٍ فَقَدْ عَاشَ فِي ظِلَالٍ وَأَمْنٍ
وَطْنِي إِنَّهَا الْقُلُوبُ حَوَالِيكَ فَدَعْنِي أَقْبِلِ الْأَرْضَ دَعْنِي
إِنَّ فِي هَالَةِ الْجَلَالِ جَمَالًا أَنَا أَخْشَى عَلَيْهِ وَهْيِي وَظَنِّي

قلب الحبيب

جاءته يُثقلها همُّ تنوءٍ به
العبيُّ يلجمها والرعبُ يفرعها
قالت لك العذراءُ أنا مَيِّ لَقَدْ سَبَقَتْ
ولستُ تلك التي قد كنتُ تحسبها
فأرسل القلبَ في لآلئِ أدمعه
كانَ إشفاقها تعويذةً حصبتُ
قلتُ أنتِ التي أَسْعَى لِرؤيتها
ظننتُ سواً ينفسينا وما اعتلجتُ
فوق المشاجبِ معنى لا تمثله
والوهمُ مذ كان قتالٌ وأيسره
والحُبُّ أضونه أشقاه شنشنةً
والحسنُ لم يجن لكنَّ الجناةَ على
حيرى تمزقها أطياؤها السود
والصومُ يبرقُ في أحشائه العيد
إليك طارت بها الآفاق والبيد
من الملائك ترعى ظلها الغيد
وفي شكاة الهوى بالحُبِّ تضמיד
بها العواذل لا عادوا ولا عودوا
وأنتِ في نسماتِ الفجرِ تغريد
فيك الخواطرُ إلا وهى تنهيد
إلا سجاياك تحكيها العناقيد
وهن تحراه شيطانٌ وعرييد
قبلي وقبلك عاناها المعاميد
طول الطريق هموا أطياؤه السود

قَدْ يَجْبُنُ الْحُسْنَ يَالَيْلَى عَلَى ثِقَةٍ
 وَذَلِكَ شَأْنُكَ مَا أَسْمَاهُ فَاضْطَبِّرِي
 وَالْحُبُّ يَغْتَقِلُ الْآثَامَ طَائِعَةً
 وَكُلُّ جَارِحَةٍ فِيهِ وَجَانِحَةٌ
 الرُّوحُ تَخْفِقُ فِي أَعْلَى ذَوَابِتِهِ
 اللَّهُ فِي الْقَلْبِ يَالَيْلَى فَمَا اضْطَفَقَتْ
 خُذِي بِهِ أَوْ دَعِي فَالْكَوْنُ آيَتُهُ
 مَا فِي الْهَيُولَى وَإِنْ جَلَّتْ سَوَى شَبَحِ
 إِذَا تَرَنَّحَ فِي الْمِضْمَارِ رَغْدِيدُ
 الذَّنْبُ يُطْرَدُ لَكِنْ يُكْرَمُ الصِّيدُ
 إِذَا تَأَلَّقَ فِي مَغْنَاهُ صِنْدِيدُ
 رَجَعَ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَتَرْدِيدُ
 وَالْقَلْبُ أَلْحَانُهُ تِلْكَ الْأَغَارِيدُ
 إِلَّا عَلَى مَوْجِهِ الْحُلُوفُ الْأَنَاشِيدُ
 وَالْحُبُّ غَايَتُهُ وَالشَّعْرُ غَرِيدُ
 وَلَوْ تَأَوَّدَ غَصَنٌ وَازْدَهَى جِيدُ

الفلة البيضاء

وإشعاعه خلتها فلة تَحَلَّتِ المَفْرِقَ الزَاهِيا
فإن بَسَمِ الثَّغْرُ عَنْ مَاسَةٍ أَطَلَّتْ تَقُولُ ابْتَسِمِ ثَانِيَا
فإِنِّي مِنَ الفَجْرِ لَمَّا بَدَى هَرَبْتُ أَلْمِمْ أَذْيَالِيَا
فَأَصْبَحْتَ طُرَّةَ هَذَا الجَبِينِ وَأَلْبَسْتَهُ تَاجِي الغَالِيَا
فِيَا مَا زَجَا بالسَّاءِ السَّنَا وَهَبْتَ الشَّدَى غَالِيَا عَالِيَا

صدق

صَدَقْتَ وَمَنْ يَجْرُؤُ عَلَى غَيْرِ نَفْسِهِ تَضِيقُ بِمُنَاهُ نَفْسُهَا وَهِيَ نَفْسُهُ
رَجَوْتُكَ كَالرَّاجِي نِدَاكَ وَإِنِّي ثَرِيٌّ بِمَعْنَى فَيْكِ كُنْتُ أَحْسَهُ
وَمَا زِلْتُ لَوْلَا أَنَّ لِلَّوْهَمِ خَطَرَةً يَدُورُ لَهَا قَلْبُ الْمُحِبِّ وَرَأْسُهُ
وَتَشَارُّ لِلْحَسِّ الْخَفِيِّ جَوَانِحُ يَضِجُّ لَهَا يَوْمُ الْوَدَادِ وَأَمْسُهُ
فَمَا كُلُّ غَرَسٍ فِي الْمَوَارِدِ نَاصِرٌ وَلَا كُلُّ ظَامٍ جَفَّ فِي الرُّوضِ غَرَسُهُ

جان سائر و الجائزة العالمية

يَقُولُونَ عَنْ « سَائِرٍ » إِنَّهُ تَأَبَّى عَفَافًا عَنِ الْجَائِزَةِ
لِئَلَّا يُقَيَّدَ لَحْنُ الْعَطَاءِ مَقَاطِعَ أَوْتَارِهِ الْبَارِزَةِ
فِيُحْرَمَ شَمَخَتُهُ الرَّائِزَةِ وَيَفْقِدَ هَيْبَتَهُ الْحَافِزَةِ
وَمَا النِّقْصُ إِلَّا ادِّعَاءُ الْكَمَالِ وَنَشْوَ خَمْرِ مَنْ الرَّاهِزَةِ
وَمَنْ تَوَجَّوهُ بِتَاجِ التَّمَامِ تَغْلَفَ بِالقُدْرَةِ الْعَاجِزَةِ

• • •

لمن تغنين ؟

مهداة إلى كوكب الشرق - السيدة أم كلثوم

لِمَنْ تُغَنِّينَ ؟ لِلوَرَقَاءِ قَدْ خَفَضْتُ	إِلَيْكَ أَجْنَحَةً - لَمْ تَنْخَفِضْ أَبَدًا
مَدَّتْ إِلَيْكَ «لَهَاة» عَسْجَدًا عَزَفْتُ	لَهَا الطَّبِيعَةُ : لَكِنْ لَمْ تُمَدَّ : يَدَا
وَاللَّحْنُ يَسْتَلْهُمُ الْأَلْحَانَ شَنْشَنَةً	بِهَا عَرَفْنَاكَ : إِلَهَامًا : وَنَفْحَ نَدَى
أَلْهَبْتَ فَوْقَ الْمَدَى كَفًّا وَحَنْجَرَةً	وَهَجْتَ فَوْقَ الْمَدَى : صَدَاحَهُ : غَرِدَا
فَمَا غَفَا فَوْقَ أَقْطَارِ السَّمَاءِ هَوَى	عَاطِيَتِهِ : مِنْكَ مَا لَمْ تُعْطِهِ : أَحَدًا
رُوحًا : مَقْطَرَةً فِي الْخُلْدِ مَاجِيَةً	شَرَّ النَفُوسِ : الَّذِي مَا كَلَّ مَا هَمَدَا
جَاءَتْ لِيَغْسِلَ جِرَاحَ بَاتٍ يَلْعَقُهَا	مُرْزَأُ الْقَلْبِ ضَاعَ الْعُمُرُ مِنْهُ سُدَى
جَارَتْ عَلَيْهِ اللَّيَالَى فِي ضَرَاوَتِهَا	مَا بَيْنَ ذَنْبٍ عَوَى أَوْ حَاقِدٍ حَقَّدَا
قَدْ صُنْتُ إِيمَانَهُ لَوْلَاكِ مَا بَقِيَتْ	مَدَامِعُ فِيهِ تَنْعَى هَوْلَ مَا فَقَدَا

لِمَنْ تُغْنِيْنَ ؟ لِلْأَفْلَاقِ جَاذِبَهَا
وَمَا اسْتَحْتِ مِنْكَ أَنْ الْحَبُّ مُنْطَلَقُ
لَقَدْ عَجِبْتُ لَهَا حَتَّى كَوَّا كِبَهَا
كَأَنَّا مِثْلُنَا فِي الْأَرْضِ مَا سَلِمَتْ
وَعَاذِلَ بَيْنَهَا يَنْدُسُ : يَخْطِفُهُ
مَاذَا نَقُولُ إِذَنْ نَحْنُ الَّذِينَ هُنَا
وَالْحَبُّ وَاللَّيْلُ فِي أَهْلِ الْهَوَى عُقْدُ
مَعَارِكُ مِنْ خِيَالٍ نَسْجُهَا حُرْقُ
غِذَاوُهَا لَهَبٌ لَا يَنْطَفِئُ وَرُؤَى
نَفْسَتْ فِي عُقْدٍ مِنْهَا وَفِي كُرْبٍ
تَأْرَقَتْ أَعْيُنُ سَكْرَى وَأَفْسِدَةُ
لِمَنْ تُغْنِيْنَ : لِلجَافِي. وَصَوْلَتُهُ
وَيَسْتَفِيْقُ عَلَى الْأَنْفَاسِ أَحْرَقَهَا
وَيَنْتَشِي وَهَزِيمُ الرَّعْدِ مُنْصَعِقُ
وَالْمُدْنَفُونَ حَيَارِي فِيكَ آهَتُهُمْ
سِرٌّ عَلَى شَفَتَيْكَ الْحُلُوتَيْنِ بَدَا
مَا حَدَّهْ أَفُقٌ مَا ضَاقَ فِيهِ مَدَى
تَنَافَسَتْ فِي الْهَوَى لَمْ تَسْتَرْحِ أَبَدَا
مِنْ لَوْعَةٍ مِنْ شِكَاةٍ تَبْعُثُ الْحَرْدَا
بَرْقٌ وَيَنْقِمُ مِنْهُ رَاصِدٌ رَصْدَا
عَلَى الْأَدِيمِ نُعَانِي الْغَدَرَ وَالْحَسَدَا
سِحْرِيَّةٌ وَالْجَوَى قَدْ أَحْكَمَ الْعُقْدَا
وَحَرْبُهَا السَّلْمُ وَالنُّعْمَى شَجَى وَرَدَى
مَحْمُومَةٌ وَمَعَانٍ كُلُّهُنَّ : فَدَى
مَوْصُولَةٌ لَمْ تَزَلْ آيَاتُهَا جُدَدَا
وَطَيْفُهَا هَلْ دَرَى هَلْ ذَاقَ هَلْ سَهْدَا
تَشُدُّ فِي عُنُقِ مَلُوبِيَّةٍ : مَسْدَا
مَا أَحْرَقَ الْقَلْبَ : أَوْ مَا فَتَتْ الْكَبِيدَا
كَأَنَّ رَجْعَ هَزَارٍ : فِي الْخَمِيلِ : شَدَا
وَمِنْكَ أَنْتَهُمْ لَا يَأْمُلُونَ : غَدَا

صَحَوْتُ فِي صَحْوِهِمِ وَالنَّاعِمُونَ غَفَوَا
 مِلءَ الْجُفُونِ : وَحَى لَيْلَهُمْ : رَقَدُوا
 تَمَثَّلُوا فِيكَ أَطْيَافًا مُجَنِّحَةً
 تَمَثَّلُوا فِيكَ رُوحًا تَكَرُّهُ الْجَسَدَا
 وَهَزَّ لَحْنُكَ مِنْهُمْ كُلَّ جَارِحَةٍ
 فَمَا تَرَى عَيْنُهَا : أُمًّا وَلَا وَلَدَا
 لَوْلَاكِ مَا حَفَحَتِ السَّارِي مَطِيَّتَهُ
 إِلَى الْحَبِيبِ : وَعَافَ الْأَهْلَ وَالْبَلَدَا
 وَالْحَبُّ : يَأْتِبَعُهُ الدَّافِي وَمَشْرَعُهُ
 صَفَوْا الْحَيَاةَ : وَهَلْ غَيْرُ الصَّفَاءِ هُدًى

* * *

لِمَنْ تُغْنِيَنَّ ؟ لِلذِّكْرِي مُعْطَرَةً
 لِلْأُمْسِيَّاتِ : لِحَادِي فِي السَّمَاءِ : حَدًى
 لِيُظَاعِنَ مَا رَأَى فِي الْكَوْنِ أُمْنِيَةً
 أَحْلَى عَلَيْهِ مِنَ اللَّقْيَا : لِمَنْ بَعْدَا
 لِفَاقِدٍ : وَجَدَ الدُّنْيَا وَبَهَجَتَهَا
 إِلَّا هَوَاهُ - أَيْحَكِي : فَاقْدَا : وَجَدَا

* * *

لِمَنْ تُغْنِيَنَّ ؟ هَلْ لِلشَّمْسِ عَانَقَهَا
 ضِيَاؤُهَا - فَوْقَ بَحْرِ خَضْخَضِ الزَّبَدَا
 أَمْ لِلْهَزْبِيعِ وَقَدْ خَفَّتْ كَوَاكِبُهُ
 مُنِيرَةً - لَمْ تَطِقْ صَبْرًا - وَلَا جَلَدَا
 تَلَفَّتَتْ لِتَرَى فِي الْأَفْقِ مَبْتَهَلَا
 لِحُسْنِهَا - عَابِدَا - مَا غَيْرَهَا : عَبَدَا
 آلَيْتُ مَا أَنْتِ إِلَّا لِحَنُ وَافِدَةٍ
 مِنَ السَّمَاءِ : تُغْنِي : الْوَاحِدَا : الْأَحَدَا
 مَا الْكَوْنُ مَا سِرُّهُ مَا طِيبُ بَهَجَتِهِ
 إِنْ لَمْ يَذُبْ حُرْقًا : إِنْ لَمْ يَمُتْ كَمَدَا

لَوْ لَمْ تَكُونِي لَهُ دُنْيَا مُوَحَّدَةً أَقْسَمْتُ مَا عَاشَ دُنْيَاهُ : وَلَا: اتَّحَدَا

* * *

لَقَدْ شَهِدْتُكَ فِي الْمِحْرَابِ مَائِلَةً فِيكَ الْبَتُولُ وَمَا رَأَى : كَمَنْ شَهِدَا
وَحَوْلَكَ الْأَكْبَدُ اللَّهْفَى مُرْنَحَةً تَسْتَنْزِلُ الْغَيْثَ : أَوْ تَسْتَقْبِلُ الْمَدَا
وَفِي الْمَاقَى وَمِیْضُ طَالَمَا احْتَبَسَتْ فِيهِ اللَّالَى - مَا أَغْفَى وَلَا ابْتَرَدَا
وَمَا بَخِلَتْ عَلَيْهَا أُمَّةٌ هَرَعَتْ إِلَيْكَ تَسْقِينَهَا نَخْبَ الضُّحَى : رَأَدَا
وَتَسْكِبِينَ الْهُوَى سَكْبًا مُعْتَقَةً فِيهِ : الشُّمُولُ فَلَا غَوْلًا : وَلَا صَرَدَا
أَشْرَفْتَ كَالْبَدْرِ فِيهِمْ بَيْنَمَا لَمْحُوا فِي هَالَةِ الْحُسْنِ : بَدْرًا : يُرْهِبُ الْأَسَدَا
وَمِیْلَةً فِي اعْتِدَالٍ - مَا تُزَحْزِحُهَا عَنْ مَوْقِفِ الْعَزْلَا دَلًّا : وَلَا : أَوَدَا
تُثْنِينَ فِي خَفَرٍ غَالٍ عَلَى حَذَرٍ جِيدًا نَشَرْتَ عَلَى لِبَاتِهِ : غَيْدَا
يَا مَنْ : قَسَوْتَ عَلَى الْمِنْدِيلِ فَاشْتَعَلَتْ أَطْيَابَهُ مِنْ شَدَى : مَا مَلَّ مِنْكَ يَدَا
إِنِّي لَا أَحْسَبُ فِي الْمِنْدِيلِ مُعْجَزَةً مِنْ السَّمَاءِ . فَلَوْ أَطْلَقْتَهُ : لَشَدَى

* * *

لَقَدْ أَعَدْتُ لَنَا مَجْدَ الْعَقِيقِ عَلَى
و «الْقَرِيضِ» عَلَى أَجْوَاهِ أَلْقُ
صِنَوَانٍ - مَا طَوْتُ الْأَحْقَابُ مَجْدَهُمَا
كَانَتْ لَهُمْ فِي الْعَقِيقِ الْجُلُوءُ الْوَيْةُ
وَأُطْلَعْتُ فِي سَمَاءِ الْفَنِّ خَالِدَةً
تَأَلَّقْتُ فِي ضِفافِ النَّيْلِ وَازْدَهَرَتْ
وَمَا أُمْنٌ عَلَى مِصْرَ - فَمَا جَحَدْتُ
وَمَا أُمْنٌ فَقَدْ رَدَّتْ جَمَائِلُهُ
فَمَرْحَبًا بِالْهَوَى بِالْفَنِّ يَنْقُلُنَا
وَأَنْتِ يَا كَوْكَبَ الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا
وَوَاصِلِي بَيْنَ أَبْعَادِ الْحَيَاةِ فَمَنْ
أَيَّامِهِ حِينَ طَابَتْ بِالْمُنَى : رَغْدَا
و«مَعْبُدًا» قَدْ تَخَطَّى الْكُونَ: رَجَعَ صَدَى
فِي يَثْرِبٍ: مِنْ بِلَادِ الْمُصْطَفَى: أَبْدَا
مَعْقُودَةً حَمَلَتْ مَجْدَ الْهَوَى : أَمَدَا
مِنْ الْكَوَاكِبِ: مَنْ يُحْصَى لَهَا: عَدَدَا
عَلَى «الْفُرَاتَيْنِ» حَتَّى جَاوَزَتْ (بِرْدَى)
فَضَلَ الْحِجَازِ . وَلَكِنْ غَيْرَهَا جَحَدَا
بِالْأَطْيَبَيْنِ : ثِمَارَ الْوَعْيِ وَالرَّشْدَا
لِلْمَشْرِعِ الْعَذْبِ لَمْ يَنْضُبْ وَمَا نَفَدَا
دُومِي نَدْمٌ كَوَكَبًا فِي الْأَرْضِ مُنْفَرِدَا -
سِوَاكَ: يُدْنِي الَّذِي قَدْ شَطَّ وَابْتَعَدَا

• • •

إليها

وَأَبْطَأَ بِي مَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لَبَيْتُهُ
تَعَجَّلَ مِنْ قَبْلِ الرَّحِيلِ وَأَسْرَعَا
تَحَرَّيْتُهُ مَعْنَى يُهْدِدُ مُهَجَّتِي
وَيُنْقِذُ إِحْسَاسًا غَرِيبًا مُضْبِعَا
تَعَرَّضَ لِي فِي الْحُسْنِ مَا لَا أَوْدُهُ
فَصَابِرْتُ حِرْمَانِي وَجِدًا مُلَوَّعَا
وَلِي فِي مَعَانِي الْحُسْنِ لَوْنٌ مُحَبَّبٌ
أَصُونُ بِهِ سِرًّا عَزِيزًا مُنْعَا
وَيَحْرُسُهُ إِنْسَانٌ عَيْنِي وَكَاذِبٌ
هَوَى لَا يَصُونُ الْحُسْنَ تَاجًا مُرْصَعَا
أَجَلُ أَبْطَأْتُ تِلْكَ الَّتِي لَاحَ مَا مَلَى
بَغْرٌ ثَنَائِيهَا الْوَضَاءِ مُشْعَعَا
وَتَحْجُبُ عَنِّي بِالْبَنَانِ شُعَاعَهُ
فَيَسْطَعُ مِنْ خَلْفِ الْأَنَامِلِ أَرْوَعَا
أَقْدَسُ حَبَاتِ اللَّالِيءِ أَبْدَعَتْ
مِنَ الْفَلَجِ الْمُفْتَرِّ حُسْنًا مُوشَعَا
وَقُلْتُ لَهَا إِنِّي وَجَدْتُ لَبَانَتِي
فَقَالَتْ إِذْنُ صِفْهَا وَقُلْهَا لِأَسْمَعَا
وَبُحُّ سَرِّكَ الْخَافِي فَإِنِّي أَمِينَةٌ
وَمَنْ صَانَ عَهْدَ الْحُبِّ أَغْلَاهُ مَوْضِعَا

...

يَا

يا مَيِّ انتَظِرِي اللِّقَاءَ كَأَنَّمَا رُوحِي تَحِنُّ لِحَسْمِهَا وَتَوُوبُ
وَيَلِدُ لِي أَمَلٍ اِنْتَظَارِكِ وَالْمُنَى تَحَلُّو الْحَيَاةُ بِظِلِّهَا وَتَطِيبُ
فَإِذَا قَدَمْتِ مَعَ الْمَسَاءِ فَإِنَّهُ صُبْحٌ يَطُلُ وَقَدْ أَهْلٌ حَبِيبُ
لَكِنْ أَخَافُ مَعَ الشُّرُوقِ وَأُنْسِهِ لِحَظَاتٍ بَيْنَ زَحْفُهُنَّ غُرُوبُ

- ٢ -

وَمَدَّ إِلَيَّ الْبَيْنُ كَفًّا رَحِيمَةً تَقُولُ وَمَاذَا ؟ لَوْ يَطُولُ مَغِيبُ
فَقُلْتُ لِي اللَّهُ الَّذِي صَنَعَ الْحَشَا فَيَوْمَ النَّوَى فِي الْغُرْبَتَيْنِ عَصِيبُ
وَكَمْ مِنْ جِرَاحٍ شَافِعَاتٍ مُضِيبَةٍ تَبِينُ بِهَا رَغَمُ الظَّلَامِ دُرُوبُ
وَكَمْ شَفَعَتْ فِي الْحُبِّ زَفَرَةٌ وَاجِدٍ وَدَمْعٌ سَخِيٌّ لَا يَكْفُ صَبِيبُ

...

كيف — ؟

كَيْفَ يَا نَفْسُ اسْتَبِيحُ حِمَاها شَامِخَاتٍ تَرْنَحَتْ فِي ذُرَاها
 رَامَهَا الطَّامِعُونَ قَبْلِي فَأَوْدَى مَنْ تَحْدَى أَجْوَاءَهَا وَمَدَاها
 أَطْمَعْتَهُمْ فِي نِيلِهَا فَتَبَارَوْا ثُمَّ عَادُوا وَكُلُّهُمْ صَرَعَاها
 وَصَفُّوا لِي عِمْلَاقَهَا وَهُوَ فِي السَّفْحِ قَعِيدٌ يَزْهُو بِرَجْعِ صَدَاها
 فَتَلَمَّمْتُ لَاهِنًا أَسْأَلُ الْعِمْلَاقَ كَيْفَ احْتَمَى بِظِلِّ حِمَاها
 كَيْفَ أَدْنَتْهُ كَيْفَ حَازَ رِضَاها كَيْفَ لَاقَى هَوَاهُ عِزَّ هَوَاها
 وَلِمَ إِذَا ارْتَمَى عَلَى السَّفْحِ ؟ هَلْ ذَلِكَ مَجْدُ الْحَيَاةِ أَوْ مُنْتَهَاها ؟
 وَتَلَوَّى كَأَنَّهُ أَفْعُوَانُ صَرَعَتْهُ أَفْعَى اسْتَحَبَّ لِقَاها
 ثُمَّ قَالَ ابْتَغِدْ فَمَا كُنْتَ لِلدُّنْيَا أَلَوْفًا وَلَنْ تَكُونَ هَوَاها
 نَحْنُ أَحْلَاسُ مَكْرَهَا نَحْنُ مَنْ ذُلُّوا وَهَانُوا عَلَى دُرُوبِ أَذَاها
 قَدْ أَبَحْنَا ضَمِيرَنَا لِلَّذِي تَهْوَى فَدَاسَتْ رُؤُوسُنَا قَدَمَاها
 وَظَلَمْنَا وَالشَّرُّ يَصْطَنِعُ الشَّرَّ كَأَنَّ الزَّمَانَ رَهْنُ خُطَاها

وَسَرَقْنَا عِزَّ الْكَرِيمِ وَعِشْنَا فَوْقَ انْقَاضِ عِزِّهِ نَتَلَاهَى
 فَدَعِ الزَّيْفَ أَنَّهُ مَجْدُ هَذَا الْكَوْنِ مَهْمَا عَلَا وَمَهْمَا تَنَاهَى
 أَنَا مَنْ صَوَّرُوهُ عِنْدَكَ عِمْلَاقًا أَدَارِي عَارًا وَأَكْتُمُ آهًا
 وَالْعَمَالِيقُ كُلُّهُمْ سَوْفَ يَهُوُونَ إِلَى جَوْفِ أَرْضِهِمْ أَشْبَاهَا
 مِثْلَمَا لَوُثُوا الْحَيَاةَ بِأَوْبَاءِ إِذَاهُمْ سِيلَعُقُونَ وَبَاهَا
 أَنْتَ جَرَّبْتَ قَبْلَنَا مَجْدَهَا الْحُرَّ فَعَاثَتْكَ فَارِسًا لَا يُضَاهَى
 أَنْتَ حَارَبْتَهَا وَحَطَّمْتَ أَصْنَامَ عَلَاهَا مَجْدًا وَمَالًا وَجَاهًا
 وَارْتَضَيْتُ الْيِرَاعَ خِلْدَنَ مَعَانٍ وَحَيَاةَ كَرِيمَةٍ تَهْوَاهَا
 وَتَرَعَرَعْتَ فِي رُبِّي الْحَبَّ تَسْقِيهِ وَيَسْقِيكَ مِنْ رَحِيقِ شَذَاهَا
 تَتَمَلَّى الْجَمَالَ وَالْحُسْنَ لَا تَنْشُدُ فِي مُنِيَةِ الْفُؤَادِ سِوَاهَا
 حَسْبُكَ النَّشْوَةُ الْبِهِيجَةِ وَالْخَمْرَةُ كَأْسًا تَدِيرُهَا عَيْنَاهَا
 حَسْبُكَ الدَّفْءُ فَاعِغًا فِي حَدِيثِ مَا أَطَاقَتْ اخْفَاءَهُ شَفَتَاهَا
 قَدْ كَفَرْنَا بِالْحُبِّ لَكِنْ أَنْتَ فِي حُبِّهَا عَبَدْتَ اللَّهَ

التذكّار

وَيُسْعِدُنِي لَوْ تَقْبَلِينَ عَلَى رِضَا
وَأَنْ كُنْتُ أَغْلِي بِالْمَعَانِي وَهَبْتُهَا
وَأَحْلَى مِنَ التَّذْكَارِ رَجْعُ مُحِبِّ
أَلَا يَبْعَثُ الذِّكْرَى سِوَاهُ وَإِنِّي
أَجَلُّ رُبَّ صَمْتٍ دُونَهُ فِي بَلَاغَةٍ
وَأَجْمَلُ ذِكْرَى لِلْمُحِبِّينَ حَالَةً
تَلْمِمْ أَشْتَاتَ الْحَيَاةِ كَأَنَّهَا
مُحَلِّقَةٌ فِي سَبْحِهَا تَنْطِقُ الرُّؤَى
تَرُدُّ جَمَالَ الْكَوْنِ أَصْلًا وَصُورَةً
حَيَاتُهُمَا فَوْقَ الْأَهْلَةِ سَيْرِهَا
يَعِيشَانِ فِي الْقُرْبَى وَفِي الْبُعْدِ مِثْلَمَا
وَكَمْ مِنْ نَوَى أَدْنَى مِنَ الْقُرْبِ بَاهِتَا
فَلَمَّا قَبِلْتَ الْيَوْمَ ذِكْرَايَ فَاغْلَمِي

هَدِيَّةٌ رَمَزَ تَذْكَرِينَ بِهَا عَهْدَا
فَقَدْ صَاغَهَا الْوِجْدَانُ يَامِي لِي وَجْدَا
يُسَائِلُ هَلْ مِنْ دُونِهِ نُحْرَمُ الْوِدَا
لَأَحْسَبُ حَتَّى الصَّمْتِ مِنْ مِثْلِنَا أَجْدَى
بَيَانٌ جَدِيدٌ يَنْسِجُ اللَّفْظَ لَا الْقَصْدَا
تَرِفُ رَفِيفَ الطَّلِّ بَلْ إِنَّهَا أُنْدَى
مَوَاكِبُ تَرْعَى الْخُلْدَا أَوْ تَصِفُ الْخُلْدَا
مُنْعَمَةٌ لَحْنًا مُصَفِّقَةً شَهْدَا
لِقَلْبَيْنِ شَدَّ الْحُبُّ بَيْنَهُمَا شَدًّا
فَمَا عَرَفْتُ قَبْلًا وَلَا عَرَفْتُ بَعْدَا
تَعِيشُ الْمَعَانِي تَأْنِفُ الْأَسْرَ وَالْقَيْدَا
شَحِيحُ الْأَمَانِي يَجْهَلُ الْقُرْبَ وَالْبُعْدَا
بَأَنَّ زَمَانِي أَنْتِ أَجْمَلُ مَا أَهْدَايَ

...

تصوري

تَصَوَّرِي موثِقاً صُلْبَ الخُطى اضْطَرَعَتْ عليه من كُرب الدنيا مواضِيبها
ومزَقَتْ يَدُهُ الأَغْلالَ ما قَنَعَتْ حتى تَبَدَّى خيالاً سابِحا فيها
واثْقَلَتْ حُجُبٌ من فوقها حُجُبٌ ضياءَ عَيْنِيهِ فأنْهَلَتْ مآقِيبها
لكنها اذْمُع شَعْتَ لآلِئُهَا فنَوَّرَتْ مُهْجَةً لا شَيْءَ يُعْشِيبها
وابْصَرْتُكَ فما غَامَتْ بَصَائِرُهَا وخطبتُكَ فما ضَاقتَ مَعَانِيها
لقد تهاوتَ فلا أُنْدَاءَ عَاطِفَةٍ كأنما أَجْدَبْتَ فِيهِم مَغَانِيها
ما حَارَبَتْهُ النُّوى بل حَارَبَتْ مُثُلًا دانتَ لَهُ من مَعَانِيهِ صَيَاصِيها
وما رَأَى الأَسْرَ إلا مَجْدَ سَارِيَةٍ رَفَّتْ عَلَيْهِ وما ضَنْتَ غَوَادِيها
وفى الظلالِ الوريقاتِ الجَنَى «أَمَلًا» حَنَّتْ عَلَيْهِ طُيُوفٌ من «عَوَالِيها»
كَمْ ضَافَ من دَوْحِهَا أَطْيَابَ سَامِقَةٍ من المَعَالَى تَبَنَّتْهُ أَعَالِيها
وفى المَرَايِعِ من أَغْطَافِها نَهَلَتْ آمالُهُ وسَقَتْهُ من سَوَاقِيها

مَنَابِعُ لِقَدَاسَاتٍ وَالْوَيْةِ مُشْعَةً تَحْرُسُ الدُّنْيَا وَتَحْمِيهَا
تَنْزِلُ الْوَحْيَ فِي أَرْجَائِهَا أَلْقَا تَطَوَّفَتْ بِمَرَامِيهِ مَرَامِيهَا
سَقَى الْبَرِيَّةَ مِنْ كَأْسٍ مُشْعِشَةٍ بِالْيُمْنِ مُتْرَعَةً فِيهِ أَمَانِيهَا
فَلَمْ تَزَلْ مِنْهُ نَشْوَى عَبْرَ فِطْرَتِهَا تَمُدُّ آفَاقَهَا الْكُبْرَى مَبَادِيهَا
إِنْ أَقْعَدْتَهَا عَلَى وَهْمٍ قَوَادِمِهَا قَضَتْ عَلَى وَهْمِهَا الْعَادِي خَوَافِيهَا
فَيَا مَجَالِي الْهَدْيِ وَالشَّمْسِ سَاطِعَةً عَلَى النَّخِيلِ نُضَارًا فِي حَوَاشِيهَا
تَوَقَّدَ الشَّفَقُ الْمُخْمَرُ مُنْسَرِبًا فِي «زَهْوِهَا» تَتَحَلَّاهُ مَجَانِيهَا
مَشَاهِدُ عَاشَهَا قَلْبِي مَجْنَحَةً بِهَا تَنْقَلْتُ فِي الدُّنْيَا أُغْنِيهَا
وَأَخْضُدُ الطَّيْرَ فِي وَكُنَاتِهِ مَرَحًا يَخْتَالُ كَالْحُسْنِ فِي أَحْلَى رَوَابِيهَا

احارس

وحارسٌ نُورٌ عَيْنٍ خِلْتُهُ أَمَلًا جَرَى عَلَى قَلْبٍ مِنْ عَاشُوا بِلَا أَمَلٍ
يُصَدُّ بِالرَّوْعَةِ الْمُثْلَى وَفَتْنَتِهَا مَا لَا تُصَدُّ بِهِ الْعَسَالَةُ الذُّبُلُ
وَمِثْلُهُ حَوْلَ ثَغْرِ زَادِهِ أَلْقَا حَتَّى اسْتَحَتْ مِنْ سَنَاهِ عَرَاكَةِ الْقُبُلِ
وَالْحُسْنُ لَا يُتَّقَى عَنْ رَهْبَةٍ أَبَدًا لَكِنْ هَيْبَتُهُ تُغْنِي عَنْ الْأَسْلِ
وَالْحُسْنُ مَا اجْتَذَبَ الْأَلْبَابَ فَانْجَذِبَتْ نَشْوَى تُعْبِرُ عَنْهَا فَرَحَةُ الْمُقَلِّ
وَفِي عُيُونِ الْمَعَانِي سِرٌّ بِهِجَتِهَا تَحْكِي مَعَانِيَ الْعُيُونِ الذُّبُلِ النَّجْلِ
غَامَرْتُ يَقْدُمُ بِي ضَوْؤُ فَحِيرَتِي فِي نَقْطَةٍ مِنْ سَوَادِ مَوْكِبِ الشُّعْلِ

• • •

مولد الطائفة

جاءت إليه على الغداة تزوره وتودّعه
وتقول ظرف طاريء قد كنت لا أتوقعه
بهتوا أبى عند الصّباح بدعوة مُستعجّله
إن الزّفاف غدا يكون بمكة بالمسفلّه
لشقيقتي الكبرى حلّيمة فى اللّيل المقيله
وترفقت لتصافح البطل الذي أعياه فهم المسأله
كانت تؤمّله ولا تدري ففارق فى ثوانٍ مأمّله
فتغيّرت قسماته وبكت عليه أدمعه
وترفقت بحشاه حانية عليه أضلعه

...

لكنه استقوى على هذا الوجوم بعزيمة من صبره
وتمردت فى نفسه آهاته الحرّى تضجّ بصدّره
متجلّدا ثبت الجنان مغالبا فى سرّه

وَاسْتَنْطَقَتْ عَيْنَاهُ عَيْنَيْهَا لِيَعْرِفَ رَأْيَهَا فِي أَمْرِهِ

فَبَدَى لَهُ أَنْ يُرْجَى الْإِفْضَاءُ فِي سِرِّ الْوَدَاعِ وَجَهْرِهِ

* * * *

وَهُوَ الَّذِي مَضَى الْجَدِيدَةَ فِي ذُرَاهَا أَرْبُعَهُ

وَهَلَالُهَا الْوَضَاءُ مَطْلَعُهَا الْحَبِيبَ وَمَطْلَعُهُ

* * * *

وَتَثَاقُلْتُ لِتَقُولَ : عِنْدَ الْعَاشِرَةِ قَالَ الْمَطَارُ لَهَا : تَقُومُ الطَّائِرَةُ

وَأَعَادَ : بِالتَّحْدِيدِ ؟ فَابْتَسَمَتْ نَعَمْ تَأْكِيدُ جِدَةَ هَكَذَا لِلْقَاهِرَةِ

وَجَرَى إِلَى الْمِيعَادِ يَسْبِقُ خَطْوَهُ مُتَنَبِّهًا لِلْوَعْدِ عَيْنَ سَاهِرَةِ

فَتَلَاقِيَا وَسَرَى الْحَدِيثُ مُنْمَنًا وَكَأَنَّهُ أَلَقَ النُّجُومَ السَّائِرَةَ

وَتَقَضَّتْ السَّاعَاتُ حَتَّى السَّابِعَةِ لَيْلًا وَعِنْدَهُمَا ثَوَانٌ عَابِرَةٌ

وَالرُّكْبَ حَوْلَ الْمَائَتَيْنِ عَجِيجُهُ وَضَجِيجُهُ وَكَأَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ

فَتَعَطَّلَ الْجَمْعُ الْمَغِيرُ وَأَيُّ أُذُنٍ تَسْمَعُهُ

وَدُمُوعٌ مَن يَبْكِي التَّعَوُّقُ سَاخِنَاتٌ تَلْدَعُهُ

★ ★ ★

إِلَّا هُمَا فَهُمَا اللَّذَانِ تَرَاقَصَا فَوْقَ الْبَشَرِ

لَا يَذَرِيَانِ عَنِ الْبَلَاءِ كَأَنَّهُ صَخُّ الْقَدَرِ

كَمْ مِنْ مَرِيضٍ أَنَّ لَمَّا مَسَّهُ وَقَعُ الْخَطَرُ
وَمَخْذِرَاتٍ ضِيقُنَ بِالْوَعَثَاءِ مِنْ قَبْلِ السَّفَرِ
تِلْكَ الْمَصَائِبُ فِي سَوَاهُمِ عِنْدَهُمْ أَحْلَى السَّمَرِ
لَيْتَ الَّذِي آذَى وَأَهْمَلَ وَاجِدًا مَنْ يَرُدُّعُهُ
فَعِقَابٍ فَرَدٍ فِي سَبِيلِ الْكَلِّ ذِكْرِي تَنْفَعُهُ

...

أشتياق

وَأَشْتَاقُ تَقْطِيرَ النَّدَى فِي رَوَائِعِ
 مُعْتَقَّةِ ظَمَأَى إِلَى كُلِّ ظَامِيٍّ
 سُكُوبٌ بِإِلَاءِ النَّهْيِ رَوْنَقُ الضُّحَى
 وَتُطْفِئُ فِي الْأَخْلَادِ كُلِّ نَوَازِعِ
 وَتَجْمَعُ أَشْتَاتَ الْمَعَانِي كَأَنَّمَا
 لَهَا أَلْقٌ بَيْنَ الشَّدَى وَرَفِيفِهِ
 تَلَاقَى عَلَى أَنْفَاسِهِ كُلُّ مُشْتَهَى
 وَتَنْسِجُ أَنْسَامَ الْخَمِيلِ غَدَائِرَا
 تَسِيلُ عَلَى أَعْطَافِهَا فَرْحَةُ النَّهْيِ
 تَرُوقُ مَجَانِيهَا وَتَحْلُو قُطُوفُهَا
 تَحُومُ عَلَيْهَا كُلُّ وَرْقَاءٍ هَمْسُهَا
 مُوَحِّدَةُ الْمَرْمَى مُهْدَبَةُ الْمُنَى
 أَقَامَتْ عَلَى هَامِ السَّمَاءِ شَوَامِخَا
 وَحَلَّى بِهَا جِيدَ الزَّمَانِ فَرَائِدَا
 تَسَاقَطَ عِنْدَ السَّفْحِ مِنْهَا زَعَانِفُ

أُدِيرُ بِهِنَ الرَّاحَ مَشْمُولَةً صَرْفَا
 وَرُبَّ أَوَامٍ فَاضَ بِالْمُزْنَةِ الْوُطْفَا
 تُصَفِّقُ أَخْلَافَ الْمَنَى أَدْبَاءَ عَفَا
 مُؤَجِّجُهَا مَا بَانَ مِنْهَا وَمَا اسْتَخْفَى
 تُرْصِعُ عِقْدًا مِنْ جُفَمَانَ قَدْ اضْطَفَا
 كَصَخَوِ الْهَوَى مَارِقًا عَزْمًا وَلَا أَعْفَى
 تُعَانِقُهُ مَعْنَى وَتَلْمُسُهُ طَيْفَا
 مُذْهَبَةٌ حُسْنًا مُشْعَشَعَةٌ لُطْفَا
 بِأَقَافِهِ أَضْفَى عَلَيْهَا بِمَا أَضْفَى
 مُهْدَلَةٌ تَسْعَى لِمَنْ رَامَهَا قُطْفَا
 حَنِينٌ شَجِيٌّ عَنْ سَرَائِرِهَا شَفَا
 شَأْيَ طَرْفُهَا الْمُتَمَتِّدِ فِي الْحَلْبَةِ الطَّرْفَا
 هِيَ الْمَجْدُ قَدْ صَفَّى اللَّبَابَ وَمَا أَضْفَى
 مُخْلَدَةٌ ضَاقَ الْبَيَانُ بِهَا وَضَفَا
 لَقَدْ حَسِبُوا الْأَمْجَادَ مَخْطُوفَةً خَطْفَا

وَجَاءُوا بِمِسخٍ سَاءٍ حَالاً وَمَشْهَدَا
 وَقَالُوا قَرِيبُضٌ يَقْرَضُ الْقَيْدَ مِلْؤُهُ
 وَمَا فَرَّغْتَ إِلَّا عُقُولُ عَوَائِمِ
 وَكَانَ الَّذِي شَاءَتْ فَغَاضَتْ قَرَائِحِ
 وَسَارَ مَسِيرَ الْعَجْزِ ضَحْلٌ مُهَرَّأٌ
 وَأَيُّ سَمُوقٍ زَاخِرِ الْفَيْضِ تَلْتَقَى
 وَأَيُّ هَوًى كَالْمُزْنِ عَفٌّ مُصَفَّقِ
 وَأَيُّ مَعَالٍ كَالذَّرَى مَشْمَخِرَةٍ
 وَأَيُّ هَتَافٍ لِلْمُرُوءَاتِ وَالنَّدَى
 وَأَيُّ عِرَاكٍ فِي الْمِيَادِينِ صَاخِبِ
 هُوَالِ الشَّعْرَمَانَادَى الْبَطُولَاتِ إِذْ وَفَتْ
 يُمَجِّدُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْطِيمِ شَامِخِ
 تَسَامَى فَلَمْ يَرْخُصْ وَعَزَّ فَلَمْ يَهُنْ
 عَصَى عَلَى غَيْرِ الْعُلَا وَطَلَابِهَا
 أَوْلَتْكَ عُقْبَانِ الْجَوَاءِ فَمَا لَهَا
 لَقَدْ فَاتَهَا لَهُوَ الصُّغَارِ فَأَرْقَلَتْ
 وَأَبَاوَا بِنُكْرٍ جَانِفِ الذُّوقِ وَالْعُرْفَا
 فَرَاغٌ عَمِيقٌ يَحْدِقُ النَّشْرَ وَاللَّفَا
 عَلَى السَّطْحِ تَهْوِي أَنْ تَخِفَّ كَمَا خَفَا
 وَفَاضَ هُرَاءُ زَادَهُ جَهْلُهُمْ سُخْفَا
 تَلَكَّا زَحَافًا عَلَى بَطْنِهِ زَحَفَا
 عَوَاطِفُهُ الْحَرِيِّ إِذَا فَقَدَ الْعُنْفَا
 يَجُولُ بِهِ هَذَا الْهَلَامُ الَّذِي جَفَا
 يُعَالِجُهَا مِنْ يَمَلِكُ الْقَضْبَ وَالْعُلْفَا
 يَصُولُ بِهِ غَثٌّ عَلَى الْمَوْتِ قَدْ أَشْفَى
 إِذَا لَمْ يَصِفْهُ فِي الْوَعْيِ رَاعِفٌ رَعْفَا
 بِأَمْجَادِهَا الْكُبْرَى رَأَتْ بَطْلَانًا وَفَى
 فَإِنْ ضَلَّ مَرَمَاهُ أَدَارَ لَهُ كِتْفَا
 صَبُورٌ عَلَى الْجُلَى وَإِنْ شَارَفَ الْحَتْفَا
 خَفِيَُّ بِمَا يَهْوِي وَفِي لِمَنْ وَفَى
 وَمَا لِبُغَاثٍ لَمْ تَزَلْ تَعَجِّنُ الْحَرْفَا
 إِلَيْهِ بِخَزْرُوفِ الْوَلِيدِ الَّذِي رَفَا

ضاربة الودع

جَاءَتْ مَلْثَمَةٌ وَتَنْتَزِعُ اللَّذَّ سَامَ الْبِسْمَةِ الْعَجَبُ
وَالنَّظْرَةُ النِّجْلَاءُ قَائِلَةٌ شَيْثَا يَخَالِسُهَا فَيَنْسَرِبُ
وَالصَّوْتُ لَمَحٌ فِيهِ اذْمُعُهَا فِي نَبْرَةٍ مِنْ عُمُقِهَا تَثْبُ
مَعْنَى تُغَالِبُهُ فَيَأْسِرُهَا وَيَظَلُّ يَكْرُبُهَا فَتَنْكَرُبُ
كَذِبًا تُحَايِلُهُ مُحَايِلَةٌ وَهِيَ الْعَلِيمَةُ أَنَّهُ كَذِبُ
لِلْعَيْشِ يَا لِلْعَيْشِ مَرْكَبُهُ صَعْبٌ يَزْلِزُهَا فَتَضْطَرِبُ
عَلَّ وَأَسْبَابُ إِذَا بَطُلَتْ جَمُدُ النَّهْيِ وَتَعَطَّلُ السَّبَبُ
لَوْلَا النَّقَائِضُ فِي عَوَالِمِنَا مَا قِيلَ ذَا رَأْسُ وَذَا ذَنْبُ
كَمْ مِنْ شُخُوصٍ جَدُّ عَارِيَةٍ لَوْلَا الثِّيَابُ الْحُلُوةُ الْقُشْبُ
قَالُوا اتَّقَى أَضْلُ الْأُصُولِ وَمَا غَيْرُ النَّجَاحِ الْحَقُّ يُطْلَبُ
قُلْتُ الْحَيَاةُ طَرَائِقُ « قِدْدُ » وَوَسَائِلُ فِي حَبْكِهَا دَابُّوا
لَيْسَتْ مَبَادِيءُ مِثْلُ مَا رَسَمُوا لَيْسَتْ مَنَاهِجُ مِثْلُ مَا حَسَبُوا
لَكِنْ أَسَالِيبُ مَنُوعَةٍ تَعْلُو وَتَهْطِطُ وَالْمُنَى غَلَبُ
فَالنَّاهِبُ الْأَعْلَى لَهُ الرُّتْبُ وَالنَّاهِبُ الْأَدْنَى لَهُ الْحَرْبُ
وَالْعَبْقَرِيَّةُ لِلْفَتَى يَدُهُ تَلِكُ الصَّنَاعُ كَأَنَّهَا الْحَسَبُ

هذا الحرامُ حلالُهُ أَبَدًا حتَّى ولو عُجِنَتْ به الرِّيبُ
 حتَّى الدَّمُ القَانِي مُضَرَّجَةٌ مِنْهُ اليَدَانِ الشَّهْدُ والضَّرْبُ
 والسَّارِقُ المِضْبَاحُ يُنْفِذُهُ مِنْ ظُلْمَةٍ هو وَحْدُهُ الجَرَبُ
 جَاءَتْ مَلْثَمَةٌ وَفِي يَدِهَا وَدَعُ تَوْشُوشُهُ فَيَنْجَذِبُ
 نَشْرَتُهُ فَوْقَ الرَّمْلِ قَائِلُهُ زِينًا « أُبَيِّنُ » بَعْضُ مَا يَجِبُ
 سِرُّ الصَّبَايَا لَا أَبُوحُ بِهِ إِلَّا لَهُنَ فُلُودُهُ الحُجُبُ
 وَسَرَائِرُ الْفَتَيَانِ أَلَمَحُهَا وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ مُحْتَجِبُ
 فَتَقَاطَرُ الحُضَّارُ وَاسْتَبَقُوا وَ « بِيَاضُهُمْ » يَجْرِي وَيَنْسَرِبُ
 أَسْمَاعُهُمْ لَهْفَى وَأَعْيُنُهُمْ عَطَشَى تُحَاذِرُهَا وَتَرْتَقِبُ
 فَتَسَاقُطُ الدَّرُّ الَّذِي نَطَقَتْ بِجُؤْمَانِهِ الحَسَنَاءُ يَنْسَكِبُ

قَالَتْ لِهَيْدٍ وَهِيَ وَاجِمَةٌ لَكَ غَائِبُ أَحْوَالُهُ عَجَبُ
 مَرَّتْ بِهِ فِي عُمُرِهِ مِحْنٌ وَلَهُ عَدُوٌّ « رُبْعَةٌ » ذَرْبُ
 وَوَرَاءَهُ أَنْثَى لَهَا وَلَدٌ إِنْ تَنَّا عَنْهُ فَمِنْكَ يَقْتَرِبُ
 وَشُمُوعُ عُرْسٍ وَسَطَ مَنْزِلِكُمْ سَتُضَاءُ دُونَ سَنَائِهَا الشُّهْبُ
 هِيَ « نُقْطَةٌ » أَوْ « نُقْطَتَانِ » إِذَا ذَهَبَتْ سِيْذِهِبُ عَنْكُمْ التَّعَبُ

وَنَحَفَزْتُ لُبْنَى وَسِخْنَتَهَا تُوْحَى بِهِمْ فِيهِ تَضْطَخِبُ
 فَتَلَفَّتْ ذَاتُ اللَّثَامِ إِلَى تِلْكَ الْقَنِيصَةِ وَهَى تَنْتَجِبُ
 لَتَقُولَ يَا أَخْتَاهِ أَنْتِ عَلَى كَرْبِ تَضَائِلِ دُونِهِ الْكُرْبُ
 تِلْكَ الطَّوِيلَةُ فَوْقَ وَجْنَتِهَا « خَالٌ » وَبِالْمَنْدِيلِ تَعْتَصِبُ
 حَسَدْتُكِ مِنْ يَوْمِ الزَّفَافِ عَلَى سُوءٍ يُحَرِّكُ ضِغْنَهُ الْأَرْبُ
 « عَمَلًا » خَطَوْتَ عَلَيْهِ جَمْرَتَهُ حَرَّاقَةً يَا أُخْتَ تَلْتَهِبُ
 فَتَصْبِرِي فَلَأَنْتِ طَيِّبَةٌ وَعَلَى الْحُسُودِ « الْعَكْسُ » يَنْقَلِبُ

* * *

قَدْ كُنْتُ عَنْ كُتْبِ أَرَاقِبِهِمْ مَتَحَمَّسًا حَتَّى إِذَا ذَهَبُوا
 أَسْرَعْتُ نَحْوَ رَفِيقَةِ الْوَدَعِ وَالشَّرُّ فِي عَيْنِي وَالْغَضَبُ
 وَزَحَمْتُهَا مِنْ أَنْتِ ؟ مَا هَوَسُ هُوَ فِي حَقِيقَةِ أَمْرِهِ لِعِبِ
 فَتَنَهَدْتُ وَكَأَنَّ مُهْجَتَهَا قِدْرٌ يَقُورُ وَخَافِقٌ يَجِبُ
 قَالَتْ ذِكَاءُ الْبَدْوِ فِطْنَتُهُمْ فَمِنْ الْعُيُونِ أَخَذْتُ مَا أَهَبُ
 فَالْعُتْبُ لَيْسَ عَلَيَّ يَا رَجُلَ لَكِنْ عَلَى مَنْ رَامَنِ الْعَتْبُ
 وَإِذَا أَرَدْتَ الْحَقَّ لَا عَتْبُ حَتَّى عَلَيْهِمْ « كُلُّنَا » عَرَبُ
 لَا تَعْتَرِضْ إِنْ الدُّنَا خُدَعُ لَا تَنْزِعِجِ فَالْدَّهْرُ يَنْقَلِبُ
 كَمْ قِيلَ لِلْأَصْدَافِ ذِي دُرِّ وَالْدَّرُ قَالُوا عَنْهُ مُخْتَلِبُ

* * *

تلك الاخيام

في كلِّ ما ازدهرت به الغبراء زهت الحضارة يبسها والماء
 وتألّفت فيه الحياة يؤزها أزا هدير . . كله أضواء
 ومرايع جدد كأن أديمها سُحبت عليه رفارف خضراء
 ما غاب عن عين الوفاء وظلها تلك المضارب نجعهن صفاء
 ممدودة عبر الفضاء بناتها أرسو مراسيها كما قد شاءوا
 الكون مُنتجع لهم ما حده حدّ ولا ضاقت به أمداء
 القبة الزرقاء سقّف بنائهم والكهرباء الأنجم الزهراء
 في كلِّ يوم منزل صوب الحيا خفر ينمنم وشيه وحياء
 وهوى كصافي المزن يقطر حاليا ومها يباكر فجرها الأنداء
 والعشب بين مفوف ومهفّف ترعى مراعيه مها وظباء
 شعر تُصقّه الطبيعة أنّها للشاعر المتعمّق الهداء
 صدق الحقيقة كم لا يروع خيالها وخيالها لجمالها أضداء

يُنْسُ الحَضَارَةَ شعراً كِظْلَالَهَا مَخْبُوءَةً فِيهِ الرُّعْيُ شَوْهَاءُ

تَتَقَلَّصُ الْأَظْلَالَ فِيهِ كَأَنَّهَا قُبْحُ الْجَنِينِ تَعَاْفُهُ الْأَحْشَاءُ

لَا يَبْدَعُ إِنْ ذَهَبَ الْقَرِيضُ وَأَقْفَرَتْ أَحْيَاؤُهُ وَتَفَزَّعَ الْأَحْيَاءُ

فَلَقَدْ فَقَدْنَا الصُّحُورَ يَوْمَ تَلَبَّدَتْ بِقَتَامِهِ وَظَلَامِهِ الْأَجْوَاءُ

وَلَقَدْ بَكَيْتُ الصَّفْوَ يَوْمَ تَكَدَّرَتْ بِدُخَانِهِمْ مِنْ حَوْلِهَا الصَّحْرَاءُ

الْوَاحَةُ الْبَيْضَاءُ فِي أَغْرَاقِهَا أَرْجُ رَعْتَهُ الدَّيْمَةَ الْوُطْفَاءُ

وَمِنَ النَّبَاتِ الْحَلَوِّ فِي أَغْطَافِهَا نَسَجَ حَكَّتَهُ الْحُلَّةُ السَّيْرَاءُ

وَالْجَدُولُ الثَّرَارُ فِي أَعْمَاقِهَا فَجَزُّ كَأَنَّ خُيُوطَهُ الدَّامَاءُ

يَهَبُ الْقُلُوبَ حَيَاتَهَا وَسِمَاتَهَا فَإِذَا الْهَوَى رِيَّ لَهَا وَرَوَاءُ

خِصْبٍ عَلَى خِصْبٍ وَفَضْلُ سَمَاحَةٍ تَشْدُو بِهَا وَتُغَرِّدُ اللَّالَاءُ

مَا عَابَهَا بَطْءٌ وَطَوَّلُ رَوِيَّةٍ إِنْ الْوِصَالُ يَزِينُهُ الْإِبْطَاءُ

أَمْلَأَ الدَّلَاءُ بِطَاوُهَا وَلَرُبَّمَا فَرَحَتْ بِرَيْثِ سَحَابِهَا الْأَنْوَاءُ

رَعْيَا لِأَيَّامِ الْخِيَامِ وَعَهْدِهَا الْحَاءُ رَعْرَعَ حُسْنُهَا وَالْبَاءُ

فَلَكُمْ شَدَى وَادِي الْعَقِيقِ بِمَعْبَدِ وَعَلَى الْمَشَارِفِ «عِزَّةُ» الْحَسَنَاءُ

وَلَقَدْ ذَكَرْتُ النَّابِغِيَّ وَلَيْلَهُ وَعُكَازٌ حَوْلَ خِيَامِهِ النَّبْغَاءُ

وَلَمَحَتْ عَنْ كَتَبِ خِبَاءِ سَكِينَةٍ
وَلَقَدْ نَظَرْتُ الْبَحْرَ بَيْنَ مَدَارِهِ
خَطَرَتْ جَوَارِيهِ الْحِسَانَ حَمَلْنَهَا
فَكَأَنَّ إِشْعَاعَ الْهَوَادِجِ هَالَةٌ
وَبَدَتْ بُدُورُ التَّمِّ يَلْتَمِسُ ضَوْعُوهَا
وَعَلَى الرَّوَابِيِّ الْخُضْرُ عَسَجَدَ مُزْنَةٌ
فِي كُلِّ مُرْتَبَعٍ هَوًى وَخَمِيلَةٌ
الْحُسْنُ يَسْطَعُ مِنْ مَعِينِ صَفَائِهَا
حَاشَا الْقَرِيضَ يَصُولُ فِي حَلَبَاتِهِ
قَلِقَ الْإِهَابُ تَرُوعَ فِي لَمَسَاتِهِ
خُدْعٌ كَمَعْسُولِ الْوَعُودِ كِذَابُهَا
صَانُوا خِضَابَ الْغَيْدِ فَهُوَ مَقْدَسٌ
يَا لَيْتَ سَكْرَةً زَعَفِهِمْ وَمُجُونِهِمْ
لَكِنْ خُمَارُ الْفَرْدِ دَارَتْ رَأْسُهُ
مَنْ لِي بِأَيَّامِ الْخِيَامِ فَإِنَّهَا
الْوُدُّ كَانَ أَلْيَفَهُ وَحَلِيفُهُ
وَالْيَوْمُ يَوْمُ الْمُخْلِفِينَ عَهْدَهُمْ
وَسَكِينَةٍ مِنْ قَبْلِهَا الْخُنْسَاءُ
وَمَسَارِهِ وَكَأَنَّهُ الصَّحْرَاءُ
عَيْسٌ تَمَاجُجٌ تَحْتَهَا الْبَيْدَاءُ
ضَفَرَتْ ذَوَائِبُ حُسْنِهَا الْقَمَرَاءُ
أَلِقُ الثُّغُورَ فَتَرْقُصِ اللَّالَاءُ
أَسْكُوبُهَا الْأَنْدَاءُ وَالْأَشْدَاءُ !
وَبِكُلِّ مُنْتَجِعٍ يَرْفُ لِيَوَاءُ
يَجْلُو سَنَاهُ الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءُ
خَاوِي الْوِفَاضِ مُنَمَّقٌ وَشَاءُ
صُورٍ مَعْتَرَةِ الْخُطَى شَلَاءُ
رَقِصَتْ عَلَى أَصْبَافِهَا شَمَطَاءُ
وَعَلَى هَوَاهِمِ تُسْتَبَاحِ دِمَاءُ
إِنْسَانَةٍ يُغَرِّى بِهَا النَّدْمَاءُ
فَتَكْشِفُ نَزَوَاتِهِ الْحَمَقَاءُ
أَمَلٌ لَقَدْ طَارَتْ بِهِ الْعَنْقَاءُ
وَحُمَاةُ مَوْتِهِ هُمُ « الْحَلَفَاءُ »
أَرَأَيْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ خُلَفَاءُ

...

نجاة ونجوى

بِلَخْدِكَ يَا نَجْوَى مُنَى وَابْتِسَامَةِ أَضَاعَ الْهَوَى أَيَّامَهَا وَأَعَادَهَا
 طَوَّاهَا وَمَا تَطْوَى وَلَكِنْ عَارِضًا مِنْ السُّقْمِ يَا نَجْوَى أَصَمَّ فُؤَادَهَا
 تَحَيَّرَ فِيهَا الْحِسُّ حَيْرَةً وَاهِنٍ ثَقِيلِ الْخُطَى لَا يَسْتَخِفُّ وَدَادَهَا
 جَفَنَتْهُ فَجَافَاهَا وَقَدْ مَرَّ حُلُومَهَا فَمَا كَانَ مِنْهَا لَوْ أَلَّانَتْ قِيَادَهَا
 مَعَانٍ تُدِيرُ الشُّعْرَ صَبْهَاءَ حُرَّةٍ مَثَانِي تَسْتَسْقَى الْكُرُومَ جِيَادَهَا
 صِنَاعٍ لَقَدْ رَامَتْ مِنَ اللَّفْظِ لَحْنَهَا وَمِنْ هَمَسَاتِ الْحِسِّ صَاغَتْ مُرَادَهَا
 وَمَا اللَّحْنُ إِلَّا الشُّعْرُ جَرَسًا مَوْقِعًا وَغَمْغَمَةً قَدْ حَاوَرْتَهُ فَصَادَهَا
 أَلَا يَا رَعَاكَ اللَّهُ سَوْفًا كَأَنَّمَا يُنَازِعُ صَبْهَاءَ الدُّنَانِ عِنَادَهَا
 وَيَسْكُبُ فِي اللَّحْنِ الطَّرُوبَ مَرَّاشِفًا تُلَامِسُ أَوْتَارًا أَضَلَّتْ رَشَادَهَا
 يَقُولُونَ عَزَّ اللَّحْنُ فِي الشُّعْرِ فَاثْبَغِي نَضَاوِي هَزِيلَاتٍ تُدَارِي كَسَادَهَا
 أَشَاحُوا عَنِ الْحَيِّ النَّطُوقِ وَجَاوَرُوا مِنَ الْعِيِّ صَمَاءَ النَّهْيِ وَجَمَادَهَا
 وَأَيَّ «مَهَا» تَأْوِي لِغَيْرِ كَنَاسِهَا وَأَيَّ عَرُوسٍ لَا تَطِيقُ مِهَادَهَا

أَلَا شَعَّعِيهَا يَا نَجَاةً لِتَبْعَنِي	مَلَامِحَ صَانَتْ جَوَّهَا وَبِلَادَهَا
فَرُبَّ حَنَانٍ يَغْمِرُ اللَّحْنَ دِفْئُهُ	وَيَسْلُبُ مِنْ خَفْنِ اللَّيَالِي رُقَادَهَا
وَرُبَّةً مَبْغُومَ اللَّهِ عَسَجَدِيَّهَا	أَفَاضَ عَلَى الْأَلْحَانِ حُسْنًا وَزَادَهَا
ودَاوَرَهَا حَتَّى اسْتَحَالَتْ نَدِيَّةً	وَلَا يَنْهَا حَتَّى اسْتَلَانَتْ فَقَادَهَا
أَلَا إِنَّهُ سِرُّ الْحَيَاةِ فَصْفَقْنِي	مُنَاهَا وَنَاغِي هَضْبِهَا وَوَهَادَهَا
فَكَمْ صَوَّحَتْ مُذْ صَوَّحَ الشُّعْرَ أَرْبَعُ	وَكَمْ قَدْ سَقَاهَا الْغَيْثَ قَبْلَ وَجَادَهَا
وَكُونِي لَهَا فِي دَوْحَةِ الشَّعْرِ نَغْمَةً	فَقَدْ رَاعَهَا جَذْبُ الْبَيَانِ وَآدَهَا
وَمَا نَادَمَ الْقِيثَارُ إِلَّا أَنْيُنُهُ	وَمَا شَكَتِ الْأَحْبَابُ إِلَّا بُعَادَهَا
وَمَا هَاجَتْ الْوَرْقَاءُ إِلَّا شُجُونَهَا	وَمَا الْحُبُّ إِلَّا مَا اغْتَرَاهَا وَعَادَهَا
وَلَمْ تُرِدْ الْهَمَّ الْمُبْرَحَ إِلَّا نَمَا	عَلَى الرِّغْمِ مِنْهَا يَا نَجَاةً أَرَادَهَا
بَيَاضَ اللَّيَالِي فِي خِدَاعِ سَرَابِهَا	يُضَاحِكُ أَطْيَافَ الدُّجَى وَسَوَادَهَا
تَحِنُّ إِلَى اللَّقْيَا عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ	وَتَنْشُدُ مِيعَادَ الْهُوِيِّ وَمَعَادَهَا

• • •

لا تَكُونِي

يا فتاة الجزيرة العربية لا تكوني للعابثين ضحيّة
إن مجدّ الفتاة أكبر ممّا صوّروه في بهرج المدينة
في السّياج الخفيّ تحميه أحداثٌ فإمّا أمنيّة أو منيّة
شرفٌ باذخ تتوجّه الدهر من الصّون هالّة عسجديّة
فالخدور التي تضمّ على الحُسن عُروشا هي الحصون القويّة
كاللّاليّ المحجّبات بجوف اليمّ مكنونة الجمال نقيّة
وتحوم الشّمس تنهل نهلاً من شعاع الحقيقة الأزليّة
وسهام النّصال تبرقّ كالحسن المدجّ بالفتنة السّمهرية
ذاك مجدّ الفتاة في عالم الحُسن وفي مشرق الحياة الأبيّة
في الحياء الشّهوى ينبض بالعزّة قعساء لا تطيق الدّنيّة

* * *

في الحنان الأبيّ يبدله القلب لأخلى ثماره الشاعريّة
فلذات الحشا وأفلاذه الرّغب ومرعى الأمومة العاطفيّة
لا تغرنك بالخداع العناوين كلّمع السراب في سوء نيّة

إِنَّهَا إِنَّمَا مَصَائِدُ لِلْعَفَّةِ تَرْمِي شِرَاكَهَا بِالْبَلِيَّةِ
 إِنَّ مَجْدَ الْفَتَاةِ فِي غَرْسَةِ النَّبْلِ سَقَتَهَا الشَّمَائِلُ النَّبْوِيَّةُ
 فِي الْهُدَى تَسْتَرِيحُ فِي ظِلِّهِ النَّفْسُ وَتَنَائِي عَنِ الشُّرُورِ الْخَفِيَّةِ
 فِي بِنَاءِ الْحَيَاةِ تُشْرِقُ بِالْأَسْرَةِ فِيهَا الْأَوَاصِرُ الْعَائِلِيَّةُ
 كُلُّ مَنْ يَتَبَنَّى حَضَارَةَ بَيْتِ مُسْهِمٍ فِي الْحَضَارَةِ الْعَالَمِيَّةِ
 عِنْدَنَا مِنْ خَدِيجَةِ الْمَثَلِ الْأَعْلَى وَمَجْلَى الْمَفَاخِرِ الْأَبَدِيَّةِ
 آزَرَتْ بِالْحَنَانِ وَالْحُبِّ وَالْخَيْرِ فِدَاءً مِنْ أَنْقَذَ الْبَشَرِيَّةَ
 مَلَائِهَا ثِقَافَةَ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ بِأَسْمَى ثِقَافَةِ عِبْقَرِيَّةِ
 وَقَفَا إِثْرَهَا صَوَاحِبُ كَالْأَقْمَارِ ضَحِيحِينَ لِلْمَعَانِي الثَّرِيَّةِ
 فَأَضْأَنَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ إِيمَانًا وَحَلَقْنَ فِي الْجَوَاءِ الْقَصِيَّةِ
 هَلْ تَنَاسَيْتَ خَوْلَةً وَعُلاَهَا فِي مَجَالِ الْوَعَى وَمَجْلَى الْحَمِيَّةِ
 دَنَدَنُوا بِالْخِدَاعِ كَيْمَا تَخُوضِينَ مَعَ الْعَابِثِينَ بِالْوَطَنِيَّةِ
 كُلُّهُ كُلُّهُ هُرَاءُ فَفِي دِينِكَ لَوْ تَعْلَمِينَ أَسْمَى قَضِيَّةِ
 لَيْسَ بَعْدَ النَّبِيِّ أَحْمَدُ يَا أُخْتُ نَبِيٍّ مُؤْمَلٍّ أَوْ نَبِيَّةِ

...

يا حبيبي

يا حبيبي الذي محضت له الود شعوراً كأنه إحساسه
وتصوّرت ذات نفسي في ذات هواه كأنها أنفاسه
قد جرت في مزاجه فهو خمّرٌ بابليٌ وعسجد الحرّ كاسه
لم أحاوره لم أداوره لم أنغ مجازاً حقيقتي نبراسه
حين أهواه ما هويت حياة أحكمت نسج عمرها أمراسه
لم يكن غالياً بما في يديه أو يتاج فاق الجواهر ماسه
إنه الحب ليس غير: وقلبي لسوي الحب لا يلين شماسه

* * *

ومشى الناس في مواكبه الغراء شعثاً كأنهم حراسه
هتفوا والهتاف للصّولجان الحلو يدوي ولا يكف حماسه
فتلقى ذاك الضّجيج بتصفيق المئاني كأنها أجراسه
واهياً نفسه وما تملك النفس وفيها أمجاده وغراسه
نعماتٌ قد أسكرته وزهو المجد تُرضى غروره أعراسه

وَهَجٌ فِي طِبَاعِهِ لَسْتُ أَنْسَاهُ وَلَكِنْ تَلَوْتُ أَجْنَاسَهُ
حِينَمَا شَابَهُ الطَّلَاءُ وَغَذَّاهُ الطَّلَى شَبًّا وَقَدْهَا جَلَّاسُهُ
وَسَمَا الْوَصْلَ عِنْدَهُ فَوُجُوهَ الْقَوْمِ أَحْرَى وَالْكُونُ أَغْنَاهُ نَاسُهُ
خَيْرُ أَكْثَفَاءِ حُسْنِهِ الْمُتَصَدِّقُونَ وَمَنْ فِي رِحَابِهِ أَخْلَاسُهُ
فَهُمُو عِنْدَهُ النُّجُومُ الدَّرَارِي تَزْدَهِي بِاجْتِلَائِهَا آمَاسُهُ
حُبْنًا فِي الْكُؤُوسِ أَبْيَضَ كَالْعَيْنِ يُوَارِي شُعَاعَهُ دِيمَاسُهُ
وَتَعَرَّضْتُ فِي الزُّحَامِ وَهَمِّي أَنْ أَرَى هَلْ يَشِدُّ عَنِّي قِيَاسُهُ
فَإِذَا بِي أَرَاهُ أَصْدَقَ مَنْ وَفَى وَقَدْ شَابَ فِي التَّجَارِيبِ رَأْسُهُ
إِنَّهُ الْوَهْمُ طَالَمَا ضَحِكَ الْوَهْمُ وَغَشَى صَحْوَ الْمَآقِي نَعَاسُهُ
إِنَّهَا إِنَّهَا حَقَائِقُهُ الْأُولَى فَمَا نَاقِضَ الْبِنَاءِ أَسَاسُهُ
ثُمَّ قَالَ الْحَسُودُ مِيعَادُهُ الْخَيْرُ إِذَا طَالَ بِالْبَلَاءِ اخْتِبَاسُهُ
قُلْتُ مَا شَاقَهُ الْخُصْبُ وَلَا عَافَ جَدِيْبًا انْحَى عَلَيْهِ ارْتِكَاسُهُ
إِنَّمَا الْخُصْبُ مُذْ رَآهُ تَهْدَاهُ أَلِيفًا يُرْوِقُهُ إِيْنَاسُهُ
وَالْجَدِيبُ الْجَدِيبُ أَخْصَبُ فِي كَفِّهِ يَدْعُو لَا عَادُهُ إِغْلَاسُهُ
ثُمَّ ثَابَ النَّهْيُ إِلَى الرُّشْدِ وَاسْتَذَكَّرَ أَنَّ الْبَلَاءَ فِي الْكُونِ نَاسُهُ

بالمعانى الكبارِ صَمَخَهَا الإِيمانُ فى مِثْلِ ضوئِهِ وانِعِكاَسِهِ
فى الذى صَاوَلَ الزمانَ فلم يَقْهَرْهُ إِذْ طَالَ بالحياة مِراسُهُ
والكرِيمِ الكَرِيمِ تَأْسِرُهُ الرِّقَّةُ مِنْ قَوْمِهِ مَتَى عَزَّ بَاسُهُ
هُوَ كالماءِ إِذْ يَسِيلُ وكالْقَنْءِ الذى قَادَ خَطْوَهُ نَخاسَهُ
قَوْمُهُ عِزُّهُ وفيهِمْ هَواهُ ذَابَ فيه اتِّقاؤُهُ واحتِراسُهُ
فَهُمُ الغَائبُ يَحْضِنُ اللَّيْثُ إِعْزَازًا كما يَحْضِنُ الغَزَالُ كَناسَهُ
حِينَ يَغْزُو اليَقِينُ أَفْئِدَةَ الأَحْبابِ يَغْزُو قُلُوبَهُمُ التِّبَاسَهُ
لا تَلُومُوا المُحِبَّ فى النِّهْبِ والسَّلْبِ فَإِنَّ المُحِبَّ يَحْلُو اختِلاسَهُ
إِنَّ مِنْ يَرشِفِ الضِّياءِ كَمَنْ يَقْبِسُ مَعْنَى يَلُوحِ فيه اقْتِباسُهُ
أَحْرامَ إِذا تَفَجَّرَ بالسَّلْسَلِ نَبْعٌ يُحْيِي النُّفُوسَ انْبِجَاسَهُ
أنا أَسْتَغْفِرُ الإِلهَ مِنَ الذَّنْبِ الذى كَادَ أَنْ يَغُولَ اقْتِرَاسَهُ

السادسة

قالتْ جَهِلْتُ عِناصِرَ الزَّمنِ وعِراكَها في الرُّوحِ والبَدَنِ
 وحَسِبْتُ أَنَّ الحُسْنَ مُتَّصِلٌ أَقْوَى مِنْ الأَهْوالِ والفِتَنِ
 ورَعَيْتُهُ لِأَعِيشَ نُضْرَتَهُ جُهْدِي أَخْلَدَهُ وَيُخْلِدُنِي
 لا إِلْفَ يَعْصِرُ كَرَمَهُ فَإِذَا أَصْفَى تَنْقَلَ فِي ذُرَى القُنَنِ
 إِلْفٌ يُخَلِّقُنِي عَلَى ضَعْفٍ فِي حَوْمَةِ الأَطْلالِ والدَّمَنِ
 إِلْفٌ يَقُولُ بغيرِ ما خَجَلَ إِنِّي قَبَضْتُ أَطايِبَ الثَّمَنِ
 دَأَنْتَ لُبائِثَهُ فهُونَها لَتَنْظَلَّ بَعْدُ رَهينَةَ السَّكَنِ
 لِيَقُولَ نَفْحُ الزَّهْرِ يُسْكِرُنِي وَزَفِيفُ لَحْنِ الطَّيْرِ يَجْذِبُنِي
 وَيَقُولُ ماذَا لَوْ أَمَانِلُهُ فَامِيلَ مِنْ غُصْنٍ إِلَى غُصْنٍ
 مِنْ أَجْلِ هَذَا عِفْتُ كُلِّ هَوًى إِلَّا هَوَايَ الحُرِّ يَحْرُسُنِي
 لَا زَوْجَ، عَيْنَاهُ تُحَاصِرُنِي كَمُعَلِّبٍ زَخْرُوهَ للزَّمنِ
 لَا نَسْلَ لَا وَلَدٌ رِضاَعَتُهُ فَتَاكَةُ كالجَمْرِ تَحْرِقُنِي

واليومَ قد أَوَّبْتُ من سَفَرٍ في رحلةٍ كالطَّيْفِ في الوَسَنِ
 وإذا الإِهَابُ الغَضُّ مُبْتَسِرٍ لُمَحْنَطٍ دَرَجُوهُ في الكَفَنِ
 والروحُ حتى الروحَ جَارَ على إشعاعها جَدْبٌ مِنَ الوهنِ
 فَأَرَقْتُ من كَدَرٍ وَمِنْ ضَجَرٍ وَسِئْتُ من سَهَرٍ وَمِنْ حَزَنِ
 وَبَكَيْتُ عُمْرًا كُنْتُ أَحْبَسُهُ عَنِّي فَعَادَ اليَوْمَ يَحْبِسُنِي
 ونظرتُ في المِرَاةِ فَاخْتَلَفْتُ حَتَّى هِيَ الأُخْرَى تُضَايِقُنِي
 وَكَأَنَّيَ من قَبْلُ لَمْ أَرَهَا وَكَأَنَّهَا من قَبْلُ لَمْ تَرَنِي
 وَأَسِفْتُ لَيْتِي مَا حَفِلْتُ بِهِ وَهَمًّا أَصَارِعُهُ وَيَضْرَعُنِي
 يَا لَيْتَ لِي ظِلًّا أَفِيءُ لَهُ فِي غَمْرَةِ الأَحْدَاثِ وَالْمِحَنِ
 يَا لَيْتَ لِلْمَاضِي الَّذِي انْصَرَمَتْ أَيَّامُهُ رَمَزًا يُذَكِّرُنِي
 رَمَزًا أَرَى فِي عِطْرِ زَهْرَتِهِ عُمْرِي يُجَدِّدُهُ . . . يَجْدُدُنِي
 ذَهَبَ الشَّبَابُ بِكُلِّ زَحْمَتِهِ وَالْحُسْنُ غَيْرَ بَقِيَّةِ الشَّجَنِ

عبيها

وَلَقَدْ شَمَنْتُ عَيْبَرَهَا وَاللَّيْلُ حَتَّى اللَّيْلِ نَائِمٌ
 إِلَّا أَنَا وَأَنْيَنُ مَظْلُومٍ وَأَنْفَاسُ مُصْعَدَةٌ لِّظَالِمٍ
 وَلَمَحْتُ طَيْفًا كَالسَّنَا كَالْبَدْرِ مَا بَيْنَ الْغَمَائِمِ
 قَالَ اتَّبِدْ إِنَّ السَّيِّئَةَ تَهْوَى تَحْفُ بِهَا النَّسَائِمِ
 نَشَوَى بِفِتْنَتِهَا وَأَنْتَ بِسِرِّهَا لَا شَكَّ عَالِمِ
 فَرَجَوْتُهُ أَنْ لَا تَوَرَّقَهَا الظُّنُونُ وَأَنْ أَعِيشَ الدَّهْرَ حَالِمِ
 وَأَظْلُ بَيْنَ خِيَالِهَا رَجَعَ الصَّدَى أَوْ وَهَمٌ وَاهِمِ
 أَنْتَ الْمَلَاكُ الْعَذْبُ أَوْ هِيَ أَنْتَ فَارْفُقْ بِالتَّوَائِمِ
 وَابْسُطْ لَهَا الظِّلَّ الظَّلِيلِ لَ فَإِنَّهُ الْأَمَلُ الْمُتَلَائِمِ
 يَا طَيْفُ تَحْسُدْهَا الْقَطَا يَا طَيْفُ تَنفُسُهَا الْحَمَائِمِ
 أَمَا هَوَايَ فَإِنَّ أَكْ وَنَ وَفِيهَا خَلْفَ الْعَوَالِمِ
 وَأَصُونُهَا فِي جَفْنِ صَاحِ ي الْقَلْبِ أَوْ أَحْلَامِ نَائِمِ
 فَهِيَ الْأَثِيرَةُ بِالْهَوَى الْغَا لِي وَلَوْ لَامَ اللَّوَائِمِ

أَيَّامُ خَالِدَةٍ

كُلُّ يَوْمٍ لَهُ مَعَزَةٌ عَامٍ فَسَلِيَ الْجُمُعَتَيْنِ عَنْ إِلَهَامِي
كَيْفَ فَاقَ السَّنِينَ تَرَكْتُ ضُ بِالْعُمْرِ سِرَاعًا أَعْدَى مِنَ الْآرَامِ
كَيْفَ حَلَّ الْوَثَاقَ مِنْ زَحَمَةٍ إِذَا الْأَسْرُ وَكَمْ عِشْتُ فِي عِرَالِكِ الزَّحَامِ

• • •

كُلُّ يَوْمٍ لَهُ مَعَزَةٌ عَامٍ أَنْتِ يَا كَرَمَتِي وَكَأْسِي وَجَامِي
وَحَيَاتِي الَّتِي وَجَدْتُ بِهَا الرُّو ضُ نَدِيًّا مُفْتَحَ الْأَكْمَامِ
بَدَّدَ الْوَحْشَةَ الْكَثِيبَةَ فَانزَا تَ لَعَمْرِي سَحَابُ الْآلَامِ
إِنَّهَا جُمُعَتَانِ بَلَّ لِحَظَاتُ مُشْرِقَاتُ مَرَّتْ كَطِيفِ الْمَنَامِ
وَالْتَقَيْنَا خَلِيَّةً بِشَجِي هُمَّا فِي رِيشَةِ الرَّسَامِ
وَلَهَا عُنْدُهَا فَكَمْ مَوْرِدِ عَذْ بِ جَهْلٍ بِلَاهِثٍ أَوْ ظَامِي
وَأَنَا الْيَوْمَ قَدْ حَمِدْتُ لَطَى الْحِرَّةِ انِ فِي بَطْنِهَا وَفِي الْإِحْجَامِ
عِنْدَمَا أَشْرَقَتْ عَلَى كَفَجَرٍ عَبْقَرِيَّ يُقَلُّ جَيْشِ الظَّلَامِ
عِنْدَمَا أَقْبَلَتْ عَلَى رَبِيعَا صَاحِي الزَّهْرِ ، صَافِي الْأَنْعَامِ
وَرَوَى النَّرْجِسُ الْمُشْعَشُعُ عَنْهَا مَا رَوَاهُ سَاقِي الطَّلَا وَالْمُدَامِ

وانتشت مُهَجَّتِي بِسُكْرَيْنِ سَحَرِ رِ الْفَنِّ فِي لَفْظِهَا وَسِحْرِ الْقَوَامِ
 حَائِرٌ بَيْنَ لَهْفَتَيَّ وَهَيَامِي وَرَجِلِي مِنْ بَعْدِ طِيبِ مَقَامِي
 وَرِيَّاحُ الزَّمَانِ تَهْزَأُ بِالصَّفِّ وَتَجْرِي جَرَيَ اللَّطَى فِي الْحُطَامِ
 فَصَفَى لِي يَا أَمْنُ كَيْفَ الْأَقْي عُسْفَ دَهْرِي وَقَسْوَةَ الْأَيَّامِ
 سَوْفَ أَرْضَى مِنْ أَجْلِ عَيْنَيْكَ يَا أَمْنُ وَأَطْوِي عَلَى هَوَاكِ عِظَامِي
 فَمُنَى مُهَجَّتِي رِضَاكَ وَحَسْبِي أَنْ تَدُومِي فِي بَهْجَةِ وَابْتِسَامِ
 وَحَمَاكِ الزَّمَانُ مَا لَا تَوَدِّبُنَ وَسُهْدَ النَّوَى وَلَذَعَ الْغَرَامِ
 وَرَعَاكِ الْإِلَهَ يَا أَمْنُ بِالْحُبِّ نَقِيًّا عَذْبًا كَحَبِّ الْغَمَامِ
 وَإِذَا مَا سَمِعْتَ صَدْحَ كَنَارٍ فَهُوَ مِنِّي تَحِيَّاتِي وَسَلَامِي
 وَاذْكُرْنِي فَإِنَّ ذِكْرَ الْمُحِبِّينَ شِفَاءٌ مِنَ الضَّنَا وَالسَّقَامِ

• • •

سبجات

يارب

ياظلام الذنوب ضاقت بك النفس وضافت بذاتها الآثام
وحرمت المنى وكُنْ نهايات رجاء نبي وفي الرجاء مقام
أين تلك الآمال يكرّبنى اليوم صداها كأنها آلام
طالما قد حملن في قلبي الواهي قلوباً أضحو لها وتنّام
أحسنّت بي ظنونها وبِحسن الظّن ن يا رب كم تدانى مرام
أطمعنتني إفضاله فتدللت وزاد الإحسان والإنعام
قلت يا رب لم تُضمّ برجائي النفس إذا رجوت أضرار
وتغاليبت في الرجاء وما زلت فهل ذلك الغلو حرام
رب : لو ضاق باللثيم كريم أيّ معنى له يعيش الكرام

...

حنين لبيت الله

فؤادٌ يعجُّ بأشجانهِ لَدَرْكِ الحَجِيجِ ورُكبانهِ
 وذِكْرِي تَثُورُ فيَطْفَى الشُّعُورُ ويزهو فخوراً بوجودهِ
 وللذِّكْرِيَّاتِ الصَّدَى العَبَقَرُ يُّ يَثِيرُ الشُّجونَ بألحانهِ
 وبالدِّكْرِيَّاتِ يُعيدُ الفَيَّ حنيناً نَقَضَى بأزمانهِ
 وبالدِّكْرِيَّاتِ يَجِدُّ السُّرو ر ويَطوي زماناً بأشجانهِ
 فؤادِي أَقْصِرُ فَإِنِّي أراك مُعْنَى يَنْوِبُ بِتَحَنُّانهِ
 وقد جاوز الرُّكْبَ وادي النِّقا وجازَ العَقِيقَ بوذيانهِ
 وما إنْ عَهِدْتَكَ نَضُو السَّقا م تَرَامِي الغَرامَ بأحْضانهِ
 وجاذبَه الشُّوقُ نحوَ الحِمَى ووادي (زُرُودِ) يَغْزِلانهِ
 هل الشُّوقُ مِنْكَ لَتِلْكَ المَوا قِفَ بَيْنَ الحَظِيمِ وأركانهِ
 مواقِفَ يَحْيَا لَدَيْهَا الشُّعُورُ ر ويضعُدُ فيها بإيمانهِ

ويسطع فيها ضياءُ الرجا ء كَعَقْدُ يَضْيُ بِمُرْجَانِهِ
 تُجَلْجَلُ فِيهَا وَعُودُ الصِّفَا ء وَيَهْمَى السَّرُورُ بِهَتَانِهِ
 وَتَخْطَى قُلُوبٌ بِصَفْوِ الْوِدا د وَيَسْعُدُ شَعْبٌ بِجِيرَانِهِ
 صَعِيدٌ تَوَحَّدَ فِيهِ الشُّعُورُ ر فَضَمَّ الْحَجِيجُ بِأَوْطَانِهِ
 صَعِيدٌ تَوَحَّدَ فِيهِ الْمَرَا مُ فَأَذْكَى الْقُلُوبَ بِنِيرَانِهِ
 لَتَمَثِيلِ دِينَ رَفِيعِ الْعَمَا د يُظِلُّ الشُّعُوبَ بِأَغْصَانِهِ
 سَدَاهُ اتِّحَادٌ لِشَدِّ الْأَوَاصِرِ بَيْنَ الْحَجِيجِ وَبُلْدَانِهِ
 وَدُسُورِهِ الْحَقُّ هَذِي الرُّسُو ل وَنَهْجُ الْكِتَابِ وَفُرْقَانِهِ
 وَهَذُمُ الْفَوَارِقِ أَمَا الْحُنُوءُ وَأَسْوُ الْجِرَاحِ فَمِنْ شَانِهِ
 مَبَادِي خَرَّتْ لَدَيْهَا الْجِبَا هُ وَمُلْكُ تَدْلُ بِتَيْجَانِهِ
 وَذَاكَ لَعَمْرِي عَضُرَ الْحَيَا ةِ تُبَاهِي الْحَيَاةَ بِأَزْمَانِهِ
 وَبَعْدَ فَإِنِّي أَزْجِي الْهِنَا ء لَرَمَزُ الْجِهَادِ وَعَنْوَانِهِ
 أَوْلَاكَ قَوْمِي أَشْلُو بِهِمْ كَمَا الطَّيْرُ يَشْلُو بِأَلْحَانِهِ
 لَقَدْ ثَارَ شَجْوِي وَخَفَّ الْحَنِينُ وَدَقَّ الْفُؤَادُ بِشِرْيَانِهِ
 وَإِنَّا لَنَرْجُو دَوَامَ اتِّصَا لِ وَلَاءِ الْحَجِيجِ بِإِخْوَانِهِ

ونرجو التَّضامَنَ في مبدئِ يَتِمُّ النِّجَاحَ بِإِغْلَانِهِ
 فَحَتَّامٌ خُلْفٌ يُذِيبُ الْقُلُوبَ بَ وَيُضِلُّ النُّفُوسَ بِنِيرَانِهِ
 وَحَتَّامٌ لَوْعَةٌ هَذَا الْفِرَا قَ تَقْدُّ الْفُؤَادَ بِصَوَانِهِ
 أَجَلٌ أَزِفَ الْوَقْتُ فِي وَحْدَةٍ وَهَذَا الْبَشِيرَ بِبَيِّنَانِهِ
 فَهَلَا نَثُورَ لِحِفْظِ الذِّمَّةِ رَ وَرَدُّ الْعَدُوِّ بِعُدُونَانِهِ
 وَهَلَّا سَبِيلَ لِلذَّكَ الْفَخَا رَ وَفِي الْعُرْبِ أَبْنَاءَ تَيْجَانِهِ
 وَهَلَّا سَبِيلَ لِيَخُوضَ الْغِمَارَ رَ وَسَحَقِ الدَّخِيلَ بِأَعْوَانِهِ
 وَلِلْغَرْبِ مِنْ حَوْلِنَا ضَجَّةٌ يَجُوسُ الدِّيَارَ بِطُغْيَانِهِ
 وَلِلشَّرْقِ نَوُحٌ كَنُوحِ الْحَمَامِ وَلِلوَهْنِ رَجْعٌ بِآذَانِهِ
 ضَعِيفُ الْقِيَادَةِ رَهْنُ الْأَسَارِ فَأَنَّى يَثُورُ لِسُلْطَانِهِ
 رَقِيقُ الْحَوَاشِي وَمَا أَنَّ يَصُورَ لَ بَغَيْرِ الصَّرَامَةِ فِي شَانِهِ
 عَجِيبٌ أَتَخَطُّوا الشُّعُوبَ وَتَسْمُو وَذَا الشَّرْقَ يَلْهُو بِغِزْلَانِهِ
 أَمَّا ثَارٌ فِيهِ حَمَاسُ الْجُدُو دَ وَأَذْكَى الدِّمَاءِ بِشَرِيَانِهِ
 وَذَا الْعَهْدُ أَبْلَجُ عَهْدِ الْمَلِكِ يَفِيضُ عَلَيْنَا بِإِحْسَانِهِ
 يَنْبِرُ لِدِينِنَا سَبِيلَ الرَّجَاءِ وَيَلُوي الزَّمَانَ بِحِدْثَانِهِ

في رحاب المدينة

جاهدْتُ شوقي وكابدْتُ المني لهبًا
معروقة بآمانيتها مُرَقَّقة
وَجَدْتُ بالقرب من مَغْنَاكِ فَأَتَلَقْتُ
فما أَطَافَتْ من القربى بشاشتها
فَمَا وَهَتْ بِمَعَانِيهَا مَجْنُوحَةً
ولا تَلَمَّسَ فِيهَا السَّرَّ مُطْلِبٌ
ولا تَهَرَّبَ مِنْهَا الْحُسْنُ فِي تَرْفٍ
ولا اسْتَطَارَ النُّهْيُ إِلَّا هَوَى كِلَفٌ
ما عَالَجَتْهَا دِرَاكًا أَوْسَعُ الْجَيْلِ
كَأَنَّهَا فِي الْمَاقِي جَيَّرَةُ الْأَمَلِ
نَفْسُ تَرْوُمِ الْمَنَى فِي قُشْحَةِ الْأَجَلِ
ولا اسْتَطَابَتْ وَصَالًا فِيكَ لَمْ يَصِلْ
ولا اسْتَعَارَتْ حُسَامَ الْفَارَسِ الْبَطْلِ
نَأَتْ بِهِ وَمَضَتْ الْبَارِقُ الْعَجَلِ
من الْبَيَانِ طَرُوبٍ رَاقِصٍ ثَمَلِ
بِحُسْنِكَ الْفَذُّ لَا بِالْأَعْيُنِ النَّجَلِ

تَلَمَّسَ الْحِسُّ فِي أَشْجَانٍ مُغْتَرِبٍ
وصَاحَ بِالْحُبِّ يَسْتَجِدِّي رَوَافِدَهُ
وَعُذْتُ بِالْيَأْسِ تَطْوِينِي مُوَاكِعُهُ
أُنَاشِدُ الرَّحْمَةَ الْكُبْرَى سَرَائِرَهَا
وما رَضِيتُ لِنَفْسٍ أَنْتَ بَارِؤُهَا
أَصْفَى: فَلَا دَمْعَ مَكْرُوبٍ وَلَا جَدِلِ
فَمَا أَصَاخَتْ لآلَامِي وَلَا عِلِّي
أَكْذَبَ النَّفْسِ فِي مَاضٍ وَمُقْتَبِلِ
فَكَمْ تَفِيَّاتٌ مِنْهَا وَارِفَ الظُّلْلِ
من الْغَنِيمَةِ يَا مَوْلَايَ بِالْقَفْلِ

أَجَلٌ لَقَدْ عُدْتُ لَمْ أَنْبَسِ بِبَادِرَةِ
سَبَحْتُ بِالنَّفْسِ تُضْنِيهَا مُوَاجِدُهَا
وَجَمَعَتُ بِالْمَعَانِي لَا تُدِيرُ لَهَا
حَتَّى تَيَمَّمْتُ أَرْضًا فِي مَرَابِيعِهَا
وَأَعَيْنُ كَرَفِيفِ النُّورِ يَلْثَمُهَا
عَفْتُ الْمَرَابِعِ لَمْ تَكْلِفْ بِهَا مِقَّةً
حِسَّ أَهِيمٍ بِهِ مَعْنَى أَعِيشَ لَهُ
وَشَيْءَ الرَّبِيعِ الضَّحُوكِ الْحُلُوسُنَّتُهُ
هُوَيَّ تَلْتُ عَلَيْهِ كُلَّ سَارِيَةِ
مَوْصُولَةٍ بِيَدِ الرَّحْمَنِ وَاصِلَةٌ
وَصَلْتُ رُوحِي هُنَا بِالْخِضْبِ فَاتَّصَلَتْ

وَرُبُّ مَنْفَصِلٍ يَدْنُو بِمُتَّصِلٍ
وَأَدْرَكْتُ نَفْسِي الْخَيْرِي حَقِيقَتَهَا
فَقَدْ أَهَلَ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ بَدَا
وَشَمْتُ فِي الْأَفْقِ الْمَجْلُوسَ عَيْلُمُهُ
بِحِكْمَةٍ حِينُهَا الْمَخْبُوءُ لَمْ يَطْلُ
هَلَالَ مَوْلِيدِهِ فِي حُسْنٍ مُكْتَمَلٍ
مَوَاقِبَ النُّورِ فِي أَعْيَادٍ مُحْتَفَلٍ

مكة المحب الكبير

هَبْنِي أَ نَى وَاهِبٌ لَكَ رَوْحَهُ
أَمَّا تَسْتَوِي فِي الْمُرْدِ الْحُلُو أَنْفُسُ
وَكُلُّ لَه فِي ذِرْوَةِ الْحَبِ مَنْزَلُ
فَمَاذَا تُسَمِّنُ الْهَوَى وَبِلَاءَهُ
أَمَّا يَتَجَلَّى الْحَبِ بِالْحَبِ لَيْتَهُ
إِذْنٌ لَدَرَيْتِ السَّرَّ لَا ذَقْتَ كَرْبَهُ
خُذِيهِ مِنَ الْأَنْفَاسِ حَسْبُكَ عِطْرُهُ
خُذِيهِ مِنَ الْوَرَقَاءِ فِي الْفَجْرِ آدَهَا
تَذُوبُ الْحَوَاشِي فِي حَوَاشِيهِ وَالْمَدَى
وَنَفْحُ الْخُزَامَى مِنْكَ يَنْضَحُ لَا النَّدَى
فَرُدِّي لِبُقْيَا « كَالثَّمَالَةِ » رَوْحَهَا
حَنَانِيكَ يَا ذَاتَ الْوِشَاحِينَ إِنَّهَا
وَتِلْكَ الْحَنَايَا لَوْ مَسَسَتْ شِعَاعَهَا
وَكَالنَّاسِ آمَالُ النُّفُوسِ فَتَارَةٌ
أَمَّا تَلْتَقِي عِنْدَ الْفِدَاءِ الْجَوَانِحُ
ظِمَاءٌ وَأُخْرَى فِي النِّعَمِ سَوَاحِ
تَنَافَسَ فِي مَعْنَاهِ غَادٍ وَرَائِحُ
أَكُلُ شَجَرٍ يَامِيٌّ عِنْدَكَ صَادِحُ
تَجَلَّى لَغْنَتِكَ الرَّبِّي وَالْأَبَاطِحُ
فَمَا لَذَّةُ الْأَسْرَارِ وَهِيَ بَوَائِحُ
وَحَسْبُ الْهُيَامَى مَا طَوْنَتُهُ الْجَوَارِحُ
ثَقِيلُ الْخُطَى وَاللَّيْلُ لِلَّهِمَّ فَاضِحُ
بَعِيدُ وَاسْرَابِ الْمُنَى تَتَلَامِحُ
وَلَا الظَّلُّ ، إِلَّا أَكْبَدُ تَنْصَابِحُ
تَطَالِغُكَ حَبَاتُ الدَّمُوعِ السَّحَائِحُ
وَشَائِجُ فِي اللَّبَّاتِ مِنْكَ وَشَائِحُ
تَهَلَّلْ مِنْهُوفٌ وَأَوْبٌ نَازِحُ
دَوَانٍ وَحِينًا قَاصِيَاتُ نَوَازِحُ

وكالزَّهر أعمارُ المحبِّين تلتقى
 وحسبُ الهوى في بؤسه ونعيمه
 وحسبُ المعاني الراقصاتِ طُيُوفُها
 ذكرتُك والدينا بِكفِّيك رخصه
 وللعزِّ أكنافُ موطأةُ الحمى
 تقولين هلاً طاف بالبيت طائفُ
 أجلُ والذي سوى الحطيمِ وزمزمًا
 فمكةٌ من فوق العرائنِ هالة
 هي المجد مجد الله ضحيان ساطعُ
 وما عشييت إلا قلوب كثيفةُ
 وهذي الصَّحاري المخصباتُ بجديها
 همُّو الناس أهلوها مقاما ومحتدًا
 سيأوي إليها المسلمون وإنَّها
 ألا فابعثوها من حمى البيت صيحة
 هنا البيعة الكبرى. هنا سيرُ أصلها
 هنا تشمخُ الرايات زخفاً مقدساً

عطَّاشٌ على أقيانه ونواضح
 مرايع أنس أقفرت ومسارح
 دلفنَ قصاراً والأمانى سوانح
 سحائبها إلا عليك شحائح
 تشهى الندى فيها الزمانُ المُسامح
 «ومسح بالركن اليمانيّ ماسح»
 وناف «ثبير» والهضاب الصَّحاصح
 سواء مماس حولها ومُصباح
 صحت في روايه النهى والقرائح
 وما أبصرت إلا عُيون صحائح
 لوافح إلا للهدى فنوافح
 مغاوير أما في العلا فبحاجح
 لجامعة في ظلها نتصافح
 فما عزَّ إلا من حمى البيت صائح
 هنا فضلها والحق أبلج واضح
 هنا تشرَّبُ العاديات الضوايح

...

إلى الحبيب الأعظم

رحمة الله هاكها تنشد الرحمة
نفسٌ شفيعُها أنت ذاتك
إنها رحمةٌ مُجسَّدة السر
بنورٍ مشكاته مشكاتك
إنها نفحةٌ تجلّى بها الله
وفاضت من فيضها نفحاتك
وصفاتٌ من باري الكون في
الكون على كُنْهِهِ تدلُّ صفاتك
سيدي سيد الأنام ولا فخر
نداءٌ به يلطُّ عُفَاتك
من قلوب توجَّهت بك لله
وحنماً مرضاته مرضاتك
مالها مالها سيوي حُسنِ ظنٍّ
وشَفِيعٍ يا سيدي أنت ذاتك
والرَّحَابُ المعطَّراتُ التي سِرَّتْ
عليها فأشْرَقَتْ خَطواتك
والذي ضَمَّ موطنَ السرِّ في السر
حياةٌ دلَّتْ عليها حياتك
والثَّرى نافسته فيك الثَّرى
حينما طَيَّبَ الثَّرى سَجْدَاتك
سيدي ضِيقَتْ بالذي أنت تذريره
فقلها تُشرقُ بها بَسَمَاتك
وقليلٌ من عفوه يَسعُ الكلُّ
وحسبي شفاعةً نظراتك
وصلاةُ الإله ما ذَكَرَ الله
وما أَشْرَقَتْ علينا هِباتك

مِرْغَمَةُ الزَّهْرَاءِ

بِرْغَمَةِ الزَّهْرَاءِ وَالْأَزْهَرِ وَفَرْحَةِ النَّيْرِ وَالْأَنْوَرِ
 رَقْرَقَتِ النُّورُ بِأَمْجَادِهِ سَلَسَلَهَا الْأَكْبَرُ لِلْأَصْغَرِ
 ثُمَّ انْجَلَتْ تَسْطَعُ فِي وَحْدَةٍ وَامْتَزَجَ الْأَصْغَرُ بِالْأَكْبَرِ
 أَبْصَرَهَا الْمُبْصِرُ فِيمَا يَرَى يَسْقِيهِ مِنْهَا شَذَى الْعَنْبَرِ
 عَقِيلَةُ الْأَغْلَاقِ فِي مَعْقِلِ حَصَّنَهُ سَيْفُ الْأَبِ الْقَسُورِ
 وَحَاطَهُ الْجَدُّ الَّذِي فِي السَّمَاءِ مِنْ جَدِّكَ الْمُتَدُّ فِي الْأَعْصَرِ
 فَعَظَّمَى مَا شِئْتَ مِنْ شَيْئِهِ وَمَجَّدي الْعُنْصَرُ بِالْعُنْصَرِ
 وَقَرَّبَى الْمُخْرُومَ مِنْ مَوْرِدِ مِنْ دُونِهِ الْكَوْثَرُ فِي الْكَوْثَرِ
 إِنْ الَّذِي أَعْطَى حُظُوظَ الْوَرَى قَدْ خَصَّكُمْ فِي الْحِظِّ بِالْجَوْهَرِ
 لَيْسَالِ الْمَجْذُوبِ مَحْبُوبِهِ وَيَعْلَقِي الْمُغْسِرُ بِالْمُوسِرِ
 قَالُوا حُرِّمْتُمْ زَائِلًا فَانِيًّا وَخُضَّتُمْوَا الْأَبْحَرَ بِالْأَبْحَرِ
 شَرِبْتُمْ الْكَأْسَ عَلَى قَسْوَةٍ وَأَكَلْتِ الضَّمْرَ بِالضَّمْرِ

فاعتَضَّمُ الخُلْدَ مقامَ العُلا
 وقالَ مَنْ تَدْرِين عِرفانَه
 وَصُنْتُمُ التاريخَ في الأَدْهَر
 باللهِ في المَظْهَر والمَخْبَر
 القادر العِثْرَةَ أَقْـسَدَـارها
 ولا يَـرى الفَضْلَ سِوَى أَهْلِه
 بِسِرِّه من سِرِّها الأَظْهَر
 ولا يَـرَى النورَ سِوَى الأَنُور
 وَلن تَـرَوُا مِنَّةَ ذِي مِنَّةٍ
 فَإِنَّها قاصِـمَةُ الأَظْهَر
 فَخَبَّأَ المَكْنُون من عِزِّه
 لِعِزَّةِ الموقِف للمُخْشَر
 للعالمِ الموصولِ في عالمٍ
 نائِي المَدَى عن عالمٍ أَحقَر
 تَعْرِفُه الأرواحُ في كِنِّها
 مَربوطَةُ الأَوَّلِ بالآخر

...

السلامة والسلام عليك يا رسول الله

سَيِّدَ الْكَائِنَاتِ فَخَرَ النَّبِيِّينَ سَلاماً مِنْ مُسْتَهَامٍ شَجِيٍّ
لَمْ أَشَأْهَا نَوَى طَوْتُنى عَلَى الْبَعْدِ قَصِيًّا وَلَمْ أَكُنْ بِالْقَصِيِّ
هِيَ سِرُّ الْإِلَهِ وَاللُّطْفِ وَالْخَيْرِ فَأَعْظَمَ بِلُطْفِهِ الْمَخْفِيَّ
هَا كَهَا وَالْحَنِينُ يَضُرِّمُهُ الشَّوْقُ حَنِيناً إِلَى الْمَقَامِ السَّنِيِّ
هِيَ مِنِّي تَحِيَّةُ الْأَمَلِ الظَّامِيِّ يَهْفُو إِلَى الشَّدَى النَّبَوِيِّ

• • •

دار الهوى

لي في رُبَاكِ الْخُضْرُ أَحْلَامٌ وَمِشَاقٌ وَعَهْدُ
 ذِكْرِي تُقَرِّبُهَا السَّنُو نَ فَيَسْتَوِي قُرْبٌ وَبُعْدُ
 الذِّكْرِيَّاتُ مَثَارُهَا فِي النَّفْسِ سَ آمَالٌ وَوَجْدُ
 شَوْقٌ تُهْدِيهِهُ الْمُنَى وَيُثِيرُهُ بَرْقٌ وَرَعْدُ
 وَهَوًى إِذَا هَتَفْتَ بِهِ وَرَقُ الْحَيِّ لَهَبٌ وَوَقْدُ
 يَا مَهْدَ أَحْلَامِي وَأَحْلَامِي لَدَيْكَ مُنَى وَسَعْدُ
 وَمَجَالَ آمَالِ الشَّبَابِ بَ وَمَالَهَا فِي الْقَلْبِ حَدُ
 لَمْ أَنْسَ وَالذِّكْرَى الْحَبِيبَةُ فِي الْجَوَانِحِ تَسْتَبِيدُ
 أَيَّامَ اسْتَبَقَ الْحَيَاةَ هَ وَرَوْضُهَا عِطْرٌ وَنَدُ
 أَقْضَى لُبَّانَاتِ الْفُؤَادِ دَ وَهَزْلُهَا فِي الْقَلْبِ جَدُ
 الشَّعْرُ يَخْطُرُ وَالْهَوَى وَالمُلْتَقَى جَزْرٌ وَمَدُ
 وَرِحَابُكَ الْفَيْحُ الْحَسَا نُ عَلَى رُبَاهَا الطَّيْرُ تَشْدُو
 وَظَبَاوُكُ الْعُقْرِ الْمَلَا حُ تَرُوحُ لَاهِيَةً وَتَغْدُو

نَضَوْا عَلَى عَهْدِ الْهَوَىٰ يُضْنِيهِ تَحَنُّانٌ وَسُهُدٌ
يَهْفُو بِهِ أَمَلٌ وَيَقَعُ لَهُ عَنِ الْأَمَالِ جَهْدٌ
لِلْمُسْلِمِينَ الْأَكْرَمِينَ هَوَىٰ بَرُوضِكَ يَسْتَجِدُّ
طَلَهُ ذَخِيرَتُهُ وَمَبْعَثُهُ وَوَزْدُ الْحَبِّ وَرَدٌ
مَجْدٌ إِرَادَتُهُ الْمَشِيَّةُ دُونَهُ فِي الْخُلْدِ مَجْدٌ
مَا إِنْ تَعَيْتُ بِهِ السُّنُونُ وَلَنْ يَصُولَ عَلَيْهِ حَدٌ

• • •

منزل الوحي

جَادَكَ الْغَيْثُ أَمَانًا وَسَلَامًا وَرِضًا سَمْحًا وَيُمْنًا وَابْتِسَامًا
 يَا دِيَارًا خَلِمَ الْغَيْثُ بِهَا يَتَحَرَّاهَا سَحَابًا وَغَمَامًا
 فَإِذَا مَا انْطَلَقْتَ أَضْوَاؤُهُ ذَابَ حَبًّا فِي مَغَانِيهَا وَهَامَا
 شَامَهَا بَارِقَةً مَمْطُورَةً شَمَهَا جَبْرِيلُ مِنْ قَبْلُ وَشَامَا
 الشَّدَى يَأْلِقُ مِنَ الْأَلْأَنَاهَا وَالسَّنَا يَنْضَحُ عِطْرًا وَخُزَامِي
 وَالذَّنَا تَسْبَحُ فِي أَفْلَاكِهَا تَعْبُرُ النُّورَ الَّذِي يُنْسِي الظَّلَامَا
 إِنَّهَا الْأَضْوَاءُ فِي دَارِ الْهُدَى بَهَرَتْهُ فَرَأَى السَّبْرُقَ جَهَامَا
 وَرَأَى الْقَطْرَ الَّذِي أَرْسَلَهُ فِي الرَّحَابِ الْبَيْضِ فِي السَّفْحِ ثُمَامَا
 عَادَ مَطْوِيًّا عَلَى أَعْجَازِهِ لَمْ يَطِقْ فِي زَحْمَةِ السَّرِّ مَقَامَا
 لَكَفَانَا أَنْ نَرَى أَطْيَافَهَا وَنَرَى فِيهَا لِبَازًا وَاعْتِصَامَا
 وَنَرَاهَا لَمَحَةً مِنْ قَبْسٍ يَغْمُرُ الْكَوْنَ جَنُوبًا وَشَامَا
 وَنَرَى الْآثَارَ مِنْ آثَارِهِ مَنْهَجًا حَرًّا وَجِبَا وَوَنَامَا
 وَدَعَاءَ وَابْتِهَالًا وَرِضَا وَاصْطِبَارًا وَصَلَاةَ وَصِيَامَا

إِنَّهُ الْحُبُّ إِذَا أَوْزَيْتَهُ بِاللَّظَى خَاضَ عِرَاكًا وَزِحَامَا
 فَإِذَا الْأَبْعَادُ مِنْ آمَادِهِ قَدْ طَوَاهَا الْقُرْبُ وَضَلَا وَانْسَجَامَا
 وَالْهَوَى الظَّامِي رِيٌّ وَمُنَى يُبْرِدُ اللَّهْفَةَ حَرَّى وَالْأَوَامَا
 رَبُّ قَوْمٍ هُجِرُوا وَاسْتَعْبِرُوا وَأَغْدُوا السَّيْرَ وَقَدًّا وَاضْطَرَامَا
 سَلَكُوا الدَّرَبَ طَوِيلًا وَالضَّنَى يُنْهِكُ الْجِسْمَ نُحُولًا وَسَقَامَا
 وَضِعَافٌ وَصِلُوا بِالْمُصْطَفَى حَيْثُ كَانَ الْوَصْلُ بِالْحُبِّ إِمَامَا
 الْمَعَانِي الْبَيْضُ مِنْ إِشْرَاقِهِ وَالسَّمَا حَاتُ أَمَانِي عِظَامَا
 وَالْبُطُولَاتُ الَّتِي قَدْ رَكَّزَتْ فِي السَّمَاءِ كَيْنَ مِنَ الْفَوْزِ حُسَامَا
 حَزَمُوا الْأَمْجَادَ حَتَّى اسْتَوْثَقَتْ حِينَ شَدُّوا فِي الْمِيَادِينِ الْحِزَامَا
 إِنَّهُمْ أَسَدُ الشَّرَى مَذْأَقْدَمُوا رَفَعُوا بِالنَّصْرِ تَيْجَانًا وَهَامَا
 الزُّخُوفُ الْحُمُسُ فِي سَاحِ الْوَعَى دَعَمَتْ جَيْشًا مِنَ الصَّدَقِ لُهُمَا
 مَثَلَتْ قَائِدَهَا فَاسْتَمَثَلَتْ وَانْقِيَادُ الْحُبِّ يَأْبَى أَنْ يُضَامَا
 كَيْفَ لَا تَأْمَنُ فِي أَعْطَافِهِ مِنْ عَوَادِي الدَّهْرِ غَدْرًا وَانْتِقَامَا
 كَيْفَ لَا تَفْرُحُ فِي سُلْطَانِهِ أَعْيُنٌ نَامَتْ بِقَلْبٍ لَنْ يَنَامَا
 دَوْلَةُ سُلْطَانِهَا الْحُبِّ وَمَا غَيْرُهُ يَضْمَنُ خُطْدًا وَكَوَامَا

لا تَرَوْعُ الْفَضْلَ لَا تُنْقِصَهُ لا ، وَلَا تُبْصِرُ فِي النُّقْصِ التَّمَامَا
 لَا تُخِيفُ الْحُرَّ فِي مَأْمَنِهِ لَا تَرَى الْحِلَّ عَلَى الشَّعْبِ حَرَامَا
 يَا أَبَا الزَّهْرَاءِ يَا خَيْرَ الْوَرَى نَفْحَةً تَوْقِظُ فِي الْكُونِ النَّيَامَا
 يَا أَبَا الزَّهْرَاءِ لَنْ أَسْطِيعَهَا زَفْرَةً فَحَّتْ لَهِيْبًا وَضِرَامَا
 قُصُرَتْ أَنْفَاسٌ مِنْ تَرْضَاهُمُو مِنْ كِرَامٍ وَسَعُوا مِثْلِي اللَّثَامَا
 قَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَاهُمْ طَيِّبًا سَمَحًا وَقَدِمْتُ أَثَامَا
 وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي وَجْدِهِمْ وَوَجَدْتُ النَّفْسَ نُقْصَانَا وَدَامَا
 رَحْمَةً اللَّهُ الَّتِي فَجَّرَهَا مِنْ مَعَانِيكَ أَجَاوِيدَ كِرَامَا
 مِثْلُوا الْخَيْرِ الَّذِي تَرْضَى بِهِ مِثْلَ مَا أَنْتَ ثِمَالٌ لِلْيَتَامَى
 وَرَعَوْا حَقًّا وَأَحْيَوْا أَنْفُسًا مِنْ ضِعَافٍ وَشُيُوخٍ وَأَيَامَى
 جَبَرُوا الْكَسْرَ وَحَدُّوا مِنْ أَذَى زَحْمَةَ الْفَقْرِ قُعُودًا وَقِيَامَا
 لَمْ يَجُودُوا رَغْبًا أَوْ رَهْبًا بَلْ رَعَوْا فِي اللَّهِ إِلَّا وَدَمَامَا
 كَمْ أَبَادٍ فِي النَّدَى مُرْدُودَةٍ وَكَلَامٍ لَيْتَهُ كَانَ كِلَامَا
 وَمَنَانًا أَنْ نَرَى فِي حُبِّهِمْ حُبَّكَ الصَّاحِي بَرْدًا وَسَلَامًا
 فَابْسُطِ الظِّلَّ عَلَيْهِمْ وَارْفًا لِيَكُونُوا بِكَ رَكْنًا وَدِعَامَا

وَهَبِ الرَّاجِينَ مَا يَرْجُونَهُ رَحْمَةً مِنْكَ وَحِظًا وَمَرَامًا
سَيِّدِي عَنِّي وَعَنْهُمْ مَعْشَرًا أَوْثَقْتَنَا عُرْوَةً تَأْبِي انْفِصَامًا
مَنْ تَحَايَا الْحَبَّ مِنْ أَغْرَاقِهِ لَهْفَةً حَرَّى وَأَشْوَاقًا جِسَامًا
لَمُصْلَاكَ إِلَى مِخْرَابِهِ لِرُبِّي سِلْعَ الَّذِي يَشْفِي السَّقَامَا
لِقُبَاكِ لِمَعَانِي أَحَدٍ سَفْحُهُ الْمُتَمَدُّ أَمْجَادًا عِظَامَا
لِلْعَقِيقِ الْحُلُوِّ مِنْ عَقِيَانِهِ رَفَرَقَ الْفَرَحَةَ شَهْدًا وَمُدَامَا
وَالْهَوَى الْعَذْرِيُّ فِي أَرْجَائِهِ طَالَمَا أَطْرَبَ فِي الْآيِكِ الْحَمَامَا
وَالنَّدَامَى وَالْخُزَامَى وَاللُّجَى ضَجَّةٌ تَمْزُجُ بِالنُّورِ الظَّلَامَا
جَحَدَتْ فَجْرًا وَعَافَتْ أَنْجُمَا تَرْقُبُ الْأَسْرَارَ نَجْوَى وَعُرَامَا
وَالْمَعَانِي ذَوْبَ الشُّعْرِ بِهَا سِحْرَهُ فَانْسَكَبَتْ جَامًا فَجَامَا
عَرَبَدَتْ بِالْفَنِّ نَهْبًا وَالِدُنَا تَنْطَوِي فِي نَفْسِهَا عَامًا فَعَامَا
مُعْبِدٌ فِي اللَّحْنِ مِنْ مَعْبِدِهَا وَغَرِيضٌ لَا تَسْلُ عَنْهُ الْخِيَامَا
إِنَّهَا صُورُهُ أَنْسٍ غَامِرٍ زَمْجَرَتْ بِالْحَبِّ عُنْفًا وَعُرَامَا
لَمْ تَكُنْ إِلَّا دَعَاءَ حَائِرَا لَمْ تَكُنْ إِلَّا صَلَاةَ وَسَلَامَا

التوبة الثانية

أَتُوبُ مِنْ التَّوْبَةِ الْخَائِفَةِ وَأَرْجُوكَ تَوْبَتَكَ الْعَاطِفَةَ
لَأَنَّ مَتَابِي إِلَيْكَ مُرِيبٌ مَتَابُ الْحَذُورِ مِنَ الْعَاصِفَةِ
وَجَرَّبَتْهَا يَا إِلَهَ السَّوَرِيِّ زَوَاجِرُ الشَّهْوَةِ الزَّاحِفَةِ
فَعِنْدَ اشْتِدَادِ الْكُرُوبِ الثَّقَالِ أَمِيلْ إِلَى التَّوْبَةِ الْخَاطِفَةِ
فَدْعَنِي أَنْبُ يَا إِلَهِي إِلَيْكَ مِنْ التَّوْبَةِ الْفَجَّةِ الْهَائِفَةِ

...

وَأَخْلَى الْمَتَابَ الَّذِي يُشْتَهَى مَتَابُ التَّعَبُّدِ فِي الطَّاعَةِ
كَمْ تَسْتَغْفِرُ فَرِحَ قَانِتٌ وَأَعْظَمَ بِهَا نَشْوَةُ الْقَانِتِ
دَعَاءُ هُوَ الذِّكْرُ تَجْرِي بِهِ قُلُوبٌ مِنَ الشَّوْقِ فِي زَحْمَةٍ
وَبِي حَالَةٍ غَامِضٌ أَمْرُهَا أَحْسُ بِهَا أَعَمَّقَ الذَّلَّةَ
غَدَاةَ أَقَارِفُ مَا لَا تُحِبُّ أُحَازِرُ ذِكْرَكَ مِنْ كَسْفَتِي
وَيَنْعَقِدُ الْقَلْبُ حَتَّى اللَّسَانُ وَأَغْرَقُ فِي أَلَمٍ صَامِتٍ
وَأَخْجَلُ مِنْ لَفْتَةٍ لِلْسَّمَاءِ لِأَسْتَغْفِرَ اللَّهَ مِنْ زَلَّتِي
وَتُثْقِلَنِي ظُلُمَاتُ الْمَعَاصِي عَنْ الْفَرَضِ فَضْلًا عَنِ السَّنَةِ
فَجَاوِزُ بِنَا الْعَدْلِ إِنَّا ضِعَافٌ وَسَعْنَا بِعَفْوِكَ وَالرَّحْمَةِ

أحلى ربيع

بِالَّذِي فِيكَ يَا سَمَاءُ أَطْلِي حَسْبُنَا يَوْمَ عَيْدِهِ أَنْ تُطْلِي
 إِنَّهُ أَنْتَ يَا سَمَاءُ وَسِرُّ الْمَجْدِ بَاقٍ فِي كُلِّ جُزْءٍ وَكُلِّ
 فَأَهْلِي بِالْخَيْرِ نُورًا لِعَيْنِيهِ وَقُولِي لِكُلِّ وَطْفَاءٍ هَلِّي
 وَابْسُئِي تَبَسُّمَ الْحَيَاةِ وَيَفْتَرُ دَجَاهَا عَنْ فَجْرِهِ الْمُخْضَلُ
 إِنَّهُ إِنَّهُ الرَّبِيعُ الْمَصْفَى نَاسِجَ النُّورِ مِنْ هُدًى وَتَجَلَّى
 بَاعِثَ الْحُبِّ قُوَّةً مِنْ قَوَى الْخَيْرِ تَلَاقَى فَرْعٌ عَلَيْهِ بِأَصْلِ
 نَتَرَجَّى رُبِيعَ مَوْلِدِهِ الْخُلُو وَمِيعَادَهُ بِفَرْحَةِ طِفْلِ
 نَتَحَرَّى ذَاكَ الضُّحَى الْأَبْيَضَ السَّمْحَ صَبَاحَ الْهَدَى السَّرِيِّ الْمُطْلِ
 الْعَيْنِ الظَّمَاىَ إِلَى وَرْدِهِ الْعَذْبِ تَرَانِيمُ حَالِمَاتٍ تُصَلِّي
 وَالصَّبَايَا عَلَى الصُّفَافِ الْمُطْلَاتِ ظِبَاءُ تَرِفُ رَفَّةً ظِلِ
 وَالْمَهَا الْعَيْنُ حَوْلَهُنَّ تَوَائِبِنَ وَطُولُ السَّرِيِّ يُمِرُّ وَيُحْلِي
 وَالتِّثَامُ الْكُرُوبُ فِي هَجْعَةِ اللَّيْلِ التَّنَامُ الْحَيَاةِ شَمْلًا بِشَمْلِ
 وَلِقَاءَ الْقُلُوبِ وَحَدَّاهَا الْخَطْبُ صَدَى نَوْرَتْ مَجَاهِلَ سُبُلِ

قد وهنَّا ولم نَهِنْ حُسْبُنَا الصَّخْوُ فما كَانَ ضَعْفُنَا ضَعْفَ دُلْ
 نَتَحَدَّى وَلَا يَطِيقُ التَّحَدَّى غَيْرُ مُسْتَعِصِمٍ بِأَوْثَقِ حَبْلِ
 نَتَحَدَّى عُنَاصِرَ الشَّرِّ زَحَافًا عَلَى أَرْضِنَا بِخَيْلٍ وَرَجُلٍ
 نَتَحَدَّى قَدَائِفَ الْوَبْلِ تَنْصَبُ انْصِبَابِ الشَّوَاظِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي
 إِنَّهُ الشَّوْقُ يَا سَمَاءَ إِلَى الْغَيْثِ فَوْقِيهِ وَاكِفًا غَيْرَ ضَحْلٍ
 ابْعَثِيهِ هَدِيَّةَ الْمَوْلِدِ الْأَسْمَى فَطَهَ يُهْدِي الْجَمِيلَ وَيُوَلِّي
 وَابِلًا هَادِرَ الشُّعَاعِ كَمَا أَهْدَاهُ مِنْ قَبْلُ وَابِلًا غَيْرَ طَلٍّ
 وَابْعَثِيهِ سَخِيَّةَ فَابُّو الزَّهْرَاءِ خِصْبُ فِي كُلِّ حَزْنٍ وَسَهْلٍ
 نَحْنُ أَهْلُوهُ وَهُوَ مِنْ قَبْلُ أَوْصَى خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِرَبْعٍ وَأَهْلٍ
 إِلَيْهِ رَبِّ السَّمَاءِ شَفَّعَهُ هَلْ غَيْرَ حَبِيبِ السَّمَاءِ أَرْضَى لِسُؤْلِ
 قَدَلَوْنَا الْحَيَاةَ مُذْ صَرَحَ الشَّرُّ فَعِشْنَا أَنْضَاءَ لِيٍّ وَمَطْلٍ
 وَشَرِبْنَا عَلَى الْقَدَى وَشَرَابُ الْهِيمِ^(١) أَوْدَى^(٢) بِكُلِّ قَلْبٍ وَعَقْلٍ
 وَرَكَّضْنَا إِلَى الْبَلَاءِ وَمَا زَالِ جَحِيمًا يَكْوِي النُّفُوسَ وَيُضْلِي
 وَاسْتَرْحْنَا بِلَادَةَ وَغَبَاءِ لِهَوَى النَّفْسِ وَالضَّلَالِ الْمُضِلِ
 وَانْتَشَيْنَا بِالرَّاحِ دَارَ بِهَا الْوَاعِلِ فِي عَرْضِنَا يَغْيٍ وَجَهْلٍ

(١) الْهِيمُ : الْإِبِلُ الْعَطَاشُ .

(٢) أَوْدَى : أَهْلَكَ .

ورقضنا على الأنين فعُدنا
ونسينا تلك العِراقَةَ أَخْلَيْنَا
وشغلنا عن النَّضالِ عن الخَيْرِ
ومشينا في رُكْبٍ مَن جَانَفَ الْقَصْدِ
واستَبَحْنَا نفوسَنَا فاستراحَتِ
أَيُّ حُبٍّ فِي الكونِ ما شَغَعَتْهُ
فإِذَا هَامَ بِالرَّبِيعِ أناسُ
وَإِذَا أَغْفَتِ الطَّبِيعَةُ نَشْوَى
وَجَرَى فِي اللُّحَاءِ مِنْ خَالِصٍ
وَتَنَاجَتِ حَمَائِمُ الْأَيْكَ تَنَسَّابُ
وَتَلَاقَى الْأَصِيلُ بِالشَّفَقِ الْقَانِي
كَرْحِيقِ الْحَنَانِ كَالْدَفءِ كَالْبُرءِ
فَهِىَ إِشْرَاقَةُ الرَّبِيعِ السَّمَائِي
فِي الْجَمَالِ الصَّاحِي الْكَبِيرِ تَهْدَاهُ
المَغَانِي بَيَّانُهُ وَالْمَثَانِي
كَصِغَارٍ تَهْفُو لِزَمَرٍ وَطَبَلٍ
ذَرَاهَا لِكُلِّ أَهْوَجٍ نَغْلٍ
وهِمْنًا فِي حُبٍّ نَعْمَ « وَجُمْلَ »
عُتْلٌ يَقُولُ فِينَا وَيُمْلِي
لِهَوَى كَاسِرٍ وَعُجْبٍ وَبُخْلِ
شَمْسٌ طَه فِي صَخَوِهَا الْمُشْتَعِلِ
ثُمَّ عَبُّوا عَيْبَ نَهْلٍ وَعَلَّ
بَيْنَ أَحْضَانِ يَاسَمِينٍ وَفُلٍ
الْمُزْنَ رُوءَاءُ كَالْعَسَجَدِ الْمُنْحَلِ
حَنِينًا فِي عُنْفُوانٍ وَدَلٍ
شَعَاءَ يَمُوجُ فِي غُصْنٍ نَخْلٍ
كَخِضْبِ الْحَيَاةِ مِنْ بَعْدِ مَخْلٍ
تَجَلَّتْ فِي سِرٍّ بَعْدٍ وَقَبْلٍ
جَلالِ بَادِ الْمُحَجَّةِ رَسْلٍ
عَطِرَاتِ أَلَا لِنَفْحِهِ الْمُنْهَلِ

لَا تَغِبْ يَا رَبِّيعُ بِالرُّوحِ نَفْحًا فَلَوْ الْفَضْلُ لَا يَضِنُّ بِفَضْلٍ
 لَا تَغِبْ يَا رَبِّيعُ إِنَّا إِذَا غَبْتُ حَيَارَى مَا بَيْنَ فَضْلٍ وَوَضْلٍ
 لَا تَغِبْ يَا رَبِّيعُ إِنَّا إِذَا غَبْتُ يَتَامَى كَأَنَّا صَمْتُ لَيْلٍ
 مَرْقَتَنَا الْأَحْدَاثُ تَمْزِيقُ أَشْلَاءِ تَهَاوَتْ مَا بَيْنَ عُدْمٍ وَتُكُلٍ
 كُنْ رَبِّيعَ الْقُلُوبِ يَا مَوْلِدَ الْخَيْرِ وَبَارِكْ صِدْقَ الْحَدِيثِ بِفِعْلٍ
 كَمْ تَسْنِيْتُ أَنْ أَكُونَ كَمَا أَهْوَى بِرُوحِي غَرْيْدَ أَعْظَمِ حَفْلٍ
 غَيْرَ أَنْ الْمَقَامَ أَسْمَى لَعَمْرُ الْحَقِّ مِنْ فَاقْبَلْهُ جُهْدَ مِقْلٍ
 لَمْ أَرِدْهَا تَهَانِيًّا بَلْ صَلَاةً وَسَلَامًا فَذَلِكَ أَحْرَى بِمِثْلِي
 فَاقْدِ الرُّشْدَ طَالَعَ الْخَطُوبُ آثَامِي كِبَارُ فِي كُلِّ مَوْطِئٍ رِجْلٍ
 قَعَدْتُ بِي الدُّنُوبَ حَتَّى إِذَا مَا صِرْتُ ظِلًّا لِهَيْكَلِ مُضْمَحِلٍ
 نَازَعْتَنِي إِلَى الرَّحَابِ الْكَرِيمَاتِ رَجَاوِي شَيْخٍ وَلَوْثَةُ كَهْلٍ
 غَيْرَ أَنِّي وَقَدْ تَوَلَّى زَمَانِي حَائِزٌ حَيْرَةَ الزَّمَانِ الْمُؤَلَّى
 فَأَنَا الْيَوْمَ عِنْدَ بَابِكَ يَا رَبِّ بَرِيثًا مِنْ كُلِّ حَوْلٍ وَطَوَّلٍ
 سَابِحًا فِي الْعُبَابِ أَجَارُ مَنْ لِي . يَا إِلَهَ السَّمَاءِ غَيْرَكَ مَنْ لِي

ها هنا الملتقى

ها هنا المُلْتَقَى وَثَمَّ الْمَأْتِ لَيْسَ فِي هَذِهِ الرَّحَابِ اغْتِرَابُ
هَـا هُنَا الْوَحْدَةُ الَّتِي فَرَضَ اللَّهُ وَمِثَاقُهَا الْهُدَى وَالْكِتَابُ
هَدَفٌ وَاحِدٌ وَظِلٌّ ظَلِيلٌ لَا افْتِرَاقٌ لَا ضِدَّةٌ لَا كِذَابُ
لَا طُقُوسٌ وَلَا مَرَاسِيمُ رَعْنَاءٌ وَلَا جَنُوقَةٌ وَلَا أَرْبَابُ
فَدَعُوا لِلنَّفُوسِ فِطْرَتَهَا الْأُولَى فَقَدْ فُتِّحَتْ لَهَا الْأَبْوَابُ
فِي السَّمَاءِ السَّمَاءِ حَارِسُهَا الْأَعْظَمُ لَا تَسْتَرِيبُ . لَا تُسْتَرَابُ
صَانَهَا الْمَنْطِقُ الْحَضَارِيُّ بِالْإِيمَانِ لَا رَاهِبٌ وَلَا إِرْهَابُ
أُطْلِقُوا هَذِهِ الرَّحَابَ فَمَا فَوْقَ عُلَاهَا عَلَى الْأَدِيمِ رِحَابُ
نَبْعِهَا يَلْفِظُ الْقَدَى وَسَنَاها عِبْقَرِيَّ النَّهَارِ . غَضُّ شَبَابِ
وَالسَّحَابُ السَّحَابُ رِيُّ هَوَاهَا وَحُدَاهَا وَهُوَ فِي سِوَاهَا خِلَابُ
وَالْهُدَى اشْتَاقُهَا فَأَسْكَنَهُ اللَّهُ رَبَّاهَا وَلِلطَّلَابِ طِلَابُ
شُعْلَةٌ سَهْلَةٌ الرُّوَافِدُ لَا تَنْفَكُ مُشْدُودَةٌ إِلَيْهَا الرُّغَابُ
وَالرِّيَادَاتُ وَالْقِيَادَاتُ فِي الْآفَاقِ مَوْصُولَةٌ بِهَا الْأَسْبَابُ
وَالْقَرَابِينُ وَالضَّحَايَا لِمَنْ ذَلَّتْ لَهُ وَحْدَهُ النَّهْيُ وَالرَّقَابُ
آمَنْتُ وَالْيَقِينُ أَبْلَجُ لَا تَسْطَعُ إِلَّا بِنُورِهِ الْأَلْبَابُ

...

مَوْكِبُ الرُّوحِ لَا تَحُدُّ مَرَامِيهِ حُدُودٌ إِنَّ الْحُدُودَ سَرَابٌ
 مَوْكِبُ الرُّوحِ شَأْوُهُ فَوْقَ مَا تُلْمَحُ تِلْكَ الذَّرَى وَتِلْكَ الْقِبَابُ
 الرُّوَاسِي دِعَامُهُ وَالْأَوَاذِي مُلْتَقَاهُ وَالْآصْرَاتُ عُبابُ
 وَالْهَدِيرُ الْجَبَّارُ زَمْجَرَةُ الْإِيمَانِ مَا جَتْ فِي دَفْقِهِ الْأَصْلَابُ
 وَالشَّدَى مِنْ كَيَانِهَا صَمَخَ الْكَوْنِ فَمَا مِثْلُهُ شَدَى . أَوْ . مَلَابُ
 شَائِعُ النَّفْحِ لَا الْكُهُوفُ تَوَارَتْ عَنْ سَنَاهُ وَلَا تَنَاءَتْ . . شِعَابُ

• • •

هَا هَنَا هَا هَنَا تُؤَفَّى الْمَوَازِينُ كَمَا تَمُّ بِالْكَمَالِ نِصَابُ
 هَا هَنَا تَسْطَعُ الْحَقِيقَةُ لَا يَغْبُثُ فِي ضَوْئِهَا الْعَظِيمُ ضَبَابُ
 هَا هَنَا يَنْطَقُ الْوُجُودُ فَلَا يَحْجُبُ أَسْرَارَهُ الْكِبَارَ حَجَابُ
 إِنَّهَا إِنَّهَا تَعَالِيهِ الْأُولَى وَأَحْقَابُهَا هِيَ الْأَحْقَابُ
 لَمْ تَضِقْ بِالنَّفُوسِ لَكِنَّ نَفُوسَ النَّاسِ ضَاقَتْ فَمَسَّهَا الْإِجْدَابُ
 وَاخْضَرَارُ الْقُلُوبِ كَالشَّمْسِ لَا يَغْبُثُ إِلَّا بِدِفْئِهَا الْإِخْصَابُ

• • •

خَابَ مَنْ يَرْبِطُ الْمَهَازِلَ بِالْدِّينِ فَزَيْفٌ طَلَاؤُهَا . وَخِصَابُ
 وَالصَّفَاءُ الصَّفَاءُ لَا يَلِدُ الرَّنَقَ وَلَا تَسْتَفِيزُهُ الْأَوْشَابُ
 لَا يَضُرُّ الْأَجَامَ فِي الْغَابِ إِذْ تَعْوِي ذِتَابُ أَوْ أَنْ تَهْرِ كِلَابُ
 هَا هَنَا الْمُلتَقَى صَعِيدٌ طَهُورٌ تَتَلَقَى فِي ظِلِّهِ الْآرَابُ

وقلوبُ كَأَنَّهَا أَلْقَى الْمُزْنَ تَسَاوَى شَهْوُهَا وَالْغِيَابُ
 وَحَدَّثَهَا جَوَامِعُ الْكَلِمِ الطَّبِّبُ بَارَى إِيجَازَهَا الْإِطْنَابُ
 فَالْتَّعَالِيمُ فِي مَهَابِطِ وَخِي اللَّهِ عَذْلٌ وَحِكْمَةٌ وَصَوَابُ
 وَالْهُدَاةُ الْهُدَاةُ آطَامُهُ الْكُبْرَى يُدَوِّي بِهَا الدُّعَاءُ الْمُجَابُ
 لَا دُعَاةٌ تَهْزُهُمْ عَنَعَاتٌ قِيلَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ أَقْطَابُ
 إِنْ أَقْطَابُنَا الدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ فَلَا طَامِيعٌ وَلَا نَهَّابُ
 لَمْ يَدُمُ فِي رُبُوعِنَا الْفِيحِ دَجَالٌ وَلَا خَادِعٌ وَلَا نَصَابُ
 قَدْ تَهَاوَتْ أَصْنَامُ مَكَّةَ لَمْ تَحْمِ حِمَاها الْأَزْلَامُ وَالْأَنْصَابُ
 يَا ضِيُوفَ الْبَيْتِ الَّذِي فِي مَغَانِيهِ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ وَمَثَابُ
 مِنْ هُنَا جَدُّوهُ الْعَهْدُ فَعَهْدُ الْحَبِّ طَبْعٌ لَا خَلْسَةٌ وَاغْتِصَابُ
 بَايَعُوا اللَّهَ مِنْ جَدِيدٍ كَمَا بَايَعَ فِي عَهْدِ أَحْمَدِ الْأَصْحَابُ
 وَاحْزَبُوا أَمْرَكُمْ وَثِيقًا فَحَزَبُ اللَّهِ تَفَنَّى مِنْ دُونِهِ الْأَحْزَابُ
 إِنَّا صَوَّبَ قِبْلَةً تَسَاوَى فِي حِمَاها الْأَعْجَامُ وَالْأَعْرَابُ
 وَطَنَ الْمُسْلِمِينَ شَرْقًا وَغَرْبًا لَيْسَ فِي مَوْطِنِ الْهُدَى أَغْرَابُ

يَا ضِيُوفَ الْبَيْتِ الَّذِي فِي مَغَانِيهِ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ وَمَثَابُ
 إِنْ فَوْقَ الْإِحْسَاسِ بِالْحَبِّ إِحْسَاسًا عَمِيقًا هُوَ الْيَقِينُ الْعُجَابُ
 كَيْفَ لَا تَسْطَعُ الْقُلُوبُ وَفِي الْمَوَكِبِ طَهٌ وَلِلْأَحْيَا اصْطِخَابُ

وَالْمُكْبُونُ فِي ذُرِّي عِرْفَاتٍ بَارَكْتَهُمْ وَذِيَانُهَا وَالشُّعَابُ
وَتَحَرَّتْهُمْو الملائكُ أَسْرَابًا تَبَارَتْ فِي شَوْقِهَا أَسْرَابُ
يَا لِهَذَا الرُّكَّابِ سَالَتْ بِهَا الْبَطْحَاءُ زَهْوًا هَلْ مِثْلُكُنْ رِكَابُ
لَمْ يُخَامِرْنِي ارْتِيَابُ بَأَنَّ اللَّهَ مَعَنَا وَالْإِبْتِهَالُ مُجَابُ
نَحْنُ فِي سَاحِ قَبْضَةٍ نَتَحَرَّى كَيْفَ نُثْنِي أَعْطَافَنَا وَنَهَابُ
كَيْفَ لَا نَقْبِضُ الزَّمَامُ وَنَسْتَنْجِزُ وَعْدًا قَدْ طَالَ فِيهِ ارْتِقَابُ
إِنْ مَضَى الْعَمْرُ دُونَ قَطْفِ جَنَاهِ سَوْفَ يَجْنِي ثِمَارَهُ الْأَعْقَابُ
فَالظَّلَامُ الظَّلَامُ طَالَ دُجَاهُ وَتَوَالَتْ بَعْدَ الصَّعَابِ صِعَابُ
وَعْدَاةُ الْإِسْلَامِ قَدْ وَسَّعُوا الْخَرْقَ وَغَرَّتْهُمْو الْبُرُوقُ الْكَذَّابُ
وَوَغَرَّتْهُمْ مِنْ الضَّلَالِ أَبَاطِيلُ فَسَارُوا كَمَا يَسِيرُ الْغَرَابُ
إِنَّهَا رَايَةُ الضَّلَالِ تَغَشَّتْهُمْ ظِلَامًا وَطَعُمُهَا الْأَلْقَابُ
إِنَّهُمْ فِي الْبَلَاءِ أَعْدَى وَأَنْكَى إِنَّهُمْ لِلضَّرَارِ طُفْرٌ وَنَابُ

* * *

إِيهِ رَبُّ الْحَجِيجِ قَدْ مَسَّنَا الضَّرُّ وَمَسَتْ شِغَافَنَا الْأَوْصَابُ
كُلُّ يَوْمٍ فِي الْمُسْلِمِينَ نَشَازٌ رَجَعَتْ لِحْنُهُ السَّنُونَ الْغِصَابُ
وَجَرَتْ فِي الدَّمَاءِ مِنْ دَمِ سَاقِيهِ زُعَافٌ يَفْرِي الْكُبُودَ وَصَابُ
فَهَبِ الْمُخْرِمِينَ شُعْنًا لَأَعْتَابِكَ رَحْمِي فَإِنَّكَ الْوَهَّابُ
مَا خَلَّتْ أُمَّةٌ النَّبِيَّ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا زَالَ فِيهِمْو الْأَنْجَابُ
عَلَّ فِي الْحَجِّ نُخْبَةً قَدْ تَقَبَّلَتْ دُعَاهُمْ فَيَشْفَعُ الْأَنْخَابُ

* * * *

يا إِلَهَ الْحَجِيجِ نَفَحًا فَإِنَّا فِي طَيْنٍ كَمَا يَطْنُ الذُّبَابُ
فَوْقَ هَذَا الثَّرَى مَشَى صَحْبُ طَهْ خَلْفَهُ وَالْهَدَى عَلَيْهِمْ قِبَابُ
فَأَضَاءُوا كَمَا أَضَاءَ الشَّهَابُ وَتَهَادَوْا كَمَا تَهَادَى السَّحَابُ
أَيُّ تَبَرٍّ هَذَا التُّرَابُ الَّذِي سَارُوا عَلَيْهِ إِذَا مَا تَحْدَى التُّرَابُ
وَإِذَا فَاتَنَّا أَدْكَارَ الْمَوَاضِي فِي وَغَاهُمْ فَالْقَوْسُ وَالنَّشَابُ
إِنَّهُ رَمَزُ قُوَّةٍ وَالْيَقِينُ الْحَقُّ فِي الْحَرْبِ زَادُهُمُ وَالشَّرَابُ
وَسِلَاحُ الْإِيمَانِ أَمْضَى فَمَا تَقْوَى عَلَى فَلَهُ الْقِنَا وَالْحِرَابُ

* * *

إِيهِ رَبِّ الْحَجِيجِ سِعْنَا بِرُحْمَاكَ وَمِنْ رَحْمَةِ الْكَرِيمِ الْحِسَابُ
يَا إِلَهَ الْحَجِيجِ صَالِ الْبُعَاثِ النَّذْلُ فِينَا لَمَّا جَفَّانَا الْعُقَابُ
وَرَضِينَا الْهَوَانَ وَالْمُؤْمِنَ الْحُرَّ عَيُوفٌ فَهَلْ دَهَانَا الْمُصَابُ
يَا إِلَهَ الْحَجِيجِ جَاءُوا : بِإِفْكِ لَمْ يُنْزَلَ بِهِ عَلَيْنَا كِتَابُ
أَدْعُوهَا حُضَارَةً وَعَمَارًا وَهِيَ فِي الْحَقِّ فِتْنَةٌ وَخَرَابُ
وَرَمُّوا بِالْجُمُودِ مَنْ لَمْ يُزَعِّزْهُ انْحِرَافٌ أَوْ يَعْتَرِيهِ اضْطِرَابُ
وَتَغَالَوْا فَأَنْكَرُوا جِهَارًا وَاسْتَبَاحُوا مَا تَسْتَبِيحُ الدُّوَابُ
إِنَّهُمْ بِاطِلٌ يَسْزُولُ وَيَبْقَى وَجْهُكَ الْحَقُّ وَالْهُدَى وَالصَّوَابُ

* * *

يا إله الحجيح عَوْنًا يُؤَلِّفُنَا بما لَمْ تُؤَلِّفِ الْأَنْسَابَ
كل من نازَعَتْهُ للحكم نَفْسٌ فالْمُقَاتِيحُ ثَوْرَةٌ وانْقِلَابُ
والضَّحَايا غَنَائِمٌ والقَرَابِين لَعْمَرِي هَاتِيكُمُوهَا الْأَسْلَابَ

* * *

يا إله الحجيح إِنَّ عَجَزَ القول وحيدا هل يَعْجِزُ القَرْضَابُ
رُبَّ حَرْبٍ يُوُوبُ بِالسَّلَمِ والغُنْمِ وسِلْمٍ على الخُنُوعِ عَذَابُ
يا إله الحجيح إِنَّا على الباب وَقُوفٌ ولن يَضِيقَ البابُ
فَأَلْطَى يا أمة الخير بالنَّجْوَى دعَاءٌ وَلِيَضْرَعَ الْأَحْبَابُ
إِنْ أَسْلَفْنَا الْأَلَى رَفَعُوا الرَّأْيَةَ بالحب قَبْلُنَا ما خَابُوا
والمُتَلَبُّونَ أَقْرَبُ النَّاسِ لِلرَّحْمَى وما يُخْطِئُ القلوبَ الجوابُ
لا تقولوا جَلَّ المَصَابِ فَلَطَفُ الله أَرْجَاهُ إِذْ يَجِلُّ المَصَابُ

* * *

وصلاةً على الحَبِيبِ الذي حَنَّتْ حَيْنَا لَهُ الجُدُوعُ الرُّطَابُ
والذي سَبَحَ الحصى والترَابُ في يَدَيْهِ كَأَنَّهُ التُّرْحَابُ
ثم غَنَّتْ شَوْقًا إِلَيْهِ الرَّبَابُ فَشَجَاهُ حَيْنُهَا الْمُتَسَابُ
وَبَنَاتُ النَّجَارِ لَحْنٌ جَمِيلًا هَذَهْدَتَهُ أَرْوَاحُهُنَّ الْعِذَابُ
أَبْشِرُوا إِنَّكُمْ طَلَانَعُ نَفْعٍ طَابَ فِيهَا السَّرَى وطابَ الْإِيَابُ

* * *

من وحى الذكرى الخالدة

يا مَنْ رَأَى مَجْدَ السَّمَاءِ وَنُورَهُ
ورَأَى الكواكِبَ والبُذُورَ تَأَلَّقَتْ
فالرَّحمةَ الكُبرى تُغَرِّدُ فى يدِ
وإذا العوالمُ غَايَةً ووسيلةً
فَرَوَى الخَلَائِقَ للخَلَائِقِ مَشْهُداً
وتَطَاوَلَتْ أَفلاكُهَا وتَسَامَقَتْ
والحَالِمُونَ على السَّحابِ تَنَدَّرُوا
وهَفَّتْ ملائكةُ السماءِ وشَاقَهَا . .
وسَرَّتْ على الأَكْوانِ فى غَسَقِ الدُّجَى
وتعانقت أرواحُهَا وتَخَاصَرَتْ
واستَبَشَرَتْ حَتَّى الأَجِنَّةُ أَفْصَحَتْ

مُزْنَا تَضَاحَكُ فى أُسْرَةِ أَحْمَدَ
بجَبِينِهِ المُتَشَعِّشِ المَتَوَقِّدُ
وَنُبُوءَةُ الأَمْجادِ تَسْطَعُ فى يَدِ
مَوْصُولَتَانِ بِمَجْدِهِ المُتَجَدِّدُ
عَجَبًا تَعْلُقُ يَوْمُهُ بِضُحَى الغَدِ
واهْتَزَّ سَامِرُهَا لِبُشْرَى المَوْلَدِ
فَلَقَا يَشْعُ بِسُنْدُسٍ وَزَبَرْجَدِ
مَا شَاقَ كُلَّ مُسْبِحٍ وَمُغْرَدٍ . .
نَسَمَاتُ فَجْرِ عِبْقَرِيٍّ سَرْمَدِ
آمالُهَا فى رَحْمَةِ وَتَوَدُّدِ
عنها وَجُوهُ الغَانِيَاتِ الخُرَدِ

* * *

يا مَنْ رَأَى سِرَّ الوجودِ كَأَنَّهُ
اللهُ فى الرُّوحِ الأَمِينِ مَشَى بها
اللهُ فى إِيْمَانِهِ وَأَمَانِهِ

شَمْسٌ تَرْنَحُ فى غِلَالَةٍ عَسَجَدِ
فى ذَاتِهِ : لِتَكُونَ ذَاتُ مُحَمَّدِ
اللهُ فى إِبْدَاعِهِ المَتَفَرِّدِ

الله في أخلاقه مَنْفُوحَةٌ بِشَدَى من القرآن حُلُو المورِدِ
 طَابَتْ بها في الخلد كل أرومةٍ كَرَم النُّجَار على كريم المحتدِ
 وترعرعت في المشرقين حَمَائِلُ رُوِيَتْ بمجد في الزَّمان مُخَلَّدُ
 واستأثر الوجد المِلْحُ بأنفس لَهْفَى تحيط بِرَكْبِهِ المتوجدِ
 نضاجة القَسَمَات تهتِفُ بالمُنَى عَظُمَتْ ففَاضَ بِهَا هَوَى المُتَزَيِّدِ
 زَفَتْ إليه الحب مِلءَ جوانح مَوَارِدَ بِلُجَيْنِهَا المَتَوَرِّدِ
 سَكَبَتْ عليه الراح من نشواتها أَلِيقُ الضُّحَى في السَّهْرِ الأَمَلَدِ
 وترفقت بالطيف في سُبُحاتِهَا فَإِذَا الخَيَالُ حَقِيقَةٌ في الموعِدِ
 وإذا صَحَا أَمَلُ القلوب على النُّهى بَلَغَ المَدَى في أَوَجِّهِ المَتَمَرِّدِ
 وشأى السَّمَاءُ كَأَنَّ في آفاقِهِ هَدَفَا : تَمَثَّلَ في : أَوَابِدَ شُرْدِ
 هدفُ العِظَائِمِ في العَظِيمِ رِسالَةٌ هَانَ الفِدَاءُ بِهَا وَعَزَّ المِفْتَدي
 ومضى بها نُورُ اليَقِينِ يَصُونُهَا هَادِ أَمِينٌ لَا يَضِيقُ بِمُهْتَدِي
 بِالْحِكْمَةِ المِثْلَى سِلَاحُ جِهَادِهِ لَا بِاللَّجَاجِ وَلَا بِحَدِّ مُهْنَدِ
 بالحب عَاطَفَ بَيْنَهُمْ في مَشْرِعِ صَفَوْا يروح على الوِدَادِ وَيَعْتَدِي
 وَهَبَ الحَيَاةَ عَزِيزَةً وَسَرَى بِهَا مَسَرَى الجَدَاوِلِ في الظَّلَالِ المُبْدِ

تَصِلُ الوَشَائِحُ بِالوَشَائِحِ فِي هَوَى
وَعَلَى الْمَوَاقِبِ لِلْمَشَاعِلِ فَرَحُهُ
لَا تَسْتَفِيْقُ مِنَ السَّلَافِ : حَلَالُهُ
كُلُّ الرَّوَائِعِ مِنْ مَنَاهِلِ كَفِّهِ
وخصَائصِ وَسِعِ الزَّمَانُ حِبَاؤُهَا
وَمُنَى الْكَرِيمِ : كَرَامَةٌ يَسْمُو بِهَا
مَا كَانَ دَيْنُ مُحَمَّدٍ شَكْلًا وَلَا
لَكِنَّهُ الْإِنْسَانُ فِي أَبْعَادِهِ
فِي كَنْزِهِ الْمَذْخُورِ غَيْرَ مُهْدَرٍ
فِيْمَا يَشِفُّ لَهُ الْوُلَاءُ مُمَحَضًا
فِي الْآصِرَاتِ تَجَمَّعَتْ وَتَأَلَّفَتْ
لِلْمَوْطِنِ الْأَسْنَى عَقِيْدَةً وَامِقٍ
وَحْيِ الْعَقِيْدَةِ فِي مَهَابِطٍ وَخِيْهَا
مُتَنَفِّسًا لِهَوَى الشَّبَابِ وَعَهْدِهِ
لَيْسَتْ سِوَاهُ حَقِيْقَةٍ فِي صُورَةٍ
لَيْسَتْ سِوَى الْحُبِّ الْأَصِيلِ مُجَرَّدًا
سَمَحٍ كَمَنْغُومِ اللَّقَاءِ مُهْدَدٍ
تَجْلُو الْمَبَاهِجَ مَشْهُدًا فِي مَشْهَدٍ
أَبْهَى وَأَمْتَعُ مِنْ سَلَافِ مُعْرِيدٍ
دَفَقَ حَكَاهُ مَتَهُمْ عَنْ مُنْجِدٍ . .
حَطَمَتْ سُدُودُ مُقَيَّدٍ وَمُحَدِّدٍ
إِنْسَانَهَا عَنْ حَيْرَةِ الْمُسْتَرْفِدِ
رَسْمًا تَضَاءُ لَهُ شُمُوعُ الْمَعْبُدِ
فِي مَجْدٍ مَعْنَاهُ السَّرِيَّ الْأَبْعَدِ
فِي رُوحِهِ الرَّقَافِ غَيْرِ مُصَفَّدِ
لَا فَرْقَ بَيْنَ مَسُودِهِ وَالسَّيِّدِ
فِي الْأُمْنِيَّاتِ عَلَى السَّرَى الْمُتَوَجِّدِ
فِي مَوْقِفِ جَمِّ الْفَخَارِ مُؤَيَّدٍ . .
مِنْ بَيْتِهِ الْمَعْمُورِ حَتَّى الْمَسْجِدِ
وَمَدَارِجِ الْأَحْلَامِ مَرَّتْ فِي «دَدِ»
مَشْدُودَةٍ لِكَيَانِهِ الْمُتَوَطَّدِ
لِلْمُصْطَفَى فِي الْمَوْقِفِ الْمُتَجَرَّدِ

حُبُّ اليقين تدافعت أمواجه
 نديُّ البراعم والأزاهرِ والسنا
 وسقى العهود الواليات لعنده
 فصحت على صحو الربيع حدائق
 ومشى بها التاريخ يغسل نوره
 ويجول في الأعماق يزرع سره
 حتى استراح الخافقان لراية
 عاشت على الداء الدفين حماقة
 بالمكر تنفث سُمها وتريشه
 حتى تكسرت النصال ولم تزل
 محروقة القسمات أجفل «طعمها»
 ومضت تنوح على الرعان هزيلة
 واسترجعت مقرورة: في رأسها
 لرحاية الفيح الملاء رجاحة
 لعدالة كونيّة شفافة ..
 لحضارة معروقة مبهوره
 لا حُبَّ مضطرب الحشا مُتردد
 والظل في صُبح أغر منصد
 عذبا صراحاً منه غير مُصرّد
 أحداقها من حرقة وتنهّد
 بُقيا أثام في ضلالة معتد
 بين القفار الجرد: بين الفقد
 بيضاء: إلّا طغمة من حُسد
 موروثه في خايل أو: قُعد
 سهما يلوك ضغينة المتلدّد
 تندس في اللهب القمى الأسود
 من صيدها في خيبة وتبلّد
 كالبسمة الصفراء في المتجلّد
 أمل إلى الرجعى لنهج محمد
 للشوكة العظمى التي لم تُخصد
 إبداعها في المسلك المتعبد
 فتحت مغالق كلِّ بابٍ موصد

بالفتح جَلَجَلَ في السماء دويّه
 كالرَّعد بين مُصَوَّب ومُصْعَد
 للأُمس للتاريخ في أَجْيَالِه
 لِيَغْدِ لِعَهْدٍ قادم لم يَبْعُد
 للحق تُشرق من جديد شمسُه
 بِمُحمد في عِزٍّ أَوْجِ محمد
 وَلَيَأْفَلَن : الغرب بعد شُرُوقه
 وَيَعُودُن ما ليس بِالْمُتَعَوِّد
 « أَزِفَ التَّرْحُلُ رَغَمَ أَنَّ رِكَابَهُمْ
 لَمَّا تَزَلْ بِرِجَالِهِمْ وَكَأَنَّ : قَدْ »
 فَمُحمدٌ رَغَمَ الجُحود محمد
 وَهِيَاتَه كَحَيَاتِه لم تَنْفُد
 وَيُؤَوِّبُ عِزُّ المسلمِين وَإِنَّه
 يَوْمٌ قَرِيبٌ ليس بِالْمُسْتَبْعَد
 تَتَوَحَّد الدنيا على أَظْلَالِه
 أَنفَا وتَزْهَقُ رُوح غير مُوحد
 وَسَيَنْتَهِي عهد الضَّلَالَةِ والهوى
 إِذْ يَطْلُع الغَرْس النُّقى وَيَبْتَدِي
 وَعَلَيْكَ يَا خَيْرَ الْأَنَامِ تَحِيَّةٌ
 هِيَ مِنْ صَلَاةِ اللَّهِ : عِطْر المولد

رحلة في رسالة

يا قِيبَابَ الفِيحَاءِ يا بَسْمَةَ الرُّوحِ وبَابَهَجَةَ الْفُؤَادِ الشَّجِيَّ
لَثَمَ الْحُبِّ ذَاتَهُ وَتَغْنَى الشَّوْقِ فِي صَمْتِهِ الْجَلِيِّ الْخَفِيِّ
وَتَهَادَتْ عَلَى مَشَارِفِ سَلْعٍ . . نَفَحَاتٌ مِنَ الشَّدَى النَّبَوِيِّ
وَتَبَدَّتْ « قُبَاءٌ » وَالْأَلْقُ الضَّاحِي وَشَاحٌ مِنْ عَسَجِدِ عَبْقَرِي
وَبَنَاتُ النَّجَارِ يَضْرِبْنَ بِالْدُّفِ ابْتِهَاجًا بِمَقْدَمِ الْهَاشِمِيِّ
النَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ فِي خَيْرِ أَرْضٍ . . صَانَهَا مِنْ مَنَافِقٍ وَدَعَى
دَعْوَةَ الْحَقِّ لَمْ تَزَلْ مَطْلَعُ الشَّمْسِ إِلَى غَرْبِهَا هَوًى كُلِّ حَيٍّ
أَزَلَّ سَرْمَدٌ أَفَاضَ عَلَيْهَا النُّورَ أَعْظَمَ بِهَدْيِهَا السَّرْمَدِي
يَا لَطْفَهُ وَصَحْبِهِ الْغُرَّ فِي طَيْبَةِ دَارِ الْأَمَانِ مَثْوَى النَّبِيِّ
مَسْجِدٌ زَادَهُ الْمَلِكُ اتِّسَاعًا زَانَ أَفَقَ اتِّسَاعِهِ الرُّوحِي
فَعَسَى نَفْحَةٌ تَطْلُ عَلَى الدُّنْيَا فَتَقْضَى عَلَى الصَّدَى الْوُثْنِي
فَإِذَا النَّبْتُ حَالٍ وَإِذَا الشَّمْلُ جَمِيعٌ عَلَى الصَّرَاطِ السَّوِيِّ
وَإِذَا الرَّأْيَةُ الَّتِي ظَلَّلَ الْكَوْنَ سَنَاهَا فِي كَفِّ قَرَمٍ ذَكِيٍّ
عَبْشَمِي السَّمَاتِ يَنْمِي إِلَى الصَّيْدِ فَخَارًا وَإِنْ نَأَى عَنْ نَمِيٍّ
وَالْجَدِيبُ الْجَدِيبُ مِنْ خَلْقِ الْمَجْدِ قَصِيٍّ وَإِنْ نَمَا فِي قُصَايِ
إِنَّا فِي هَوًى الْحَبِيبِ سَمُونًا عَنْ هَوًى . عَزَّة . وَلَيْبِنِي وَمَيِّ

أيام التشریق

«أيها الراكب الميمم أرضي أقر بعص السلام مني لبعضي»
«إن جسمي كما علمت بأرضي وفؤادي وساكنيه بأرض»

* * *

وإذا الليل قد شجا وغفا اليم وبرق الحمى أهل بومض
عاودتني الذكري إلى أرج الخيف فلن تفرح العيون بغمض
أتجلى الأطياف في وهج السهد وفي زحمة الأزين الميض
وإذا أغضت النسائم عبر الفجر رقافة . على البعد أغضى
وإذا سألت البطاح بأغناق المطايا أكاد والله أفضى
وإذا الصب راح يفضي إلى الليل بنجوى فإنني لست أفضى
أنا والليل عاجزان فلا الصمت يواسي ولا التجميل يرضى
قطرات الرذاذ أشهى على الظمان من هاطل بذل وخفض

* * *

عرفات

الْأَغَارِيدُ فِي السَّمَاءِ نِدَاءُ وَالرَّحَابُ الْخَضِرَاءُ وَالْأَضْوَاءُ
وَالْحُشُودُ الَّتِي أَطَلَّتْ مَعَ الْفَجْرِ عَلَى الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ دُعَاءُ
وَالْحَيَازَى وَالرَّاقِصُونَ عَلَى السُّحُبِ أَظَلَّتْ أَفْيَاءُهُمْ . أَفْيَاءُ
وَالثَّرَاءُ الْعَرِيضُ وَالْجَاهُ وَالْمُلْكُ خُطَاهُ عَلَى الثَّرَى . مَشَاءُ
وَالْمَغَانِي الْفَيْحَاءُ نَاعِمَةُ الظِّلِّ وَآسَادُ غَابِهَا . وَالطَّبَّاءُ
وَالْمَقَاصِيرُ وَالْخِيَامُ قُطْعَانِ حِمَاها مَعَ الرُّعَاةِ سَوَاءُ
يَا لَعَيْنِي يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ لَهُ الْحَيَاةُ فِدَاءُ
قَدَرٌ نَسَقَتْ يَدُ اللَّهِ مَغْزَاهُ فَلِلْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ لِقَاءُ
وَالْأَنْبِيَاءِ الشَّجِيُّ وَالنَّعْمِ الْحُلُو وَرَجْعُ السَّمَاءِ وَالْأَصْدَاءُ
كُلُّهَا . كُلُّهَا إِلَى عُرْفَاتِ اللَّهِ هَمْسٌ مُعَبَّرٌ وَدُعَاءُ
فَاذْكُرِي اللَّهَ يَا بُنْيَةَ أَنْتَى كُنْتَ فَالذِّكْرُ مُتَعَةٌ وَغِذَاءُ
وَصَلِيهِ . . . بِصِلِكَ فَالْغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِ مَنْ نُحِبُّ جَفَاءُ

...

السعي بين الصفا والمروة

و كَبُرْتُ بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ تَهْزُنِي مشاعرُ ضاعت في الحشا وشعائرُ
أَحِنُّ إِلَى الْأَمْوَاجِ دَفَاقَةِ السَّنَا تَسَاوَى صِغَارُ عِنْدَهَا وَأَكَابِرُ
وَعَجٌّ وَفَجٌّ لِلْحَجِيجِ كَأَنَّمَا تَجَاوَبَ صَيَّالٌ لَدَيْهَا وَهَادِرُ
وَذَابَتْ فُرُوقٌ كُنْتُ أَرعى سِمَاتِهَا فَمَا نَمُّ إِلَّا خَاشِعُ الْقَلْبِ ذَاكِرُ
فَلَا الْحُسْنَ جَذَابًا وَلَا الطَّرْفُ زَائِغًا إِذَا هِنْدُ نَضَّتْ جِيدَهَا أَوْ تُمَاضِرُ
وَهَرَوَلْتُ يَا نَوْرَ الْفَوَادِ كَأَنَّنِي إِلَى حَوْمَةِ الْهَيْجَاءِ لَيْثٌ مُغَامِرُ
وَهَاجَتْ بِي الذُّكْرَى إِلَى عَهْدِ هَاجِرٍ وَفِي الْمَهْدِ إِسْمَاعِيلُ ظِمَانُ حَائِرُ
تُهْدِيهِه تَسْتَرْفِدُ الْأَرْضُ مَاءَهَا فَأَشْرَقَ غَيْثٌ مِنْ ثَرَى الْأَرْضِ هَادِرُ
وَهَلَّتْ بِوَادِي الْخَيْرِ فِي سَعْيِ هَاجِرٍ فَعَاشَتْ مَعَ الذُّكْرَى الْحَبِيبَةِ هَاجِرُ

باب السلام

بابُ السلامِ وهذه شُرُفَاتُهُ ورتاجُهُ . إذا . انتَشَيْتُ ألامَ
ولقد مثلتُ فضاقَ بالأملِ النُّهى فإذا الرُّؤىَ وكأنَّها أخلامَ
وتعلَّقَ الإمساءُ فى إضباحه وتعانَقَ . الإيحاءُ والإلهامَ
وسمِعْتُ من كبدِ السماءِ مَثَانِيًا فى البيتِ قَاضَ بِشَدُوهِنَّ حَمَامَ
والبيتُ أَمْنُ الخائِفينَ وإنَّه بَرَدَ على أكبادهم وَسَلامَ
والطائِفُونَ الحائِمُونَ تَعاقَبَت دَوْرَاتُهُم ما صدَّهُنَّ زِحَامَ
سِرُّ الحياةِ ورمزُ كُلِّ مَسِيرَةٍ فالكَوْنُ أَجْمَعُ دَوْرَةٌ ونِظامَ
والشُّهُبُ حَوْلَ الشَّمْسِ فى أَفلاكِها دَوَّارَةٌ . ما لِلحياةِ دَوَامَ
أَدَبُ تُشَعِّعُهُ القَداسَةُ صَافِيًا لا السيفُ يُقَحِّمُهُ ولا الضَّرغامَ
والطَّيْرُ آمِنَةٌ تروحُ وتَغْتَدِي كَطِباءِ مَكَّةَ . صيدُهُنَّ حَرَامَ
يا ربِّ زِدْهُ مَنجَةً وَجَلالَةَ فَلكَ الجَلالِ الحَقُّ والإِعظامَ

...

حراى

ولمّا تنورنا حراء واطلعت طوألعه . ذاك الجلال المعتقا
 وقفنا وأوقفنا المَطِيَّ مهابةً ولاح أبو الزهراء فى الغارِ مُشرقاً
 ومِزودةً مطروحة و « ركية »^(١) بها فضل ماءٍ قد صفا وترقّرقا
 وطيف تبدى كالرحيق شعاعه يُناجى هوى عذباً وعهداً وموثقاً
 وفى الأفق جبريل الأمين كأنما يُبارك حُلماً عبقرىاً تحقّقاً
 وفاح عبير لا الخزامى ولا الشذى فقد كان من نفح الفرديس أعبقاً
 ثوابه الرُحْمى وتوقّظه الرؤى ليجمع فى الأكوان شملًا تفرّقاً
 وينسج من أهدايه الوطف أمةً على مجدّها : عاف الكرى وتارّقاً
 فهدهد إغصاراً وشقّ من الدجى مصابيح حياها . الحيا . متألّقاً
 فليله أزواح على الجدب أنصبت ولله عزم ما وهى أو تمزّقاً

• • •

(١) اشارة الى أن ركوة رسول الله صلى الله عليه وسلم هى تمدّه بالماء مهما

طال تحنّته كأنها ركية اى بئر .

ذكرى است عزيزة

إلى صاحبي الجريدة الجليلين أعتذر عن القصور الكبير إزاء
الواجب العظيم هذه (الكلمة) فى خجل مزيد معتقداً عدم تكافئها
مع العدد الممتاز آسفاً على حيلولة الفرص الضيقة بينى وبين
إيفاء هذا الأمر حقّه ، الناظم .

يا سارياً راح يطوي دارة الشهب	فى مَهْجَةٍ سَبَحَتْ فى عالم الحُجُبِ
جَدَّتْ بهافى الهوى العذريّ موجدةً	ولجَّ منها هُتافٌ جدُّ فى الطلُبِ
فجاذبتْ شبحاً ضنّت به زماً	ثم انشنتْ جدلاً فى الوخدِ والخَبِيبِ
كانما روحُ صَبٍّ شايَعَتْ أملاً	بعد النوى فبدتْ تختالُ فى طَرَبِ
هذي الدنا صورٌ شتى إذا ابتسمت	يوماً ففى آخر وقد من اللهبِ
ما الذكرياتُ على أبهى غضارتيها	والكأس قد نثرتْ منظومة الحَبِيبِ
وما الهوى وأمانيه وإن عذبت	موصولة الأنس فى زاهٍ من الحُقبِ
والرؤى قد بَسَمَتْ فيه أزاهره	كالطلل أو ضربٍ فى طيب الشنبِ

ما بَيْنَ فَاصِحَةٍ لِلشَّمْسِ إِنْ بَرَزَتْ أَوْ غَادَةٍ بَيْنَ سَرَبٍ جَدْفِي الْهَرَبِ
 وَالْحُبُّ مُوتَلَقٌ ضَافَ مَخِيْمُهُ يَرْمِي الْحِبَالَةَ عَنْ بُعْدٍ وَعَنْ كَثَبِ
 وَالْقَوْمُ فِي نَشْوَةٍ يَجْتَنُّهُمْ أَمَلٌ فِي هَالَةِ الْبَدْرِ أَوْ فِي دَارَةِ الشُّهْبِ
 أَسْمَى وَأَرْوَعُ مِنْ ذِكْرِي مُؤَثَّرَةٍ فِي النَّفْسِ بَاقِيَةٌ مَمْدُودَةُ الطُّنْبِ
 تَغْدُو اللَّيَالِي فِي أَطْوَانِهَا أُمٌّ مَا بَيْنَ مَنْصَدِيعٍ وَاهٍ وَمَنْشَعِبِ
 وَتَلِكُ حَافِزَةٌ لِلدَّهْرِ عَابِقَةٌ فِي الذَّهْنِ مَائِلَةٌ فِي الْقَلْبِ لَمْ تَغِبِ
 لِلْمُسْلِمِينَ بِهَا عِيدٌ يُؤَلَّفُهُمْ وَيَجْمَعُ الشَّمْلَ فِي عِقْدٍ مِنَ النَّسَبِ
 رَمَزُ الْأُخُوَّةِ لَا عُجْبُهُ وَلَا صَلَفٌ رَمَزُ التَّكَافِي بَيْنَ الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ
 حَقِيقَةٌ مِنْ يُرْدُ غَضًا لَجَوهرِهَا يَنْزِلُ مِنَ السَّوَاءِ أَقْسَى مُنْتَهَى الْغَضَبِ
 حِفْلٌ وَمُؤْتَمَرٌ تَزْهَوُ بِطَالِعِهِ بَنُو الْحَنِيفِيَةِ الْغُرَاءُ فِي أَدَبِ
 يَسْتَذْكِرُونَ بِهِ دِينًا مُعْزِزَةً أَرْكَانَهُ بِالْقَنَاءِ الْخَطِيءِ وَالْقُضْبِ
 وَمَوْقِفًا لِرَسُولِ اللَّهِ تَمَّ بِهِ نَصْرٌ تَأَيَّدَ فِي الْأَنْبَاءِ وَالْكَتَبِ
 مَا بَيْنَ مَبْتَهَلٍ لِلْحَقِّ فِي أَمَلٍ وَضَارِعٍ لِإِلَهِ الْعَرْشِ فِي رَهَبِ
 هَذَا يَتَهَلَّلُهُ تَدْوِي الْجِبَالِ وَذَا يَرِنُ مِنْهُ صَدَى التَّكْبِيرِ فِي الْهُضْبِ
 شَعَائِرُهُ تَجْتَلِي مِنْهَا النَفُوسُ سَنًا كَالْبَدْرِ يُشْرِقُ فِي مَاسٍ وَفِي ذَهَبِ

فَكَانَ مُنْطَلَقَ الْأَشْجَانِ فِي فَرْحٍ وَكَانَ مَثْوَى الْهُدَى فِي صَالِحِ الْقُرْبِ
كَأَنَّمَا نَحْنُ (بِالْقَضَاءِ) مُنْعَنَةٌ تَنْحَطُّ سَارِيَةً فِي أَجْمَلِ الصَّبَبِ
وَالْمُصْطَفَى ثَائِرٌ لِلدِّينِ أَنْجُمُهُ لِلْحَقِّ يَبْهَضُ فِي عِلْمٍ وَفِي غَلَبِ
لَكِنَّ أَمْنِيَّةً مِنْ بَعْدِ مَا عَبَّرَتْ خَيْرَ الْقُرُونِ تَهَاوَتْ بَعْدُ فِي النُّوبِ
فَهَلْ نَرَاهَا وَقَدْ شِيدَتْ مَآثِرُهَا وَهَلْ نَرَاهَا سَمَتْ فِي ذِرْوَةِ الرُّتَبِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا بَزَعَتْ شَمْسٌ وَمَا انْسَكَبَتْ وَطَفَاءُ السُّحُبِ

• • •

هذه النخلة

هذه النخلة مِنْ بَطْحَانَ فِي مُلْتَقَى وادي قُبَاءِ الْأَفْيَحِ
 مِنْ ثَلَاثِينَ خَلَّتْ مَائِلَةً فِي خِيَالِي .. سَرَحُهَا لَمْ يَطْلُحِ
 أَلْمَحُ الْأُظْلَالَ مِنْ أَفْيَائِهَا كَشُّ سَاعِ الشَّمْسِ وَسَطِ الْقَدَحِ
 وَالتَّحِيَّاتِ الَّتِي أَعَاهَدُهَا مِنْ قَدِيمٍ لَمْ تَحُلْ .. لَمْ تَبْرَحِ
 وَالصَّبَا ذَاكَ الَّذِي تَعْطِفُهُ صَدِّ وَبِهَا عَطْفَةٌ رِيمٍ .. مُسْتَحِ
 إِنَّهُ نَسَجَ عِبِيرَ سَجَسَجِ مِنْ رَحِيقِ الْفَجْرِ رَطْبٍ .. مَرِحِ
 رَفَّتِ الْأَمْلاَكُ فِي أَعْطَافِهِ رَفَّةً شَادٍ صَيِّدِ
 تَتَلَقَّاكَ بِوَمَضٍ كَاشِفِ بُحْتٍ بِالْأَسْرَارِ .. أَوْ .. لَمْ تُبْحِ
 وَإِذَا شِئْتَ فَرُوحُ نَضْرَةِ أَوْ تَسَهَّيْتَ فَظِلِّ .. الشَّبَحِ
 وَسَأَلْتُ الطَّلَّ عَنْ آمَاقِهَا قَالَ لِي سَلْهَا .. وَإِنْ لَمْ تُفْصِحِ
 وَتَأَمَّلْتُ رُؤْيَ مَطْوِيَةٍ فِي حَفِيفِ كَنْهِيهِجِ الْمَطْلَحِ
 يَتَحَرَّانِي كَمَنْ يُسْمَعِي نَأْمَةَ الْوَجْدِ الْخَفِيِّ الْمُبْرَحِ

أَوْ جِرَاحَاتِ أُنْبَى مُثْخَنٍ
يُرْفَى الدَّمْعَةُ فِي مَحْسِسِهَا
وَالْأَسَى يَضْرُخُ فِي أَحْشَانِهِ
كَمْ أَنْيْنٍ فِي الدُّجَى مُنْبِعْثٍ
رُبَّ شَذْوٍ نَائِعٍ مِنْ فَرَحٍ
هَلْ سَوَاءٌ جَارِحُ عَهْدِ الْهَوَى
وَالَّذِي يَسْمَحُ بِالرُّوحِ عَلَى
فِي حُطَامِ كُلِّهِ مُبْتَسِرٍ
ثُمَّ أَبْصَرَتْ دُمُوعًا ثَرَّةً
فَتَذَكَّرْتُ عَهْدًا سَلَفَتْ
نَحْطَفُ الْمُزْنَةِ لَا يَهْصُرُهَا
وَنُرَاعِي شَفَقًا مُضْطَرِبًا
وَلِدَاتُ الْعُمُرِ حَوْلِي رَتَعَا
وَالَّذِي يَهْمِسُ لِلْبَدْرِ عَلَى
وَالَّذِي يَشِيرُ آفَاقَ الدُّجَى

رَابِطُ الْجَاشِ كَأَنَّ لَمْ يُجْرَحَ
لَمْ يَرْمِ عَنْ وَدِّهِ . . لَمْ يَنْرَحَ
كَيْفَ خَابَ السَّعْيُ . . سَعَى الْمُفْلَحِ
مِنْ حَنِينِ الْجِزَعِ فِي الْخَطْبِ الْوَحْيِ
كَهْدِيلِ نَائِعٍ مِنْ . . تَرَحٍ
وَالَّذِي يَأْسُو . . وَلَمَّا . . يَجْرَحُ
سِرُّهَا الْغَالِي . . . وَمَنْ لَمْ يَسْمَحْ
مِنْ ضَعِيفِ النَّبْتِ . . فَجَّ . . دَخْدَحِ
مِثْلَ حَبِّ الطَّلَعِ . إِذْ لَمْ . يَنْفَتَحِ
يَوْمَ كُنَّا فِي جَوَارِ الْأَبْطَحِ
فِي السَّحَابِ الْجَوْنِ . . غَيْرُ . . الْأَرْيَحِي
مِثْلَ قَوْسِ هَارِبٍ . . مِنْ قُزَحِ
بَيْنَ حُلُوِّ « التَّكْوِ » أَوْ مُنْسَدِحِ
خِلْسَةِ . . لَا يَرْعَوِي . . لِلنَّصَحِ
كَالثَّرِيَّا بِالْجُفُونِ . . الْقُرَحِ

إِيهِ يَا نَحْلَةَ بَطْحَانَ لَقَدْ
فَمُقِيمٌ نَارِح . . مُخْرَنْجَمٌ
مَزَقْتَنَا الرِّيح . . لَمْ نَسْتَرَحِ
وَبَعِيدٌ حَبَهُ . . لَمْ يَنْزَحِ

بالمنى البِيضاء مَا زَالَتْ عَلَى وَقَدْهَا لَمَّا يَحِيدُهُ أَوْ تَجْنَحُ
 والذي قَدَّرَ أَقْدَارَ الْوَرَى سِرُّهُ فِي الْغَيْبِ .. لَمْ .. يَنْفَضِحْ
 كم صَدِيقَ خَانَ عَهْدِي وَانْتَحَى فَلَعَاً .. أَلْفَ .. لَعَاً .. لِلْمُنْتَحَى
 عَلَيْهَا الْحَطْوَةُ أَقْصَتْهُ وَمَنْ يَغْفِرُ الزَّلَّاتِ .. لَمْ يَنْتَزِحِ

* * *

أَنْتِ يَا نَخْلَةَ رَوْضِي كُلُّهُ بِالْهَوَى نَفْحٌ وَإِنْ لَمْ يَنْفَحِ
 مِنْ جَنَّا .. الْفِرْدَوْسِ لَوْلَا سِرُّهُ عِشْتُ فِي دُنْيَايَ عَيْشَ الْمَزْرَحِ
 قَدْ أَبْحَثِ النَّاسَ ظِلًّا وَارِفًا مَنْ يَجِدُ جُودَكَ أَوْ مَنْ يُبْحِ
 الْعَنَّاكِيلُ الَّتِي هَدَلَتْهَا فَرَحٌ مُنْسِكِبٌ فِي فَرَحِ
 كِبَنَانٍ حُلْوَةٍ مُحَمَّرَةٍ تَجْتَنِي « زَهْوِكَ » جَنَى .. الْمُسْتَحَى
 أَصْبَحَ « الزَّهْوِ » عَلَى إِضْبَعِهَا يَا الْهَيْمَانَ ! ! بِهَا مُضْطَبَحِ
 وَأَيَادٍ قَذَفَتْهَا بِالْحَصَا كَانَ أَحْلَى الرَّدِّ دَفَقِ الْبَلَحِ
 إِلَيْهِ يَا نَخْلَةَ ذَاكَ الْمُنْحَى فِي قُبَاءٍ كَالْأَدِيمِ .. الصَّخَصَحِ
 عِنْدَ مَا زُرْتُ هُنَاكَ الْمَسْجِدَا طِرْتُ شَوْقًا لِلصَّبَا الْمُنْفَسَحِ
 وَتَمَثَّلْتَ أَيَّامَ السَّنَا فِي فُؤَادِي لَاحَ أَوْ .. لَمْ يَلُحْ

قَلْبُكَ الْغَضُّ الْكَبِيرُ اثْتَلَفْتُ
فَقَرَامُ جَامِحٍ مِصْطَفَقِ
وَالْمَنَى الطَّافِحُ أَوْدِي حَرَقًا
وَطَبُورٌ غَشَّشَتْ حَائِمَةً
صَدَحَتْ لَمْ تَذَرِ مَنْ جِيرَتُهَا
وَالضَّلَالُ الْعُضْلُ فِي قَدَرَتِهَا
لَا تَلُومِي نَازِحًا أَرْقَاهُ
وَعُيُونٌ جَفَّ مِنْهَا دَمْعُهَا
قُلْتُ لَمَّا عَزَّنِي دَرْكُ الْمُنَى
إِنْ مَنْ يَحْيَا عَلَى ضَنْكَ الْهُوَى
وَالَّذِي خَاصَّ تَبَارِيحُ اللَّظَى
إِنَّهَا الْحُرْقَةُ أَوْرَتْ زَنْدَهَا
وَالَّذِي أَشْرَقَ فِي صَخَوِ الْفَضَا
فَهَبِي يَا نَخْلِي حُلُوَ الْجَنَى
وَاقْبَلِي مَنِي تَحِيَّاتِي إِلَى
وَقَطِينِ بَيْنِ هَاتِيكَ الرَّبَى
وَلِيَايَ الْجِرْعِ حَيَّاهَا الْحَيَا
كَمْ طَعِمْنَا الْبَزْلَ فِي أَكْنَفِهَا

فِيهِ أَشْنَاتُ الْهُوَى الْمُتَطَلِّحِ
وَبَقَايَا هَيْكَلٍ . . مُنْطَرَحِ
وَمَضَى بِالصَّفْوِ . . مَنْ لَمْ يَطْمَحِ
وَصِلَالُ جَنْبِهَا . . لَمْ تَصْحِ
لَيْتُهَا فِي الْعَشِّ لَمَّا . . تَصْدَحِ
وَيَحَهَا قُدْرَةٌ . . مَنْ لَمْ يَضْفَحِ
عَارِضٌ مِنْ بَرْقِكِ الْمُنْسَرَحِ
غَيْرَةٌ مِنْ دَمْعِكَ الْمُنْسَفَحِ
لَيْسَ غَمْرُ الْمَاءِ مِثْلُ الضُّخْضَحِ
غَيْرٌ مَنْ يَحْيَا . . بِعَيْشِ رَحْرَحِ
لَيْسَ كَالْخَائِضِ لُجٍّ . . الْمَسْبَحِ
حُرْقًا لَوْلَا النَّوَى لَمْ تُقْدَحِ
غَيْرٌ مَنْ يَهْضُبُ فَوْقَ السَّحْسَحِ
مَنْ يَذُقُ مِنْهُ مَذَاقًا . . يُفْلِحِ
رَبَّرَبِ الْغَيْدِ وَسِرْبِ الْمَسْرَحِ
بَارِعِ النُّكْتَةِ عَذَبِ الْمُلْحِ
كَمْ حَبَبْنَا بِجَزِيلٍ . . الْمِنَحِ
آه لَوْ عَادَتْ . . بِكَيْشِ أَمْلَحِ

من أغاريد رمضان

يا هِلَلا مَبَارِكًا رَبُّكَ اللَّهُ رَبَّنَا
أَنْتَ وَاللَّهُ بِشَرُّنَا أَنْتَ وَاللَّهُ جِئْنَا

* * *

حِينَ أَقْبَلْتَ أَقْبَلْتَ نَفَحَاتُ تُظَلُّنَا
وَتَوَارَتْ غَمَائِمُ دَجْنُهَا الدَّجْنُ لَيْلُنَا
وَتَبَدَّتْ سَحَابُ لِلْأَمَانِي تُقِلُّنَا
يَا صَفَاءَ نُحِبُّهُ وَرَجَاءَ يُحِبُّنَا

* * *

أَلَّفَ أَهْلًا وَمَرْجَبًا بِالذِّي طُلَّ مِنْ عَلِي
مِنْ سَنَّاكَ الْمُزْفَلِ مِنْ هَذَاكَ الْمُهَلَّلِ
مِنْ تَجَارِيِبِ مَا مَضَى قَدْ رَسَمْنَا لِمُقْبِلِ
وَهَتَفْنَا لِحَاضِرِ سَابِحِ فِي التَّأْمَلِ
أَنْ يَرَى فِي حَيَاتِهِ عِبَرَ الْأَمْسِ : تَنْجَلِي
إِنَّهَا نُورُ فَجْرِهِ إِنَّهَا خَيْرُ مِشْعَلِ
رَبُّكَ اللَّهُ رَبَّنَا يَا هِلَلا نُحِبُّهُ

* * *

أَنْتَ شَهْرٌ جَلَالُهُ لَمْ يُطْفِئْهُ جَمَالُهُ
 وَصَفَاءُ . كَمَالُهُ حِينَ يَبْدُو هَلَالُهُ
 الْمَعَانِي ثِمَارُهُ وَالْمَغَانِي ظِلَالُهُ
 وَالْمَوَاجِيدُ حَالُهُ وَذُرَاهَا مَائِلُهُ
 وَالتَّرَانِيمُ مَوَاطِنُ وَالشَّحَارِيرُ آلُهُ
 لَا سَرَابٌ بِقِيَعَةٍ يَخْدَعُ الْعَيْنَ « آلُهُ »
 إِنَّهُ الْحَقُّ صَادِعُ شَامِخَاتُ جِبَالِهِ
 صَرَخَ الْوَهْمُ فَأَخْتَفَى ثُمَّ وَلَّى خِيَالَهُ

رَبِّكَ اللَّهُ رَبُّنَا يَا هِلَالَا نُجْبِهِ
 أَنْتَ يُمْنٌ مُحَقَّقُ أَنْتَ عَهْدٌ وَمَوْثِقُ
 وَنَفْسٌ تُحَلِّقُ وَقُلُوبٌ تُصَفِّقُ
 الصُّغَارِ الْبَرَاعِمِ لَكَ تَهْفُو وَتَخْفِقُ
 وَالزُّهْرُ الْفَوَاحِمِ بِكَ تَنْدَى وَتَأْلِقُ
 وَالْهَوَى الْحُرَّ صَائِمِ بِشَذَى الطُّهْرِ يَغْبِقُ
 رَبِّكَ اللَّهُ رَبُّنَا يَا هِلَالَا نُجْبِهِ

لَا تَدْعُنَا فَإِنَّا إِنْ تَدَعَ وَجَدْنَا : يَنَمُ
 لَا تَدْعُنَا فَمَا لَنَا بَعْدَ مَسْرَاكِ مِنْ قِيَمِ

لا تدعنا فإننا
 قَسَمًا بِالَّذِي هَدَى
 سوف نحيا على الهدى
 في وصال نعيشه
 سترانا على المدي
 مثل ما كان دأبنا
 مشقة السيف . مثلها
 فيها تُخطب العلا
 إن تغب تقصِف : التخم
 وبِقُدْسِيَّة القَسَم
 في صِيام عن الحُرْم
 للقَرَابَات والرَّحِم
 مشعل الهدي للأُمم
 في القَدَاسَات مِن قِدم
 مشقة الطُّرس بِالْقَلَم
 وبِهَا يُرفع العلم

• • •

ربك الله ربنا يا هلالا نجه

• • •

أنت شهر الحقيقة
 في القلوب المفيقة
 وقدها البر والتقى
 في الثواني توثبت
 مُحْكَمَاتٌ دقيقة
 أنت في الكون كله
 وسلوكٌ موحَّدٌ
 طاعة أنت سَمْحَةٌ
 ليس بالعرق إنما
 في النفوس الرقيقة
 في العقول الطليقة
 للورى للخليقة
 بخطاها الرشيقة
 في الفهوم الصفيقة
 آية للحقيقة
 للحياة السميقة
 للنفوس المطيقة
 بالمعاني العريقة

• • •

يوم الاثنين

فَدَاكَ الهوى كُلُّهُ كله حَقِيقَتُهُ : رَسْمُهُ : ظَلُّهُ
مَعَانِيهِ أَنَاثُهُ الواسعات : مَجَالِيهِ : أَنْسَامُهُ : طَلُّهُ
حَيَاةُ الْوُجُودِ بِمَا فِي الْوُجُودِ بِسَابِقِ فَرَضِ الْهَوَى : نَفْلُهُ
ذُرَاهُ مَرَابِعُهُ الْحَانِيَاتِ مَنَابِعُهُ : عَلُّهُ : نَهْلُهُ
فَيَا بَاعِثَ الْحُبِّ لَمَّا بَدَا صَحَا فَجْرُهُ ، وَامْحَى لَيْلُهُ
حَبِيبِي وَيَا حَبَّ هَذَا النَّدَاءِ تَأَلَّقَ بِالغَيْثِ مُنْهَلُهُ
تَرَانِيمُهُ هَمَسَاتُ الْقُلُوبِ وَأَصْدَاءُ الْهَامَةِ رُسُلُهُ
إِذَا وَمَضَ الْحُبُّ بِالذِّكْرِيَّاتِ وَنَافَسَ دَلَّ الْهَوَى ذُلُّهُ
وَعَرَّدَ بِاللَّحْظَاتِ الْحَسَانَ رَبِيعُ تَفَتُّحِ مُخْضَلُّهُ
غَدَاةَ تَأَلَّقَ وَادِي الْعَفِيقِ وَهَدَّلَ أَغْصَانُهُ نَخْلُهُ
وَضَاءَتْ ثَنِيَّاتُهُ الْحَانِيَّاتِ وَشَعَّشِعَ فِي « رَامَةِ » أَثْلُهُ
فَذِكْرَاكَ تَلْتُمُهَا النَّيِّرَاتُ وَيَحْلُو : بِهَا عُمْرُنَا : كُلُّهُ
فَيَا وَاصِلًا بِالْحَيَاةِ الْحَيَاةَ وَمَا زَالَ : يُسْعِدُنَا : وَضَلَهُ
وَيَا نَاطِمًا سَمَطَ هَذَا الْوُجُودِ وَمَا التَّامَ مِنْ قَبْلِهِ : شَمْلُهُ
وَيَا بَاعِثَ الرُّوحِ مَجْلُوءَ تَوْهَجٍ فِي سُؤْلِهَا : سُؤْلُهُ
أُحِبُّكَ يَا يَوْمَ مِيلَادِهِ وَيَا لَيْتَنِي دَائِمًا : أَهْلُهُ

و كل « اثنين » ميلاده المفتدي سَلَوْتُ الوجود ولم أَسْأله
و كل « الاثنين » أَحْبَبْتُهَا وما صَدَّ من عاذِلٍ عَذْلُهُ
فَسَاعَاتُهَا نَفَحَاتُ الهدي كَأَنَّ شَدَى نَفْحِهَا مِثْلُهُ
فَذَاكَ هَوَى جَهْلَتُهُ الْجُفَاءَ وكم هَالِكٍ غَالَهُ جَهْلُهُ
أَحِبُّ « الاثنين » مَنْ لِي بِهَا وَمَنْ لِشَجٍّ حَائِرٍ مَنْ لَه
مَلَكْنَا حَيَاةَ الهدي والعُلا وَمَنْ مَلَّ مَجْدَ الهدي مَلَّه

• • •

فِذَاكَ الَّذِي قَدْ زَهَا : غَرْسُهُ من الحب حين سَمَا : أَضْلُهُ
حَمَاهُ مُطَاوَلَةُ النَّابِغِينَ كَمَا طَاشَ مِنْ نَابِلٍ نَبْلُهُ
فَمِنْ نَوْرِهِ الْعَذْبِ لَا يُقَرَّبُ كَنُودُ يَعَافُ السَّنَا عَقْلُهُ
فَفِي نَفْسِهِ غَثِيَانُ الظَّلَالِ وَفِي الْوَحْلِ : قَدْ رَسَخَتْ رِجْلُهُ

• • •

لمحتك

لمحتك تمشين الهويننا إلى الصفا
فقال صديق ما لعينيك زاعنا
بنجوى مُغذٍّ للمقام وزمزم
أأبصرتها ؟ كيف اهدت لملثم
فقلت نعم لاحت وما غاب طيفها
أعانقه في كُرْبى وتأزى
والنمسه لَمَسَ القريب لأنه
قريب على رغم النوى المتجسم
نعم إنها العين التي في ظلالها
أرى كل معنى في وجودي وفي دمي
وما نام في جفن المحبين ساهر
رقيب على النجوى من العين والفم

...

من وحي الهجرة

اذْكُرِي يَا بِطَاحُ كَيْفَ أَقَامَ اللَّهُ مَجْدًا مَخْلُودًا فِي بِطَاحِكَ
صَافِحَتَهُ السَّمَاءُ فَانْتَشَرَتْ فِيهِ نَجُومًا تَأَلَّقَتْ فِي وَشَاحِكَ
ثُمَّ أَلْقَتْ عَلَى الْأَدِيمِ مِنَ الْفَجْرِ شُعَاعًا مَقْطَرًا فِي صَبَاحِكَ
وَإِدْيَا أَسْفَعِ الرُّؤْيَ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ . . مَجِيلَ ضَمَمَتِهِ بِجَنَاحِكَ
فَتَنَدَّى كَأَنَّمَا اغْتَصَرَ الْفَجْرَ سُلَاقًا مِنَ الْبُورِ الضُّوَاكِ
وَتَنَدَّتْ حَضْبَاؤُهُ مِنْ عَقِيقٍ . . خَاضِبًا لَوْنُهُ زَكِيَّ جِرَاحِكَ
خَضَخَضَ السُّحْبَ فَاسْتَهَلَّتْ تَعَاطِيهِ نُضَارًا مُصَفَّعًا فِي قِدَاحِكَ
نَهَلَتْهُ الْحَيَاةُ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ وَرَوَّتْ بِهِ كَرِيمَ صَفَاحِكَ
وَهِيَ نَشْوَى بِهِ . . بِمَعْنَاكَ . . بِالْمَاءِ نَقِيًّا سَلْسَالُهُ مِنْ قَرَاكِ
وَهَفَا بِالْحَمَامِ لَا عِجْ شَوْقَ عِبْقَرِيَّ هَدِيلُهُ مِنْ صُدَاحِكَ
شَادِيًا بِالْأَمَانِ فِي الْحَرَمِ الْآمِنِ مِنْ بَعْدِ شَدْوِهِ بِشَوَاكِ
إِنهَا فَرَحَةُ الْهَدْيِ يَتَرَاوِي تَتَخَطَّى الدُّجَى عَلَى أَفْرَاحِكَ

...

سَارِيًا هَادِيًا يُسَامِرُهُ . . النَجْمُ وَيَمْشِي فِي ظِلِّهِ غَيْرَ وَانِي . .
يَتَحَرَّاهُ مُسْتَمِدًّا هُدَاهُ يَتَمَلَّاهُ فِي السَّنَا الْأَفْحُوَانِي

ضارباً في الرمال ساخت بها أقدام شانٍ مُقَامِرٍ أفعوان . .
بعثته قريش عيناً على الهادي فزلت بسعيه القدمان
والرسول العظيم يَمْضِي لِمَرْمَاه رَضَى الفؤاد ثبَت الجنان
ما : قَلَا مكة وما فَرَّ منها هارِباً هائِماً على الوديان
كيف يَخْشَى الأَهْوَالَ من سَدَّدَ اللهُ خُطَاهُ فَهَابَهُ الثَّقَلَان
هل يُرَاعُ الإِيْمَانُ وَالْمَبْدَأُ الْحُرُّ سِلَاحٌ يَصُولُ بالإيمان
ضَلَّ قَوْمٌ تَوَهَّمُوا الضَّعْفَ فِيهِ سَبَقَ السَّيْفَ عَذْلَهُمْ بِشَوَان
أَنهَا هِجْرَةُ اللُّجُوءِ إِلَى اللهِ لِدَعْمِ الْكَيَانِ فَوْقَ الْكَيَانِ
وَلِقَاءَ عَلَى الْمَبَادِيءِ . . . والدعوة هاجَ الحماسَ كالْبُرْكَانِ
ترك المصطفى عَلِيّاً مُسَجِّىً فِي فِرَاشِ النُّبُوَّةِ الْأَضْحِيَانِ
ومَشَى بِالصَّدِيقِ لَا بُدَّ لِلشَّدَةِ مِنْ صَاحِبٍ كَحَدِّ السِّنَانِ
يَمْرُجُ الْحُبَّ بِالْفِدَاءِ لِيَبْقَى غُرَّةَ الْمُجْدِ فِي جَبِينِ الزَّمَانِ
ثَانِي اثْنَيْنِ فِي مَغَارَةِ « ثور » ثَانِي اثْنَيْنِ فِي الْعُلَا وَالْجِنَانِ
خُدْعَةٌ فِي الْحُرُوبِ شَرَّعَهَا الدِّينُ وَأَعْلَى مَقَامَهَا الْهِنْدَوَانِي
خُطَّةٌ لِلْجِهَادِ سَبَاقَةٌ . . الْعِزِّ الْمَجْلَى مَرْصُومَةُ الْبُنْيَانِ

...

واخْتَفَتْ بِشَرْبِ بِمَكَّةَ فَانْحَاذَتْ جِهَاداً تُجِلُّهُ : الْعَدَوَتَانِ
وَتَلَاَقَتِ أَمْوَاجُ نَهْضَتِهِ الْكَبِيرِي فَلَمَّتْ أَمْوَاجُهَا الضَّفَّتَانِ
وَتَأَخَى الْكِمَاءُ فِي طَيْبَةِ الْغُرَاءِ فِي ظِلِّ دَوْحِهَا الْفَيْنَانِ
أَثْمَرَ الْقُوَّةَ الرَّهِيْبَةَ قَدْ صَالَتْ وَجَالَتْ فِي سَائِرِ الْأَكْوَانِ
وَمَشَتْ رَايَةُ الْأُخُوَّةِ فِي الدُّنْيَا عَلَى ضَوْءِ رَايَةِ الْقُرْآنِ
وَالْتَقَتْ مَكَّةُ وَطَيْبَةُ فَاخْتَلَّتْ رُبِّي الْكَوْنِ كُلَّهُ قُوتَانِ
وَصَفَا الْجَوُّ حَالِيَا فَالْأَمَانِي بِأَسْمَاتٍ فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ
وَالْهُدَى وَالْجَمَالَ وَالْخَيْرُ وَالْحُبُّ كِتَابٌ عُنوانُهُ «الْبَلَدَتَانِ»

• • •

يا طير

يا طَيْرُ هل يشكو الطَّلِيْقُ كما شَكَّى القَيْدَ الأَسِيرُ
ويثْنُ مُنْبَسَطَ الجَنَاحِ ويَمْرَحُ الطيرَ الكَسِيرُ
وتُغَرِدُ الدنيا لِمَفْؤُودٍ ويَكْتِئِبُ القَرِيرُ

* * *

يا طيرُ لو فَتَّشْتَ عن أَسْرَى المَخَابِيِ والقُبُورِ
لَوَجَدْتَ أَشْدَاءَ الرِّغَامِ أَلَدَّ مِنْ أَرَجِ الثُّغُورِ
وَوَجَدْتَ فِي الكَفَنِ المَغْفِرِ ما خَلَتْ مِنْهُ القُصُورُ
نُعْمَى على دَعَةِ وَأَطْيَابِ مِنَ الرُّحْمَى تَمْوَرُ
عِزُّ تُوَاكِبِهِ الفَرَا قَدْ والأَهْلَةُ والبُدُورُ
عِزُّ فَرَائِدِهِ العِظَائِمِ لا تَجِفُّ ولا تَحُورُ
هُنَّ العَرَائِسُ فِي رِحَابِ المَجْدِ فَالْتَمَسَ المُهُورُ
مِنْ أَسْرٍ مَنْطَلِقِي بِأَفَاقِ يَدُورُ ولا تَلُورُ

وَعَوَاطِفُ مَشْبُوبَةٍ مِنْ دُونِهَا وَقَدْ السَّيْرِ
وَضَمَائِرُ كَانَتْ تُجِيرُ قَرَاعَهَا أَنْ تَسْتَجِيرَ

* * *

يَا طَيْرُ رُبَّةَ سَابِحٍ فِي الْجَوِّ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
وَالصَّاعِقَاتِ الْمُخْرَقَاتِ تَوُزُهُ الْأَزَّ الْخَطِيرِ
وَالْمُفْزِعَاتِ الْوَاعِلَاتِ مَعَ الْعَشِيَّةِ وَالْبُكُورِ
نَزَعْتُ بِهِ لِلْأَسْرِ أُمْنِيَّةَ كَأُمْنِيَّةِ الْأَسِيرِ
هَذَا يَحِنُّ إِلَى الْقِيُودِ يَزِفُهَا السَّجَنُ الصَّغِيرِ
كَرْهِينَ مَحْبَسَهُ الصَّغِيرِ يَحِنُّ لِلْسَّجَنِ الْكَبِيرِ

* * *

يَا طَيْرُ هَلْ فِي الرُّوْضِ مِنْ حُسْنٍ إِذَا جَفَّ الْعَبِيرِ
أَلْقَى الصَّحَّارِيُّ الْمُجْدِبَاتِ عَلَى الْمَدَى نَارُ وَنُورِ
فَإِذَا جَرَتْ بِالشَّرِّ عُقْبَانُ وَضَاقَ بِكَ الْمَسِيرِ
وَدَلِفَتْ تَلْتَقِطُ الْحُبُوبَ وَتَسْتَرِيحُ إِلَى الْغَدِيرِ
فَنَزَلْتُ قَاعًا صَفْصَفًا لَا رَنَقَ فِيهِ وَلَا نَمِيرِ
مَاذَا ؟ أَتَصْبِرُ لِلْهَلَاكِ لِكَيْ يُقَالَ هُوَ الصَّبُورِ
أَوْ تَسْتَبِيحُ مِنَ الْمَحَارِمِ مَا تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورِ

أَوْ أَنْ تُقَامِرَ بِالْحَيَاةِ مَغَامِرًا بَيْنَ الصُّفُورِ
لِتُوَاجِهَ الْمَوْتَ الْيَمْرِيْرَ أَلَدُّ مِنْ عَيْشِ الْحَقِيرِ
فَإِذَا قَضَيْتَ وَهَبْتَ لِلَّهِ الْحَيَاةَ وَلِلْضَمِيرِ
وَإِذَا وَقَعْتَ أَسِيرَ ظَلَامٍ فَإِنَّ الْأَسْرَ مَفْتَاْحُ الْمَصِيرِ

* * *

يَا طَيْرُ غَنِّ لَنَا وَلِلْأَيَّامِ بِاللَّحْنِ الْمُثِيرِ
يَا طَيْرُ أَنْتَ بَقِيَّةُ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا الْغَرُورِ
يَا طَيْرُ أَنْتَ الْفَنُّ أَنْتَ بَشِيرُنَا أَنْتَ النَّذِيرِ
يَا طَيْرُ عَزَّ الْوَحْيُ وَالْإِلَهَامُ وَانْطَلَقَ الصَّفِيرِ
وَتَنَاوَحْتَ عَبْرَ الْجَوَاءِ عَوَاصِفٌ هُوجٌ تَشُورُ
فَتَعَثِّرُ الْمَسْرَى وَسَادَ الصَّمْتُ وَانْطَفَأَ الشُّعُورُ
يَا طَيْرُ فَاصْذَحْ بِالشُّجُونِ فَأَنْتَ مُعْجَزَةُ الْعُصُورِ
فَالْحِسُّ يَطْرُبُ بِالْأَسَى كَالنَّفْسِ تَهْدَأُ بِالزَّفِيرِ

* * *

رِئَاء

في رثاء الملك عبد العزيز

لا ينطوي المجدُّ يا صَمَامَةَ العرب ولا يَغِيْمُ الهُدَى في غَمْرَةِ الحَقَبِ
صَنَعَتْهَا أَمَلُ التَّارِيخِ نَاطِقَةً عِظَانِمَا إِنْ تَغِبَ وَاللَّهُ لَمْ تَغِبِ
سِتٌّ وَسَبْعُونَ قَدْ أَوْدَعَتْهَا حِقَبًا ضَاقَتْ بِهَا سِيَرُ التَّارِيخِ فِي الكُتُبِ
تَلَفَّتُوا وَلِرَزْءِ الهَوْلِ جَلَجَلَةً وَلِلْفَجِيعَةِ فَتْكُ السُّمْرِ والقَضَبِ
وَاسْتَنْطَقُوا مَجْدَكَ الْغَالِي فَطَمَأْنَهُم مِنْكَ الصُّدَى فِي وَرِيثِ الْمَلِكِ وَالْحَسَبِ

...

علم الموت

حَتَّامٌ تَخْدَعُنَا الْأَوْهَامُ وَالصُّورُ وَفِيمَ تَلَهُوْا بَيْنَ الْأَحْدَاثِ وَالْغِيَرِ
 كَأَنَّا هَدَفُ لَا تَبْتَغِي بَدَلًا مِنَّا الْخُطُوبُ وَلَا يَفْنَى لَهَا وَطَرٌ
 مَا يَنْجَلِي خَطَرٌ تَنْزَاحُ غُمَّتُهُ حَتَّى يُعْتَمَ فِي آفَاقِنَا خَطَرُ
 وَلَا تَأَلَّقَ صَخَوْ فِي مَرَابِعِنَا حَتَّى تَجَهَّمَ : لَا نَبْتُ وَلَا زَهْرُ
 وَلَا يُلْفَعُ رَعْدٌ فِي الْحِمَى لَسِنِ إِلَّا اسْتِحَالَ جِهَامًا . . مَا بِهِ مَطَرُ
 تَقَلَّبَ الْكَوْنُ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلُهُ فَالْمُنْحَى سَامِقٌ وَالنَّجْدُ مُنْحَدِرُ
 وَلِلطَّبِيعَةِ أَخْلَاقٌ مُعْرِبِدَةٌ إِنْ مَسَّهَا الضَّرُّ لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ
 وَالشَّرُّ فِي وَمَضَاتِ الشَّرِّ مَتَكِيءُ وَالْعَقْلُ مُخْتَبِئُ وَالْحَارِسُ الْقَدَرُ

يَا « عِلْمُ » مَا لِلْمَدَى الْمَخْدُودِ مُتَّسَعٌ أَقْصَرَ عَدِمَتِكَ إِنْ الْكَوْنُ يَخْتَضِرُ
 ذَابَتْ حَضَارَتُنَا فِي جَوْفِ زَائِفَةٍ أَحَبَّهَا الْبَدْوُ لَمَّا عَافَهَا الْحَضَرُ

وَحَمَلُ الْمَوْتِ تُسْتَشْرِي مَخَالِبِهِ
أَعْمَى يُدْمَدِمُ لَا سَمْعَ وَلَا بَصَرَ
يُطَارِدُ النُّجْمَ فِي عُلْيَا مَنَازِلِهِ
وَزِينَةُ الْكَوْنِ هَذِي الْأَنْجُمُ الزُّهُرُ
حَرَمْنَا مِنْ نَعِيمِ الْمَجْدِ فِي دَعَا
مُذْ جَاءَ هَوْلُكَ كَالْبُرْكَانِ يَنْفَجِرُ
وَكَانَ فِي مَجْدِنَا بَذْلٌ وَتَضْحِيحَةٌ
يَطِيبُ فِي الْمَوْتِ وَرِزْدُ الْقَوْمِ وَالصَّدْرُ
تَصَارَعَتْ فِيهِ تَبِيجَانُ وَالْوَيْةُ
وَالْحَنْفُ عِنْدَكَ مُرُّ الطَّعْمِ مُبْتَسِرُ

...

وَأَنْتَ يَا شِعْرُ كَمْ هَوَّمْتَ فِي قَمَرٍ
تَضَاحَكْتَ فِيهِ مِنْ أَحْبَابِكَ الصُّورِ
وَكَمْ أَرَقْتَ عَلَى إِشْعَاعِ طَلْعَتِهِ
سُهِدَ الشَّجِيُّ حَلَا فِي عَيْنِهِ السَّهَرُ
وَكَمْ شَكَّوْتَ النَّوَى وَاللَّيْلُ مُؤْتَلِقٌ
وَالْكَأْسُ شَعَّعَهَا فِي لَحْنِهِ الْوَتَرُ
لَا تَأْسُ يَا بَدْرُ إِمَّا حَاوَلُوا عَبَثًا
أَنْ يَزْحَمُوكَ بِمَسْخَرِ صَفْوِهِ كَلْدَرُ
هَلْ يَسْتَوِي سَاطِعٌ فِي أَصْلِ خِلْقَتِهِ
آيَاتُ إِعْجَازِهِ تَبْدُو وَتُسْتَسِرُ
وَزَائِفٌ فِي يَدِ الْتَّيَّارِ مَوْلِدُهُ
إِنْ لَمْ يُحَازِرْهُ يَخْرِقُ نَفْسَهُ الْقَمَرُ
قَدْ حَبَّرُونَا وَحَارُّوا فَالْمُنَى خَدَعُ
حَتَّى السَّرَى غَامِضٌ حَتَّى النُّهَى حَذَرُ
لَكِنَّ قَارِعَةً كُبْرِي بِمَا صَنَعُوا
تَحِلُّ فِي دَارِهِمُ وَالْمُنْتَهَى سَقَرُ

...

خواتم رل

الكونُ خمرُ الظالمين وأنتَ يا ليلُ الثمالة
إن أَوغلوا فعلى الحبابُ وإن صَحُّوا تبِعوا خياله
يا ليلُ أنجُمك المضيئة عَسجدُ والكأسُ هالة
العمرُ إلّا ما وهبتُ من المني شبحُ الضلالة
والعمرُ إلّا ما ملأتُ به الحياة هو الضحالة
يا ليلُ قالوا عنك ما قالوا ويا سوءَ المقالة
قالوا نهارُ العابثين على الغواية والجهالة
يتَلَمَّسونك للخنا سِترا يُفِيئُهم ظلاله
ويُعاقرون الرَّاحَ شيطاننا يمدُّ بها جباله
في وقدها عاشوا الحياة سُلالة ورثتُ سُلالة
الدَّفْنِ في إشعاعها وهَجَ تُضِيءُ به الغزالة
والبدنُ ما حَفِلوا به أبداً ولا لَمَحُوا هلاله

قَنَعُوا بِأَشْرَاقِ النَّدِيمِ يَمِيسُ فِي أَبْنَى غُلَّالَةٍ
وَالزَّهْرُ يَأْلِفُ وَالنَّدَى ظَمَانٌ يَلْتُمُ مَا بَدَأَ لَهُ
وَالْمُتَرْفُونَ الْوَالِهُونَ الْوَاطِئُونَ عَلَى الْعَدَالَةِ
أَهْلُ الشَّرَافَةِ فِي النَّهَارِ وَفِي الْمَسَاءِ هُمُ الْحُثَالَةُ
وَالْخَادِعُونَ اللَّهَ وَالْإِنْسَانَ بِالتَّقْوَى الْمُذَالَّةُ
يَا لَيْلُ قَدْ جَهِلُوكَ وَالْأَقْدَارُ تَنْقُصُ بِالْجَهَالَةِ
جَحَدُوا الْهِدَايَةَ وَالْهُدَى وَالْكَوْنُ قَدْ مَسَخُوا جَمَالَه
وَتَنَكَّرُوا لِلآيَةِ الْكُبْرَى مُجَلِّجَةً خِلَالَهُ
فِي الْأَنْجُمِ الزَّهْرَاءِ فِي الْأَفْلَاقِ دَائِرَةَ حِيَالِهِ
فِي الضَّبَّةِ الرَّغْنَاءِ تَسْكُنُ فِي هُجُوعِكَ لَا مَحَالَةَ
فِي الْهَاجِعَاتِ مِنَ الْعَزَائِمِ تَشْمِئُزُّ مِنَ الْبَطَالَةِ
فِي الْمَشْرِفَى الْعَضْبِ بَعْدَ عِرَاكِهِ أَخْفَى نِصَالِهِ
فِي السَّمْهَرِيِّ اللَّدَنِ أَفْسَحَ لِلْكَرِيِّ سَحْرًا مَجَالَهُ
فِي الْفَارِسِ الْغَافِي عَلَى دَعَا يَحُثُّ بِهَا نِصَالَهُ
فِي الْقَانَتِ الْأَوَابِ طُولَ اللَّيْلِ لَا يَدَعُ ابْتِهَالَهُ

فى دعوة المظلوم كالصَّاروخ تشتعل اشتعاله
 فى الحب فى الدَّوح المُغرَّد بالعِراقَةِ والأَصالة
 فى الوجد يغتقلُ الأسيرَ ولا يفكُّ له عِقَالَه
 حتى إذا أَلِفَ المُحبُّ عَذَابَه وجَفَا وصالَه
 حرَّستَه أَطْيافُ اللَّهيبِ من السَّامَةِ والمَلالة
 يا لَيْتَهُم عَبَّوا عَيْبَ الحُبِّ أَوْ نَهَلُوا نِهَالَه
 ومَشَوْا على أَشْلاتِه وعلى اللَّظَى وطِئُوا رِمَالَه
 فتَلَمَّلم الوادي كأنَّ رِعاَنَه حَضَنْت رِعالَه
 والليلُ فوق الليل أَرْخَى سُدْفَه وَثْنَى كلالَه
 يَتَنَوَّرُونَ الهَمْسَ قد زَحَمَ القَلِيبَ وطَمَّ جِبالَه
 والهُمُهماتُ على الغدير مَزَاهِرُ صَدَحَتْ قُبَالَه
 جَمَعَ الهوى والليلُ أَسرَابَ الفَلا وَحَمَى صِلالَه
 ولَقَدْ رَعَاهُم مِثْلما يَرْعى أَبٌ سَمَحُ عِيالَه
 خَفَضَ الجَنَاح مُبْعَثِرا فيهِم كَرائِمَه وَمالَه
 وتَلِدُهُ الشُّكوى لِمَنْ يَشْكُو على الحِرْمانِ حالَه

صَبَّ يَنْوُبُ مِنَ الْحَنِينِ وَشَادِنُ يَبْكِي ذَلَالَهُ
يَا رَبُّ لَيْلٍ قَدْ شَهِدْنَا فِي نَقَائِصِنَا كَمَالَهُ
إِنْ ضَمَّ جَنْحُكَ عَائِلًا فَالْخَلْقُ لِلْخَلْقِ عَالَهُ
يَوْمٌ وَيَوْمٌ قَدْ أَلْفَنَاهُ وَأَحْبَبْنَا سِجَالَهُ
قَامَتْ عَلَيْهِ ذُرَى الْحَيَاةِ تُطِلُّ مِنْ عَهْدِ الرُّسَالَةِ
هَذَا الدُّجَى كَمْ قَدْ سَقَانَا مِنْ مَنَابِعِهِ زُلَالَهُ
وَمِنَ الْحَرَامِ الْمُكْفَهَرِ لَقَدْ آسَاغَ لَنَا حَلَالَهُ
وَالْعَبَقْرِيَّةُ هَلْ لَهَا غَيْرُ الدُّجَى يُرْضِي حِجَالَهُ
وَالْفِكْرَةُ الصَّمَاءُ كَمْ فَتَحَتْ مَغَالِقَهَا حِيَالَهُ
إِنِّي لِأَخْشَى أَنْ يُدْبِلَكَ عِلْمُهُمْ فِيمَا أَدَالَهُ
وَيُجَرِّدُونَكَ مِنْ ظِلَامِ كَمْ تَحْلِيْنَا جَمَالَهُ
وَنَعِيشُ ضَوْأَ خَانِقَا « زِرٌّ » يُكَيِّفُهُ وَ « آلَةٌ »
وَنَعِيشُ عَصْرًا لَا غِطَاءَ لَهُ وَلَوْ خُضْنَا رِحَالَهُ
عَصْرًا تُصَرِّفُهُ النِّسَاءُ وَرُبَّمَا حَكَمَتْ رِجَالَهُ
يَا لَيْلٍ كَمْ نَاجَاكَ مَبْعُوثُ الْهِدَايَةِ وَالرُّسَالَةِ

يا ليلُ فاذْكُرْ أَحْمَدًا وَاذْكُرْ صَحَابَتَهُ وَآلَهُ
فَلَعَلَّ ذِكْرِي مَنْ نُحِبُّ تَرُدُّ لِقَلْبِ ابْنِهَا
وَتُعِيدُ لِلْمَجْدِ الْمُزَقِّ فِي رَبِّي الدُّنْيَا جَلَالَهُ
كَمْ عَائِرٍ رَفَعَ الضَّرَاعَةَ مَا غَفَى حَتَّى أَقَالَهُ
يَا لَيْلُ وَاذْعُ زَمَالَةَ الْأَفْلَاكِ فِي أَوْجِ الزَّمَالَةِ
فَلَعَلَّ بِذَرْمِهِمُ الْجَدِيدُ يَحُطُّ عَنْ كَثْبِ رِحَالِهِ
مَاذَا يَكُونُ مَالُنَا وَالشُّعْرُ هَلْ تَذِيرِي مَالَهُ

أعزان الشاعر في حوار

قلتُ للشاعر الذي عَصَفَ الحُزْنَ
وتَلَوَّى مِنَ الْأَمْسَى فَتَوَلَّى
ساهِمًا كَالْغُرُوبِ ذَابَتْ حَوَاشِيهِ
وتَدَانَتْ لَهُ الطُّيُوفُ الْبَعِيدَاتِ
والدُّجَى يَنْسِجُ الدُّجَى بَيْنَ
هل أَطَاقَ الْبَيَانُ تَصْوِيرَ
هل وَعَاها مَشَاهِدًا مَائِلَاتِ
صَاحِيَاتِ كَبَانِهَا فُجَّ الْبَحْرُ
هل تَلَمَّسَتْ فِي مُصَابِكِ مَنْ
حينما عَزَّكَ الْبَيَانُ وَجَافَكَ
ورَقًا الدُّمْعَ أَيَّ وَحَقَّقَ
وتَبَدَّى الْإِحْسَاسُ بِالْغُرْبَةِ الْلكْنَاءِ
واِسْتَدَارَ الرَّهْنُ فِي مَحَبَسِهِ
يَتَرَجَّى صَمْتِي وَيُثْمِنُ فِي الْغَضِّ

بِأَعْمَاقِ حِسِّهِ وَكَيَانِهِ
صَمْتُهُ الْحُرُّ كَفَكَفَاتُ عَيْنَانِهِ
وَعَامِ السَّحَابِ فِي أَجْفَانِهِ
غَضَابًا تَنُوحُ نَوْحُ بَيَانِهِ
أَطَوَاءُ أَسَاهُ : وَغَمَمَاتِ جَنَانِهِ
بَلَوَاكُ : كَمَا عَاشَهَا بِحَسِّ عَيْنَانِهِ
تَتَحَدَّى الْخَيَالَ فِي عُنْفُونَانِهِ
تَمُورُ الْحَيَاةُ فِي شُطْرَانِهِ
تَقْدِرُ وَصْفَ الْبَلَاءِ فِي إِيَّانِهِ
وَأَنْتَ الْكَمِيُّ فِي مَيْدَانِهِ
حَتَّى الدَّمْعُ أَغْيَاكَ نَافِرًا بِجُمَانِهِ
مُسْتَنْجِدًا بِغَيْرِ لِسَانِهِ
يَتَلَهَّى عَنِّي بِعَظْمِ بَنَانِهِ
عَنِ الْكُونِ أَهْلِهِ وَزَمَانِهِ

...

وتعمقت مثله غير أنى
 فإذا بالصدى يُترجم مضعوقا
 قائلا إننى الأسيف على العدم
 إذ تبينت أننى لست شيئا
 كان ظننى بالنفس غير الذى كان
 يصف الحرب داعيا ومثيرا
 كان أسمى البيان أن أطرب الناس
 فى جراح لعقتها زاهيات
 إن ظلم الحياة للشاعر الشاعر
 وبلاويه راحة وما سبه
 لا يقل راحم أموت ليحيا
 فمعانى الأسى أحق بها الشاعر
 ومقاييسه على النفس لا تبقى
 وأغاريده بؤسه العلقم المر
 وإذا ذل بالكريم لثيم
 غارق : فيه فى حقيقة شأنه
 كثافات صحبه ودخان
 الذى لم يفز بيوم رهانه
 غير صوت الزمان أو ترجمانه
 فقد عدت فى الوغى كجبان
 ثم يفنى بحسه فى طعانه
 يكره البيان فى معمانه
 مثل زهو النخيل فى بستانه
 نصر يقو ح من أزدانه
 عطاء يضى فى حرمانه
 فى رؤى ماتمى وفى أشجانه
 فى ذاته وفى إيمانه
 حدودا : لأنها دون شأنه
 حصا الأمال فى ألحانه
 فهو عز الكريم رغم هوانه

* * *

إلى روح ولدى حمزة

يا رضيًا راضتْ شمائله البيضَ معانٍ من البنوّةِ أسمى
يا حفيًا بوالديه تسامى بهواه الحبيبِ روحا وجسما
يا لبرُّ مُقَطَّرٍ أتملاه بسرّ الحياةِ صُحُوءًا ونومًا
ملءَ عيني وملءَ روحي فقد زاد جلاءً وإنْ تحجبَ وهما
يا لذاك اللقاءِ فى قربك الحلوى توالى بحرصك العذبِ جما
رغم ما تفصلُ المشاغلُ ما جال بقلبي هذا الذي بك حُما
لو تحسسته لكنتُ بك الأَحْفَى لقاءً وكنتُ لَصَقَكَ دوما
ولكان اللقاءُ كلَّ أويقاتي لِقَاءَ أَحَرِّ لثما وضما

* * *

رب مَيِّتٍ مثلي بأجنحة السرِّ قريبٌ إلى حياتِكَ يُنَمِّى
 بالرُّؤْيِ أَشْرَقَتْ ضِيَاءُ من الغيب وبالحبِّ لَمْ أَكُنْ فِيكَ أَعْمَى
 أَثْرَى ذَاكِرٌ حَدِيثِي بِالْأَمْسِ الَّذِي خَلْتُهُ من الغيب رجماً
 إِنَّ نَظْمَ الْحَيَاةِ يُنْثَرُ أَحْيَانَا وبالموتِ يُصْبِحُ النُّثْرُ نَظْمَا
 ذَاكَ تَخْلِيقُهَا الْبَعِيدُ وما أَسْرَفَ فى رَكْضِهِ ففارقَ لحماً
 والهوى الحرُّ كُلَّهُ رَعِشَاتٌ فى المغاني أَباً وفي الروضِ أُمَا
 إِنَّهَا إِنَّهَا عَصَامِيَةُ الْخَلْدِ تَعَالَتْ أَنْ تَسْكُنَ الْخَلْدَ عَظْمَا
 لَكَ يَا حَمْزَةُ النَّصِيبُ الْمَعْلَى بَيْنَ نَعْمَى من الإله ورُحْمَى
 إِنْ بَكَى حَمْزَةُ أَبَا الشَّهْدَاءِ الْغُرَّ طَهَّ خَلًّا وفيَا وعما
 أَوْ اسْأَلِ الدِّمَوْعَ فى فَقْدِ إِبْرَاهِيمَ جَرَّيْ فَقَدْ تَضَاحَكْتُ رَغْمَا
 رَحْمَةً بِالْقُلُوبِ بِالْأَهْلِ بِالصَّبِيَةِ دَارَيْتُ بِالْغَمِّ غَمَا
 عَلَيْهَا عَلَيْهَا رِضًا لَكَ أَجْدَى مِنْ عَوِيلِ سَحَّ بِقَلْبِ أَصَمَّا
 لَمْ تَغْبُ لَمْ تَغْبُ فَمَا أَنْتَ إِلَّا نَسَمَاتُ رَقَّتْ صَفَاءُ أَتَمَّا
 أَنَا فى عَنَصِرِ الْحَقِيقَةِ أَحْيَا مَعَكَ الْيَوْمَ وَالتَّوْبَى عَادَ حُلُمَا

لَا تَسْلُنِي عَنْ « الْحَنِينِ » ففى « الْأَهْدَابِ » أَضْحَى كَمَا تَرَاهِ وَأَسْمَى

فهما الحبُّ نشوةٌ وهما الصفو حياة والروحُ قلباً وفماً
 بيننا أنتَ مائلٌ زهراتُ أنتَ ساقيتهنَّ حُبَّكَ جما
 فلنا اللهُ ثمَّ أنتَ احتساباً نترجى عقباهُ يوماً فيوماً
 ولنا اللهُ في اضطبارٍ لقد عزَّ ولكنهُ تشعشعَ نغمي
 ثمرأً أينعَ اليقينُ جناهُ فاستطالَ الإيمانُ طوداً أشماً
 رحمةُ اللهِ لم تزلْ تسعُ الكونَ إلى أنْ يَلُمَّهُ اللهُ لَمَّا
 فالسعيدونَ مَنْ إليه أنابوا ورَضُوا أمرَهُ قضاءً وحُكماً
 رَبِّ صَبْرٍ للراجلينَ دُعَاءُ نالهمُ سرُّهُ ثواباً وغنماً

...

أقول الأقسام عام ٧٣

إلى ابني حمزة : - المتوفى في ريعان الشباب عام ١٣٩٠ هـ

رحمه الله رحمة الأبرار

بُنِيَ وما أحلاه جرسًا مُنغَمَّا يُرْتَلُّه قلبي ويشدو به فَمِى
ذَكَرْتُكَ والدنيا تَمُوجُ بِنَاسِهَا حَيَارَى سُكَارَى بَيْنَ صَخَوٍ وَنُومٍ
ذَكَرْتُكَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ وَفِي السُّرَى وَفِي خَلَجاتِ الْحِسِّ تَنْبِضُ فِي دَمِي
ذَكَرْتُكَ أَشْتَجِلِي الْمَنَى فِي أَزْدِهَارِهَا أُرْجَى لَهَا نَفْسِي وَرُوحِي وَتَوَامِي
فَأَيَّةَ نَعْمَى أَنْتَ صِيغْتَ حُشَّاشَةً وَفَرَحَةً قَلْبٍ لَا تُقَاسُ بِأَنْعَمٍ
ذَكَرْتُ بِكَ الرَّحْمَنَ مُسْبِغَ ظِلْنَا يَمَنْ أَتَرَجَّى ظِلَّهُ ظِلَّ ضَيْغَمٍ
يَمَنْ أَتَهْدَاهُ لِمَجْدٍ مُرْحَبٍ يَطِيبُ بِذِكْرِهِ الشَّدِيَّ الْمَغْصَمِ
وَأَسْجُدُهَا لِلَّهِ سَجْدَةً شَاكِرٍ رَأَى الشُّكْرَ لِلنُّعْمَى حَتَّى الْمُتَحَرِّمِ
فَأَسْسُ بُنَى الْيَوْمِ فِي نَضْرَةِ الصَّبَا عُلَاكَ عَلَى النَّهْجِ السَّدِيدِ الْمُقَوِّمِ
وَرَكْزَهُ فِي هَامِ السَّمَاءِ مُحَلِّقًا فَمَا تَسْتَوِي فِيهِ بُغَاثٌ بِقَشْعَمِ
وَصُلَّ صَوْلَةُ الْمَشُوبِ عَزْمًا مُضْرَمًا فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا لِلَّهِيبِ الْمُضْرَمِ
أَلَا إِنَّهَا يَا حَمَزُ نَفْثَةُ الْوَالِدِ وَنَجْوَى هَزِيعِ مُطَبِّقِ الصَّنْتِ مُلْهِمِ

تَلَمَّمْ فِيكَ الْحِسَّ وَالْعَقْلَ وَالْمَنَى
أَلَا إِنَّهَا نَجْوَى الْهَوَى فِي رَجَائِهِ
أَلَا إِنَّهَا رَجْوَى الْمُسَيِّءِ وَمَالِهِ
فَيَارِبُّ هَبْهُ لِلْمَعَالَى تُرِيدُهَا
وَجَمَلُهُ بِالْفَضْلِ الْجَمِيلِ حَبُونُهُ
وَهَبْهُ مِنَ الرَّحْمَى الَّتِي أَنْتَ رَبُّهَا
وَصُنْهُ وَزَهْرَاتِ حَوَالِيهِ أَرْبَعًا
يُظِلُّلَهُنَّ السُّرَّ مِنْكَ عَلَى الْمَدَى
«مَرَامِي» مَرَامِي «وَالْتَهَانِي» تَهَانِي
وَأَزْهَارُ نَخْبِ الْفَجْرِ نَفْحَ هَزِيرِهِ
فَيَا فَرْحَةَ الْقَلْبَيْنِ أُمًّا وَوَالِدًا
سَلِيلَةَ أَمْجَادٍ نَمَتْهَا فَأَعْرَقَتْ
عُمُومَةً أَحْسَابِ خُؤُولَةٍ مَحْتَدِ
سَلِمْتُمْ وَأَنْجَبْتُمْ مِنَ الْأَصْلِ فَرَعَهُ
أَبُوكُمْ وَمَا أَدْرَاكُمْ مَنْ أَبُوكُمْ
فَلَمْ يَرِ فِي الدُّنْيَا سِوِي طِيبِ طَيْبِ

فَنَاشَدْتُ رَبِّي فِي الرَّجَاءِ الْمُتَلَمَّمِ
وَمَالِي إِلَّا عَبْرَتِي وَتَنَدُّمِي
سِوَى أَمَلِ الْمَكْرُوبِ فِي بَابِ مُكْرَمِ
وَاللَّخِيرِ تَحْمِي مَنْ بِهِ الْيَوْمَ يَخْتَمِي
جَمَالِكَ فِي سِرِّ الْجَلَالِ الْمُجَسَّمِ
فَمَا أَنْتَ لِلْقَاسِي الْجَفِيِّ بِرَاحِمِ
وَمَا زِلْنِي فِي الْأَكْثَامِ أَشَدَّاءَ بُرْعَمِ
فَلَا ذِلَّ جَانٍ لَا وَلَا بُؤْسَ مُعْدِمِ
وَلَيْئًا بِمَنْغُومِ النَّدَاءِ الْمُرْنَمِ
أَهْلَتْ كَاهِلَالِ الرَّبِيعِ الْمَوْسَمِ
هَنِيئًا بِأَخِي الْأُمَّهَاتِ وَأَرْحَمِ
كَرِيمَةٍ إِنْجَابٍ وَفِلَذَةٍ أَكْرَمِ
فَأَنْتُمْ بُدُورٌ قَدْ أُحِيطَتْ بِأَنْجُمِ
كَمَا انْتَسَبَ الْقَرْمُ الْأَصِيلُ لِمُقَرِّمِ
أَبُ عَجَمَتِهِ كُلُّ نَكْبَاءٍ دَمْدَمِ
تَذُوقُ طَعْمِ الْغَرَمِ لَذَّةَ مَغْنَمِ

رباعيات

ومحوتُ كلِّ الذكرياتِ البيضِ بعدَكَ مِنْ حياتي
ووصلتُها بكَ أَنْتَ وَحْدَكَ كى أَعِيشَ بغيرِ (آتى)
حسبي من الدنيا زمانُ كنتَ فيه ضياءً فى الحالكات
والحبُّ أرواحُ تشعُّ بها الحقيقةُ فوقَ اشعاعِ الحياة

رباعية

إقرأ خواطرَ نفسٍ أَنْتَ مهجتها
واسمعُ حديثَكَ العذبَ فيها كيفَ يستعرُ
وَأَشْهَدُ : أَبَاكَ . الذى ما عاشَ يُبْصِرُهَا
حقائقاً أَنْتَ فيها السمعُ والبصرُ
أَنْتَ الروى لم تغبْ عني مشاهدُها
أَنْتَ الهوى عَزَّ فيه الوردُ والصدْرُ
واللهِ لم تَنَأْ رُوحاً صافياً عِيقاً
وإنْ نَأَتْ بِكَ عني الذاتُ والصُّورُ

رباعية

وأحسستُ في حُبِّكَ بالوجدِ كُلِّهِ ضِراماً تعالى عن كِيانِي وعن جُهدِي
صحا صحوّة البينِ المُشْتِ فجاءةً وشتانَ بين الصحوِّ في القربِ والبعدِ
ألا إِنَّهُ الوجدُ الذبيحُ تصارحت لديه أغاريد التواجدِ والوجدِ
فكلُّ هوى أحسستُ قبلكَ منطقُ مشاعٌ وحيي فيكَ منطلقِي وحدي
أعيشُ عليه العمرَ سرّاً حقيقةً وحيّ نجوى العمرِ في الأملِ الفردِ

رباعية

أرى بعينيك ، يا غالي وإنهما عيناَيَ عبرَ (حنيني) عبرَ (أهدابي)
هما الوشيحةُ لَمَّا أن رمى قدرُ بسهمه فتحدى كلَّ أسبابي
هما عزائي في أعقابِ داهيةٍ لم تُبقِ غيرَ انكساري بين أحبابي
رُضْتُ الأُسَى كُلَّهُ في نظرةٍ لهما فلا تُرغ ، فجميلُ الصبرِ أولى بي

رباعية

وقال طيفك دَعْ ذكرايَ وابتهل فإنَّ فُرْقَتَنَا حقاً إلى أجلِ
حسبي وحسبك حُبٌّ أَنْتَ مصدرُهُ واللَّهُ صانعهُ في سابقِ الأزَلِ
وللمقاديرِ رُحْمى رَغَمَ قسوتِها فاصبرْ لها فهي فوق الحولِ والهيلِ
أني وَحَقَّكَ لم أبرحْكَ ثانيةً لكنْ أحاذرُ دمعَ المشفقِ الثَّكِلِ

رباعية

رجوتك فيها أُمْنِيَّاتٍ نَسَجْتُهَا بِكَفِّي عَلَى وَهْنٍ يَقْضُ المضاجعا
طويتُ عليها النفسَ بعدَ افتقادها هَوَى كَانَ ملءَ العينِ رِيَانًا ناصعا
طويتُ عليها النفسَ أَزْحَمُ وَقْدَهَا بدمعِ عَصِيٍّ قَدْ تَحْدَى الفواجعا
هو الطيفُ إِلَّا أَنَّ فِي العينِ ظِلُّهُ يَنَاشِدُنِي السلوانَ لَهْفَانًا ضارعا

رباعية

لا تراعى فللثرى لمساتُ حَانِيَّاتُ يَدِ السَّمَاءِ عليها
فالثرى أَمْنًا الرُّؤُومُ الَّتِي تَعِ رَفٌّ مَنْ فَرَّ مِنْ يَدِينَا إِلَيْهَا
كَانَ ملءَ العيونِ ثم تَوَارَى وَطَوْتُهُ فِيمَنْ طَوْتُهُمْ لَدَيْهَا
إِنَّمَا نَحْنُ فَوْقَهَا ظِلٌّ رُحِّلٍ وَالْمَصِيرُ الْمُحْتَوَمُ مَلَكُ يَدَيْهَا

رباعية

ما حيلةُ المرءِ إِنْ مَدَّ الزَّمَانُ يَدَا إِلَى الْأَحْبَةِ هَلْ عَتَبْتُ عَلَى الزَّمَنِ
قَدْ كُنْتَ تَوَآمَى نَفْسِي كَمْ فَرَحْتُ لَهَا وَكَمْ حَزَنْتُ عَلَى مَآمَسٍ مِنْ حَزَنِ
أُمْنِيَّةٌ طَابَ فِي نَفْسِي تَنْقِلُهَا وَمَهْجَةٌ لِي فِي حِلْيٍ وَفِي ظَعْنِي
إِنْ سَرْتُ يَشْمَلُنِي مِنْ ضَوْئِهَا قَبْسٌ أَوْ اسْتَقَمْتُ حَلَا: فِي فَيْئِهَا سَكْنِي

رباعية

«يا عالم الأسرارِ حسيّ محنة علمي بأنك عالم الأسرارِ»
يا عالم الأسرارِ كلُّ وسيلتي ذلُّ الكسيرِ ومحنة المختارِ
فَصِلْ الحيارى الموجهينَ برحمة يا راحمَ الأخيارِ والأشرارِ
وَارَوْ الظماءَ برى عفوكِ ما لنا إله . . إنا جيرة المختارِ

رباعية

أبا حمزة أحلى نداءٍ يشدني إليك وإن لم تنأ عني ثوانيا
فأنت بحسِّي غير ما أنت .. إنَّه بنفسي حياة تستجيب ندائيا
وَيَهْتِفُ بي هتف الحياة بنبضها وإن كنت في دنيا التماثيل خافيا
واسمى الروى ياقرة العينِ رؤية أراك بها حساً وأنت تَرَانِيَا

جاوزتُ فيك هوى نفسي فأثقلها عِبُّ النوى غيرَ مرجو ولا داني
وعنفوانُ الأسمى لا الصبر يُخمدُه إلا التجلُّلُ في صمتٍ وكتمانٍ
فاجعلِ الصبرَ صبرَ الوجدِ مشتعلًا مفرَّحَ الجفنِ لم يخضع لسُلوانٍ
تعيشه النفسُ ذكرى حالمٍ سبحتُ أنفاسُه عبرَ ذاك العالمِ الثاني

(١) البيت الأول للشاعر الطليعة اسماعيل صبرى

حومي

حومي يا روحه الغالي هنا وَأَنْظُرِينَا وانظري أحوالنا
 سَكَنَّا قَبْلَ أَرْدَنَاهُ لَنَا لَيْتَنَا كُنَّا جَمِيعاً : كُلُّنَا
 لَا تَدْعُنَا لَا تَدْعُنَا وَحَدَّنَا إِنَّ أَيَّاماً وَ « حُنُوءاً » (١) بَيْنَنَا
 فَلْأَجْلِ الْبَعْضِ فَارْحَمْ كُلَّنَا آتِسِ الْوَحْدَةَ فَرَجْ كَرْبَنَا
 فَطَيُورُ الْخَلْدِ فِي تَحْوِيمِهَا لَمْ تَدْعُ عُشّاً لَهَا : أَوْ سَكْنَا
 يَا حَبِيبِي يَا مَنِي نَفْسِي وَيَا فَرَحَةً مَقْطُوفَةً قُطِفَ الْجَنَّا
 أَنْتَ ابْنِي وَأَبِي هَلْ شَافِعُ بِهِمَا عِنْدَكَ يَا سُوْ جَرَحَنَا
 أَنَا يَا حَمْزَةً لَفْظُ مَا لَهُ مِثْلَ مَا تَلْمَحُ مَعْنَى : بَيْنَا

• •

يا حمزة

يَا قَارِئاً لِأَبِيهِه مَا كَانَ يَمْلَى وَيَكْتُبُ
 بِكُلِّ شَوْقٍ الْبُنُوءَ فِي فَرَحَةٍ وَتَرْقُبُ
 وَلَفْتَةٍ التَّنْوِيهِه لَمْ أَنْسَهَا فِي تَأْدُبُ

• • •

فِي الْحِلِّ وَالتَّرْحَالِ تَعْلِيْقُكَ الْحَلُو : غَالِي (٢)
 يَا حَمْزَتِي يَا مَجَالِي يَا فَرَحَتِي : يَا وَصَالِي

• • •

(١) الاسم الذي كان يدلل به ابنته حنين •

(٢) حتى في سفرى كان يكتب لى تعليقاته على ما يقرؤه رحمه الله •

يا حمزة

أَيْنَ تِلْكَ اللَّحْظَاتُ أَيْنَ تِلْكَ الْخُطُوبَاتُ
أَيْنَ تِلْكَ الْبَسَمَاتُ وَالْعَيُونُ الضَّاحِكَاتُ
يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ يَا حَمْزَةَ وَالْخُلْدُ : حَيَاة
أَنْتَ فِي الْعَيْنِ وَفِي الْقَلْبِ دَعَاءُ وَصَلَاةُ
فَالشَّبَابُ الْغَضُّ فِي الْخُلْدِ عَلَيْهِ : الرَّحْمَاتُ

يا حمزة

يَا رَاقِداً فِي ثَرَى أُمِّ الْقُرَى أَمْلاً
وَمَا الثَّرَى فِي رَحَابِ اللَّهِ غَيْرُ رِضَا
فِيَا أَبَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ هَبْ وَلَدِي
مِنْ جَبْرِ لَكَ فِي دَارِ الْهَدْيِ شَرْفُوا
يَا سَيِّدِي وَاحْتِسَابُ الْأَجْرِ مَنْزِلَةٌ
دَعْوَتُ رَبِّي سِرّاً بِالصَّلَاةِ عَلَى
وَلَنْ أَبُوحَ فَمَا سَرِي بِمَنْكُم
لَا : لَنْ تَكُونَ أَقَاصِيصاً وَلَا حُلُماً وَلَا أُسَاطِيرَ أَوْهَامٍ : لَنْ وَهْمَا
فَأَنْتَ أَنْتَ حَيَاةٌ كُلَّمَا ابْتَعَدْتُ
بِنُورٍ أَنَا مَجْلَاهَا وَمَشْهُدُهَا
وَسَدَّتْهُ بِيَدِي فِي لَحْدِهِ الْأَزَلِي
وَرَوْضَةٍ أَنْفٍ فِي أَكْرَمِ النُّزُلِ
شَفَاعَةٌ هِيَ كُلُّ الذَّخْرِ وَالْأَمَلِ
بِمَجْدِهَا وَفَخَارٍ غَيْرِ مُفْتَعَلٍ
أَنَا حَمْزَةُ يَا لَيْتَ تَشْفَعُ لِي
خَيْرِ الْأَنَامِ بِرَجْوَى الْفَاقِدِ الشَّكْلِ
عَنِ الرَّحَابِ وَلَا قَلْبِي : بِمَنْفَصَلِ
تَشَامَخْتُ نَسْباً وَاسْتَحْكَمْتُ رَحِمَا
أَبُوءَ أَنْتَ تَرَعَى قَرَبَهَا أَمَّامَا

سَتَنْطِقُ الْحَالُ فِيمَا بَيْنَنَا وَأَرَى بِقُدْرَةِ اللَّهِ مَنْ أودعته الرُّجْمَا
سِرًّا : وَسُرَّكَ يَا مَوْلَايَ يَبْلُغُهُ مَنْ بِالْقُوبِ مِنْكَ صَانِ السَّرِّفَانِكَمَا

أول رمضان بعدك يا حمزة

وَأَهْلٌ شَهْرٌ كُنْتَ أَوَّلَ فَرْحَةٍ فِيهِ تُطَالِعُنِي فَعَبْتَ عَلَى الْمَدَى
يَا فَرْحَةَ الرَّمْضَانِ يَا ابْنَ حُشَاشِنِي يَا حِمَزَتِي أَنْتَ الرِّضَا أَنْتَ الْفَدَى
أَيَّ الْهَنَاءِ بَعْدَ وَجْهِكَ أَجْتَلِي وَلَمَنْ أَبْوَحُ بَسْرٌ قَلْبِي الْمَقْفَلِ
قَدْ كُنْتَ تَفْرَحُ بِالْحَدِيثِ صَدَاقَةً وَأَبْوَةً يَا فَرْحَةً لَمْ تَكْمَلِ
قَدْ كَانَ يَمْتَعُكَ الْحَدِيثُ مَعِيَ كَمَا يَرْضِيكَ إِدْنَائِي وَحَسَنِ تَقْبَلِي

يا حمزة

أَقْرَأُ خَوَاطِرَ نَفْسٍ أَنْتَ مَهْجَتُهَا وَأَسْمَعُ حَدِيثَكَ الْعَذْبَ فِيهَا
وَاشْهَدْ أَبَاكَ الَّذِي مَازَالَ يَشْهَدُهَا مَشَاهِدًا أَنْتَ فِيهَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
أَنْتَ الرُّؤْيَى لَمْ تَغِبْ عَنِّي مَطَالَعُهَا أَنْتَ الْمُنَى عَزَّ فِيهِ الْوَرْدُ وَالصَّدْرُ
لَمْ تَنَأْ يَا حِمَزَ رَوْحًا صَافِيًا عَيْقًا وَإِنْ نَأَتْ بِي عَنْكَ الذَّاتُ وَالصُّورُ

أول عام بعدك يا حمزة

يا أبا الحُلوتين يا حمزتي الغالي ويا تاركِي لِحُرْقَقِ بُعْدِكَ
قد أَهَلَّ العامُ الجديدُ علينا يا حبيبي وَأَنْتَ تَسْكُنُ لَحْدَكَ
كيفَ أَحْيَا لولا حنينٌ وأهدابُ وَأَخَوَاتُكَ الْوَحَائِدُ بِعَدِكَ
أَنْتَ فِي رَحْمَةٍ أَعِيشُ بِرَجَواها ما أَكْرَمَ الْخُلْدَ خُلْدَكَ

يا حمز

يا حمزَ هذا العيدُ أولُ مرةٍ أحيأه بِؤُوسَا
إِنِّي أَعِيشُ الْكَوْنَ بِعَدِكَ كُلُّهُ يا حمزَ رَمَسَا
قد كُنْتُ لِي قَمَرًا يَضِيُّ وَكُنْتُ لِي يا حمزَ شَمْسًا
وَلَأَنْتَ أَهْنَأُ فِي رَحَابِ اللَّهِ إِيمَانًا وَقُلْسَا
يا فَلذتِي طِبُّ فِي جَنَانِ الْخُلْدِ عِنْدَ اللَّهِ نَفْسَا
اليَوْمَ صرْتُ وَأَجْمَلُ اللَّحْظَاتِ أَحْيَاهُنَّ أَنَسَا
لَحْظَاتِ أَدْعُو اللَّهَ بِالرَّحْمَى عِلَانِيَةً وَهَمَسَا
وَاللَّهُ أَرْحَمُ بِالْكَسِيرِ الْقَلْبِ أَنْفَاسًا وَنَفْسًا

غياب

أحاط بي الشباب فلم أجدهُ حبيب القلب ما بين الشباب
تخبر في التراب هوى دفيناً وخلفني أعيش على التراب
سبقت وكان أكثر من يقيني بأنك حافظ عهدي غيابي
ولكن المشيئة فوق حيي ومنية خاطري وأسى اغترابي
ورحمي الله أغلى من وحيدٍ فقدناه على غير ارتقاب

إلى روحه الغالي في يوم عرفة

وتأخذ الكف مني ثم تلتئمها وألثم الرأس في حنو وإرفاق
ضرعت لله والدنيا تعج به يوماً أغر رعته فيك : أحداق
سألته من قضى فينا بحكمته بما قضى : سؤال مخلوق : لخلاق
أن يمنحك من قرباه منزلةً أدنى من القرب في رُحمي وإشراق
وأن يواصل روحينا بمرحمةٍ تلقاك عيني كما تلقاك أعماقي
يا صاحب الأمر إما شاء قال له كن فاستوى هينا في غير ارهاق

إلى روحه الغالي في يوم عرفة

يا حمزة البر ما أبقي الزمان هوىً أعز منك ولكن يؤك الباقي
جأ كجبك لا تبلى مطارفه جديدة نسجت من دمع آماقي
في كل ثانية ذكرى مؤرقةً يرف في ومضها يا حمز : خفاقي

وَأَسْتَرِيحُ عَلَى الْبَلَوَى وَأَنْشُدُهَا فَلِصْدَى فِيهَا رُقِيَّةُ الرَّاقِي
يَا أَنْتَ يَا سِرُّ نَفْسِي بَلْ وَجُوهُهَا وَيَا رِضَائِي وَيَا ذَاتِي وَأَخْلَاقِي
الْيَوْمَ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَازْدَلَفُوا أَحْسُ خَطْوَكَ حَوْلِي خَطْوَ مُشْتَاقِ
مُسْلِمًا مِثْلَ تَسْلِيمِ الْغَمَامِ عَلَى مُصَوِّحٍ يَتَلَقَّاهُ بِأَشْفَاقِ

« الحج الثاني بعد حمزة رحمه الله . . »

أَنِّي أَجِلُّ رِبَاعَ الْخَلْدِ فِيهِ بِهِ أَحْرَى لِمَنْ ظَلَّ رَهْنَ الْعَالَمِ الْفَانِي

الحج الثاني بعد حمزة رحمه الله . .

يَا قَرَّةَ الْعَيْنِ هَذَا حَاجِنَا الثَّانِي وَأَنْتَ نَاءٍ وَفِي أَحْشَائِنَا دَانِي
كَأَنَّمَا الدَّهْرُ قَدْ عَشَنَاهُ فِي حُرْقٍ وَمَا مَضَى يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ: عَامَانِ
عَسَى ضَرَاعَتُنَا الْحَرَّى مَرْفَرَةً تَحْفُفُ رُوحَكَ: يَا صَبْرِي وَإِيمَانِي
إِنِّي أُرْجِيكَ وَالرَّجْوَى هُوَ رَمَقٍ أَنْ لَا تَضُنَّ عَلَى رَوْحِي وَوُجْدَانِي
رُحِمَى مِنْ اللَّهِ حَاوِلُهَا لِأَجْلِ أَبِي جَمُّ الْحَنَانِ كَسِيرِ الْقَلْبِ أَسْيَانِ
لُقِيَا مَطْمَئِنَّةً لَيْسَتْ بِمَعْجَزَةٍ وَأَنْتَ فِي ظِلِّ مَنَّانٍ وَحَنَانِ
يَا مَنْ سَمَا فَوْقَ حَيٍّ: حَبُّهُ أَثَرَى يَقْلُ مَقْدَارُهُ فِي الْعَالَمِ الثَّانِي

البلبل المنتحر

(١)

تَجَمَّعَتَا عِنْدِي لَمِيسُ وَأَزْهَارُ كَوَفَدَ (غِفَارُ) وَالْهَوَى الْأَبُّ غِفَارُ
وَفِي عَيْنِ كُلِّ مِنْهُمَا ظِلُّ نَسْمَةٍ شَذِي عِطْرِهَا أَشْيَاءُ كَثِيرٌ وَأَخْبَارُ
وَأَقْبَلَتَا أَمَّا الدَّلَالُ فَنَاطِقُ وَأَمَّا الْمَرَامَى تَمْتَمَاتٌ وَأَسْرَارُ

(٢)

وَبَعْدَ حِوَارٍ مَنْ يَكُونُ الْمَقْدَمُ تَصَدَّتْ لَمِيسُ وَهِيَ لِلزَّهْرِ تَوَامُ
وَقَالَتْ غَدًا مِيلَادُ أَزْهَارٍ كَيْفَ لَا تُفَكِّرُو آيْنَ الْحَفْلِ آيْنَ التَّبَسُّمِ
وَلِلْعَبِيدِ لَمَّا أَنْ نَسِيتَ غَرَامَةً مُؤَخَّرَهَا شَيْءٌ وَشَيْءٌ مُقَدَّمُ

(٣)

فَقُلْتُ رَضِيتُ الْحَكَمَ فَوْقَ قَبُولِهِ رَجَاءٌ هُوَ الْعَفْوُ الَّذِي أَتَانَا مَلُ
وَلَمْ أَنْسَهُ عَمْدًا وَلَكِنْ أَبُوكُمَا أَنَاخَ عَلَيْهِ كَلْكَلٌ ثُمَّ كَلْكَلُ
وَمَالِي لِهَذَا الْقَوْلِ هَيَّا تَعَجَّلَا فَأَنِّي بِأَمْرِ الْحُلُوتَيْنِ لَأَعْجَلُ

(٤)

فَقَالَتْ لَمِيسُ أَلْفَ شُكْرٍ وَإِنِّي وَأَزْهَارُ بِاسْمِ الْعَبِيدِ تَطْلُبُ (دُرَّتَيْنِ)

(٥)

فَوَاحِدَةٌ الْقَمَرَيْنِ كَأَنَّمَا عَرَاها هُزَالُ الصَّبِّ فَارَقَ إِلْفَهُ
فَنَاحَتْ وَفِي حِسِّ ابْنَتِي كَأَنَّمَا تُغْنِي كَمَا غَنَّى الْهَزَارُ الْمَرْفَهُ
وَأَوْغَلَ فِيهَا السَّقَمُ تَحْجِبُ سِرَّهُ وَأَضَحَتْ كَظَلِّ الْمَوْتِ أَوْهَى طَيْفَهُ

(٦)

وَحَيْرَنَا هَذَا الْخَفَاءُ الْمُسْبِرَحَ أَسْقَمَ ثَوَى أَمِ عِلَّةٌ لَيْسَ تَبْرَحَ
وَهَذَا الْأَلِيفُ الْخُلُو لَصُقُ جَنَاحِهَا فَلِمَ يَا تَرَى هَذَا الْأَسَى الْمُتَرَنِّحَ
إِلَى أَنْ لَمَحَتْ السَّرَّ فِي هَتَفٍ صَادِحٍ يَحُومُ طَلِيقًا وَهِيَ فِي الْأَسْرِ تَرْزَحَ

(٧)

وَشَدَّ الْأَسَى شَدًّا عَلَى الدَّرَّةِ الَّتِي نَأَى جَارُهَا مَهْمَا شَكَى مِنْ جَوَارِهَا
فَارَّقَهَا جُرْحَانِ جُرْحُ اغْتِرَابِهَا وَجُرْحُ شَهِيدِ دَارِهِ غَيْرُ دَارِهَا
فَجَارَ عَلَيْهَا الْيَأْسُ حَتَّى أَحَالَهَا إِلَى عَاصِفٍ فِي سِرِّهَا وَجِهَارِهَا

(٨)

وَصَرَّحَ فِيهَا الشَّرُّ تَصْرِيحَ ثَائِرٍ عَلَى نَفْسِهِ مُسْتَعْجِلًا أَخَذَ ثَارَهَا
وَحَاوَلَ أَقْصَى مَا يُحَاوَلُ هَارِبٌ مِنَ الْعَمْرِ وَالْأَقْدَارِ رَهْنٌ مَدَارِهَا
وَأَبْصَرَهَا قَارُورَةً ظَنَ مَا بَهَا زُعَافًا فَمَا لِلنَفْسِ غَيْرَ انْتِحَارِهَا

(٩)

وَلَمْ تُجْدِهِ فَاحْتَارَ يَزْمُ مَدِيَّةً وَأَحْجَمَ أَعْيَاهُ اقْتِنَاصَ شِفَارِهَا

ولما رأى زَحَمَ الْإِسَارِ وَقَرَّوْهُ
تَحَايَلَ يَبْنِى الْهَلْكَ يَدْنُو بِجِيدِهِ
وضاقت به الدنيا بِضْطِ إِسَارِهَا
يُمَزِّقُهُ تَمْزِيقَ نَفْسٍ بِعَارِهَا

(١٠)

وَيَلْكَزُ فِي الْأَسْلَاحِ رَأْسًا مُحْطَمًا
وَمَا زَالَ حَتَّى خَرَّ فِي نَفْسِ رُكْنِهِ
لِيَقْدَحَ شَرًّا وَإِقْدَا مِنْ شِرَارِهَا
صَرِيْعًا وَهَلْكَ النَّفْسَ بَعْضَ انْهِيَارِهَا
وَمَا رَاعَيْتَنِي إِلَّا ابْتِنَايَ بِحُرْقَةٍ
يَنْوَحَانُ نَوْحَ الْوُرْقِ بَعْدَ سِفَارِهَا

(١١)

يَقُولَانِ قَتَلْنَا ضَاحِيَةً فَرَحَةً
فَيَا لَيْتَ أَنَا قَدْ رَحِمْنَا هَوَاهُمَا
وَهَا نَحْنُ نُكْوِي مِنْ أَسَاها بِنَارِهَا
فَمَا تَسْتَرِيحُ النَّفْسَ فِي غَيْرِ دَارِهَا
وَقُلْتُ لِبَنَتِي أَرْبِعَا وَتَرْفُقَا
فَإِنْ عَذَابَ النَّفْسِ فِي سِجْنِ عَارِهَا

(١٢)

وَلَا تُطَلِّقِ الْأَيَّامُ غَيْرَ شِرَارِهَا
وَأُنْكِي مَعَانِي الْأَسْرِ خَلْفَ طِبَاعِهَا
وَلَا تَحِيسُ الْأَيَّامُ غَيْرَ خِيَارِهَا
فَلَا تَلْتَقِي طُولَ الْمَدَى فِي حِوَارِهَا
فَقُولَا مَعِيَ يَا رَبُّ عَفْوًا وَتَوْبَةً
وَحَلِّ دُجَى الدُّنْيَا لَنَا كَنَهَارِهَا

(١٣)

وَدَعْنَا نَذُوقَ الشَّهْدِ فِي خِصْبِ أَرْضِهَا وَنُبْصِرَ حَلَوَاءَ الشَّدَى فِي قِفَارِهَا

* * *

موكب الجمال

في دمة على فقيد الشباب الأستاذ محمد فدا

أنا ما عرفتُك من قريبٍ بل عرفتُك من بعيد
وكبرتَ في الأمداءِ وحدك مذ كبرتَ عن المهود
وتوزعتْ بلداتك الآرابُ في الوطنِ العتيد
ومضيتْ كالفلّاح تحرثُ ثم تغرسُ من جديد
وخطوتْ كالجنديّ يمشي الهديبى خلف البُهود
عفتَ الصدارة حين ذابتْ في النُحور وفي النهود
ورضيتْ بالشفير الحمى وليس بالشفير البرود
وتضىءُ حامية الثغور على المدي خلف السُدود
أمجادها سِيان فوق الأرض أوبطنُ اللُحود
والنورُ يَخترِقُ الحدود ولا يطبقُ هوى الحدود
للموت خاطرةٌ تؤزُّ أزيزَ طائفة الحديد

نَقَالَةُ الذُّكْرِى مِنْ الْأَمَلِ الطَّرِيفِ إِلَى التَّلِيدِ
تَنَدَاحِ خَالِدَةِ الْمَآثِرِ حِينَ تَزْلِفُ لِلْخُلُودِ
وَدُمُ الْأَبَى الْحَرِّ يَالِقُ عِرْقَهُ كَدَمِ الشَّهِيدِ
نَسَقُ نَهَجَتْ بِهِ إِلَى الْعَلِيَاءِ لِلْهَدَفِ السَّدِيدِ
لَكِنَّهُ النَّهْجُ الْوَحِيدُ يَلِيقُ بِالْأَمَلِ الْوَحِيدِ
وَلَقَدْ عَيَّنَا بِالطَّرَائِقِ فِي الْمُرَادِ وَفِي الْمُرِيدِ
لَا تُوهِمُنَا بِالرَّحِيلِ فَأَنْتِ فِي أَوْجِ الصُّعُودِ
فِيمَا رَسَمْتَ وَمَا بَنَيْتِ وَمَا سَتَبْنَى مِنْ بَعِيدِ
فَلَكُمْ تَوَارِي اللَّيْثِ يَهْوِي سَمْعُهُ زَارَ الْأَسُودِ
وَالْوُرُقُ تَطْرَبُ لِلصَّدى مِنْهَا وَتَفْرَحُ بِالنَّشِيدِ
الْمَوْتُ أَنْطَقُ بِالْحَيَاةِ وَسِرُّ جَوْهَرِهَا الْفَرِيدِ
وَلَكُمْ يَعِيشُ الْمَوْتُ أَعْمَاقَ الْغَبَاوَةِ فِي الْبَلِيدِ
وَيَعِيشُ فِي حَقْدِ الْحَقُودِ لَكُمْ أَنْفَاسُ الْحَقُودِ
وَيَعِيشُ فِي الْجَاهِ الْمَنْعِ بِالْآلَمَةِ وَالْكُنُودِ
فِي الرَّمَّةِ الشَّوْهَاءِ تَفْجِزُ عَنْ مُعَاشَرَةِ الْقُرُودِ

فِي الرَّاقِصِينَ عَلَى الْحَرِيرِ الْوَاطِئِينَ عَلَى الْخُدُودِ
 الْمُسِيلِينَ إِزَارَ أَخْرَارٍ عَلَى بَدَنِ الْعَبِيدِ
 فِي الْحَائِكِينَ الزُّورَ وَالْبُهْتَانَ فِي أَخْلِ الْبُرُودِ
 فِي السَّاهِرِينَ وَصَحْوُهُمْ يَنْحَطُّ عَنْ صَحْوِ الرُّقُودِ
 فِي الْقَابِضِينَ الْجَمْرَ يَحْرِقُهُمْ وَيَنْفُذُ لِلْجُلُودِ
 حَسْبُوه دُخْرَ حَيَاتِهِمْ وَالْمَجْدُ فِي الْبَدْلِ الْمَجِيدِ
 صَدَقَ الْخَلِيلُ أَبُو خَلِيلٍ فِي الْغِيَابِ وَفِي الشُّهُودِ
 مُذْ قَالَ إِنَّكَ فِي شَبَابِ بِلَادِنَا بَيْنْتُ الْقَصِيدِ
 أَيَّامَ صَنَفْنَا الْكَفَاءَةَ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدِ
 بِالْجُهْدِ بِالْعَرَقِ الْمُشْعَشَعِ لَا بِأَغْرَاقِ الْجُدُودِ
 سِرُّ الْفَرَّاسَةِ لَا يَخِيبُ وَصِدْقُهَا صِدْقُ الْعُهُودِ
 عِشْ فَوْقَ مَا تَهْوَى فَمَا الْفِرْدَوْسُ إِلَّا لِلنَّجِيدِ
 وَصِلِ الْحَيَاةَ وَزِدْ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَجْدَرُ بِالْمَزِيدِ

...

تأبين شاعر

لا تَنُوحُوا عَلَيْهِ لَا تُزَعِّجُوهُ فَهُوَ لِلْمَوْتِ مِثْلُهُ لِلْحَيَاةِ
نَغَمٌ تَسْبَحُ الْمَوَاقِبُ فِيهِ وَهَوًى نَابِضُ الرُّؤْيِ بِاسِمَاتِ
وَمَعَانٍ تَرَنَّنَتْ فَتَلَاقَتْ بِمَعَانٍ قُدْسِيَّةٍ النَّفَحَاتِ
إِنَّهَا رَحْلَةُ الْمَشُوقِ لِصَحْبٍ أَوْفِيَاءَ فَوْقَ السَّحَابِ . . أَبَاةٍ
قَدْ دَعَاهُ إِلَى الْوِصَالِ فَلَبَّى دَعَوَاتٍ مُجَابَةِ الدَّعَاوَاتِ
وَضَلُّهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رِحَابِ غَامِرَاتٍ بِفَيْضِهَا غَامِرَاتِ
تَتَحَرَّى أَنْسَامُكُمْ بِلِسَانٍ شَاعِرِ الْحِسِّ . . شَاعِرِ الْكَلِمَاتِ
فَهُوَ فِي عَالَمِ الْخُلُودِ سَفِيرٌ وَافِدٌ لِلْحَيَاةِ عِبْرَ الْمَمَاتِ
لَا تَقُولُوا قُضِيَ لِأَرْوَاحٍ جَلَّى ثُمَّ صَلَّى وَحَقَّقَ الْمُعْجِزَاتِ
إِنْ أَحْلَى الْأَيَّامَ فِي عُمْرِ الشَّاعِرِ يَوْمٌ يَضْجُ بِالذُّكْرِيَّاتِ
طَالَمَا أَرْسَلَ الْمَوَاجِيدَ فِي الْحَرْفِ مُضِيئًا إِضَاءَةَ الْآيَاتِ
عَبَقَرِيَّ الْإِيمَانِ وَقَدْ الْمَعَانِي مِنْ تَرَانِيمِ حِسِّهِ فِي صَلَاةٍ

قَدْ تَسَامَى وَلَمْ يَزَلْ يَتَسَامَى فِي إِبَاءٍ عَلَى هَوَى الْغَانِيَاتِ
إِنَّهُ طَامِحٌ وَلَكِنْ إِلَى الْخُلْدِ وَسِيمِ الرُّؤْيِ شَفِيفِ السَّمَاتِ
تَتَرَوْنَ مِنْهُ الْكُؤُوسُ أَفَانِينَ وَيَرْشِفُنْ أَعْطَرَ النَّسَمَاتِ
قَبَسٌ كَالصَّوَى يُغَرِّدُ لِلْفَجْرِ وَيَسْرِي مَعَ الدَّجَى فِي أَنَاةٍ
وَمَعِينٌ ثَرٌّ تَحُومُ عَلَيْهِ نَاهِلَاتُ كَرَانِمِ الْأُمْنِيَّاتِ
الهُدَاةُ . . . الْهُدَاةُ رَجْعُ مَعَانِيهِ وَأَطْيَابُهُ قُلُوبُ الْهُدَاةِ

* * *

لَا تَنُوحُوا عَلَيْهِ لَا تَزْعَجُوهُ لَا تَشْقُوا الْجُيُوبَ كَالنَّائِحَاتِ
فَهُوَ لَمْ يَبْرَحِ الْمَوَاقِفَ عَاشَتْ فِي مَثَانِيهِ حَيَّةٌ خَالِدَاتِ
وَهُوَ بَيْنَ الْمَرْجِ عِطْرُ شَذَاهَا أَخَذَتْ عَنْهُ أَنْضَرَ الْبَسَمَاتِ
وَهُوَ لِلْأُمْنِيَّاتِ بُلْبُلُهَا الشَّادِي يُدَاوِي الْآهَاتِ بِالْآهَاتِ
وَالْحَيَاةُ الْحَيَاةُ مُصْدَرُ إِلْهَامٍ دَفُوقٍ مُجَنِّحِ الْوَمَضَاتِ
دَيْدَبَانٍ عَلَى الزَّمَانِ فَمَا ضَاقَ بِمَاضٍ وَلَا اطمَأَنَّ لِآتِ
جَادِبِ الطَّيْرِ مَنْطِقِ الطَّيْرِ إِذْ تَهْزِجُ صَدَاةً بِشَتَّى اللُّغَاتِ
وَأَذَاقِ الْجَمَالِ رَضْبِ حَمِيَاهُ شُمُوخًا فِي الْأَعْيُنِ السَّاحِرَاتِ

وَأَبَاحَ الْأَغْصَانِ حُسْنَ التَّئْتِي فِي دَلَالِ الْكَوَاعِبِ الْمَائِسَاتِ
وَجَلَا فِي الصُّدُودِ عِزَّةَ تَيَّاسِهِ صُدُوفًا عَنِ الْخَنَا وَالْهَنَاتِ

فَاعِزُّوْا حَوْلَ نَعْشِهِ وَأَعِيسِدُوا لَحْنَهُ الْغُضُّ رَاقِصَ النِّغَمَاتِ
وَانَسْجُوا بِالْأَقَاحِ الْكَلِيلِ غَارِ ضَفَرَتِهِ أَنْامِلُ الْفَانِتَاتِ
صَفَّقُوا الرِّاحَ وَالْهَبُوءَ بِلَظَى الْحَبِّ قِدَاحًا حَرَّاقَةَ اللَّذَعَاتِ
وَصَلُّوْهُ بِمَجْدِهَا فَالْكَرِيمُ الْحُرُّ رَجَوَاهُ فِي وَشِيجِ الصَّلَاتِ
طَاوَلَ الشَّامِخَاتِ نِدَاً لِنِدٍّ لَمْ تَجِدْهُ رِحَابُهَا فِي الْعُفَاةِ
طَمَنُّوْهُ عَلَى الْمَوَاهِبِ غَذَّاهَا فَضَاءَتْ كَالْأَنْجُمِ النَّيِّرَاتِ
وَإِذَا صَلَّتْ الْجَوَارِحُ تَكْرِيمًا لِأَهْدَافِهِ الَّتِي وَاللَّوَاتِ
فَتَحَرَّوْهُ فِي الْمَوَاقِفِ صَدَّاحًا وَفِيَا مُبَارَكِ الْخَطَوَاتِ
لَفَتَاتِ الْحِسَانِ قَدْ قَبِسَتْ مِنْهُ وَفُزْتُمْ بِأَرْوَعِ اللَّفَتَاتِ
وَأَسِيرُ اللَّحَاطِ دُونَ أَسِيرِ أَوْثَقْتَهُ حَنَادُسُ الذِّكْرِيَّاتِ

لَسْتُ أَرْجُو لَهُ رِعَايَةَ أُنْبَاءِ صِغَارٍ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ بَنَاتٍ
إِنْ آبَاءَهُمْ مَبَادِيهُ الْحَرَّةِ أَخْنَى حَتَّى مِنْ الْأُمَمَاتِ
لَا تَقُولُوا جَرَى الزَّمَانِ بِمَا نَكْرَهُ فِينَا إِذْ مَزَّقَ الْآصِرَاتِ
فَالزَّمَانُ . . الزَّمَانُ أَخْلَقُ أَهْلِيهِ وَمِيزَاتُهُ مَعَالِي الصُّفَاتِ
إِنَّمَا اسْتَمِيعَ لِلشَّاعِرِ الْعُذْرَ وَأَدْعُوا أَمْجَادَهُ لِلْحَيَاةِ
فِي مَغَانِيهِ فِي مَجَالِيهِ لَا تَنْضُبُ فِي الْخَاطِرَاتِ فِي الْأُمْنِيَّاتِ
فِي الْعَظِيمَاتِ كَانَ صَيْدَحَهَا الْغَرِيدَ فِي الْخَاطِرَاتِ فِي النَّفْحَاتِ
فِي الْبُطُولَاتِ صَالَ فِيهَا مَصَالُ اللَّيْثِ فِي أَضْيَقِ الضَّائِقَاتِ
يَوْمَ تُجْلَى عَرَائِسُ الْفِكْرِ فِي الْآفَاقِ ضَجَّتْ بِهِ ضَجِيجُ الْغَزَاةِ
اِقْرُوهُ السَّلَامَ يَوْمَ نُضْحَى فِي سَبِيلِ السَّلَامِ بِالْمُهَنْجَاتِ
يَوْمَ نَسْمُو عَلَى النُّفُوسِ عَلَى الْآرَابِ عَافَتْ إِلَّا حَيَاةَ الْهُدَاتِ
لَا تَنُوحُوا عَلَيْهِ بَلْ رَتِّلُوهُ إِنَّهُ رَحْمَةٌ مِنَ الرَّحْمَاتِ
إِنَّهُ زَاهِدٌ تَبَتَّلَ لِلَّهِ فَأَغْفَى إِلَّا عَنِ الْهَمَسَاتِ
وَتَوَارَى عَنِ الْعَيُونِ وَخَلَّى رُوحَهُ لِلْسَّحَابِ الْهَاطِلَاتِ
فِي مَهَبِ الرِّيَّاحِ فِي الْأَفُقِ الْمَكْشُوفِ لِلرَّائِحَاتِ لِلْغَادِيَّاتِ

للفضاء الرَّحيب طالما لَوْن آفاقه بأخلى الشَّيَاتِ
إنه الوعد في حقيقته الكُبْرَى التي عاشها على المِرْآة
قد تصدَّى لها على وَضَحِ الذَّاتِ وَكَمْ هَامَ فِي ظِلَالِ الذَّاتِ
عَاشَهَا بِالْخِيَالِ صَوْرَهُ الْفَنُّ جَمِيلًا فِي أَرْوَاعِ الرَّائِعَاتِ
فإذا أدرك الحقيقة بَيْنُضَاءِ تَبَدُّتْ فِي أَبْدَعِ الطَّلَعَاتِ
فهي أَحْلَامُهُ الْعَذَابِ تَرَاعَتْ صَائِحَاتٍ فِي أَصْدَقِ الْبَقَعَاتِ
لِتَقُولُوا عَنْهَا نُبُوءَاتِ حَسِّ شَاعِرِي عَمِيقَةِ صَادِقَاتِ

* * *

الشريف عبد الله المنديلي

فَقَدْنَاهُ أَذْنَى مَا يَكُونُ لَأَنْفُسٍ تَشَاكُلُ فِيهَا بِالْمَحَبَّةِ مَشْرَبُ
عَزِيزًا أَثِيرًا جُهْدُهُ ذَوْبُ نَفْسِهِ يَجُودُ بِهَا وَالرُّوحُ لِلرُّوحِ مَطْلَبُ
تَنْوَعُ حُبُّ النَّاسِ ذَوْقًا وَمَذْهَبًا وَحُبُّكَ أَهْلَ اللَّهِ فِي اللَّهِ مَذْهَبُ
شَوَاغِلُ مِنْهَا كُنْتُ فِيهَا مُوزَعًا تُبَاعَدُ عَنْهَا تَارَةً وَتُقَرَّبُ
وَقُرْبِي إِلَى بَيْتِ النَّبِيِّ قَرِيبَةٌ تَهْيِجُ إِذَا قَالُوا «حُسَيْنٌ وَزَيْنَبُ»
تَأَلَّقَ فِيكَ الْحُبُّ نُورًا وَبَهْجَةً فَلَا صَبُوءَ تُلْهِى وَلَا ثَمَّ مَأْرَبُ
لَقَدْ نَأَىكَ الْعِبَاءُ الثَّقِيلُ وَإِنَّهَا مَتَاعِبُ أَهْلِ اللَّهِ تُوْهِى وَتُكْرِبُ
أَيَّا جَارِ أَنْسٍ طَابَ لِي فِي جِوَارِهِ كَرِيمٌ وَفَاءٌ مِنْكَ خُلُوٌ مُحِبُّ
تَوْشَحُ فِي أَوْلَادِنَا مِنْ وَلَائِنَا وَلَاءُ رِعَاةٍ مِنْ أَبُوتِنَا أَبُ

عَجِبْتُ لَهُ إِذْ جَاءَ بِي فِي جِوَارِهِ
وَزَا حَمْنًا بِالذُّكْرِيَّاتِ تَنَوَّعَتْ
لِيُشْرِقَ فِيْنَا قُرْبُهُ ثُمَّ يَغْرِبُ
صَبَاحًا مَسَاءً طَيْفُهَا يَتَوَثَّبُ

(٢)

لِلنَّاسِ يَحْيِي بِمَا نَالُوا وَمَا ظَفَرُوا
يُعْطَى لِيَسْتَوِيبَ الْأَنْفَاسَ ضَارِعَةً
وَالرَّائِدَ السَّمْعَ إِذْ تَعْنُو الصَّعَابَ لَهُ
وَتَشْرِبُ لَهُ الْأَعْنَاقَ زَاخِفَةً
تَحْكِي سِرَائِرَهُ صَفْوًا وَتُشَبِّهُهَا
فَأَيُّ مَطْلَبٍ عِزٌّ لَا يَلِينُ لَهُ
وَفِي مَرَامِهِمْو يَحْلُو لَهُ السَّبَقُ
مِنْ وَاثِقِينَ بِمَا فِي ذَاتِهِ وَثَقُوا
لَنْ يَسْتَرِيحَ إِلَيْهِ الْمَوْضِعَ الْقَلِقُ
مَوَدَّةً لَيْسَ فِيهَا الْمِينُ وَالْمَلَقُ
صِدْقًا تَوْحَّدَ فِيهِ النَّهْجُ وَالنَّسَقُ
وَأَيُّ شَعْبٍ بِمَا يُمْلِيهِ لَا يَثِقُ

(٣)

وَحَتَّى صِغَارِ الدَّارِ كَانَ يَحُوطُهُمْ
إِذَا طَرَقَتْ فِي الْبَابِ طَرِيقَةُ طَارِقٍ
فَيَا غَائِبًا مَا سَاءَنَا مِنْهُ حَاضِرُ
تَحَرَّيْتُ أَحْدَاثَ الزَّمَانِ غِيَابِيَا
جَزَنَكَ الْغَوَادِي رَحْمَةً أَنْتَ أَهْلُهَا
وَلَا زِلْتُ حَيًّا فِي بَنِيكَ وَكُلُّهُمْ
وَإِنِّي عَلَى عَهْدِ الْمَوَدَّةِ رَاجِيَا
يُودُّ عَجِيبٍ وَالنَّوْيُ مِنْهُ أَعْجَبُ
تَنَادَوْا لَقَدْ جَاءَ الشَّرِيفُ وَرَحِبُوا
وَلَكِنَّا فِي غَيْبِهِ نَتَعَذَّبُ
تَمُرْ إِلَى أَنْ لَفَكَ الْيَوْمَ غَيْبُ
تَظَلُّ عَلَى أَفْيَانِهَا تَتَقَلَّبُ
نُجُومٌ عَلَيْهَا مِنْ رِضَائِكَ كَوَكَبُ
بِحُبِّكَ قُرْبُ اللَّهِ إِذْ أَتَقَرَّبُ

إلى روح ولدي

لو عِشْتَ أَبْصَرْتَ آمالاً مُحَقَّقة كانت مَقاصِدُكَ الْكُبْرَى تُرْجِيها
 ما أَثْمَرْتَ غَيْرَ ما قَدْ كُنْتَ تَغْرِسُهُ يا لَيْتَ قاطِفَها مَنْ كان ساقِها
 يا غَيْثُ طيِّبِ ثِراهِ إِنَّه جَدَّثَ ما إِنْ لَهْ غَيْرَ رُحْمَى اللَّهِ يُولِها
 ويا أبا ضاقَ بِي ما تَمَّ مِنْ أَمَلٍ إِذْ لَمْ تَكُنْ حارِسَ النِّعْمَى وَحامِها
 رَسَمْتِها وَالنَّهْيَ مِنْ حَوْلِها قَبَسَ وَقُلْتَ دُونَكَ فِي الْعِلاءِ عالِها
 وَرَثَتْنِي خَلَقَ الْأَمْجادِ أَنْشُدُها مَنى عَلَى الجُهدِ تَطوِينِي وَأَطوِها
 قُلْتَ الرِّزايا مِيا دِينَ مُشَوَّكة يَجْتَازُها هادِمُ الدُّنْيا وَبانيها
 وما عَدَّتْنِي مِنَ الْأَحْداثِ مُزَعْجة مِمَّا عَلِمْتَ وَمِمَّا لَسْتَ تَدْرِها
 فِيها رِضاؤُكَ بَعْدَ اللَّهِ زامِلَنِي فَمَا رَأَيْتُنِي الْبِلايا غَيْرَ راعِها
 دُقْتُ الْأَمْرَيْنِ مِنْ جَوْرٍ وَمِنْ عَنَتٍ لَمْ يَحْمِنِي مِنْ طِباعِي خَيْرُ ما فِيها
 وَالْعِلْمَ وَالْفِكْرَ قَادَانِي لِصاخِبَةٍ مِنَ الْكُروبِ تَمادَّتْ فِي تَجْنِها

جَرَائِرُ الْخُلُقِ الْعَالِي أُجَرَّعَهَا وَالْوَعْدُ يَسْحَبُ أَذْيَالَ الْعُلَا تِيهَا
وَمَا أَنَا الْيَوْمَ إِلَّا نِضْوُ مَعْرَكَةٍ أَبَقْتُ عَلَىَّ مِنَ الدُّنْيَا مَعَانِيهَا
الْفَضْلُ عِنْدِي ثُرَاثُ عَزٍّ وَارِثِهِ وَالْمَالُ عِنْدِي مِنَ الْأَخْلَاقِ عَالِيهَا
إِنْ سَأَلْتَنِي الدُّنَا أَوْ أَنْ قَسَتْ شَرَعَ لَسْتُ الْحَرِيصَ عَلَى غَيْرِ الْهَدْيِ فِيهَا
إِنْ عَاجَلْتَنِي لَمْ أُعْجَلْ وَإِنْ هَجَعْتُ هَجَعْتُ مَلَأَ عَيْنِي عَنْ مَآسِيهَا
لَمْ تُعْطِ مِثْلَ الَّذِي أَبْلَتْ وَقَدْ وَهَنْتَ مَنِّي الْقُوَى وَضَعِيفَ الْقَلْبِ رَاجِيهَا

* * *

حمزة ومرام

يَا فَلَذَنِي كَبْدِي وَبَهْجَةً مَا أَرَى فِي كَوْنِي الْمَتَرْنَحَ الْبَسَامَ
تَابَعْتُ آمَالَ الْحَيَاةِ وَصَفْوَهَا فَوَجَدْتُهَا فِي (حمزة) و (مرام)

* * *

فِي رِثَاءِ مُصْطَفَى مَفْتَى

تلميذ عزيز عندي - مات في العشرين من عمره

فَقَدْتُهُ عَزْ مَفْقُوداً عَلَى الزَّمَنِ نَأَى وَأَوْرَثَنِي شَجْناً عَلَى شَجَنِ
يَا لَيْتَهُ نَأَى عَوْدٍ اسْتَعْلُ بِهِ لِكِنَّهُ الرِّزْقُ قَدْ أَضْحَى وَلَمْ يَهِنْ
يَا مُصْطَفَى مَا اضْطَقَّتْ نَفْسِي بِهِ بَدَلاً فِي غُرْبَتِي عَنْ بِلَادِ الْمُصْطَفَى وَطَنِ
قَدْ كُنْتُ تَوَأَّمُ نَفْسِي كَمْ فَرِحْتُ لَهَا وَكَمْ حَزِنْتُ عَلَى مَا مَسَّ مِنْ حَزَنِ
وَأَوْدَعْتُكَ عَظِيماً مِنْ سَرَائِرِهَا لَمَّا رَأَتْ يَقْظَا لِلْعَهْدِ لَمْ يَخُنْ
أُمْنِيَّةٌ كَانَتْ فِي نَفْسِي تَنْقُلُهَا وَمُهِجَةً لِي فِي حِلْيٍ وَفِي طَعْنِي
إِنْ سِرْتُ يَتَبَعْنِي مِنْ ضَوْئِهَا قَبَسٌ أَوْ اسْتَقَمْتُ حَلَاً فِي فَيْئِهَا سَكْنِي
يَا رَاحِلاً وَلَهُ فِي الْقَلْبِ مَنْزِلَةٌ هَلَّا رَحَلْتَ بِقَلْبٍ فَبِكَ مُفْتَتِنِ
لَيْتَنِي ذَكَرْتُكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَكْرِماً فَإِنْ رَوْحَكَ بَيْنَ الْخُلْدِ تَذَكَّرْنِي

...

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
بيان .. بقلم الأستاذ هاشم دفر دار المدني	٣
(زحمة العمر) بقلم المرحوم الشاعر ضياء الدين رجب	٧
مقدمة .. بقلم الأستاذ الشيخ محمد علي مغربي	٩

القسم الأول - زحمة العمر :

تحية العاهلين	٢٣
بغداد	٢٥
وحدة القلوب	٢٨
يا مصر	٣٠
ليس يجدي	٣٢
ليل وهول	٣٦
نهجنا	٣٩
أفراح الجزائر	٤٠
عيد الثورة	٤٣
جناسان	٤٥
أغنية زمزم و « أريس »	٤٨
في ربوع المدينة	٥١
قيمة الشعب	٥٤
فأكرم به عبد العزيز موقفاً	٥٦
خلود البطل	٥٩
فجيرة الحب الحالم	٦١
قصة الجرم العقيم	٦٣

٦٩	مهداة إلى الفيلسوف الهادر (البحر)
٧٣	الفرحة الكبرى
٧٤	أغادير
٧٦	خاطرة الولاء
٧٨	طرفة
٧٩	يوم الاحتفال
٨١	يا فيصلا
٨٢	فلسطين
٨٤	ذكريات
٨٧	« أمشاج » من جعبة المستعمرين
٨٩	تحية مصنع الجبس في الرياض
٩٢	أسمع الرجال
٩٥	صدحة المجدد
٩٨	تحية
٩٩	عظيم
١٠٠	ثلاثية من قصيدة مفقودة
١٠١	حقيقة في خيال
١٠٢	ذكريات ماجدة
١٠٥	ومضات
١٠٨	يا عيد
١١٢	تحية وذكري
١١٤	يا ليلة حوت النبوغ
١١٦	مساجلة بين شاعرين
١١٩	سحر الكراسي
١٢٠	التاريخ الشامت
١٢٢	بيني وبين الدينار

رقم الصفحة

الموضوع

١٢٤	مجد الأدب
١٢٥	الثلاثيات
١٢٦	الناقد والمنقود
١٢٧	الصديقان
١٣٠	عندما يبكي العقل
١٣٢	عندما يضحك الدم
١٣٣	دودة القز
١٣٥	إلى تهناني
١٣٨	شاعر الأمس
١٤٠	أدوا الأمانات
١٤٢	تهنئة وشكر
١٤٥	البراءة الحاملة
١٤٩	حلم غادة
١٥٣	المريض الجاني
١٥٥	إلى أبي العلاء المعري في عالمه
١٥٧	ذكرتك
١٥٨	الشائخة
١٦٠	ضاحك الغين
١٦١	لماذا أحبته ؟
١٦٢	يا نسمة
١٦٤	يا مي
١٦٦	يا صمتها
١٦٨	لو كان
١٦٩	هو وهي
١٧٦	يارب
١٧٩	أفلا

رقم الصفحة

الموضوع

١٨٠	ساعتها
١٨٣	ساعتها تجيب
١٨٥	الصحو الحالم
١٨٧	أتنسّين ؟
١٨٨	الكوافير
١٩٠	المستليقة
١٩١	قالت
١٩٣	قولي
١٩٤	سلمت يدك
١٩٥	أمل
١٩٦	أعلمت ؟
١٩٨	الحب الشاعر
١٩٩	لا تلنّني
٢٠٧	الجواب المشور
٢٠٨	سامحي
٢٠٩	الشراب الجديد
٢١١	من مثلها ؟
٢١٢	اعتذار
٢١٣	قصة العمر الضائع
٢١٦	إليها
٢١٧	أتحلاك
٢١٩	واختلفنا
٢٢٣	الهوى الأول
٢٢٤	عتب
٢٢٦	رسالة
٢٢٨	في القطار

رقم الصفحة

الموضوع

٢٢٩	صباح
٢٣٠	وقالت
٢٣١	إليها . . على صورتها
٢٣٣	أنا والشيشة
٢٣٤	حب وأشواق
٢٣٦	إليها أيضاً
٢٣٧	ثنائيات
٢٣٨	تعالى
٢٣٩	الفتنة الراقصة
٢٤١	ضمي إليك
٢٤٣	صورة
٢٤٥	اللقاء الباكي
٢٤٧	من هي ؟ ؟
٢٤٩	عن دمشق وإليها
٢٥٠	نجوى
٢٥٢	ليلة العيد
٢٥٣	على صورتها
٢٥٤	ثلاثيات
٢٥٥	الأمم الخائر
٢٥٩	اللؤلؤة . . الحمراء
٢٦١	أول لقاء
٢٦٢	عينك
٢٦٣	كفه
٢٦٥	ساعتها
٢٦٧	الحسنة والمروحة
٢٦٩	ذكرتك

رقم الصفحة

الموضوع

٢٧١	تقول
٢٧٣	ساعة
٢٧٤	صورة
٢٧٥	التفاحة
٢٧٦	هوى الجحيم
٢٨٠	طعتان
٢٨٢	أوبرا رائعة
٢٨٧	قطوف وألوان
٢٩٠	العائدة
٢٩٢	المتشائمة
٢٩٧	صورة
٢٩٩	كفكف دموعك
٣٠١	رشح العناقيد
٣٠٢	قلب الحب
٣٠٤	القلة البيضاء
٣٠٤	صدقت
٣٠٥	جان سارتر والجائزة العالمية
٣٠٦	لمن تغنين ؟
٣١١	إليها
٣١٢	يا مي
٣١٣	كيف ؟
٣١٥	التذكار
٣١٦	تصوري
٣١٨	الحارس
٣١٩	مولد الطائرة
٣٢٢	اشتياق

رقم الصفحة

الموضوع

٣٢٤	ضاربة الودع
٣٢٧	تلك الحيام
٢٣٠	نجاة ونجوى
٣٣٢	لا تكوني
٣٣٤	يا حيبي
٣٣٧	النادمة
٣٣٩	عيرها
٣٤٠	أيام خالدة

القسم الثاني - سبحات

٣٤٥	يارب
٣٤٦	حنين لبيت الله
٣٤٩	في رحاب المدينة
٣٥١	مكة الحب الكبير
٣٥٣	إلى الحبيب الأعظم
٣٥٤	برعمة الزهراء
٣٥٦	الصلاة والسلام عليك يا رسول الله
٣٥٧	دار الهدى
٣٥٩	متزل الوحي
٣٦٣	التوبة النائية
٣٦٤	أحلى ربيع
٣٦٨	ها هنا الملتقى
٣٧٤	من وحي الذكرى الخالدة
٣٧٩	رحلة في رسالة
٣٨٠	أيام التشريق
٣٨١	عرفات

٣٨٢	السعي بين الصفا والمروة
٣٨٣	باب السلام
٣٨٤	حرء
٣٨٥	ذكريات عزيزة
٣٨٨	هذه النخلة
٣٩٢	من أغاريد رمضان
٣٩٥	يوم الاثنين
٣٩٧	لمحتك
٣٩٨	من وحي الهجرة
٤٠١	يا طير

القسم الثالث - رثاء

٤٠٧	في رثاء الملك عبد العزيز
٤٠٨	عِلْمُ الموت
٤١٠	خواطر ليل
٤١٥	أحزان الشاعر في حوار
٤١٧	إلى روح ولدي حمزة
٤٢٠	أقول الأعمار عام ٧٣
٤٢٢	رباعيات
٤٣٠	غياب
٤٣٢	البلبل المنتحر
٤٣٥	موكب الجمال
٤٣٨	تأين شاعر
٤٤٣	الشريف عبد الله المنديلي
٤٤٥	إلى روح ولدي
٤٤٧	في رثاء مصطفى مفتي